

قصص نبيه

القصص الحقيق

تأليف

عبد القادر شيبة محمد

عُزِّيْزَةُ التَّنْبِيْهِ بِقِيمَتِ الْمَدَائِنِ الْمُلْيَا بِالْمَسَافَةِ الْمُشَدَّدَةِ مُسَايِّرًا  
وَالْمَدِيْنَ بِالْمَسَبَّهِ لِتَقْرِيْبِ تَهْرِيفِ

يزرع مجاناً ولا يثأغ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

يُوزع مجاناً ولا يباع

ح عبد القادر شيبة الحمد، هـ ١٤٣٢  
فهرسة مكتبة فهد الوطنية أثناء النشر  
شيبة الحمد، عبد القادر  
قصص الأنبياء: القصص الحق / عبد القادر شيبة الحمد - ط٤ -.  
الرياض، هـ ١٤٣٢  
ص ٢٤ سم  
٩٧٨-٦٠٣-٠٠-٧٧٩٣-٩ ردمك

١- قصص الأنبياء ٢- قصص القرآن أ. العنوان

١٤٣٢/٦١٥٧ ديوي ٥٢٩  
رقم الإيداع: ١٤٣٢/٦١٥٧  
٩٧٨-٦٠٣-٠٠-٧٧٩٣-٩ ردمك

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف  
الطبعة الرابعة

م ٢٠١٣- هـ ١٤٣٤

# قصص نبي موسى عليه السلام

## القصص الحسيني

عبد القادر شيبة الحمد

عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات العليا  
بجامعة الإسلامية سابقاً  
ومدرس بمسجد النبي الشريف

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

## مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلوة والسلام الأتمان الأكملان على محمد خاتم النبيين، وقائد الغُرُّ المحجلين، ورسول رب العالمين، النبي الأمي الصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن سلك سبileهم وترسّم خطّاهم ونهجَّ مناهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد :

فهذا كتاب قصص الأنبياء «قصص الحق» في طبعته الأولى منفرداً عن القصص الحق في سيرة سيد الخلق محمد ﷺ، وهو بحمد الله صورة مشرقة للقصص الحق، قد جردته بفضل الله وتوفيقه مما أُلْحق بالقصص الأنبياء من الأباطيل ورديء الأقوایل التي اعتمد مروجوها على الأخبار الكاذبة عنبني إسرائيل، أو الأحاديث الضعيفة أو الموضعية التي لا تحل روایتها إلا ببيان وصفها عند المحدثين، حيث إنه مما أطبق عليه علماء السلف من أهل السنة والجماعة أنه لا يجوز لأحد أن يقول على الله بغير علم، وأن ينسب إلى الله شيئاً بغير الحق، وأنه لا يُوصَف الله تعالى إلا بما وَصَفَ به نفسه في كتابه الكريم، أو وَصَفَه به رسوله محمد ﷺ شيخ المرسلين، بما ثبت من صحيح الأخبار عنه ﷺ التي خلت من العلة والشذوذ. كما أنه لا يجوز أن يوصف أحد من رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلا بما صحت به الأخبار. وقد اعتمد أهل السنة والجماعة في ذلك على الأدلة اليقينية حيث يقول تعالى: ﴿يَأَهِلَّ الْكِتَابِ لَا تَقْتُلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ [ النساء: ١٧١].

وقال تعالى: قُلْ يَأَهِلَّ الْكِتَابِ لَا تَقْتُلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلَّلُوا مِنْ قَبْلِ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلَّلُوا عَنْ سَوَاءِ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصْفُ أَسْنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَقْلِعُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

وكما قال عليه السلام في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحهما ووصفه المنذري في الترغيب والترهيب بأنه بلغ مبلغ التواتر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: «من كذب على متعمداً فليتبواً مقعده من النار»، كما روى مسلم من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين». كما روى مسلم في صحيحه من حديث المغيرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «إنَّ كذباً علىَّ ليس كذب على أحد، فمن كذب على متعمداً فليتبواً مقعده من النار». وقد انفرد أهل السنة والجماعة بأنهم إذا سئلوا عن مسألة تتعلق بالله أو برسوله صلوات الله عليه وسلم رجعوا في الجواب إلى آية من كتاب الله، أو حديث صحيح عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم بخلاف غيرهم من أهل الأهواء الذين لا يستندون في عقائدهم أو حتى فروع فقههم إلا على أقوال مرسلة، لا يكادون يستدللون بأية من كتاب الله أو بحديث صحيح عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم.

وعلى هذا؛ فالواجب على كل من ينتمي إلى العلم أن يلتزم بهذا الأصل، فلا يقول على الله إلا بعلم، كما لا يقول على أحد من رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم إلا بعلم.

وعلى الله قصد السبيل، والحمد لله رب العالمين.

حرر في ٢٥/١/١٤١٩ هـ

المؤلف

عبد القادر شيبة الحمد

عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات العليا  
بجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقاً  
والدرس بالمسجد النبوي الشريف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الفصل الأول

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد:

فقد عني القرآن العظيم عناية فائقة بقصص الأنبياء، وحدد في أكثر من موضع من الكتاب الكريم أهداف هذا القصص، حيث يقول: ﴿وَكُلُّاً نَقْصُ عَيْنَكَ مِنْ أَبْيَاءِ الرَّسُولِ مَا نُثِيتُ لَهُ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِدَةُ وَدَكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، وكما قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَلَّاتِ بِمَا كَانَ حَدِيثًا يُقْرَأُ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفَصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَذِي وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

لقد أورد القرآن الكريم القصة - ولا سيما قصص الأنبياء والمرسلين - في ألوان متعددة، فيوردها أحياناً على سبيل الإطناب إن كان المقام للإطناب، وعلى سبيل المساواة إن كان المقام للمساواة، وعلى سبيل الإيجاز إن المقام للإيجاز، وقد يورد القصة في سورة كاملة كsurah Yousuf في قصة يوسف، وقد يورد القصة مطولة وهي لرسول واحد كموسى عليه السلام، يوردها في سورة البقرة، وفي سورة الأعراف، وفي سورة يونس، وفي سور متعددة من القرآن العظيم على أشكال متغيرة؛ لكل مقام منها مقالة الذي يناسبه، لقد أشار إلى صحف موسى وإبراهيم في آية واحدة عندما ذكر آلاءه على خلقه، ووجوب تسبيحه وتقديسه وحده، فقال تعالى: ﴿سَيَّجَ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ١١١ الَّذِي خَلَقَ سَوَى ١٢٢ وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَى ١٣٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمُرْعَى ١٤٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ١٥٥ سُقْرُطَكَ فَلَا تَنْسِي ١٦٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّمَا يَعْلَمُ الْجَهَرَ ١٧٧ وَمَا يَعْنَى ١٨٨ وَيُنِيرُكَ لِلْبَرَى ١٩٩ فَذَكِرْ إِنْ فَعَتِ الْذَّكَرِي ٢٠٠ سَيَذَكُرُ مَنْ يَخْشَى ٢١١ وَيَنْجُبُهَا ٢٢٢ الْأَشْقَى ٢٣٣ الَّذِي يَصْلَى أَنَارَ الْكَبُرَى ٢٤٤ إِنْ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ٢٥٥ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَ ٢٦٦

وَذِكْرُ أَسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ١٥ بَلْ تُؤثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ١٦ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ١٧ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ١٨ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ١٩ [الأعلى : ١ - ١٩]، وفي سورة النجم يشير إلى قصة موسى وإبراهيم نفسيهما فيقول : «أَمْ لَمْ يَبْتَأِ بِمَا فِي صُحُفِ مُؤْمِنٍ ٢٠ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَقَاتَ ٢١ أَلَا نَزَّلْنَا عَلَيْهِ وِزْرَهُ ٢٢ وَرَدَ أُخْرَى ٢٣ وَأَنَّ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَى ٢٤ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ٢٥ ثُمَّ يُجزَئُهُ الْجَرَاءُ الْأَوْقَنُ ٢٦ وَأَنَّ إِلَيْ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ٢٧ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَ ٢٨ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ٢٩ وَأَنَّهُ خَلَقَ الْزَوْجَيْنِ الْذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ٣٠ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تَمَّنَ ٣١ وَأَنَّ عَيْتَهُ الْشَّاءَةُ الْأُخْرَى ٣٢ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَفْقَى ٣٣ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الْشِّعْرَى ٣٤ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ٣٥ وَثَمُودًا مَا أَبْقَى ٣٦ وَقَوْمَ نُوحَ مِنْ قَبْلِ إِلَيْهِمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمُ ٣٧ وَأَطْغَى ٣٨ وَالْمُؤْنَفَكَةُ أَهْوَى ٣٩ فَفَسَّرَهَا مَا عَشَى ٤٠ فَإِنَّمَا رَبِّكَ نَسَارَى ٤١ هَذَا نَذِيرٌ ٤٢ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى ٤٣ [النجم : ٣٦ - ٥٦]. يورد القصة على حسب المقام .

وأنت إذا لاحظت تجد أن القصة في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ تشتمل على أرقى درجات البلاغة وأعلى أساليب البيان؛ من العبرة والدقة والصدق، والوفاء بالمطلوب ووضوح القصد، لما أشار الله تعالى وذكره من ثمار هذه القصة من التأسي بالأنبياء والمرسلين؛ فإن قصص الأنبياء إنما تذكر للتأسي والاقتداء بهم، والابتعاد عن محاذيرهم، والوقوف معهم، وتعزيزهم وتأييدهم، ونصرتهم، فإن هذا هو المقصود من ذكر قصص الأنبياء في القرآن الكريم .

ولكن الواقع أن هذا الطريق في ذكر قصص الأنبياء في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ امتدت إليه اليهودية، وحاولت تشويهه بكل ما تطيق، وهذا دأب اليهود؛ فقد حرّفوا دين عيسى عليه السلام على يد شاؤول اليهودي، وقال شاؤول للنصارى : «أنا أحدثكم عن يسوع - وهذا بعد رفع المسيح بقليل - ولا يجوز لكم أن تسمعوا شيئاً من التعاليم المسيحية إلا عن طريقي» فأفسد دين المسيحيين، وجاء بدین لا يعرفه المسيح عيسى عليه السلام، ولا يعرفه الحواريون، ولذلك ألف برنيابا إنجيله من أجل تكذيب شاؤول، إذ يقول برنيابا في مقدمة إنجيله : «أيها الأعزاء! إن الله العجيب العظيم قد افتقدنا في هذه الأيام بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم. والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى

القوى مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر الله به دائمًا. مجوزين كل لحم نجس الذي ضل في عدادهم أيضًا بولس (شاوول اليهودي) الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى. وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته». أهـ.

وسيجيء مزيد تحقيق لذلك في قصة المسيح ﷺ إن شاء الله تعالى. فقد أفسد شاؤول دين المسيح ﷺ، وادعى أن المسيح ابن الله!

كما حاول عبد الله بن سبا اليهودي الصناعي أن يفسد دين الإسلام، وأخذ يتربص ويبحث عن قوم يكونون حديثي عهد بدین ممن يسكنون المدينة من الأعاجم وغيرهم، أو ممن في قلوبهم مرض على الإسلام وأهله، وأخذ يدس عليهم تعاليم ضد أبي بكر وعمرو وعثمان رض، ويفترى على كتاب الله، وعلى رسول الله ﷺ؛ إذ أخذ يذيع بين من انضم إليه من عصابة الشيطان أن محمداً <ص>رسول الله سيعود إلى الدنيا قبل يوم القيمة، ويقول لأصحابه: كيف تصدقون أن عيسى يعود قبل يوم القيمة، ولا تصدقون أن محمداً يعود مع أن محمداً أفضل من عيسى، وأن في القرآن ما يؤكّد رجعة محمد إلى الدنيا، إذ يقول الله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْقُرْءَانَ لَرَدَّكُمْ إِلَى مَعَادِ﴾ [القصص: ٨٥]، وحمل هذا اليهودي الآية على غير ما أريد بها، وحاول تحريف الكلم عن مواضعه كما هو دأب اليهود وشأنهم، وقد استمر هذا الدس ومحاولة تشويه شريعة الإسلام من عبد الله بن سبا اليهودي، حتى استطاع هو وعصابته أن يقتلوا الخليفة الراشد ذا النورين عثمان بن عفان رض، ثم أوحى إلى بعض تلاميذه أن علياً هو إله السموات والأرض، وأمرهم أن يقفوا عند باب مسجد الكوفة، فإذا رأوا علياً رض قالوا له: أنت هو! وقال لهم عبد الله بن سبا: إذا سألتموني عليّ وقال لكم: من هو؟ فقولوا له: أنت الله، فلما فعلوا ذلك أمر علي رض بأن تحفر لهم عند باب المسجد حفرتان، وتملاآن بالنار، ثم يطرح فيها هؤلاء، ولما أخذ أتباع علي رض في إلقاء هؤلاء في النار كانوا يصرخون ويقولون: أيقنا أنك الله؛ لأنك لا يعذب بالنار إلا الله، وقد حاول علي إلقاء ابن سبا في النار مع هؤلاء غير أن بعض

خاصته أشاروا عليه عليه السلام أن ينفيه فنفاه إلى سبات المدائن، ولما جاءه الخبر - كما ذكر الشعبي عنه - بأن علياً عليه السلام قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي الخارجي قال ابن سباء: والله ما قُتِلَ علي ولا ذاق طعم الموت، وأن الذي قتله ابن ملجم هو شيطان تصور في صورة علي، أما علي فقد صعد إلى السماء يمشي فوق السحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه.

لكن بحمد الله ومنته قد جرد الله تعالى من أئمة الدين وحماة الشريعة ودعاة الإسلام في كل عصر وفي كل مصر من يكشف زيف هؤلاء المنحرفين، ويرد عليهم مطاعنهم.

ولاني أذكر من عهد بعيد يزيد على أربعين سنة أني وقفت على كتيب بعنوان: الحب. يقول فيه كاتبه: أليس الحب هو الذي حرك قلب النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه إلى زينب بنت جحش حينما رأى ساقها الدقيق تحت ثوبها الرقيق كما يرويه بعض المستشرقين. فلما قرأتها سارعت إلى تفسير ابن جرير، وإذا به مع الأسف يذكر نحو ما في هذه القصة الباطلة المختلقة المكذوبة على رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه دون أن يعلق عليها بشيء، فيقول: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: كان النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته، فخرج رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يوماً يريده، وعلى الباب ستة من شعر، فرفعت الريح الستر، فانكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله! إني أريد فراق صاحبتي. قال: ما لك أرابك منها شيء؟ قال: لا والله ما رابني منها شيء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيراً. فقال له رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: أمسك عليك زوجك واتق الله، فذلك قول الله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَعْمَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمَّ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيه﴾ [الأحزاب: ٣٧] تخفي في نفسك إن فارقتها تزوجتها ۱. ا. ه.

وهذا كذب وافتراء على حبيب الله ورسوله وأكمل خلقه وأفضلهم

محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه.

إن القرآن العظيم ينص على العلة في زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش، ويسوق في سورة الأحزاب عندما يقول: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبِهِنَّ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَذْوَاجَكُمُ الَّتِي تُنَظِّهِرُونَ مِنْهُنَّ أَمْهَنَتُهُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمُ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ يَأْفُوا هُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ آدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ لَمْ تَعْلَمُوا أَبَاءَهُمْ فَإِخْرُجُوهُمْ فِي الَّذِينَ مَوْلَاهُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ إِيمَانَهُ وَلَكُنْ مَا تَعْمَدُتُ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤ - ٥]. وأصل القصة أن الجاهليين كانوا إذا تبناهوا إما إذا طلقها، وأراد الله أن يبطل هذه القاعدة الجائرة الظالمة؛ لأنها لا حقيقة لها. وكان زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي قد خرجت به أمه سعدى بنت ثعلبة من طبيع لتزيره أهلها، فأصابتها خيل منبني القلين، فباعوه بسوق حباشة - وهو سوق من أسواق العرب - وزيد يومئذ ابن ثمانية أعوام، وقد اشتراه حكيم بن حزام بن خويلد من الشام، وووهبه لعمته خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ، فاستوهبه منها رسول الله ﷺ فوهبته له، فأعتقه رسول الله ﷺ، وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزاً شديداً، وبكي عليه كثيراً حين فقده، فهو يقول:

|   |   |
|---|---|
| أحيىٰ فِي رَجْنٍ أَمْ أَتَى دُونَهُ الْأَجْل<br>أَغَالَكَ بَعْدِ السَّهْلِ أَمْ غَالَكَ الْجَلِ | بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أَدْرِ ما فَعَلَ<br>فَوَاللَّهِ لَا أَدْرِي وَإِنِّي لِسَائِلٍ |
|---|---|

ثم يقول فيها:

|  |  |
|--|--|
| وَتَعْرُضُ ذَكْرَاهُ إِذَا غَرَبَهَا أَفْلَ<br>وَلَا أَسَامُ التَّطَوَافِ أَوْ تَسَامُ الْإِبْلِ<br>فَكُلْ امْرَئٌ فَانِّي إِنْ غَرَهُ الْأَمْلِ | تَذَكِّرِينِي الشَّمْسُ عِنْدَ طَلْوَعِهَا<br>سَأَعْمَلُ نَصَ العَيْسِ فِي الْأَرْضِ جَاهِدًا<br>حَيَاتِي أَوْ تَأْتِي عَلَيَّ مُنْبَتِي |
|--|--|

وقد أخبر أبوه بأن زيداً عند محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بمكة، فقدم هو وأخوه إلى مكة، وجاء إلى بيت رسول الله ﷺ وذلك قبلبعثة النبوة، فسأل رسول الله ﷺ أن يعطيهما زيداً، فقال له رسول الله ﷺ: يا زيد، هذا أبوك وهذا عمك، إن شئت فأقم عندي، وإن شئت فانطلق معهما، فنظر زيد

إلى وجه رسول الله ﷺ مرة ونظر إلى وجه أبيه ووجه عمه مرة أخرى، ثم قال: بل أقيم عندك، ولا اختار عليك أحداً أبداً، فأخذه رسول الله ﷺ إلى الملا من قريش، وقال: يا معشر قريش، أشهدكم أن زيداً ابني يرثي وأرثه.

والى نصل قادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الثاني

ذكرت في الفصل السابق سبب تبني رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة، وكان التبني في الجاهلية يُنزل الأبن المتبني بمنزلة الأبن من الصلب، فجميع ما يحرمه الجاهليون حول الأبن من الصلب يحرمونه للابن المتبني، ولما أراد الله تبارك وتعالى إبطال عادة قبيحة من عادات أهل الجاهلية - وهي أنهم كانوا إذا تزوج الأبن المتبني زوجة ثم طلقها لا يحل للذى تبناه أن يتزوجها - فلما أراد الله أن يبطل هذا العادة ولم يكن أحد يتحمل ذلك إلا رسول الله ﷺ أمر الله رسوله ﷺ أن يزوج زينب بنت جحش ابنة عمته من زيد مولاه فرفضت وقالت: لا أتزوج من مولى، ورفض أخوها كذلك أن يتم هذا الزواج، فأنزل الله ﷺ: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةً إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ لَهْلَكَةٌ مِّنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعَصْ أَنَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا» [الأحزاب: ٣٦] فرضيت زينب بنت جحش بأمر الله وأمر رسوله، ورضي أخوها بأمر الله وأمر رسوله كذلك. وتزوج زيد بن حارثة من زينب بنت جحش رضي الله عنها، وكانت تحس في قلبها بأنه دونها، فكانت تناهه أحياناً بما يكره من القول، حيث تقول له: تزوجتك وأنت مولى، فيأتي زيد بن حارثة إلى رسول الله ﷺ ويشكى زينب، فيقول له رسول الله ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ» [الأحزاب: ٣٧]، ورسول الله ﷺ يعلم أن ما ألقاه الله في قلب زينب نحو زيد هو تمهيد للفراق بينهما، ليتم ما قضاه الله ﷺ من أن يتزوج رسول الله ﷺ من زينب؛ حتى تبطل عادة الجاهلية في تحريم نكاح زوجة الأبن المتبني إذا فارقتها، فلما قضى زيد منها وطراً طلقها زيد بن حارثة للعلة التي ذكرها الله ﷺ حيث قال: «فَلَمَّا قَضَى رَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرَا زَوْجَتَكُمْ لَكُمْ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَرَجٌ فِي أَرْوَاجِ أَدْعِيَابِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرَا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا مَا كَانَ عَلَى الَّذِي مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لِمَنْ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا [٣٧]

مَقْدُورًا ﴿٢٨﴾ أَلَّذِينَ يُلْعِنُونَ رِسَالَتِي أَللَّهُ وَخَشُونَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَهْدَانِ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٢٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنَ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧ - ٤٠].

وقد أخذ المغرضون والخرافيون والحاقدون والمرجفون هذه القصة الجميلة الممتلئة بالحكمة والتشريع والخير للإنسانية ووضع الأمور في نصابها الحقيقي والقضاء على خرافات أهل الجاهلية، فدس هؤلاء الحاقدون على رسول الله ﷺ قصة رفع الريح طرف الخبراء عن زينب وهي تحت زيد بن حارثة، وإعجاب النبي ﷺ بها، وإخبار زيد رسول الله ﷺ أنه يريد فراقها ليتزوجها رسول الله ﷺ لما دام قد أحبها، إذ تدس هذه الأباطيل أن رسول الله ﷺ لما رأى ساقها وأعجب بها قال: سبحان مقلب القلوب. وأيقنت زينب أن رسول الله ﷺ ما قال هذه الكلمة إلا للدلالة على أنه أحبها ووّقعت في قلبه لما رأى ساقها، برأء الله مما قالوا وعصمه مما زعموا، لقد جهل هؤلاء أو تجاهلوا العلة المنصوصة لزواج رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش، وأن المقصود منها إبطال خرافات الجاهليين ووضع الأمور في نصابها، وأن التبني لا يمكن أن يجعل المتبني ولدًا من الصلب أو كولد الصلب، فإن الإنسان إذا كتب على كيس السكر هذا ملح لا يمكن أن يصير السكر ملحًا بهذه الكتابة، ولو كتب على كيس الملح هذا سكر لا يمكن أن يصير الملح سكرًا حلوًا بهذه الكتابة؛ فالعنوانين التي لا تطابق الواقع لا قيمة لها ولا تغير من الحقيقة شيئاً.

فلما أراد الله أن يبطل هذه العادة الجاهلية الكاذبة أمر رسوله محمداً ﷺ أن يزوج زيد بن حارثة مولاه من زينب بنت جحش، وقد مهد لذلك في مقامات من سورة الأحزاب، حيث يقول في مطلعها: «مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَبْلِتِ فِي جَوَافِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ الَّتِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أَمْهَاتُكُمْ وَمَا جَعَلَ أَعْيَاءَكُمُ أَبْنَاءَكُمْ» [الأحزاب: ٤] وقد لفت الانتباه في هذا المقام حيث أكد هذه الحقيقة إذ يقول: «ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّكِينَ أَدْعُوهُمْ لِأَبْلَاهُمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا أَبَاءَهُمْ فَإِخْوَنَكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَيَكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ

بِهِ وَلَكِنَّ مَا تَعْمَدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿الأحزاب: ٤ - ٥﴾ كما أشرت إلى ذلك في الفصل السابق.

وأشار إلى قصة إرغام زينب على التزوج من زيد وما كان بينهما حيث يقول:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْهِ أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَتَقَ اللَّهُ وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا أَلَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرَا زَوْجَنَكُمَا إِلَيْكَ لَكَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَاجَةٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَّا لَهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرَا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَقْعُولاً ﴿الأحزاب: ٣٦ - ٣٧﴾ وَمَعْنَى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَعْنِي بِالإِسْلَامِ، وَأَنْعَمْتُ عَلَيْهِ أَيِّ بِالْحُرْيَةِ، وَقُولُهُ: ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَتَقَ اللَّهُ﴾ هُوَ مِنْ مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِزِيدَ بْنِ حَارِثَةَ يُوصِيهِ بِالصَّبْرِ عَلَى أَذْى زَوْجَتِهِ لَهُ، وَمُخَافَةِ اللَّهِ فِيهَا. وَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا أَلَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أَيْ: وَتَكْتُمُ فِي نَفْسِكَ مَا عَلِمْتَ أَنَّهُ كَائِنٌ لَا مَحَالَةٌ مِّنْ أَنْ زَيْدًا يُطْلِقُ زَينَبَ لِيَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْقَضَاءِ عَلَى عَادَاتِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ. وَقُولُهُ: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾، هُوَ تَرْغِيبٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْإِقْبَالِ عَلَى الزَّوْجِ مِنْ زَينَبَ بَنْتَ جَحْشٍ، وَأَنْ يَزِيلَ مِنْ خَاطِرِهِ كُلَّ مَا قَدْ يَمْرُ بِهِ مِمَّا يُخَافُ أَنْ يَتَحَدَّثَ بِهِ الْجَاهِلِيُّونَ بِأَنَّ مُحَمَّداً تَزَوَّجَ زَوْجَةَ ابْنِهِ بَعْدَ أَنْ فَارَقَهَا ابْنَهُ.

وَقَدْ حَرَفَ الْمُبْطَلُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوْاضِعِهِ وَقَالُوا فِي قُولِهِ: ﴿وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ أَيْ: حُبُّ زَينَبَ، ﴿مَا أَلَّهُ مُبْدِيهِ﴾ يَعْنِي مِنْ حُبِّهَا، وَتَخْشَى النَّاسُ فِي حُبِّهَا. حَاشَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِمَنْ دُونَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرْضِي بِذَلِكَ أَوْ أَنْ يَفْعَلْهُ. وَقَدْ سَقَتْ هَذِهِ الْقَصَّةُ لِأَبِينِ كِيفَ اسْتَطَاعَ الْيَهُودُ وَمَنْ يَنْحُوا نَحْوَهُمْ أَنْ يُدْخِلُوهُ عَلَى دَادِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَذَلِكَ بِنَاءً عَلَى مَذَاهِبِهِمْ، فَإِنَّ الْيَهُودَ لَا يَتَورَّعُونَ عَنْ وَصْفِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِكُلِّ شَرٍّ وَنَقْصٍ، فِي الْإِصْحَاحِ الْأَوَّلِ مِنْ سَفَرِ التَّكْوِينِ مِنَ التُّورَاةِ الَّتِي حَرَفُوهَا بِأَيْدِيهِمْ فِي الْفَقْرَةِ السَّادِسَةِ وَالْعَشِيرِينَ «٢٦» وَقَالَ اللَّهُ: نَعْمَلُ

الإنسان على صورتنا كشبها. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فالله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشوري: ١١]، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾١﴿اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَكِلْدَ وَلَمْ يُولَدْ ﴾٢﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]. ثم يزعمون أن الله تعب لمًا خلق السموات والأرض في ستة أيام فاستراح في اليوم السابع يوم السبت، فيقول في الإصلاح الثاني من سفر التكوين في الفقرة الأولى والثانية والثالثة منه: فأكملت السموات والأرض وكل جندها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وببارك الله اليوم السابع وقدسه؛ لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً. تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا؛ فالله لا يتعب، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، ولذلك جاء في الرد عليهم قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَيْهُمَا فِي سَيْئَةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] أي: وما أصابنا تعب في هذا الخلق؛ لأنه سهل علينا يسير، وقد قامت الأدلة العقلية والبراهين النقلية القطعية على أن الله مenze عن اللغو والتعب. وكما يعتقد اليهود أن الله يلحقه الحزن والندم على ما فات؛ ففي الإصلاح السادس من سفر التكوين في الفقرة الخامسة والسادسة منه: ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه. وهذا المعتقد الفاسد اليهودي في ذات الله يبين أن اليهود يعتقدون أن الله لم يحط علمه بالمخلوقات قبل وجودها؛ ولذلك أدى بهم هذا إلى القول بالبداعة على الله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وكذلك يعتقد اليهود أن الأنبياء غير معصومين من الخطايا والذنوب، بل جوزوا عليهم أن يرتكبوا المنكرات كالزنا وشرب الخمر وسلب النساء من أزواجهن، وأنهم كانوا يقبعون في عين الرب. فقد جاء في الإصلاح التاسع من سفر التكوين في الفقرات من (٢٠) إلى (٢٥) ما نصه: وابتداً نوح يكون فلاحةً وغرس كرماً. وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كتعان

عوره أبيه وأخبار أخيه خارجاً. فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عوره أبيهما وجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عوره أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كتعان عبد العبيد يكون لأخوه.

وكما وصفوا نوحاً بالسكر رموا لوطاً بالسكر وبالزنا بابتنيه، ففي الإصلاح التاسع عشر من سفر التكوين في الفقرة الثلاثين إلى الفقرة السادسة والثلاثين ما نصه: وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابتناه معه؛ لأنه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابتناه. وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلم نسقي أباانا خمراً ونضطجع معه فتحبي من أبينا نسلاً؛ فسقتا أبيهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامتها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلني اضطجعي معه. فسقتا أبيهما خمراً في تلك الليلة أيضاً وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامتها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما.

وكما افترى اليهود على داود عليه السلام فرموه بالزنا وسلب النساء من أزواejhen واتهام أم سليمان عليها السلام بالزنا، ففي الإصلاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني ما نصه: وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً. فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد: أليست هذه بشيع بنت أليعام امرأة أوريما الحثي، فأرسل داود رسلاً وأخذها، فدخلت عليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها. وبعد أن يسوق سفر صموئيل الثاني محاولة داود التخلص من أوريما زوج المرأة وإرساله إلى الحرب ليقتل بعد ذلك يقول السفر: فلما سمعت امرأة أوريما أنه قد مات أوريما رجلها ندبت بعلها. ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً. وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب.

وفي الإصلاح الثاني عشر من سفر صموئيل الثاني يذكر قصة رجل فقير له نعجة واحدة صغيرة، ورجل غني له غنم وبقر كثيرة جداً؛ فجاء ضيف إلى الرجل الغني فلم يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيه للضيف الذي جاء إليه، فأخذ نعجة الرجل الفقير، ثم يتبع السُّفُر سرد معايبة الرب لداود وإماتة الله للولد الذي جاءت بشبع به، ثم توبة داود وصيامه، ثم دخوله على امرأة أوريا واضطجاعه معها، فتحمل وتلد ولداً اسمه سليمان.

وبهذه النصوص نعرف مقدار أنبياء بنى إسرائيل في نفوس اليهود، وإن تعجب فعجب أن يجيء بعض المفسرين ويأخذ هذه القصة المكذوبة المختلقة على داود عليه السلام. ويفسر بها قول الله تعالى: ﴿وَهُلْ أَتَنَكُ بَنُؤَا الْخَصِيمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحَرَابَ إِذْ دَحَلُوا عَلَى دَاؤِدَ فَفَزَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخْفَ خَصْمَانِ بَغْيَ بَعْضِنَا عَلَى بَعْضِنَا فَاحْكُمْ بَيْنَنَا إِلَى الْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سُوءِ الْصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخْيَ الَّهُ تَسْعَ وَسَعْوَنَ تَعْجَمَ وَلِيَ تَعْجَمَ وَجَدَهُ فَقَالَ أَكْفَلْنَاهَا وَعَزَفَ فِي الْخَطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ يُسْوَالَ تَعْبِنَكَ إِلَى نِعَامِهِ وَلَيْ كَثِيرًا مِنَ الْخَلَطَاءِ لِيَعْيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَطَنَ دَاؤِدُ أَنَّمَا فَنَّتَهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبِّهِ وَحَرَ رَأْكَعًا وَأَنَّابَ﴾ [ص: ٢١ - ٢٤]. ففسرها هؤلاء بأن داود أخذ امرأة أوريا وتسبب في قتلها، أو أن هذا كان جائزاً عندهم، وكان لداود تسع وتسعون امرأة، ولأوريا امرأة واحدة، وأن الله أرسل له ملكين في صورة خصمين لتوقيته على خطئه، فضربا له مثلاً بذى النعجة وذى النعاج الكثيرة إلخ. وهذا كذب واختلاق. ويفسرون النعجة في الآية بالمرأة، مع أن العرب لا يطلقون اسم النعجة إلا على أنثى الضأن أو بقر الوحش. وبقر الوحش غير ألف، وأنثى الضأن لا ترضى المرأة أن تشبه بها.

والى فصل قادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الثالث

أشرت في الفصل السابق إلى ما يعتقد اليهود في أنبيائهم ورسلهم، فهم يرموهم بالزنا والسرقة وشرب الخمر وارتكاب جميع الموبقات، وقد تسربت هذه العقائد اليهودية إلى قصص الأنبياء عند تفسيرها في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ، وقد أشرت إلى ما رموا به نوحًا ولوطًا وداود، كيف افترى عليهم اليهود بما هو مسطّر في كتب العهد القديم من التوراة وسفر صموئيل الثاني. كما افتروا على سليمان عليه السلام فزعموا أنه كان يحكم بواسطة الخاتم، وأنه دخل مرة بيت الخلاء وسلم الخاتم لزوجته فخرج الشيطان من بيت الخلاء في صورة سليمان عليه السلام وأخذ الخاتم من زوجة سليمان، وجلس على كرسي الملك وتسلّط على بنى إسرائيل، وصار يدخل على نساء سليمان في الطهر والطمث، وأن سليمان عندما خرج من بيت الخلاء وقال لزوجته: هات الخاتم، قالت: لقد أعطيته سليمان، قال: أنا سليمان. قالت: لست سليمان وأنكره الناس فهام على وجهه، واستغل عند صياد في البحر، وكان الصياد يعطيه أجرته كل يوم سمكتين، فيشوي سمكة ويبيع السمكة الأخرى ليشتري بثمنها خبزاً، واستمر سليمان على هذا الحال أربعين يوماً، وعندما ضجر الناس من حكم الشيطان الجالس على كرسي سليمان طار الشيطان من الكرسي وألقى الخاتم في البحر فابتلعه سمكة. وكان من حظ سليمان أن هذه السمكة وقعت في شباك الصياد الذي يعمل عنده سليمان، وأنه أعطاها له مع سمكة أخرى، وأن سليمان باع إحدى السمكتين على عادته وطبخ السمكة الأخرى، وكانت هي التي ابتلت الخاتم، فلما شق بطنهما إذا بها الخاتم، فأخذه وعاد إليه الملك بلبسه الخاتم، وقد أخذ كثير من المفسرين - للأسف - هذه القصة اليهودية ففسروا بها قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَلَقَنَّا عَلَى كُرْسِيهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَّابَ﴾ [ص: ٣٤] فيقولون: ﴿وَلَقَنَّا عَلَى

كُسْتِهِ جَسَدًا» أي : شيطاناً، «مِمَّا أَنَابَ» أي : رجع سليمان إلى ملكه . وهذا كذب على الله وعلى سليمان ﷺ؛ بل قد فسر هذه الآية رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم بأن سليمان حلف ليطوفن على مئة من نسائه أو تسعين أو سبعين ، فتحبل كل واحدة منهن بفارس يحمل السلاح وي Jihad في سبيل الله ، ونسى أن يقول : إن شاء الله ، فطاف عليهن فلم تحمل إلا واحدة جاءت بشق ولد ، وأنه لو قال : إن شاء الله ، لأتى بهم فرساناً أجمعين . والشق المذكور في الحديث هو الجسد الذي ألقى على كرسيه ، فهذا التفسير لرسول الله ﷺ الوارد في البخاري ومسلم يتركه الكثير من المفسرين ويدركون هذه القصة الإسرائيلية التي أثرت كثيراً في نفوس كثير من المسلمين ؛ حتى صاروا يعتقدون أن سليمان كان ملكه في خاتمه ، ولا يزالون يذكرون خاتم سليمان ، ويضربون به الأمثال ، ويتعلق به الكثير من السحر والمشعوذين والدجالين «وَاتَّبَعُوا مَا تَنَاهَى الشَّيَطَانُ عَنْ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ اشْيَاطِينَ كَفَرُوا» [البقرة: ١٠٢] ، وسيأتي مزيد تحقيق لذلك إن شاء الله تعالى عند قصة داود وسليمان ﷺ .

ونحن نسوق بين يدي قصص الأنبياء أموراً لا بد وأن يعرفها المسلمون ؛ لأنها من صلب عقائدهم ، فلا بد من تعريف النبي وتعريف الرسول وطبيعة النبي وطبيعة الرسول وحاجة الناس إلى النبيين والمرسلين ، وأعظم وظائف الأنبياء والمرسلين ، وما يجوز على الأنبياء وما لا يجوز عليهم ، وكذلك النبوات السابقة وتتابع النبوات .

### تعريف النبي والرسول :

ونبدأ بتعريف النبي والرسول ؛ فالنبي في اللغة قيل : هو مأخوذ من البناء ، وهو الخبر العظيم ، وقيل : من النُّبُوَّة بـسكون الباء ، أو النباوة ، وهي المكان المرتفع ، ولا مانع أن يكون المعنيان جمِيعاً قد لوحظا في هذا الوضع اللغوي ، فالنبي آت بالخبر العظيم عن الله ، وهو كذلك رفع القدر عند الله وعنده المؤمنين ، وهو كذلك يكون من أشراف قومه ، ولذلك جاء في حديث هرقل : «وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها» .

والرسول في اللغة هو: المبعوث بالرسالة والموجه لغيره، أما في الاصطلاح: فالنبي من بعثه الله بشريعة جديدة يدعوه إليها، أو بعثه لتقرير شريعة سابقة، والرسول من بعثه الله بشريعة جديدة يدعوه إليها. فكل رسول نبي، وليس كلنبي رسولاً، فالنسبة بينهما العموم والخصوص المطلق، والنبي أعم مطلقاً. وقيل: النبي من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبلیغه، والرسول من أوحى إليه بشرع وأمر بتبلیغه. وهذا تعريف عجیب، فإن الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على أهل العلم ألا يكتموه. وعاب أولئك الذين يكتمون العلم، وفي ذلك يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيقَاتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُتُمُوهُ فَنَبَدُوْهُ وَرَأَهُ ظُهُورُهُمْ وَأَشَرَّوْهُ بِهِ ثُمَّا قَلِيلًا فَيُقْسَ مَا يَشَرُّونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، على أن الله تبارك وتعالى يبين وظيفة الأنبياء ببني إسرائيل إذ يقول في شأن التوراة: ﴿يَحَكُمُ بِهَا الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيْنِيُّونَ وَالْأَحْجَارُ بِمَا أَسْتَحْفِظُوْمِنْ كَتَبِ اللَّهِ وَكَانُوا عَنِيهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤] وكذلك يقول: ﴿أَلَمْ تَرِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦] وكما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من طريق أبي حازم قال: قaudت أبو هريرة خمس سنين. فسمعته يحدث عن النبي ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي»، كما أن قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَّنَّ أَلَّهُ الشَّيْطَنُ فِي أَمْبَيْتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] يدل على أن كل نبي وكل رسول تلا على قومه أو استهنى هداية قومه، فليست إذن وظيفة النبي قاصرة على نفسه منعزلة عن قومه، لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ولا يبلغ قومه الهدایة والخير، وعلى التعريف الذي اخترته، فإن الفرق بين النبي والرسول هو: أن الرسول من يأتي بجديد من الشرع، والنبي الذي ليس برسول، هو: من يأتي لتقرير شريعة سابقة، فإذا كان في رسالة المبعوث شيء جديد من الأحكام؛ فإنه يكوننبياً رسولاً، وإذا كان قاصراً على تقرير الشريعة السابقة وبيان أحكامها، ويأتيه الوحي بذلك؛ فإنه يكوننبياً وليس برسول.

وقد اختار الله تبارك وتعالى الأنبياء من أكمل خلقه، فعندما أخذ الله طينة آدم اختار منها الأنبياء، واختار من الأنبياء المرسلين، واختار من المرسلين أولى العزم، واختار من أولى العزم الخليلين إبراهيم ومحمدًا ﷺ. وقد جرت العادة أن الله لم يبعث نبياً إلا من الرجال، وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة يوسف: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِنَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى﴾** [يوسف: ١٠٩]، ويقول في سورة النحل: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِنَ إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾** [النحل: ٤٣]، ويقول في سورة الأنبياء: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِنَ إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾** [الأنبياء: ٧]، وطبيعة الأنبياء كطبيعة البشر، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وقد تكون لهم الأزواج والذرية على حد قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾** [الرعد: ٣٨]، وقد حماهم الله تعالى من كل سوء، وعصمهم من كل سيئة، ورباهم على عينه، واصطعنهم لنفسه على حد قوله تعالى لموسى عليه السلام: **﴿وَاصْطَعْنَتُكَ لِنَفْسِي﴾** [طه: ٤١]، وكقوله تبارك وتعالى: **﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾** [طه: ٣٩]، وهذا هم إلى أحسن سيرة، وجبلهم على أحسن سلوك؛ ولذلك أثر أن رسول الله ﷺ لما زاربني النجار مع أمه وسنه حوالي ست سنوات رأى غلام بني النجار يسبحون في بئر عدي بن النجار، فأراد أن يسبح معهم، وعندما حاول نزع ثوبه أحس بيد قوية تمسك عليه ثوبه، ولاكم يلكمه، وسمع صوتاً يقول: لا تجرد من ثيابك لست كهؤلاء الصبيان.

كما أثر أن رسول الله ﷺ كان ينقل الحجارة مع عمه العباس من أجياد قبلبعثة النبوة عند بناء الكعبة، وكان الحر شديداً، وكانت الحجارة تقاد تطيخ اللحم من شدة حرها، وليس على عاتق الرسول ﷺ شيء يقيه حر الحجارة، وليس عليه إلا إزاره، فرحمه عمه العباس وقال: يا ابن أخي، لو أخذت إزارك فجعلته على عاتقك يقيك حر الحجارة، فلما رفض رسول الله ﷺ ذلك حتى لا تنكشف عورته، جب عمه العباس إزار رسول الله ﷺ ليضعه على عاتقه، فخر رسول الله ﷺ مغشياً عليه وهو يقول: «إزارِي إزارِي فإني قد نهيت

عن التجدد»، وقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما واللفظ للبخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما بُنيَت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي ﷺ: أجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال: «إزارِي إزارِي» فشد عليه إزاره. فهذه القصة تثبت أن الله تعالى ربَّ النبي محمدًا ﷺ على عينه، كما ربي إخوانه الأنبياء من قبل، والأنبياء بشر، لكنهم خير البشر، وأفضل البشر، وأطيب البشر، فالله يحميهم من كل سوء، يحميهم من الزنا، ومن السرقة، ومن شرب الخمر، ومن أكل الربا. وما دمنا نعلم أن الله قد عصم أنبياءه من الذنوب، وحماهم من المعاشي؛ فإننا نعلم أن كل ما يسوقه القصّاص من الأخبار الإسرائيلية عن الأنبياء والمرسلين من نسبتهم إلى جريمة من الجرائم، أو فاحشة من الفواحش، أو معصية من المعاشي؛ فإنها دسية من الدسائس التي يحاول بها اليهود الإساءة إلى أنبياء الله ورسله، ويجب على كل من آمن بالله وصدق المرسلين أن ينزعهم عنها وأن يبرئهم منها، أما حاجة الناس إلى الأنبياء والمرسلين فهي أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب.

والي فصل قادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الرابع

# حاجة الناس إلى النبيين والمرسلين

أشرت في الفصل السابق إلى حاجة الناس إلى النبيين والمرسلين، وأن حاجتهم إلى النبوة والرسالة أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الإنسان مدنى بالطبع كما يقرر علماء الاجتماع، ومعنى كونه مدنىًّا بطبعه أنه لا يستغنى عن الناس ولا يستغنى الناس عنه، فهو يحتاج إلى الناس؛ لأن الله خلقه على طبيعة وجبلة لا يمكن معها من سد حاجاته بنفسه، فهو يحتاج إلى الطعام، والخبزة التي يأكلها لا يمكن أن يعملها بنفسه فلا بد فيها من الحب، والحبوب تحتاج إلى مقدمات كثيرة، فهي تحتاج إلى حرث الأرض، والحرث يحتاج إلى محركات، والمحركات لا بد له من نجارة وحداد، كما أنها لا تصل إليه إلا بعد رمي وزراعة وحصاد ودياس وطحان وعجان، وكل هذه لا تكفي فيها يد إنسان واحد بل قد صار لكل واحدة منها فئة من الناس يحترفونها، وكذلك لا يستغنى الإنسان عن ملابس يلبسها، وهي لا تصل إليه إلا بعد أن يحترف فيها خلق كثير لجلب المادة الخام ونسجها وصناعتها وخياطتها إلى غير ذلك، ولكل واحد منها آلات تحتاج إلى عمل أيدٍ كثيرة، والإنسان في حاجاته لا يقف عند حد، فلو ترك الناس لأنفسهم لسلب القوي الضعيف، والغني الفقر، والعزيز الذليل، ولصاروا كحيوانات الغابات، بل قد تكون حيوانات الغابات خيراً منهم؛ لذلك كانوا في أمس الحاجة إلى نظام يكفل لكل ذي حق حقه، ولما كانت البشرية تعجز عن وضع مثل هذا النظام لخضوع الإنسان لمؤثرات بيئية ونفسية تؤثر بالضرورة على معارفه، وما يراه هذا حسناً قد يراه الآخر قبيحاً على حد قول الشاعر:

يقضي على المرء في أيام محنته      حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن  
ولما كانت الأنظمة الوضعية التي يضعها الناس لا بقاء لها ولا دوام ولا

شمول اقتضت حكمة العليم الحكيم أن يضع للإنسانية النظام الذي يكفل سعادة البشر في العاجلة والأجلة. وهو العليم الخبير بخلقه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْأَطِيفُ الْخَيْرُ﴾ [الملك: ١٤] فهو الذي يضع لهم التشريعات، ويبين لهم الأحكام، ويبعث بها رسلاه، وينزل بها كتبه؛ فالناس في أمس الحاجة إلى النبيين والمرسلين.

ولما اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يجعل أول إنسان - وهو آدم أبو البشر - نبياً، وأعطاه الشريعة التي يسير على منهاجها هو وبنوه على قدر حاجتهم حينذاك في عباداتهم ومعاملاتهم. ثم تتوالى النبوات ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، فتابعت النبوات من آدم إلى أن ختمهم الله بحبيبه ورسوله وخير خلقه وأفضل رسله محمد ﷺ، وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى أن سلسلة الأنبياء والمرسلين كانت متابعة حيث يقول: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلًا تَنَزَّلُ﴾ [المؤمنون: ٤٤] متابعة.

ولو قال قائل: إن قريشاً أقسموا ﴿بِاللهِ جَهَدَ أَيْمَنَهُمْ لَيْنَ جَاهُهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِلَهَى الْأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢] يعني اليهود والنصارى، فلما جاءهم أعظم المنذرين محمد ﷺ: ﴿مَا زَادُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢] وهو يشعر أن جزيرة العرب قد خلت من المنذرين قبل محمد ﷺ.

فالجواب: أن قريشاً يريدون نذيراً جديداً؛ لأن جزيرة العرب لم تخل من ذكر دين إبراهيم وإسماعيل. وقد استمرت الجزيرة العربية على دين إسماعيل وأبيه إبراهيم حتى جاء عمرو بن لحي بأصنام من الشام ونصبها في جزيرة العرب، فدخل أهل الجزيرة في الوثنية، حتى جاءهم شيخ المنذرين محمد ﷺ فدالت دولة الأصنام.

هذا وبعض الناس يذكر عدداً معيناً للأنبياء والمرسلين، والواقع أنه لم يصح عن رسول الله ﷺ تحديد لعدد الأنبياء والمرسلين، وإنما ذكر القرآن العظيمخمسة وعشرين منهم، جمع ثمانية عشر منهم في مقام واحد من سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتَنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَتِنَا مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [٦٣] وَهَبَّنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلَّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلِ

وَمَنْ دُرِسَتْهُ دَأْوَدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَّالَكَ بَهْرَى الْمُحْسِنَينَ ٨٤  
 وَرَكَبَرَا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلَيَّاسَ كُلُّ مَنْ أَصْبَلَهُنَّ ٨٥ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُرْثُسَ وَلُوطًا  
 وَكُلًا فَضَلَّنَا عَلَى الْعَنَالَمِينَ» [الأنعام: ٨٣ - ٨٦]، فهو لاء الشمانية عشر رسولاً  
 ذكرهم الله تعالى في مقام واحد من سورة الأنعام، وذكر في مواضع أخرى من  
 القرآن الكريم اسم سبعة منهم، جمعهم بعض الشعراء في قوله:

فِي تِلْكَ حِجَّتْنَا مِنْهُمَا ثَمَانِيَةَ مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ وَيَبْقَى سَبْعَةَ وَهُمْ  
 إِدْرِيسُ هُودٌ شَعِيبٌ صَالِحٌ وَكَذَا ذُو الْكَفَلِ آدُمٌ بِالْمُخْتَارِ قَدْ خَتَمُوا  
 وَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى كُثْرَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ قَصَّ خَبْرَهُ عَلَى  
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَقْصُصْ عَلَيْهِ، حِيثُ يَقُولُ عَجَّلَ فِي سُورَةِ غَافِرِ:  
 «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ»  
 [غافر: ٧٨]، فَالْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ لَا يَعْلَمُ عَدْهُمْ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَالْقَوْلُ بِحَصْرِهِمْ  
 فِي عَدْدِ مُعِينٍ قَوْلٌ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ مَا دَامَ لَمْ يَثْبِتْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ  
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالْمُسْلِمُونَ لَا غُنْيٌ لَهُمْ عَنْ قَصْصِ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّهَا النَّمْوذِجُ  
 الْكَاملُ لِلْحَيَاةِ الْعَالِيَةِ السَّعِيدَةِ.

### ✿ أَعْظَمُ وَظَائِفُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ:

وَأَعْظَمُ وَظَائِفِ النَّبِيِّنَ هِيَ: دُعَايَةُ الْخَلْقِ إِلَى الْخَالِقِ بِإِخْلَاصِ تَوْحِيدِهِ  
 وَعِبَادَتِهِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ وَلَذِلِكَ يَقُولُ اللَّهُ عَجَّلَ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: «وَمَا  
 أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُنِي» [الأنبياء: ٢٥]  
 كَمَا أَنَّ مِنْ أَهْمَمِ وَظَائِفِ النَّبِيِّنَ وَالْمُرْسَلِينَ رَسْمُ أَكْمَلِ الْمَنَاهِجِ لِلْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ  
 السَّعِيدَةِ بِبَيَانِ مَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَحْضُمُهُ عَلَيْهِ، وَتَحْذِيرِهِمْ مِنِ الشَّرُورِ وَالْآثَامِ  
 وَالتَّعْدِيِّ وَالظُّلْمِ وَكُلِّ مَا يَلْحِقُ الضَّرَرَ بِعِبَادِ اللَّهِ وَخَلْقِ اللَّهِ؛ كَالْزِنَةِ وَالسُّرْقَةِ وَشَرْبِ  
 الْخَمْرِ وَالْاعْتِدَاءِ عَلَى الْعِبَادِ وَسَائرِ الْمُوبِقَاتِ وَالْفَوَاحِشِ وَالْجَرَائِمِ، فَهُمْ يَأْمُرُونَ  
 النَّاسَ بِالْخَيْرِ وَيَنْهَا نَهْنَاهُمْ عَنِ الشَّرِّ حَتَّى يَكُونَ الْمَجَمِعُ الْمُسْتَمْسِكُ بِمَنْهَجِ النَّبِيِّ  
 وَالرَّسُلَةِ مجَتمِعًا سَعِيدًا مَثَالِيًّا، وَعَلَى رَأْسِ وَظَائِفِ النَّبِيِّنَ وَالْمُرْسَلِينَ كَمَا أَشَرْتَ  
 هُوَ إِخْلَاصُ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، بِمَعْنَى أَنَّ الْعَبْدَ يَؤْمِنُ بِرَبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَأَلوَهِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ

الحسنى وصفاته العلى ويفرده بالتوحيد، فلا يبذل أى شيء من العبادة إلا لله وحده، فيكون إخباره لله، وقنوطه لله، وإنابته لله، ورجاؤه في الله، وخوفه من الله، وأقصى حبه لله، وأن غاية الذلة إنما تبذل لله وحده، فهو وحده المستحق لأعلى درجات الحب مع بذل أقصى غاية الذل له لا شريك له، ولا شك أن كل أمة تستمسك بمنهج النبوة والرسالة تسعد في العاجلة والأجلة، وكل انحراف عن منهج الأنبياء والمرسلين يدنى الأمة من أسباب هلاكها ودمارها، ولقد كان من فضل الله علينا نحن المسلمين أن جعل نبينا ورسولنا محمداً ﷺ أكمل الأنبياء، ومنهجه أكمل المناهج وأبقاها وأنقاها وأشملها وأعمها، وختم به النبوة والرسالة، وجعل منهجه مهيمناً على جميع المناهج، وقد ضرب رسول الله ﷺ لنفسه مع إخوانه الأنبياء مثلاً فقال فيما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلني كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لينة من زاوية فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللينة»، قال: «فأنا اللينة وأنا خاتم النبيين».

والى فصل قادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل الخامس

### آدم عليه السلام

نتحدث إليكم عن آدم عليه السلام في نقاط تتناول قصة خلقه، وخلقه من أصناف تراب الأرض، ومقدار طوله، والشجرة التي نهي عن الأكل منها، ومقدار لبته في الجنة، وإهابه من الجنة، وعدد أبنائه، وهل سمي ابنًا له عبد العارث؟ وذكر هبته من عمره لداود عليه السلام، وما ذكر عن شعره في قتل ابنه، وهل بنى الكعبة؟ وهل توسل إلى الله بمحمد عليه السلام؟ ورؤيه النبي محمد عليه السلام له ليلة الإسراء والمعراج، ثم نتحدث عن وفاته، ومكان دفنه، ثم ذكر احتجاج موسى وآدم بالقدر، ثم ذكر تأخره عن الشفاعة يوم القيمة.

أما قصة خلقه: فقد ذكرها الله تبارك وتعالى في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، فهو يقول في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيقَةً قَالُوا أَجَحَّلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَخَنْثُنَ تَسْيِعَ حَمْدَكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَمَ إَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا ثُمَّ عَرَضُوهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالُوا أَنَّتُمْ بِإِسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢٣﴾ قَالَ يَقَادُمُ أَنِيَّتُهُمْ بِإِسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَبْنَاهُمْ بِإِسْمَاءِهِمْ قَالَ اللَّهُ أَكْلُ لَكُمْ إِنَّكُمْ أَغْنِمُمْ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبُدُّونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْنِيُونَ﴾ [البقرة: ٣٠ - ٣٣]، وقد ذكر الله تبارك وتعالى أنه خلقه من تراب، وأنه خلقه من صلصال كالفخار من حمأ مسنوٍ، وأنه خلقه من طين لازب، حيث يقول في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ إَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، ويقول في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ حَلَقْتُكُمْ ثُمَّ صَوَرْتُكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةَ اسْجُدُوا لِإِادَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْرِيزُ لَهُ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمْرَتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١١ - ١٢]

ويقول في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْسَنَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَّاً مَسْنُونِ﴾ [٦٦] والجَانَ حَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلٍ مِنْ نَارِ السَّمُومِ [٦٧] وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَّاً مَسْنُونِ [٦٨] فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ [٦٩] فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ [٧٠] إِلَّا إِلَيْسَ أَبْنَ أَنَّ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ [٧١] قَالَ يَكْتَلِيلُسْ مَا لَكَ أَلَا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ [٧٢] قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَّاً مَسْنُونِ﴾ [الحجر: ٢٦ - ٣٣]، ويقول في سورة السجدة: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَءٍ خَلَقَهُ وَيَدْأَمُ حَلَقَ إِلَيْسَنِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧]، ويقول في سورة الصافات: ﴿فَاسْتَفِهُمْ أَهُمْ أَشَدُ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقَنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصفات: ١١]، ويقول في سورة الرحمن: ﴿خَلَقَ إِلَيْسَنَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، وأصل ذلك أن الله تبارك وتعالى أخذ من تراب الأرض قبضة فخلق منها آدم، وقد اجتمع في هذه القبضة من التراب جميع ألوان تراب الأرض؛ ولذلك جاء بنو آدم على هذه الألوان، وهذه القبضة قد بلّها الله تعالى بالماء، ثم مرت عليها مدة حتى تحجرت فصارت صلصالاً.

والصلصال هو الطين المتحجر؛ لأن الطين إذا طبخ بالنار سمي فخاراً، وإذا لم يطبع بالنار لكنه ترك حتى تحجر يسمى صلصالاً. قوله تعالى: ﴿خَلَقَ إِلَيْسَنَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَارِ﴾ [الرحمن: ١٤] أي: من طين تحجر حتى صار شبيهاً بالفخار، وهو المطبوخ بالنار في تحجره وصلصلته إن قلنا إنه من صلصال بمعنى صوت، وإن قلنا إنه من صلّ بمعنى تغير، فإن الطين إذا مضت عليه مدة أنتن واسود فيصير حماً مسنوًّا، أي أسود متغيراً له رائحة خاصة، فإذا يبس وتحجر صار كالفخار، والطين اللازم هو اللاصق، ويقال أيضاً لزب الطين إذا صلب. والحماً المسنو هو الطين الأسود المتغير الرائحة المتن.

وقد خلق الله تبارك وتعالى آدم بيده، وصوره وجعل طوله ستين ذراعاً، وقد روى أحمد وأبو داود والترمذى وقال الترمذى: حسن صحيح من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها

من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن وبين ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك» كما روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ثم قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يجيبونك فإنها تحبتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله، فزادوه «ورحمة الله»، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن».

أما الشجرة التي نهى الله آدم عن الأكل منها: فقد ذكر بعض الناس أنها الحنطة، وبعضهم يذكر أنها التين، وبعضهم يذكر أنها العنبر، ويدرك آخرون غير ذلك، ولم يصح عن رسول الله ﷺ خبر في تعين الشجرة، ولو كان في تعينها خير لعيّنها الله عجل وبّيّنها، وما دام الله عجل لم يبين نوع الشجرة ولم يبينه رسول الله عجل فلا حاجة إلى تكلف تعينها ولا إلى معرفة نوعها، ولا ينبغي لأحد أن يقول على الله بغير علم، إنما المقصود أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وأمره أن يسكن الجنة هو وزوجته التي خلقها له وأخرجها من ضلع من أضلاعه، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله عجل قال: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج. فاستوصوا بالنساء خيراً».

وقد نهى الله آدم وزوجه أن يأكلَا من شجرة عيّنها لهما، وفي ذلك يقول الله عجل في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَأَدْمُ أَسْكُنْ أَنَّتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا نَفْرَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾٢٥﴿ فَأَرْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا أَهْيَطُوا بِعَصْمَكُمْ لِيَعْضِعُ عَدُوًّا وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٌ وَمَتَّعْ إِلَى حِينٍ ﴾٢٦﴿ فَنَافَقَ إَدَمُ مِنْ زَيْنٍ كَلِمَتِ فَنَابَ عَلَيْنَاهُ إِنَّهُ هُوَ الْوَآبُ أَرَجُمُ﴾ [البقرة: ٣٥ - ٣٧]، ويقول في سورة الأعراف: ﴿وَبَقَادُمْ أَسْكُنْ أَنَّتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا نَفْرَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾٢٩﴿ فَوَسَوسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبَدِّي لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَكُمَا رَبِّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مُلْكِيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْمُكْلَدِيْنَ وَقَاسِمَهُمَا ﴾٣٠﴾

إِنَّ لِكُمَا لَمَنْ تَصْحِحُكُمْ ۖ فَدَلَّهُمَا بِغُرْوِيٍّ فَلَمَّا دَأَفَا الشَّجَرَةَ بَدَّتْ لَهُمَا سَوْءَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَّا أَنْهِكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقْلَ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ۚ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْشَسْنَا وَإِنْ لَوْ تَقْفِرْ لَنَا وَتَوْحِمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ ۝ [الأعراف: ١٩ - ٢٣].

ويقول الله تعالى في سورة طه: «فَقُلْنَا يَعْلَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزُوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ۝ إِنَّ لَكَ أَلَا مَجْوَعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَنُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝ فَوَسَوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَعْلَمُ إِنَّكَ مُهْلَكٌ عَلَى شَجَرَةِ الْخَلْدِ وَمَلِكٌ لَا يَبْلِي ۝ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهُمَا سَوْءَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ إِدَمْ رَبِّهِ فَوَوَىٰ ۝ ثُمَّ أَجْبَبَهُ رَبِّهِ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝» [طه: ١١٧ - ١٢٢]، قوله تعالى: «وَعَصَىٰ إِدَمْ رَبِّهِ فَوَوَىٰ ۝» هو في الحقيقة من باب قولهم: إياك أعني واسمي يا جارة، إذ ليس المراد هنا المعصية التي حمى الله منها أنبياءه ورسله، إذ ليس الأكل من هذه الشجرة كشرب الخمر أو الزنا أو قتل النفس بغیر حق أو فساد في الأرض، وقد وصف الله تبارك وتعالى أكل آدم من الشجرة بأنه صدر عن نسيان حيث يقول: «وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَّا إِدَمْ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ يَحْدُ لَهُ عَزْمًا ۝» [طه: ١١٥]، والإنسان إذا فعل الشيء وهو ناسٍ رفع عنه القلم، وإنما عاتبه الله تبارك وتعالى لتنبيهه وتنبيه ذريته من دسائس إبليس والاحتراض من وسوسته؛ ولذلك يقول تعالى: «يَبْيَقَ إِدَمْ لَا يَقْنِنَكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزَعُ عَنْهُمَا لِرَبِّهِمَا سَوْءَةٍ تِيمًا إِنَّهُ يَرْنَكُمْ هُوَ وَقِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تُرَوُهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أُولَئِكَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝» [الأعراف: ٢٧]، فالمعنى من هذا التصوير في قوله: «وَعَصَىٰ إِدَمْ رَبِّهِ فَوَوَىٰ ۝» [طه: ١٢١] هو التنبيه على أن الله رفع الإصر عن آدم حيث قال: «ثُمَّ أَجْبَبَهُ رَبِّهِ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝» [طه: ١٢٢]، فصار كأنه لم يأكل من الشجرة. وقد اقتضت حكمة الله أن يأكل آدم من الشجرة، والله يعلم أنه أكل منها لا محالة؛ لأنه لا بد وأن يسكن الأرض ويعمرها هو وذريته من بعده، ويجعل الله فيهم خيراً كثيراً، وعباداً صالحين وأنبياء ومرسلين.

ولا بد من الابلاء والامتحان والاختبار في هذه الأرض، فكانت الصورة

الأولى للامتحان هو نهي الله له أن يأكل من الشجرة ونسيان آدم هذا النهي وأكله منها.

وقد اختلف أهل العلم في الجنة التي أمر آدم أن يسكنها هو وزوجه، وأكثر السلف من هذه الأمة على أنها جنة المأوى؛ لأن الصفات التي وصف الله بها هذه الجنة في قوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَا تَحُجُّ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ [١١٨] وَأَنَّكَ لَا تَظْمَئُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ [طه: ١١٩ - ١١٨] تدل على أنها جنة النعيم، كما أن الحديث الصحيح في قصة الشفاعة يوم القيمة أن آدم يقول للذين طلبوا منه الشفاعة: «وَهُلْ أَخْرَجْتُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةً أَبِيكُمْ».

وقد ذهب بعض السلف إلى أنها جنة في مكان عالٍ من الأرض، والراجح عند أهل العلم أنها جنة المأوى، فإذا قيل: إن كانت جنة المأوى فكيف يخرج آدم منها؟ ومن سكن جنة المأوى لا يخرج، فالجواب هو: أن من يسكن جنة المأوى ولا يخرج منها هو من يدخلها جزاء على عمله بعد أن يقضى عمره في الدنيا، حتى إذا مات على دين الأنبياء والمرسلين وتفضل الله عليه بدخول الجنة فإنه لا يخرج منها ولا يتحول عنها؛ لأنها دار جزاء المتقين. على حد قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَقَيْلَ لِلَّذِينَ أَتَقْوَا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَرْ آخِرَةٌ خَيْرٌ وَلَنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [٢٠] جَنَّتُ عَدَنٌ يَدْخُلُونَهَا تَعْرِي مِنْ تَحْتَهَا الْأَنْهَرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبُونَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٠ - ٣٢]، أما كون آدم يسكنها قبل أن يعمل شيئاً فهذا للامتحان والابتلاء والاختبار؛ لتكون هذه الصورة ماثلة أمام أعين ذريته دائماً، ليحذرروا إبليس الذي أخرج أبوهم من الجنة.

أما مقدار لبث آدم في الجنة: فلم يعينه الله ولم يعينه رسول الله ﷺ، والقول فيه قول على الله بلا علم. وقد بين الله تعالى أنه أهبط آدم من الجنة كما قال في سورة البقرة: ﴿أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِعَضْ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْنَدٌ وَمَتْنَعٌ إِلَى جَنَّةٍ فَلَقَنَّا عَادَمَ مِنْ زَيْبَهُ كَلِمَتَ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ أَرْجِمُ﴾ [٢٣] قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ هُدَى فَمَنْ يَتَّبِعُ هُدَى فَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ﴾ [البقرة: ٣٦ - ٣٨].

وقال في سورة الأعراف: «قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِيَعْسِنَ عَدُوُّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُتَّسِرٌ» وَمَتَّعْ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ» [الأعراف: ٢٤ - ٢٥]، وقال في سورة طه: «قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِيَعْسِنَ عَدُوًّا فَإِمَّا يَأْتِنَكُمْ مِنْ هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدًى فَلَا يَبْصِرُ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَخَسْرَهُ يَوْمَ الْقِيَمةِ أَعْمَى» [طه: ١٢٣ - ١٢٤].

أما عدد أبناء آدم ﷺ: فلم يصح فيهم أيضاً خبر عن الله أو عن رسول الله ﷺ، وبعض الناس يقول: إن حواء ولدت لأدم أربعين ولداً في عشرين بطناً، وبعضهم يقول: ولدت حواء مئة وعشرين بطناً، في كل بطن ذكر وأنثى. وقال ابن كثير في تاريخه: وقد ذكر أهل التاريخ أن آدم لم يمت حتى رأى من ذريته من أولاده وأولاده أربع مئة ألف نسمة. ١.هـ. والعلم في ذلك كله عند الله تعالى.

أما دعوى أن آدم سمي ولداً له عبد الحارث وأنه المشار إليه في قوله تعالى في سورة الأعراف: «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَنَسِّ وَجَدَهُ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيُسْكِنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَفَسَّهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لِئَنْ إِنَّا يَأْتِنَا صَلِحًا لِتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٩٦﴾ فَلَمَّا ءاتَهُمَا صَلِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءاتَهُمَا فَنَعَلَى اللَّهَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴿١٩٧﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَكْنُ شَيْئًا وَهُمْ يُظْلَمُونَ» [الأعراف: ١٨٩ - ١٩١]، وهذا قول على آدم بغير دليل صحيح، وتأويل للاية على غير وجهها، فأما ما رواه أحمد والترمذى وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث عن عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن البصري عن سمرة عن النبي ﷺ قال: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال: سميء عبد الحارث فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره».

وقال الترمذى: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه. قال ابن كثير في تاريخه: فهذه علة قادحة في الحديث أنه روى موقوفاً على الصحابي، وهذا أشبه، والظاهر أنه تلقاه من الإسرائيلىيات، وهكذا روى موقوفاً عن ابن عباس، والظاهر أن هذا متلقى عن

كعب الأحبار وذويه والله أعلم، وقد فسر الحسن البصري هذه الآيات بخلاف هذا، فلو كان عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه إلى غيره. هـ.

وهذا تفسير عجيب لهذه الآيات، كيف يكون أول شرك في الأرض من آدم وزوجه، والمعروف أن الشرك الأصغر أكبر من الزنا والقتل وشرب الخمر والسرقة، كما أن المعروف أنه لم يقع شرك في الأرض إلا في أمة نوح عليه السلام، ولا شك أن المراد بقوله: ﴿خَلَقْنَا مِنْ نَارٍ وَجْهًا﴾ هو آدم، وأن قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني حواء. أما قوله: ﴿فَلَمَّا تَفَشَّيَ حَمْلُتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ إلى آخر الآيات، فهو انتقال بعد ذكر آدم وزوجته، واستطراد إلى ذكر الجنس والذرية، فإن من الأساليب البلاغية أنه قد يذكر الشيء ثم يستطرد إلى ذكر جنسه على حد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَّا سَكَنَ مِنْ سُلَالَةِ مِنْ طِينٍ ۚ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَبِ مَكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٣] فالملحوظ من الطين آدم، والمملوكة من النطفة بنوه وذريته، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَبِّحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ﴾ [الملك: ٥]، فالملحوظ أن رجوم الشياطين ليست هي أعيان مصابيح السماء، ولكنه استطراد من شخصها إلى جنسها، فآدم عليه السلام يحميه الله من الشرك الأصغر ومن الشرك الأكبر.

والى فصل قاسم ابن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل السادس

### تابع: آدم ﷺ

قد ذكرت في ختام الفصل السابق أن الله تبارك وتعالى ذكر في سورة الأعراف قوله: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحْدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَفَشَّلَتْ حَمَلَتْ حَمَلًا حَقِيقًا فَرَرَتْ بِهِ فَلَمَّا أَنْتَنَ دَعَوَا اللَّهَ رَبِّهِمَا لِئِنْ ءَاتَيْنَا صَلِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾** فَلَمَّا ءَاتَهُمَا صَلِحًا جَعَلَ اللَّهُ شُرَكَةً فِيمَا ءَاتَهُمَا فَعَنَّ اللَّهَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ **﴿أَيْسَرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾** [الأعراف: ١٨٩ - ١٩١]، وقلت: إنه قد دُس في بعض الأخبار المنسوبة إلى رسول الله ﷺ أن حواء لم يكن يعيش لها ولد في أول الأمر، فوسوس لها الشيطان إذا أرادت أن يعيش لها ولد أن تسميه عبد الحارث ليدخل الشرك على الناس. وهذا عجيب، إنها خلقت لعمارة الأرض فكيف لا يعيش لها ولد؟ قال ابن كثير رحمه الله في تاريخه: فالله تعالى إنما خلق آدم وحواء ليكونا أصل البشر ولبيث منها رجالاً كثيرةً ونساء، فكيف كانت حواء لا يعيش لها ولد؟ هـ.

وقوله تعالى: **﴿حَمَلَتْ حَمَلًا حَقِيقًا فَرَرَتْ بِهِ﴾** أي: نطفة لا ثقل لها في البطن، فصارت المرأة تذهب وتجيء لخفة حملها وسهولته، وقوله: **﴿فَلَمَّا أَنْتَنَ﴾** أي: كبير بطنها، وثقل عليها حملها واقترب وقت الولادة، وقوله: **﴿دَعَوَا اللَّهَ رَبِّهِمَا لِئِنْ ءَاتَيْنَا صَلِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾** أي: سألا الله عزوجل وتضرعا إليه أن يرزقهما ولداً صالحًا ليشركا، **﴿فَلَمَّا ءَاتَهُمَا صَلِحًا﴾** أي: ولداً صالحًا **﴿جَعَلَ اللَّهُ شُرَكَةً فِيمَا ءَاتَهُمَا﴾** أي: لم يقوموا بشكر نعمة الله بل جعلا الله شركاء فيما أنعم به عليهم. وهذا الزوجان المشركان لم يقصد بهما آدم وحواء قطعاً، وإنما هو توضيح لمن يشرك بالله من جنسبني آدم؛ ولذلك قال: **﴿فَعَنَّ اللَّهَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾** ولو كان المراد به آدم وحواء - عصمهما الله من ذلك - لقال: «فتعالى الله عما

يشركان»، والآية ظاهرة في أن المراد بالشرك هنا ما يعم الشرك الأصغر والأكبر، ولذلك زاد في توبخهم والتنديد بهم حيث قال: ﴿إِنَّهُمْ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ وَلَا يَسْتَطِعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١ - ١٩٢]. وأهل العلم متفقون على أن قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ تَقْسِيرٍ وَجَعَلَ مِنْهَا رَوْجَهَا﴾. هما آدم وحواء، وانتهى الكلام هنا في ذكر الأصل - آدم وحواء - ثم استطرد إلى الجنس، وهذا أسلوب بلاخي كما ذكرت في الفصل السابق، فقوله: ﴿جَعَلَ لَهُمْ شُرَكَاءَ إِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: الوالد والوالدة من جنسبني آدم وحواء، وقد أشار في صلب الآية إلى أنه ليس آدم وحواء بقوله: ﴿فَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾.

وأما قصة هبته من عمره لداود: فقد رواها أحمد والطبراني من طريق علي ابن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أول من جحد آدم» - قالها ثلاث مرات - «إن الله عَزَّلَ لما خلقه مسح ظهره فأخرج ذريته فعرضهم عليه، فرأى فيهم رجلاً يُرْهِرُ، فقال: أي رب! من هذا؟ فقال: هذا ابني داود، قال: يا رب! كم عمره؟ قال: ستون عاماً، قال: أي رب! فرد في عمره، قال: لا، إلا أن تزيده أنت من عمرك فزاده أربعين سنة من عمره. فكتب الله تعالى عليه كتاباً وأشهد عليه الملائكة، فلما أراد أن يقبض روحه قال: إنه بقي من أجله أربعون سنة، فقيل له: إنك قد جعلتها لابنك داود، قال: فجحد، فأخرج الله الكتاب وأقام عليه البينة، فأتمها لداود مئة سنة وأتم لآدم عمره ألف سنة». فهذا الخبر لا يصح عن رسول الله ﷺ بحالٍ؛ لأنَّه يدور على علي بن زيد وفي حديثه نكارة، وقد أخرج نحوه الترمذى بسنده فيه هشام بن سعد، وقد وصف بأنه له أوهام وقد رُمى بالتشييع، والظاهر أنَّ هذا من أوهامه، كما رواه ابن أبي حاتم من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف عند المحدثين، ولا يجوز أن يوصم أبو البشر نبى الله آدم عليه السلام بالجحود بمثل هذه الأخبار، إذ الجحود من الأمور المذمومة التي لا يرتضيها عوام المسلمين لأنفسهم، فكيف يوصف بها نبى من أنبياء الله؟!

أما ما ذكر من شعره لما قتل قابيل أخيه هابيل فلا ينبغي لمن يتسب للعلم

أن ينسب مثله لآدم عليه السلام؛ لأنه لم ينقل عن خبر معصوم ولا يدعى أحد صحة سند فيه، وهذا الشعر المزعوم هو:

تغيرت البلاد ومن عليها      فوجه الأرض مغبر قبيح  
تغير كل ذي لون وطعم      وقل بشاشة الوجه الملبح

أما ما ذكر من توسله بمحمد رسول الله عليه السلام؛ فهو لا يصح كذلك، وقد رواه الحاكم والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب عليهما السلام قال: قال رسول الله عليه السلام: «لما اترف آدم الخطيئة قال: أي رب! أسألك بحق محمد إلا غفرت لي. فقال الله: كيف عرفت محمداً ولم أخلقه بعد؟ فقال: يا رب! لأنك لما خلقتني بيديك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ، وإذا سألتني بحقه فقد غفر لك، ولو لا محمد ما خلقتك». قال البيهقي: تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف.

أما رؤية رسول الله عليه السلام لآدمليلة الإسراء والمعراج؛ فقد رواها البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة في خبر الإسراء والمعراج، وفيه: «فانطلق بي جبريل حتى أتي بي إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليك؟ قال: نعم. فقيل: مرحباً به، ولنعم المعجم جاء، ففتح لنا، فلما خلصت فإذا فيها آدم، قال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح...» إلخ. وفي رواية للبخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك عن أبي ذر عليهما السلام: «فُرِّجَ بِي إِلَى السَّمَاوَاتِ الدُّنْيَا، فَلَمَّا جَئَتِ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتِ قَالَ جَبَرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاوَاتِ: افْتَحْ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبَرِيلُ، قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: مَعِي مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: أَرْسَلْتَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاوَاتِ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ، عَلَى يَمِينِهِ أَسْوَدَةُ، وَعَلَى يَسِيرَةِ أَسْوَدَةٍ، إِذَا نَظَرَ قَبْلَ

يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماليه بكى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قال: قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماليه نسم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماليه أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماليه بكى...» إلخ الحديث.

وقد أقرَّ آدم لرسول الله ﷺ في حديث الإسراء بالنبوة والبنوة لآدم عليهما السلام على النبيين أجمعين.

أما عمر آدم عند وفاته ومكان دفنه: فلم يرد في ذلك خبر صحيح عن رسول الله ﷺ يثبت أين مات آدم عليهما السلام وأين دفن فالعلم في ذلك عند الله عزّ جلّ.

والى الفصل القادم انت شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل السابع

### تابع: آدم

أشرت في فصل سابق إلى احتجاج موسى وآدم بالقدر، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه وسلامه قال: « حاج موسى آدم صلوات الله عليه وسلامه فقال له: أنت الذي أخرجت الناس بذنبك من الجنة وأشقيتهم؟ قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، أتلومني على أمر قد كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني أو قدره عليّ قبل أن يخلقني. قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: فحج آدم موسى»، أي فغلب آدم موسى في هذه المحاجة.

أيها القراء الكرام: إن الاحتجاج بالقدر ينبغي أن يلاحظ فيه أمران؛ فالقدر إما أن يقترن بمصائب أو يقترن بمعائب، إذ قد يرتكب الإنسان جريمة كالزنا أو السرقة أو شرب الخمر أو القتل أو غير ذلك من المعاصي، فإذا قيل له: لم فعلت ذلك، قال: قدر الله، أو قدر الله، أو قضاء الله، ونسب عمله إلى القدر، وهذا خطأ؛ فإنه لا يحق الاحتجاج بالقدر على ارتكاب المعايب؛ لأن الله لم يبين له القدر قبل ارتكاب الجريمة وأنه سيرتكبها، ولم يأذن له في ارتكاب هذه الجريمة. أما إذا أصيب إنسان بمصيبة من المصائب التي لم يقع فيها بإرادته واختياره كالمرض أو الفقر أو انقلب مثلاً وهو نائم على شخص فقتله، أو انفلتت منه حصاة أو نحوها على شخص فأصابته من غير قصد منه، أو غلبه عينه رغم أنه فنام عن الصلاة حتى طلعت الشمس فله أن يحتاج في كل هذه المصائب بالقدر؛ لأن هذا الذي وقع منه خارج عن إرادته، وله أن يقول: قدر الله وما شاء فعل.

وقد أشار إلى هذا رسول الله صلوات الله عليه وسلامه، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من

المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»، فهذا الحديث يضع أوضاع قواعد السلوك فيما يحتج به من القدر، وما لا يحتاج به، فما أصاب الإنسان من شر لا إرادة له فيه فإن له أن يحتاج بالقدر. وما فعله بإرادته من المعايب لا يجوز أن يحتاج فيها بالقدر؛ لأن المآذون له في عمله هو الخير وما ينفعه في عاجلته أو آجلته، ولذلك صدر رسول الله ﷺ هذا الحديث بقول: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز». وآدم عليه السلام لم يهبط العباد إلى الأرض ولم يكن إخراجهم من الجنة بيده، وأكله من الشجرة وإن كان سبباً لهبوطه إلى الأرض لكنه فعله بغير قصد كما أسلفت، فلا دخل لآدم في إخراج الناس من الجنة وإهابط العباد إلى الأرض وإن ذلك كله لله وحده، فاحتجاج موسى عليه السلام على آدم لعله كان نوعاً من المداعبة منه لأبيه آدم عليه السلام، وموسى لا يخفى عليه مثل ذلك. وهو عندما وكر القبطي فقضى عليه قال: «هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّمَا عَدُوُّ مُضِلٍّ مُّنِينٌ» [القصص: ١٥]، وموسى عليه السلام لا يؤخذ بذلك؛ لأنه لم يقصد قتل الرجل، كما أن آدم عليه السلام قد وصف الله أكله من الشجرة بأنه عن نسيان، حيث يقول: «وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَيْنَاهُ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ يَحْدُدْ لَهُ عَزْمًا» [طه: ١١٥]، ولا شك أن القلم مرفوع عن الناسي كما أنه مرفوع عن النائم. فما فعله الإنسان عن نسيان أو في نومه فإن الله تعالى لا يؤخذنه عليه، وكان آدم عليه السلام قال لموسى عليه السلام: (أنا لم أخرجكم من الجنة، وإنما أخرجكم الله الذي رتب الإخراج على أكلني من الشجرة وقد أكلت منها عن نسيان، وقد قدر الله عليّ ذلك قبل أن أخلق، فأنت تلومني على أمر ليس له نسبة إلى أكثر من أنني نهيت عن الأكل من الشجرة فأكلت منها، وكون الإخراج متربتاً على ذلك ليس من فعلي، فأنا لم أخرج نفسي ولم أخرجكم من الجنة وإنما كان هذا من قدر الله وقضائه، وله الحكمة في ذلك)، فلذلك غالب آدم موسى في الاحتجاج.

أما ما جاء في حديث الشفاعة لاستفتاح الجنة يوم القيمة وتأخير آدم عن

ذلك بقوله: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم. فلأن صورة ما حدث هو صورة الخطيئة، كما أن ما حدث من موسى عليه السلام في قتل القبطي هو صورة الخطيئة، لكن الله لا يؤاخذ أحداً منهما بما فعل؛ لأنه لم يكن عن قصد، وحديث الشفاعة هذا قد أخرجه مسلم في صحيحه من طريق أبي مالك الأشجاعي عن أبي حازم عن أبي هريرة ومن طريق أبي مالك الأشجاعي عن ربيع عن حذيفة قالا: قال رسول الله ﷺ: **يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فإذا تون آدم فيقولون: يا أباانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم، لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراء، أعمدوا إلى موسى عليه السلام الذي كلمه الله تكليماً، فإذا تون موسى عليه السلام فيقول: لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى عليه السلام: لست بصاحب ذلك، فإذا تون محمدًا عليه السلام فيقوم فيؤذن له، وتُرسل الأمانة والرحم فتقومان جنباً إلى جنب على الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولئك كالبرق، قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كاللباب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج ومكذوش في النار، والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً. وقوله في الحديث «شد الرجال» أي عدو الرجال وسعيهم وسرعتهم في المشي.**

والى نصل نادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الثامن

### تابع: آدم عليه السلام

لا شك أن آدم عليه السلام كاننبياً من أنبياء الله، وأكثر أهل العلم على أنه كاننبياً رسولاً بدليل قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنِي نَبِيًّا وَّأَمَّا إِبْرَاهِيمَ وَّأَمَّا عُمَرَّاً عَلَى الْعَلَمَيْنَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، وتعريف الرسول ينطبق على آدم عليه السلام سواء في ذلك التعريف المشهور عن العلماء وهو أنه من أوحي إليه بشرع وأمر بتبلیغه، أو التعريف الذي اخترته ورجحته وهو أن الرسول من بعثه الله بشريعة جديدة؛ فآدم عليه السلام قد جاء ولا شك بشريعة جديدة يحتمكم هو وبنوه إليها، ويسيرون على منهاجها، وقال جماعة من أهل العلم: إن آدم كاننبياً ولم يكن رسولاً بدليل حديث الشفاعة الذي رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبي عليه السلام في دعوة، فرفعنا إليه الذراع وكانت تعجبه فنهض منها نهضة، وقال: «أنا سيد الناس يوم القيمة. هل تدركون بم؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي، وتندو منهم الشمس، فيقول بعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه؟ إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس: أبوكم آدم، فيأتونه، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفح فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول: ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً، أما ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله،

نفسي نفسي..» إلخ الحديث. فقولهم: «أنت أول الرسل إلى أهل الأرض» يفيد أن آدم لم يكن رسولاً، لكن المثبتين لرسالة آدم يقولون: إن نوحًا أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض للتحذير من الشرك، إذ لم يكن قبل قوم نوح ﷺ شرك في الأرض، وإنما كانت المعا�ي كلها دون الشرك كالقتل والظلم ونحوه، أو أن المراد من هذه الأولية هو بالنسبة إلى شمول رسالته لكل أهل الأرض، ولم يكن أهل الأرض إلا قوم نوح ﷺ، ولم يكن على الأرض ناس سواهم، أما الرسول الذي شملت رسالته كل أهل الأرض عربهم وعجمهم وحتى الجن فهو محمد ﷺ، وأما من عدا نوحًا ومحمدًا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلم تكن رسالتهم تشمل كل أهل الأرض وإنما هي خاصة لأقوامهم. ونوح وإن كان كذلك قد بعث إلى قومه خاصة لكنهم كانوا يومئذ كل أهل الأرض كما أشرت. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في كتاب أحاديث الأنبياء في باب قول الله ﷺ: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ» [هود: ٢٥] في عبارة: أنت أول الرسل إلى أهل الأرض: فأما كونه أول الرسل فقد استشكل بأن آدم كاننبياً، وبالضرورة تعلم أنه كان على شريعة من العبادة، وأن أولاده أخذوا ذلك عنه. فعلى هذا فهو رسول إليهم؛ فيكون هو أول رسول، فيحتمل أن تكون الأولية في قول أهل الموقف لنوح مقيدة بقولهم: إلى أهل الأرض؛ لأنه في زمن آدم لم يكن للأرض أهل، أو لأن رسالة آدم إلى بنيه كانت كالتربيـة للأولاد، ويحتمل أن يكون المراد أنه رسول أرسل إلى بنيه وغيرهم من الأمم الذين أرسل إليهم مع تفرقهم في عدة بلاد، وأـدم أرسل إلى بنـيه فقط وكانـوا مجتمعـين في بلـدة واحدة. ١. هـ.

هذا وبعض أهل العلم يفسـر قول رسول الله ﷺ في حـديث الإسراء والـمعراج عن يـوسـف ﷺ: «إـذا أـنا بـيوـسف ﷺ إـذا هـو قـد أعـطـي شـطـرـ الـحـسـنـ» بأنـ المرـادـ أنـ يـوسـف ﷺ أـعـطـيـ نـصـفـ حـسـنـ آـدـمـ، وإنـ كانـ بعضـ أـهـلـ الـعـلـمـ يـفسـرـ ذـلـكـ بـأنـ يـوسـفـ قـدـ أـعـطـيـ شـطـرـ حـسـنـ النـاسـ جـمـيـعـاـ، وبـعـضـهـمـ يـفسـرـ بـأنـ يـوسـفـ قـدـ أـعـطـيـ شـطـرـ حـسـنـ مـحـمـدـ ﷺ، وـعـلـىـ كـلـ حـالـ إـنـ اللهـ

تبارك وتعالى قد خلق آدم وركبه على أحسن صورة على حد قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَانَسَنَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وقد استقر عند أهل جميع الأديان السماوية أن آدم أبو البشر، غير أنه قد نبغت نابغات من الإلحاد والزندقة في العصور المتأخرة فرعموا أن الشمس في أثناء دورانها السريع حول نفسها انفصلت منها قطعة أخذت تبتعد عنها قليلاً قليلاً وتت忤د نفسها مجرى أمها الشمس، وهذه القطعة هي الأرض، ويدعون أنه بطول الزمن برد سطح الأرض وإن كان باطنها لا يزال على حرارته، وقد أحاطت بها المياه، وأنه بطول الزمن آسن بعض هذا الماء فتوالدت فيه حيوانات مائية كهذه الحيوانات التي تتوالد في أي ماء آسن، ويرون أن من جملة هذه الحيوانات البحريّة كان الإنسان، ويطلقون عليه في هذه الفترة (الإنسان المائي)، ثم بمرور الزمن الطويل البالغ (ملايين) السنين أخذ هذا الحيوان المائي يخرج إلى شواطئ البحار ويرعى الحشائش النابتة عليها، ثم يرجع إلى البحر ليعيش فيه شبيهاً بالتماسيع. ويطلقون عليه في هذه الفترة (الإنسان البرمائي)، ثم استطاع هذا الحيوان أن يتطبع بطابع البر وأن يعيش فيه طول حياته وأن يهجّر حياة البحر، ويطلقون عليه طول هذه الفترة (الإنسان البري).

ثم يزعمون أن هذا الحيوان بعد فترات طويلة من التاريخ تبلغ «ملايين» كثيرة من السنين استطاع أن يتميز عن كثير من الحيوانات البرية الغاية، وأنه صار يستعمل أنواعاً من الآلات كالحجارة ونحوها؛ فارتفع وارتقي عن باقي الحيوانات التي لم تتميز بذلك، وقد رفع لواء هذه النظرية نصراني يقال له داروين، ونشطت اليهودية العالمية في ترويج نظرية داروين هذه لأنها تتماشى مع ما عرف باسم بروتوكولات حكماء صهيون وكذلك «الماسون» في العمل على تخريب العالم؛ ليتمكنوا من تأسيسه من جديد بحسب أهوائهم وشهواتهم. وقد أطلقوا عليها نظرية التطور والارتقاء<sup>(١)</sup>. وبالنظر المجرد إلى هذه النظرية نرى أن أصحابها لا

(١) بعد إعداد هذا الكتاب للطبع نشرت جريدة الشرق الأوسط السعودية في عددها رقم ٣٣٢٨ بتاريخ يوم الجمعة ١٩٥٠/٥/١٩ الموافق لليوم الثامن من شهر يناير سنة ١٩٨٨ م تحت عنوان: «العلم يثبت أصل الإنسان» ما يلي: (واشنطن - مكتب الشرق =

يؤمنون بفاطر السموات والأرض، ولا يصدقون بأي كتاب سماوي؛ إذ الكتب السماوية المؤيدة بالمعجزات الحسية والعقلية تقرر أن الله خلق الأرض، وجعل فيها رواسي من فوقها، وببارك فيها وقدر فيها أقواتها، ثم خلق السموات وزين السماء الدنيا بمصابيح، وأنه خلق الملائكة المكرمين من نور، ثم الجان من نار السمو، ثم خلق آدم أبا البشر من طين فسواه بيده الكريمة على هذه الصورة الجميلة، وكرمه على جميع المخلوقات في الأرض. والعجيب أن بعض الجاهلين يزعمون أن نظرية داروين في التطور والارتقاء قد قررها القرآن الكريم في قوله تعالى: «وَقَدْ خَلَقُوكُمْ أَطْوَارًا» [نوح: ١٤]، مع أن القرآن شرح هذه الأطوار في مواضع كثيرة كقوله تعالى: «فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ» [الحج: ٥]، وكقوله تعالى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طَفْلًا» [غافر: ٦٧]، وكقوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۖ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۖ ثُمَّ خَلَقْنَا النُطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَمًا فَكَسَوْنَا الْعِظَمَ لَهَا ثُمَّ أَدْشَانَاهُ حَلْقًا مَاءَخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» [المؤمنون: ١٢ - ١٤] كما فسر رسول الله ﷺ أطوار خلق الإنسان كذلك، فقد روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو

= الأوسط: ضجت الأوساط العلمية في الغرب ولا سيما في الولايات المتحدة بنبأ الاكتشاف الذي توصل إليه فريق من العلماء الأميركيين بعد نحو عشر سنوات في البحث والدراسة في علم الوراثة والجينات، وقاد البحث إلى اكتشاف أن الجينات الثابتة في كل النوع البشري يمكن تقفيها إلى امرأة واحدة (سماها فريق البحث بايف - أو حواء) انحدر منها كل البشر. وكانت خصبة الولادة. وإليها تعود الجينات الثابتة عند كل البشر، وبالغاً نحو خمسة آلاف جين، وهذا ما جاء في التقرير العلمي الذي نشرته مجلة «نيوز ويك» الأمريكية هذا الأسبوع. ويحدد العلماء ظهورها على الأرض بأنه وقع في آسيا أو إفريقيا قبل نحو ٢٠٠,٠٠٠ سنة. وعلى هذا الأساس يمكننا اعتبارها جدتنا العشرة ألف. وقد ناقشت هذه الاكتشافات كل ما ذهب إليه العلماء من قبل فيما يتعلق بظهور الإنسان على الأرض، وخاصة ما يتعلق بنظرية العالم الإنجليزي داروين حول أصل الإنسان. انتهى ما أورده جريدة الشرق الأوسط بحروفه.

الصادق المصدق: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً وأربعين ليلة، ثم يكون علقة مثله، ثم يكون مضغة مثله، ثم يُبعثُ إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد، ثم ينفح في الروح» (الحديث)». فيجب علينا معاشر المسلمين أن نتفطن ونحذر من هؤلاء الدعاة إلى نظرية داروين في التطور والارتقاء؛ لأن الإيمان بها كفر بإله السموات والأرض.

هذا وقد أخبر رسول الله ﷺ أن آدم خلق في يوم الجمعة، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها». وهذا يدل على أن آدم عليه السلام خلق خلقاً واحداً لم يمر عليه الأطوار التي زعمها داروين وعصابته من الملاحدة والدهريين.

وأكتفي بهذه الشذرات من قصة آدم عليه السلام وقد بينت فيها ما جاء به الخبر عن الله، أو صح عن رسول الله، والواجب على كل مسلم ولا سيما أهل العلم أن يحترسوا من الإسرائيليات وما دسه اليهود على الأنبياء والمرسلين.

والى نصل قادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل التاسع

### نوح ﷺ

نتحدث عن نوح عليه الصلاة والسلام أول أولي العزم من المرسلين، وأول رسول يحذر من الشرك وعبادة غير الله عَزَّلَهُ، إذ كانت أمته هي أول الأمم المشركة على ظهر الأرض، وقد يقال لنوح: آدم الثاني؛ لأن جميع الباقين على الأرض من ذريته على حد قوله تبارك وتعالى: «وَجَعَلْنَا دُرِيَّتَمُ هُرُّ الْبَاقِيَنَ» [الصفات: ٧٧]، وقد اختلف الناس في المدة التي بين آدم وبين نوح عليهما الصلاة والسلام، فعند أهل الكتاب أن نوحًا ﷺ ولد بعد موت آدم بمائة وست وأربعين سنة، وذكر ابن جرير أن مولد نوح ﷺ كان بعد وفاة آدم بمائة وست وعشرين سنة، وقد ذكروا في عمود نسبة إلى آدم ثمانية آباء. وكل هذه الأقاويل في المدة التي بين آدم ونوح ﷺ، وكذلك ما ذكر في عمود نسبة إلى آدم هي أقاويل مرسلة لا دليل عليها، وقد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحَ أَلْفَ سَنَةً، وَإِنَّ مَرَادَ الْقَرْنَىٰ بِالْجَيلِ مِنَ النَّاسِ فَيَكُونُ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَإِنَّ مَرَادَ الْمَرَادَ بِالْجَيلِ مِنَ النَّاسِ فَيَكُونُ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحَ أَلْفَ سَنَةٍ؛ لِمَا عَرَفَ مِنْ أَنَّ النَّاسَ قَبْلَ نُوحَ كَانُوا يَعْمَلُونَ الْدُّهُورَ الطَّوِيلَةَ. وَلَا يَعْلَمُ تَحْدِيدُ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّلَهُ، عَلَى أَنْ قَوْلَ حَبْرِ الْأَمَّةِ وَتَرْجِمَانِ الْقُرْآنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحَ أَلْفَ سَنَةٍ كُلُّهُمْ عَلَى إِسْلَامٍ... لَا يَدْلِلُ عَلَى الْحَصْرِ فِي هَذِهِ الْقَرْنَىٰ عَشَرَةَ قَرْنَىٰ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحَ ﷺ... وَإِنَّمَا مَرَادَ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْإِنْسَانَيْهِ مِنْ عَلِيهَا عَشَرَةَ قَرْنَىٰ بَعْدَ آدَمَ وَقَبْلَ نُوحَ، وَكُلُّهُمْ عَلَى دِينِ إِسْلَامٍ لَمْ تَشْرُكْ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَإِنَّمَا هِيَ عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ اللَّهِ عَزَّلَهُ، شَمَّ أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ أَسْبَابَ الشَّرِكَ وَأَوْقَعَهُمْ فِي أَلْوَانِ مِنْ عَبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، فَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ، وَإِلَى هُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّلَهُ نُوحًا ﷺ، وَقَدْ ذَكَرَ

البخاري في صحيحه عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: «وَقَالُوا لَا نَذْرُنَّ إِلَهَكُمْ وَلَا نَذْرُنَّ وَدًا وَلَا سُوًا وَلَا يَعُوذُ وَيَعُوقُ وَسَرًا» [نوح: ٢٣]، قال ابن عباس: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وانتسخ العلم عبداً. وذكر الأصنام الخمسة الواردة في هذه الآية الكريمة لا يدل على حصر أصنام قوم نوح في هذه الخمسة، بل قد عبد قوم نوح أصناماً كثيرة، وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى ذلك في قوله: «لَا نَذْرُنَّ إِلَهَكُمْ» [نوح: ٢٣]، ثم عطف على ذلك قوله: «وَلَا مَذْرُنَّ وَدًا وَلَا سُوًا وَلَا يَعُوذُ وَيَعُوقُ وَسَرًا» [نوح: ٢٣]، وقد نقل عمرو بن لحي الخزاعي أصناماً إلى جزيرة العرب، بأسماء أصنام قوم نوح، ودعا إلى عبادتها، فأخذ بنو عذرة «وَدًا» وجعلوه بدومة الجندي، واستمر بها إلى أن جاء الإسلام وهدمه خالد بن الوليد رض، كما أخذت مضر بن نزار سواعداً ونصبوا ببطن نخلة، وعبدته هذيل، واستمر حتى جاء الإسلام وهدمه، وأخذت مذحج يغوث ونصبوا في أكمة في بلادهم، واستمر كذلك حتى جاء الإسلام وهدمه، وأخذت همدان يعوق ونصبوا بقرية يقال لها خيوان، واستمر حتى جاء الإسلام وهدمه، وأخذت حمير نسراً وجعلوه في مكان بسبأ تعبده حمير حتى جاء الإسلام وهدمه.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى قصة نوح عليه السلام في سور شتى من كتابه الكريم، فذكرها في سورة الأعراف وفي سورة يونس، وفي سورة هود، وفي سورة الأنبياء، وفي سورة المؤمنون، وفي سورة الشعراء، وفي سورة العنكبوت، وفي سورة الصافات، وفي سورة اقتربت الساعة، كما جعل سورة نوح بتمامها في قصة نوح عليه السلام، كما ذكر الله تعالى نوحًا عليه السلام في جملة من المرسلين في مواضع شتى من كتاب الله تعالى، ولا شك أنه أول أولي العزم من المرسلين.

وقد أشرت كثيراً إلى أن من أهم فوائد قصص الأنبياء هي العبرة والتأسي بالأنبياء والرسل، والبعد عما حذروا منه، وقد أطال الله تبارك وتعالى الحديث عن قصة نوح عليه السلام في موضوعين من كتابه الكريم، أحدهما في سورة هود عليه السلام،

والآخر في سورة نوح ﴿نُوح﴾، وعندما تتمعن في مفردات هذه القصة وجملها تقف على الشيء الفريد العظيم من أساليب الدعوة إلى الله ﷺ وأساليب الهدایة وتبصرة العباد بطريق الله ﷺ، وبيان ما عليه الكافرون وأعداء الله وأعداء المسلمين من محاربة الدين وأهله.

وقد بدأ الله ﷺ قصة نوح في سورة هود بقوله: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ» [هود: ٢٥]، وبهذا يعلم أن محمدًا ﷺ ليس بداعاً من الرسل، وليس أول المنذرين، فهو في رسالته جاء على درب مسلوك وطريق مطروق سار فيه قبله الأنبياء والمرسلون عليهم من ربهم أفضل الصلاة وأزكي السلام، وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى هذه الحقيقة إذ قال في شأن نوح ﷺ: «وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّدُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» [الأحقاف: ٢١]، وللتقرير هذه الحقيقة كان مطلع قصة نوح في سورة هود هو إعلان رسالة نوح ﷺ وإنذاره لقومه حتى يرتدع اليهود ومن على شاكلتهم الذين يقولون: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ» [الأنعام: ٩١]. فلإرسال الرسل مستقر في الفطرة السليمة تتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل؛ ليعلم أن الله ﷺ أرسل الرسل ليدلوا العباد على مراسيم سعادتهم في العاجلة والآجلة، ولئلا يقول الناس: ما جاءنا من بشير ولا نذير، وبعد أن ذكر أن نوحًا رسول من الله أعقب ذلك ببيان أهم وظائف المسلمين وهو دعوة الناس إلى إخلاص العبادة لله وحده حيث قال: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنَّ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ» [هود: ٢٥ - ٢٦] وهذا ديدن جميع الأنبياء والمرسلين، أنهم يبدؤون قومهم بالدعوى إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له؛ لأن توحيد الله تبارك وتعالى هو الذي من أجله خلق السموات والأرض، ومن أجله خلق الإنسان والجن، على حد قوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةَ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٧﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّنْ زِيَّةٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازَّاقُ ذُو الْفُوْقَةِ الْمَتِينُ» [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

مالى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## الفصل العاشر

### تابع: نوح ﷺ

ذكرت في الفصل السابق أن نوحًا ﷺ بدأ قومه بدعوتهم إلى توحيد الله عَزَّلَهُ وِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وذُكِرَ أَنَّ هَذَا هُوَ دَأْبُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَرْسُلِينَ؛ فَجَمِيعُ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرَسُلُهُ إِنَّمَا جَاءُوا لِقَوْمِهِمْ لِيَعْبُدُوهُ اللَّهُ وَيَجْتَبُوهُ الطَّاغُوتَ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّلَهُ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» [الأنبياء: ٢٥]؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَجْلِ حَقِيقَةِ تَوْحِيدِ اللَّهِ وِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ وَالْجَنَّ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَمَا حَفَّتُ لِجِنَّ وَالْإِنْسَنَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» [الذاريات: ٥٦] وَمِنْ أَجْلِ تَوْحِيدِ اللَّهِ رَفَعَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَبَسْطَ الْأَرْضَ، وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرَّسُلَ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَحَرَمَ الْجَنَّةَ عَلَى مَنْ مَاتَ وَهُوَ يُشَرِّكُ بِاللَّهِ شَيْئًا عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّمَا مَنْ يُشَرِّكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَيْنَهُ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ» [المائدة: ٧٧]، فَتَوْحِيدُ اللَّهِ هُوَ رَأْسُ الْعِبَادَاتِ، وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ مَنْهَاجٍ يَوْصِلُ إِلَى اللَّهِ عَزَّلَهُ مِنَ الْمَنَاهِجِ الَّتِي رَسَمَهَا أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَرَسُلُهُ لِأَمْمِهِمْ وَأَقْوَامِهِمْ، وَقَدْ ذُكِرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّ نَوْحًا بَعْدَ أَنْ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُمْ مِنَ الشَّرِكَ خَوْفَهُمْ عَذَابُ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَأَشَارَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى أَنَّ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أَثَارُوا ثَلَاثَ شَبَهٍ لِيَصْدُوَا النَّاسَ عَنْ دُعَوةِ نَوْحٍ ﷺ، وَقَدْ دَحَضَ اللَّهُ شَبَهَهُمْ وَفَضَّحَ بِاطْلَهُمْ جَمْلَةً وَتَفْصِيلًا، وَذَكَرَ عَاقِبَةَ الْمُكَذِّبِينَ، وَمَا مَنَّ بِهِ عَلَى نَوْحٍ وَمَنْ آمَنَ بِهِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنَّ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٢٥ أَنَّ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّ أَحَادُكُمْ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الْيَسِيرِ ٢٦ فَقَالَ الْمَلَائِكَةُ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَنَا إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَنَا أَبْعَدَكُمْ إِلَّا أَلَّا يَرَوُهُمْ أَرَادُنَا بِأَدَى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَذِيْنَ ٢٧ قَالَ يَقُولُ

أَرَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَىٰ يَسْنُوٍّ مِنْ رَبِّي وَإِنَّنِي رَحْمَةٌ مِنْ عَنِيهِ فَعَيْمَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْمُكُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَدِهُونَ ۚ وَيَقُولُونَ لَا أَشْكُمُ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ أَمْنَوْا إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبَّهُمْ وَلَنْكِفْتَ أَرْكَمُ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۖ وَيَقُولُونَ مَنْ يَصْرِفُ مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۚ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي حَزَابُنِ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِلَيْ مَلَكٍ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِي تَزَدَّرِي أَعْيُكُمْ لَنْ يُوتِّهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِلَيْ إِذَا لَمَّا أَنْتُمْ الظَّالِمِينَ ۖ قَالُوا يَسْنُوْ قَدْ جَدَلْنَا فَأَكْثَرَتْ جِدَلَنَا فَإِنَّا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَأْكُمُ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُ بِمُعْجِزِينَ ۖ وَلَا يَفْعُلُونَ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَصْحَّ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُعَوِّكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۖ أَمْ يَقُولُونَ أَفَتَرَنَّهُ قُلْ إِنْ أَفَرَتِهِمْ فَعَلَى إِجْرَائِي وَإِنَّا بِرَبِّهِ مَمَّا تَجْهَلُونَ ۖ وَأَوْحَى إِلَيْنِي نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ أَمَنَ فَلَا تَبْتَسِّسْ بِمَا كَافُوا يَفْعُلُونَ ۖ وَأَصْبَحَ الْفَلَكَ يَأْعِيَنَا وَوَحْيَنَا وَلَا تُخَطِّبَنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغَرَّبُونَ ۖ وَيَصْبِعُ الْفَلَكَ وَكُلُّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَالًا مِنْ قَوْمِهِ سَخَرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ سَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا سَحَرُونَ مِنْكُمْ كَمَا سَحَرُونَ ۖ فَسَوْقَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْيِيهِ عَذَابٌ يُغَيِّرُهُ وَيَحْلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَهْرَاكَا وَفَارَ النَّسُورُ قُلْنَا أَحْمَلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ أَثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقُولَ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعْهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۖ وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا سَرِيرَ اللَّهِ مُجْرِيَهَا وَمُرْسَهُهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۖ وَهُوَ يَغْرِي بِهِمْ فِي مَوْجِ الْجِبَالِ وَنَادَى نُوحُ أَبْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْقَى أَرْكَبَ مَعْنَا وَلَا تَكُونُ مَعَ الْكُفَّارِينَ ۖ قَالَ سَعَاوَى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَمَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغَرَّبِينَ ۖ وَقَيلَ يَتَأْرُضُ أَبْلَى مَاءَكَ وَيَكْسِمَهُ أَقْبَعِي وَغَيْضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوْتَ عَلَى الْمَجْوِدِي وَقَبِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۖ وَنَادَى نُوحُ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ أَبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنَّ أَخْكُمُ الْمُتَكَبِّرِينَ ۖ قَالَ يَسْنُوْ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلَ غَيْرَ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَهِنْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّمَا أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۖ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْتَكِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِيرِينَ ۖ قَيلَ يَسْنُوْ أَهْيَطِ سَلَمِ مِنَا وَبَرَكَتِ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمِّي مِنْ مَعْلُوكٍ وَأَمْمٍ سَنَمِتِهِمْ إِنَّمَا يَسْهُمُ مِنَّا عَذَابُ الْيَمِّ ۖ تَلْكَ مِنَ أَبْلَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيَ إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنَّ وَلَا

فَوْمَكَ مِنْ قَبْلَ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَيْقَةَ لِلْمُنْتَقِرِينَ ﴿٤٩ - ٢٥﴾ [هود: ٢٥ - ٤٩]، وقد أبرز الله تبارك وتعالى في صدر هذه الآيات المباركات حقائق ثلاثة هي أهم ما يدعو إليه الأنبياء والمرسلون، فالحقيقة الأولى هي وجوب العلم بأنه لا إله إلا الله، والحقيقة الثانية هي إثبات الرسالة، والحقيقة الثالثة هي الإيمان بالبعث بعد الموت، وقد لوحظ أن جميع السور المكية من القرآن الكريم يدور فلكها لتحقيق هذه الحقائق الثلاث، ولا شك أنه لا سعادة للإنسانية ولا استقرار لها ولا أمن ولا طمأنينة إلا إذا استطللت في ظل هذه الحقائق الثلاث، وأمنت بها، وسارت على منهاجها في جميع ما تفعل وما تذر من شؤون حياتها، وهذه الحقائق الثلاث نبه الله تعالى عليها في مطلع قصة نوح هنا حيث قال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِلَيْكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴽ٢٥﴿ أَنَّ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابًا يَوْمَ أَلِيمٍ﴾، وقد ذكر الله تبارك وتعالى أن المستكبرين في الأرض من قوم نوح قد سارعوا فأشاروا ثلاثة شبه ضد دعوة نوح عليه السلام، ليضللوا المستضعفين عن قبول الحق الذي جاء به نوح عليه السلام، وليصدوا عن سبيل الله، ورموا بهذه النظريات الفاسدة في وجه الحق، وقد لوحظ أن المسارعين إلى الكفر والعناد والمتجرئين على نوح عليه السلام هم الملا، وهم رؤساء القوم ووجهاؤهم خوفاً على مناصبهم أن يذهب بها الدين الجديد الذي جاء به نوح عليه السلام، وهذه الشبه الثلاث التي أثاروها هي أن نوحاً عليه السلام من البشر، والشبهة الثانية أن أتباعه هم الفقراء، والفقر في نظرهم الفاسد يقتضي أن يكون الفقير غير ثاقب الرأي ولا عميق الفكر، والشبهة الثالثة أن نوحاً عليه السلام ومن تبعه ليسوا زائدين عنهم في الخلق، ولا مزية لهم على غيرهم في التكوين الجسمي، وفي شبههم الثلاث هذه يقول الله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَى لَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَى لَكَ أَتَّبَعْتَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُنَا بِأَدَى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَذِيلِينَ﴾.

والى الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل الحادي عشر

### تابع: نوح

ذكرت في الفصل السابق أن المستكبرين في الأرض بغير الحق هم الذين سارعوا إلى معارضه دعوة نوح ﷺ، وقد جرت العادة بأن الكباء هم الذين يبدؤون بمحاربة الأنبياء والمرسلين ودعاة التوحيد الله عَزَّوجلَّ، لاعتقادهم أنهم إذا ردوا هذا الحق استبقوا مناصبهم ورياستهم. ولذلك قال هنا: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَيْنَا إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧]، والملاّ هم وجوه القوم ورؤساؤهم وأعيانهم، وهذا أمر عجيب وفساد في الرأي ظاهر؛ إذ هم ينكرون نبوته؛ لأنّه بشر. وهذه الشبهة بعينها وُجّهت من أعداء المرسلين لرسلهم، فكلما جاء أمة رسول ردوا دعوته بدعوى أنه بشر، وقالوا كيف تكون رسولاً وأنت من البشر، وجهلوا أن إرسال الرسول من البشر هو من أعظم من من الله على خلقه؛ لأنّه هو الذي يتكلّم بلسانهم ويتمكنون من مجالسته والاستفادة منه، ولو أرسل لهم ملكاً لأرسله في صورة البشر، وقد وصف الله سائر المكذبين للرسل بأنّهم ردوا دعوة الحق التي جاء بها المرسلون بدعوى أن الرسول بشر، حيث يقول تعالى في سورة إبراهيم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤْخِرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمَّى قَالُوا إِنَّ أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصْدُونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ إِلَّا بَشَرًا فَأَتُونَا بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴾١٠﴿ قَالَ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنَّنَا نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكُنَّ اللَّهُ يَعْلَمُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِكُمْ بِسُلْطَنٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَسْتَكِلُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١ - ١٠]، وهذه الشبهة في غاية الضعف، وقد ردّها الله تبارك وتعالى في مقامات من كتابه الكريم حيث يقول في سورة الإسراء: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولاً ﴾١١﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلِئَكَةٌ يَمْسُرُونَ مُطْمِئِنِينَ

لَنْزَلَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءَ مَلَكًا رَسُولًا» [الإسراء: ٩٤ - ٩٥]، ويُبيّن أنّه لو أرسل رسولًا غير بشر وجعله من الملائكة ما أطاقه الناس ولا يتمكّنون من معايشته، ولذلك يقول تعالى في سورة الأنعام: «وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيسُونَ» [الأنعام: ٩]، فالذى يفرون منه لا بد وأن يقعوا فيه، ولا طاقة للبشر على مصاحبة الملائكة في دار الدنيا، فإن جبريل عليه السلام عندما تبدى لرسول الله عليه السلام وهو المهيأ عليه لاستقبال الوحي، ورأى جبريل جالساً على كرسي بين السماء والأرض له ست مئة جناح يملأ الأفق خاف رسول الله عليه السلام ورعب منه ورجع إلى أهله وقال: زملوني، وذلك من شدة الخوف. فلو أن جبريل عليه السلام جاء للبشر غير المهيئين للرسالة والوحي ما تمكّنوا من الاستفادة منه؛ ولذلك يتوعّد الله تعالى المكذبين المعاندين الذين يردون رسالات الرسل بدعوى أنّهم بشر، وأنّهم لا يؤمّنون إلا إذا جاءهم رسول ملكي، حيث يقول تعالى في سورة الفرقان:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَكِيَّةُ أَوْ نَرَى رَبِّنَا لَقَدْ أَسْتَكَبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَنَّا عُتُّوا كَيْرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكِيَّةَ لَا بُشَّرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُتَّخِرِّمِينَ وَيَقُولُونَ حَمْرَأَ مَحْجُورُكَا﴾ [الفرقان: ٢١ - ٢٢]، وقد كان جبريل عليه السلام يأتي رسول الله عليه السلام أحياناً في صورة رجل كدحية بن خليفة الكلبي، وأحياناً يأتيه في صورة رجل من الأعراب، ولا يعرف الناس أنه جبريل حتى يخبرهم رسول الله عليه السلام بذلك بعد انتضاض الوحي وذهاب جبريل عليه السلام، فقد روى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله عليه السلام ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر؛ لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه من أحد، حتى جلس إلى النبي عليه السلام فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخديه، وقال يا محمد! أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله عليه السلام: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقييم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويسأله، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت، فأخبرني عن الإحسان، قال:

«أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: «أن تلد الأمة ربها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتظاولون في البينان» قال: ثم انطلق، فلبثت مليأً، ثم قال لي: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم». فالرسل هم الذين يتهيئون للملائكة بما أعدهم الله تبارك وتعالى لذلك.

وعامة الناس إنما يتهيئون للملائكة في الجنة إذا ماتوا على الإيمان، كما يجعل الله الموكلين بعذاب الكفار في النار ملائكة غلاظاً شداداً لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. وقد كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي تقصد جبينه عرقاً في اليوم الشديد البرد، قالت عائشة رضي الله عنها كما جاء في صحيح البخاري ومسلم: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليتفصد عرقاً، ومنعني يتفصد عرقاً أي يسيل العرق من جبينه، كما ذكر أن عنقه كان يسيل منه مثل الجمان، أي قطع الفضة أو اللؤلؤ من العرق عند نزول الوحي عليه ﷺ، مع أن رسول الله ﷺ قد أعد لذلك وهب له على حد قوله تعالى: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ [الأنعام: ١٢٤].

أما الشبهة الثانية من شبه الملائكة كفروا من قوم نوح فهي أن الذين اتبعوا نوحاً من القراء؛ ولذلك حكى الله عنهم أنهم قالوا: «ومَا زَرْنَاكَ أَتَّبَعْكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَأَذْنَا بِأَدَى الرَّأْيِ» [هود: ٢٧]. وهذا كذلك أمر عجيب، إذ إن هذه الشبهة مبنية على أن الغنى دليل العقل الثاقب والرأي السديد، وأن الإنسان إذا كان عنده مال صار عاقلاً حكيمًا، مع أنه لا رابطة بين العقل والغنى على حد قول الشاعر:

كم عاقل عاقل أغيت مذاهبه      وجاهل جاهل تلقاه مرزوقها  
وكم قال الشاعر:

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا      هلكن إذاً من جهلهن البهائم  
والغنى والعلم والعقل والصحة وغيرها أرزاق يمنحها الله لمن يشاء من

خلقه؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماساً وتروح بطاناً»، فالله تبارك وتعالى قد يعطي إنساناً مالاً ولا يعطيه علمًا، وقد يعطيه علمًا ولا يعطيه مالاً، وقد يعطيه مالاً وعلمًا، وأما كون أتباع الأنبياء من الفقراء فقد ذكره هرقل عظيم الروم لأبي سفيان كما جاء في صحيح البخاري.

والى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله ربكم.



## الفصل الثاني عشر

### تابع: نوح عليه السلام

ذكرت في ختام الفصل السابق أن كون أتباع الأنبياء من الفقراء قد ذكره هرقل عظيم الروم لأبي سفيان رضي الله عنه، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارةً بالشام في المدة التي كان رسول الله عليه وسلم مادًّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم يأiliاء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظاماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنهنبي؟ فقال أبو سفيان: قلت: أنا أقربهم نسباً. فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه. قال: فوالله لولا الحياة من أن يأثروا عليًّا كذبًا لكذبت عليه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبة فيكم؟ قلت: هو فيما ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت لا. قال فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاءهم؟ فقلت: بل ضعفاءهم. وساق الحديث إلى أن قال: فقال للترجمان: قل له: سألك عن نسبة فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تتبع في نسبة قومها، وسائلك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله، وسائلك هل كان من آبائه من ملك! فذكرت أن لا. قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه.

وسائلك هل كنتم تتهمنه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا. فقد أعرف إنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكتذب على الله، وسائلك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاءهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل... .

الحديث، وفيه: فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدميَّ هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أنني أخلص إليه لتجسمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه، فإذا فيه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم وسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإني عليك إثم الأريسيين، و﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَّةٍ سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَنَعَّذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مَنْ دُونَ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

هذا وقد بَيَّنَ الله تبارك وتعالى في آخر سورة ﴿ص﴾ أن المشركين من قريش الذين ماتوا على الكفر يتحزنون يوم القيمة عندما يدخلون جهنم ولا يرون فيها الفقراء من أمثال صهيب وعمار وبلال وجعيل بن سراقة وخياب بن الأرت رض، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعْدُهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿١٢﴾ أَتَخْذِلُهُمْ سُخْرِيًّا أَمْ رَأَفَتْهُمْ الْأَبْصَرُ﴾ [ص: ٦٣ - ٦٢] فقد رفع الله تبارك وتعالى الفقراء لما آمنوا وأدخلهم الجنة. وأدخل الكباء والرؤساء في النار لما ماتوا على الكفر، ولما قالت قريش: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرْبَانِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، أي على غني من أغنياء مكة أو من أغنياء الطائف، قال تعالى موبخاً ومبيناً فساد رأيهم حيث يقول: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ تَحْنَ قَسْمَةً بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعُتَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضِهِمْ فَوَرَدَتِ لِيَسْتَخِدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُبُوْتُهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلِيُبُوْتُهُمْ أَتْوَيَا وَسُرُّا عَلَيْهَا يَشْكُوْنَ ﴿٢٥﴾ وَرُخْرُقاً وَلَمْ كُلْ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥ - ٣٢] والفقير أو الغنى ليس معياراً لمقادير الرجال ومقاييسهم، فالمرء لا يقاس بغنائه أو بفقره، وقد يكون الرجل غنياً وهو لا يساوي في عين الله شيئاً، ولا عند الناس وقد يكون فقيراً وهو عند الله عظيم.

وقد مر رجل من الأغنياء برسول الله ﷺ وأصحابه فسألهم عنه فقالوا: حري به إن خطب أن ينكح، وإن قال أن يستمع، وإن شفع أن يشفع، ثم مر به رجل من فقراء المسلمين وهو جعيل بن سراقة، فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حري به إن خطب ألا ينكح، وإن قال ألا يستمع، وإن شفع ألا يشفع. فأخبرهم رسول الله ﷺ عن هذا الفقير أنه يساوي ملء الأرض من هذا الغني. فقد روى البخاري في صحيحه من حديث سهل بن حوشب قال: مرّ رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حري إن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال ألا يستمع، قال: ثم سكت. فمرّ رجل من فقراء المسلمين فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حري إن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال ألا يستمع، فقال رسول الله ﷺ: «هذا - يعني الفقير - خير من ملء الأرض مثل هذا - يعني الغني -»، فجعل رسول الله ﷺ هذا الفقير الصالح خيراً من ملء الأرض من أغنياء غير صالحين، علمًا بأن الغنى الحقيقي ليس عن كثرة العرض وإنما الغنى عن النفس، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى عن النفس». على أن الغنى والفقير أعراض تتبدل وتتغير؛ فالمال ظل زائل وعارية مستردة. والله در الشاعر حيث يقول:

لا تهين الفقر عليك أن ترکع يوماً والدهر قد رفعه

وقد نبه الله تبارك وتعالى إلى سوء فهم من يظن أن الغنى يرفع قيمة الرجل في الحقيقة، حيث يقول: ﴿أَيَحْسِبُونَ أَنَّمَا تُنَهَّرُ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ۚ﴾ شارع لهم في الخير كل لا يشعرون ﴿[المؤمنون: ٥٥ - ٥٦]﴾، ولذلك كان الميزان العدل يوم القيمة أن يرفع الصالحين ولو كانوا في الدنيا فقراء مستضعفين في أعين الناس، وأن يخفض غير الصالحين ولو كانوا كبراء أغنياء، وفي ذلك يقول عطبي: ﴿إِذَا وَقَتَ الْوَاقِعَةُ ۖ لَيْسَ لِوَقْنَهَا كَادِبٌ ۚ﴾ خافية رافعة ﴿[الواقعة: ٣ - ١]﴾. فرب كاسية في الدنيا عارية عند الله يوم القيمة، ويا رب عارية في الدنيا كاسية عند الله يوم القيمة.

وهذه الشيئه التي أثارها المستكبرون من قوم نوح قد أثارها المستكبرون من قريش حتى طلبوا من رسول الله ﷺ أن يبعد الفقراء عن مجلسه ليجتمعوا إليه، وأنهم لا يرضون أن يجالسوا هؤلاء الفقراء، فقال الله تعالى لرسوله وحبيبه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تُطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْمَشِيَّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ مَا عَلَيْكَ مِنْ حَسَابٍ هُمْ مِنْ شَرِّ وَمَا مِنْ جَسَابٍ عَلَيْهِمْ مِنْ شَرٍ فَتَرَدُّهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بَعْضٍ لِيُقُولُوا أَهْتُلَّهُ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنَنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمُ بِإِشَارَاتِنَا﴾ [الأنعام: ٥٢ - ٥٣]، فالمرء بأصغريه قلبه ولسانه، لا يقاس بماله ولا جماله ولا طوله ولا عرضه، وبهذا يتضح أن الشيئه الثانية التي أثارها قوم نوح هي شيئه داحضة عاطلة باطلة فاسدة كاسدة.

أما الشيئه الثالثة من هذه الشيئه فهي أن نوحًا والمؤمنين به لا مزية لهم في الخلق على غيرهم، وقد حكى الله تبارك وتعالى هذه الشيئه عنهم في قوله: ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَيْنَانِ مِنْ فَضْلِنَا﴾ [هود: ٢٧] علمًا بأن قولهم هذا يرد شبهتهم بدعواهم أنهم أفهم من الفقراء الذي وصفوهم بأنهم أراذل بادي الرأي؛ لأنهم لم يتميزوا في شيء من خلقتهم على الفقراء. فتركيب أجسام الجميع سواء. وهذه الشيئه بعينها أثارها الكفار ضد جميع المرسلين، وهي تنبئ عن عقلية فاسدة ونظرية مادية ملحدة، فهم يريدون أن يتحكموا في رحمة الله، وأن يحجزوا على فضل الله، وقد بدأ نوح ﷺ في رد هذه الشيئه وصدر بها الأجوية الشافية الكافية، حيث قال لهم فيما حكى الله تعالى عنه: ﴿فَالَّذِي يَقُولُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَتُو مِنْ رَبِّي وَإِنَّنِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعَيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْمُكُمُوهَا وَأَتَمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨]، فهو يجيبهم بأن النبوة رحمة من الله، وهدى من فضله، ولا يملك أحد من خلقه التحكم فيها فيمنحها من يشاء ويمنعها عنمن يشاء، وخزائن رحمة الله بيده هو لا شريك له، ولذلك رد الله تبارك وتعالى في سورة الإسراء على من أنكر أن يكون الرسول بشراً بدعوى أنه لا مزية لبشر على بشر فقال: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلَكُونَ خَرَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَمْسَكْمُ خَشِيَّةَ الْإِلْفَاقِ وَكَانَ إِلَانْسُنٌ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، وقال تعالى في سورة ص مثيراً لشبهتهم مبطلاً له حيث يقول: ﴿أَعْزِلَ عَلَيْهِ الْكَوْرُ مِنْ بَيْنَ

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَرَائِمُ رَحْمَةَ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَابِ ﴿٩﴾ [ص: ٨ - ٩]، وكان نوحًا ﷺ يرد شبهة قومه فيقول لهم: ماذا أفعل لقلوبكم إذا كانت متحجرة لا تؤمن بالله ولا تصدق المرسلين، ولا تبحث عن أسباب سعادتها، وليس خزائن الله بيدي أتصرف فيها كما أشاء، بل خزائن الله بيده هو جل وعلا، يمنحك من يشاء ويمنع من يشاء، فله وحده خزائن السموات والأرض، كما أن قلوب العباد بيد الله يصرفها كيف يشاء، ولا سلطان لي على قلوبكم ولا سيطرة لي عليها، ثم يبرز نوح ﷺ حجة قوية في الدلالة على رسالته وصدقه فيما يخبر به فيقول لهم: ﴿وَنَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: ٢٩] أي أنا لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً، مع أنني أدعوكم إلى أسباب سعادتكم في الدنيا والآخرة. إذ هو يدعوهم لأقوم المناهج وأحسن أساليب الحياة الطيبة؛ مما يجعل لهم عز الدنيا ورضوان الله في الآخرة لو ساروا على المنهج الذي جاء به نوح ﷺ. ولا شك أن من ينتصب للدعوة لإقامة هذا المنهج الراسد الذي يحفظ لهم أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وعقولهم دون أن يطلب منهم أجراً في مقابلة عمله هذا الذي يعود عليهم بكل خير ويحفظهم من كل شر مع تعرضه لتكذيب المكذبين وعناد المعاندين وافتراء المفترين وأذى السفهاء الجاحدين، لا بد وأن يكون صادقاً، ولا شك أن دعوة جميع الأنبياء والمرسلين تدور في فلك الكليات الخمس، وهي حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العرض، والنسب، وحفظ العقل، وحفظ المال. وهي الأساس المتبين للمجتمع المثالي السعيد، وقد دلت تجارب الإنسانية في تاريخها الطويل أنه ما استمسكت أمة بمنهج نبيها إلا عزت وسعدت، ولا انحرفت أمة عن منهج الأنبياء والمرسلين إلا ذلت وهانت، ولو أن جماعة من الجماعات أو أمة من الأمم أرادت أن تضع لنفسها منهجاً يحفظ عليها مصالحها لأنفقت أموالاً جزيلة على (اللجان والهيئات) التي تقوم بوضع المنهج الذي تطلبه والذي قد تقضي في إعداده الأشهر والسنين، ومع ذلك لا بد وأن يكون أبتر قاصراً قد يحتاج إلى تعديل وتبديل وتعديل التتعديل وتبديل التبدل مرات ومرات، كما هو الحال في

جميع الأنظمة الوضعية التي تتقاصر جملة وتفصيلاً عن منهج الأنبياء والمرسلين؛ لأن المناهج الإلهية يضعها العليم الخير؛ لذلك تتسم بالكمال والشمول لمصالح الدنيا والآخرة والغيب والشهادة مما لا مجال فيه أبداً للنظريات الوضعية والمناهج الأرضية التي لا بقاء لها ولا شمول.

والى نصل قادر انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله ربكم.



## الفصل الثالث عشر

### تابع: نوح ﷺ

استمر نوح صلوات الله وسلامه عليه في رد شبهات قومه، ونبه إلى أمر خطير، وهو أن الفقراء لا ينبغي أن يهانوا، ولا ينبغي أن يذلوها بسبب فقرهم؛ وأن من يتعرض للفقراء بالإهانة والإذلال يعرض نفسه لعقوبة الله العاجلة والأجلة؛ ولذلك يقول نوح ﷺ: «وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقَوْا رَبِّهِمْ وَلَكُفَّرُتُ أَرْذُكُوكُ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ٢٩» وَيَقُولُ مَنْ يَصْرِفُ مِنَ اللَّهِ إِنْ كَرِهَ إِنَّمَا أَنْهَاكُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عَنِّي خَرَابِنَ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزَرَّعُ أَعْيُنُكُمْ لَئِنْ يُؤْتِهِمُ اللَّهُ خَيْرًا أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الظَّالِمِينَ ٣١» [هود: ٢٩ - ٣١]، وهنا انقطعت حجة القوم وبيان باطلهم وبطلت شبههم، فلم يجدوا إلا المكابرة واستعجال العذاب، فقالوا: «يَنْتُخُ قدْ جَدَلْنَا فَأَكْتَرْتَ جَدَلَنَا فَإِنَّا بِمَا تَعْذِيزْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» [هود: ٣٢] فأجابهم نوح ﷺ بأنه ليس بيده تعجيل عقوبتهم أو تأجيلها، إنما تعجيل العقوبة أو تأجيلها بيده الله وحده، وفي ذلك يقول: «إِنَّمَا يَأْتِيْكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَشْتُ بِمُعَجِّزِنَ» [هود: ٣٣] أي إذا أراد الله إنزال العقوبة بكم لا تستطيعون الفرار منها، ولا تتمكنون من دفعها عنكم، «وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِحُ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَضْعَفَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [هود: ٣٤] فنعوا صيكم بيده، يحكم فيها بما يشاء لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، وأنا لا أملك لكم نفعاً ولا ضراً، وإنما على البلاغ، وفي هذا التنبية إشارة كريمة جميلة إلى وجوب إخلاص التوحيد لله عز وجل، لأن قلوب العباد بيده يهدي من يشاء فضلاً، ويضل من يشاء عدلاً، فمن علم في نفسه خيراً وفقه وسدده وأيده واستعمله في طاعته، ومن علم في نفسه شرًّا خذه، ووكله إلى نفسه، ومن كتب الله له الهدایة لا يشقى أحد، ومن كتب شقوته لا يهديه أحد.

ولذلك كانت زوجة نوح من الكافرين، بل جعلها الله قدوة سيئة لكل كافر إلى يوم القيمة، كما جعل امرأة فرعون مثلاً صالحةً وقدوة حسنة لكل مؤمن إلى يوم القيمة، وفي ذلك يقول الله تعالى: «فَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا أُمَّرَاتٍ ثُوْجَ وَأُمَّرَاتٍ لُّوطٌ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنَ مِنْ عِبَادِنَا صَلَحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقَيْلَ أَدْخَلَ الظَّارِ معَ الظَّالِمِينَ ١٠ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمَّرَاتٍ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّيْ أَبِّيْ لِيْ عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَحْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِيِّ وَنَحْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ١١ وَمَرِيمَ أَبْنَتْ عِزْرَانَ الَّتِيْ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَفَخَسَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ١٢» [التحريم: ١٠ - ١٢].

الأسلوب نفسه الذي سلكه كفار قوم نوح مع نوح عليه الصلاة والسلام قد سلكه الكفار مع النبي محمد ﷺ، وسلكته سائر الأمم الكافرة مع أنبيائها ورسلها، وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى ذلك في سورة ص حيث يقول: «كَذَبَ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْيَادِ ١٢ وَمُؤْمِنٌ وَقَوْمٌ لُّوطٌ وَاصْحَابُ لَيْكَةٍ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ١٣ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلُ فَحَقَّ عِقَابٌ ١٤ وَمَا يَنْتَرُ هُنُّ لَاءٌ إِلَّا صَيْحَةٌ وَجَهَدٌ مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ١٥ وَقَالُوا رَبَّنَا عَلِّيلٌ لَّا قِطَنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ١٦» [ص: ١٢ - ١٦] أي قالوا: ربنا عجل لنا نصيبنا من العقوبة قبل يوم القيمة استهزاءً برسول الله، وكفراً بالبعث بعد الموت، إذ يقولون لأنبيائهم: نحن لا نصبر على تأجيل العذاب إلى يوم القيمة، فإن كان عندكم عذاب لنا فعجلوا به. يحسبون أن نظام الكون يخضع لشهواتهم ومتنياتهم واقتراحاتهم ويعجلون أن كل شيء عند الله بمقدار؛ لأنه «عَلِمَ الْغَيْبَ وَالشَّهَدَةَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالَ» [الرعد: ٩]؛ ولذلك قال لهم نوح عليه السلام لما استعجلوا العذاب: «إِنَّا يَأْتِكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِنِي ١٧» [هود: ٣٣]؛ لأن الأمور كلها ترجع إليه وتترد جميع قضايا الكون له وحده لا شريك له؛ ولذلك ينبغي للعقل أن يضرع إلى الله أن يثبت قلبه بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يكثر من قول: «يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، برحمتك أستغاث فأصلح لي شأني كله ولا تتكلني إلى نفسي أو إلى أحد من خلقك طرفة عين، إنك إن وكلتني إلى غيرك وكلتني إلى عجز وضعف وفاقة».

وبعد بيان موقف نوح عليهما السلام هذا لفت الله تبارك وتعالى انتباه الناس إلى إثبات رسالة محمد عليهما السلام وصدقه فيما يخبر به، وهو النبي الأمي الذي أنزل الله عليه القرآن، فأخبر بما كان بين نوح وقومه ولم يكن شاهداً ولا دارساً حيث يقول عزوجل: «أَمْ يَقُولُونَ أَفْرَنَهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَنَهُ فَلَئِنْ إِحْرَاجِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَجْهِيرُونَ» [هود: ٣٥]. وبها يثبت فؤاد محمد عليهما السلام ويبرز العبرة من سياق قصة نوح عليهما السلام، وكما أشار إلى نحو ذلك في سياقه قصة موسى عليهما السلام حيث يقول: «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرَبِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّهِيدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَنَطَّاولَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِتَّ أَهْلَ مَدِينَ تَنَلُوا عَلَيْهِمْ إِيمَنَتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْأَطْوَرِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذْيِرٍ إِنْ قَبِيلَكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» [القصص: ٤٤ - ٤٦] وقد أخبر الله تبارك وتعالى نوحًا عليهما السلام أنه لن يؤمن من قومه بعد ذلك أحد حيث يقول: «وَأَوْحَى إِلَيْهِ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ فَدَ إِمَانَ فَلَا يَنْتَهِي إِمَانُهُ إِنَّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» [هود: ٣٦]. وهنا يتجلّى موقف من المواقف الكبار لأنبياء الله ورسله، وكثيراً ما يقفونها، وهو أن نوحًا عليهما السلام لما استیأس من قومه وعلم أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن بعد أن لبث ألف سنة إلا خمسين عاماً وقف خطيباً بينهم وقال: «يَقُولُونَ إِنَّ كَانَ كُبُرَ عَيْنِكُمْ مَقَابِي وَتَذَكِّرِي بِإِيمَانِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُنُّ فَاجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشَرِكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَّةً ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيْهِ وَلَا تُنْظَرُونَ» [يوسوس: ٧١]، يقول لهم: هاتوا جميع معبداتكم من دون الله وحرّبوا أحزابكم وأصنامكم ضدي، وكونوا يداً واحدة على حاربوني إن قدرتم وكيدوا لي ما استطعتم ولا تمهلونني وانظروا أيّاً يؤيده الله ويعزه ويعليه في الدنيا والآخرة.

وهذا مقام تتقاصر دونه مقامات كبار الرجال وصناديدهم من غير الأنبياء والمرسلين، وفي ذلك يقول الله عزوجل: «وَأَتَلَّ عَلَيْهِمْ بَأَنْ تُنْجِحَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَقُولُونَ إِنَّ كَانَ كُبُرَ عَيْنِكُمْ مَقَابِي وَتَذَكِّرِي بِإِيمَانِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُنُّ فَاجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشَرِكَاءَكُمْ ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيْهِ وَلَا تُنْظَرُونَ» [يوسوس: ٧١].

والى فصل قادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## الفصل الرابع عشر

### تابع: نوح ﷺ

أشرت في الفصل السابق إلى الموقف المعجز الذي وقفه نوح ﷺ من قومه عندما قال لهم: «يَقُولُ إِنْ كَانَ كَبُرُّ عَلَيْكُمْ مَقَامٌ وَتَذَكَّرِي بِتَائِتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَاجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشَرِكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةٌ ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونَ» [يونس: ٧١] وقد وقف مثل هذا المقام النبيون بعد نوح ﷺ كما ذكر الله تبارك وتعالى عن هود أنه قال لقومه وقد تحربوا عليه وتجمعوا وأصرروا على الكفر والعناد: يا قوم إِنَّ أَشْهِدُ اللَّهَ وَآشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشَرِّكُونَ ٥٦ فَيَكْدُونَ حَيْثَا ثُمَّ لَا يُنْظِرُونَ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَائِبٍ إِلَّا هُوَ أَلِخَذُ يَنَاصِيْهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [هود: ٥٤ - ٥٦]، وسألته إن شاء الله تعالى على مثل هذه المقامات في مواقعها من قصص الأنبياء.

وقد بين الله تبارك وتعالى في سورة نوح طرق دعوته التي ينبغي لكل داع إلى الله يُجَاهِكَ أن يتأسى به فيها، وأن يحرص على سلوكها، ولو أن الدعاة من المسلمين سلكوا الطرق التي سلكها نوح ﷺ في الدعوة إلى الله لامتلأت الأرض بالإسلام، ولم يبق في الأرض إلا دين الله الذي بعث به حبيبه محمداً ﷺ، فقد ذكر الله تبارك وتعالى عن نوح ﷺ أنه كان يدعو قومه ليلاً ونهاراً، وسراً وجهراً حيث يقول يُجَاهِكَ: «فَأَلَّا رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ فَرِيْمِي لَيَلَّا وَنَهَارًا ٥ فَلَمْ يَزَدْهُنْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِي إِذَاذِنِيْمُ وَأَسْتَغْشَوْ شَاهِمُمْ وَأَصْرُوْمْ وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَارًا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَمُ لَهُمْ وَأَشَرَّتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ٩ فَقَلَّتْ أَسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَافِرًا ١٠ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَازًا ١١ وَيُنَدِّكُمْ بِأَهْوَالِ وَبَيْنَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَهْنَارًا ١٢ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ إِلَيْهِ وَقَارًا ١٣ وَقَدْ خَلَقْتُكُمْ أَطْوَارًا» [نوح: ٥ - ١٤]، فنوح ﷺ كان يقضى سحابة نهاره

وسحابة ليه في الدعوة إلى الله عَزَّلَه وفي قوله: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لَتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ بيان جلي لأهداف دعوة الأنبياء والمرسلين، فهي دعوة العباد لمغفرة الله عَزَّلَه ولرضوان الله عليهم، وفي هذا النص الكريم بيان لأساليب الدعوة من أبي كُبر الأنبياء وأول أولي العزم من المرسلين نوح عليه السلام، وقد شرح نوح عليه السلام في هذا المقام آثار الاستغفار، وبين أن الاستغفار يجلب للمستغفرين خير الدنيا والآخرة، فهو من أعظم أسباب نزول الأمطار الصالحة للعباد والبلاد، وهو من أعظم أسباب رغد العيش ووفرة الأموال والأولاد، وزينة الحياة الدنيا وتيسير وجود المزارع والجනات وجريان الأنهر والمتع الحسن ومنح العباد صحة ونشاطاً.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى أن هوداً ومحمدًا عليهما السلام نبهوا إلى هذه الآثار للاستغفار في قوله تعالى في دعوة محمد عليه السلام: ﴿الَّرَّبُّ كَتَبَ لَحْمَكُمْ إِذَا نَسِيْتُمْ فَقُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ ﴿وَإِنَّ أَسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ يَمْتَغِلُونَ مَنْعَلًا حَسَنًا إِلَّا أَجَلٌ شَرِّقَ وَيُؤْتَ كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَصَلَهُ وَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّ أَخَافُ عَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ١ - ٣]. وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿وَيَقُولُونَ أَسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدَارِأً وَيَرِدُكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَنْلُوْا بُجُورِمِينَ﴾ [هود: ٥٢] وفي قوله تعالى في هذا المقام من سورة نوح: ﴿هُنَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ﴿وَقَدْ خَلَقْتُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤ - ١٣]، أي ما لكم لا تخافون عظمة الله ولا تأملون ما عند الله، ﴿وَقَدْ خَلَقْتُمْ أَطْوَارًا﴾ أي خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاثة، إذ كنتم أولاً نطفة، ثم صرتم علقة، ثم مضغة، ثم خلق المضغة عظاماً، ثم كسا العظام لحماً، ثم أنشأكم خلقاً آخر ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَكْبَرُ الْمُلْقِيْنَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وقد فسر بعض الجاحلين الغاوين في عصرنا الأطوار التي ذكرها نوح عليه السلام في قوله وقد خلقتم أطواراً بأنها دليل على صحة نظرية داروين في التطور والارتقاء، وأن الإنسان كان في أول وجوده حيواناً بحرياً كالسمك، ثم حيواناً برياً كالقرود والحمير، ثم تطور وارتقي حتى صار على هذا الحال المشاهد، وفي ذلك يقول بعض هؤلاء الغواة الضالين: لقد فضح الجنين القصة، يعني قصة

التطور والارتقاء وأطوار خلق الإنسان، فإن الجنين عندما يبدأ تكوينه في بطن أمه يكون كالسمكة تماماً له زعناف وخياشيم، ثم يغطى جسمه بالشعر كالقرود تماماً، ثم ينحسر الشعر عن مواضع من جسمه كالإنسان تماماً، لقد فضح الجنين القصة كما فضح مبضع الجراح القصة، فإن مبضع الجراح وهو يعمل خلف الأذن البشرية اكتشف عضلات ميتة هي التي كانت تحرك آذان أجدادنا الحمير.

وهذا الذي قاله هؤلاء الدهريون محض اختلاق في جملته وتفصيله، وقد ذكرت في قصة خلق آدم أسباب فساد مقالة هؤلاء.

والى فصل قادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله ربكم.



## الفصل الخامس عشر

# تابع: نوح

أشرت في الفصل السابق إلى أن بعض الغواة من المعاصرين فسر قوله تعالى: «وَقَدْ خَلَقُوكُمْ أَطْوَارًا» [نوح: ١٤] بأنها تدل على صحة نظرية (داروين) في التطور والارتقاء. وبينت فساد مذهب هؤلاء، وسقط الدليل القطعي على تفسير هذه الأطوار في كتاب الله عَزَّلَ، وأشارت إلى ما ذكرته كذلك عنها في قصة خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَام من قصة آدم. وأشارت هناك إلى أن جميع المؤمنين بالله ورسله يكفرون بنظرية (داروين) هذه، وإنما يروج لها اليهود والماسونيون لزعزعة العقائد وإبطال الشرائع كما جاء النص على ذلك في (بروتوكولات حكماء صهيون).

هذا وقد بيَّنَ الله تبارك وتعالى أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ولم يرد خبر صحيح عن سنّه يوم بعثه الله عَزَّلَ إلى قومه، وقال بعض الناس إنه بعث وهو ابن خمسين سنة، وبعض الناس يقول: إنه بعث وهو ابن ثلاثة وخمسين سنة، والله وحده يعلم كم كانت سنّه وقت بعثته ما دام لم يرد عن الله أو عن رسوله عَلَيْهِ السَّلَام شيء في ذلك. كما لم يبيَّنَ الله عَزَّلَ أو رسوله محمد عَلَيْهِ السَّلَام المدة التي عاشها نوح عَلَيْهِ السَّلَام بعد الطوفان، ولم يرد في حديث صحيح شيء من ذلك، لكن يبيَّنَ الله تبارك وتعالى أن نوحًا لما استيأس من قومه بعد أن أعلمَه الله عَزَّلَ أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، وأمرَه الله عَزَّلَ أن يصنع الفُلك وبيَّنَ له أن الكافرين من قومه مغرون، وأنه لا يبئس بما كانوا يفعلون، وأشارَ الله عَزَّلَ إلى سخرية قومه منه وهو يصنع السفينة، وأنه لما حُمِّ القضاء فَجَرَ الله الأرض عيوناً وفتح أبواب السماء بماء منهمر، فركب نوح والمؤمنون وحمل معه في السفينة من كل زوجين اثنين، وفي ذلك يقول الله عَزَّلَ في سورة «الصفات»: «وَلَقَدْ نَادَنَا نُوحٌ فَنَعْمَ الْمُحِيمُونَ ﴿٧٥﴾ وَجَنَّتْهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ

وَجَعَلْنَا دُرِيَّتُهُ هُمُ الْبَاقِينَ ٧٩ وَرَكَّبَا عَلَيْهِ فِي الْأَخْرِينَ ٨٠ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ٨١ إِنَّا كَذَلِكَ بَحْرِي الْمُحْسِنِينَ ٨٢ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ٨٣ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرِينَ ٨٤ [الصفات: ٧٥ - ٧٦]، وقال في سورة «القمر»: «كَذَبَ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ فَكَذَبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا بَعْنُونٌ وَأَرْدُجَرٌ ٩ فَدَعَا رَبَّهُ أَفَيْ مَغْلُوبٌ فَانْتَصَرَ ١٠ فَفَنَّحَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ يَمْهُو مُهْمَرٌ ١١ وَفَجَرَنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْقَمَّ الْمَاءِ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فَرَرَ ١٢ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَرَجِ وَدَسَرٍ ١٣ بَحْرِي يَأْعِينَا جَزَاءً لَمَنْ كَانَ كُفَّارًا ١٤ وَلَقَدْ تَرَكَهَا عَائِدَةٌ فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ ١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذَرِ ١٦ وَلَقَدْ يَسَرَّنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ ١٧» [القمر: ٩ - ١٧]، وقال تعالى في سورة «الحاقة»: «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاهُ فِي الْمَارِيَةِ ١٨ لِتَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذَكِّرَةً وَتَعِيَّهَا أَذْنُ وَعِيَّةً ١٩» [الحاقة: ١١ - ١٢]، وقال في سورة الأنبياء: «وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَجَيَّنَهُ وَأَهْلَهُ مِنْ الْكَرِبِ الْعَظِيمِ ٢٠ وَاصْرَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِثَائِتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوْءً فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ٢١» [الأنبياء: ٧٦ - ٧٧]، وقال تعالى في سورة المؤمنون: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقُولُ أَعْبُدُو اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ أَفَلَا يَقُولُونَ ٢٢ فَقَالَ الْمَلَئُوكُ الَّذِي كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مُتَكَبِّرٌ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَرْزَلَ مَلَيْكَةً مَا سَمِعْنَا يَهْدَا فِي إِبَابِنَا الْأَوَّلِينَ ٢٣ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يَهُدِّي إِلَيْهِ حَيْنَ حَيْنٍ ٢٤ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ٢٥ فَأَوْجَحَنَا إِلَيْكُمْ أَصْنَعَ الْفُلُكَ يَأْعِينَا وَوَحْيَنَا فَإِذَا جَاءَهُ أَمْرُنَا وَكَارَ الشَّوْرُ فَاسْلَكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْجَيْنِ أَثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ يَنْهُمْ وَلَا تُخْطِبَنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرِفُونَ ٢٦ فَإِذَا أَسْتَوَتَ أَنَّتْ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلُكِ فَقُلْ لِلْهُنْدِ لِلَّهِ الَّذِي جَنَّنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٢٧ وَقُلْ رَبِّ أَنْزَلَنِي مُزَلَّا مُبَارِكًا وَأَنَّتْ حَيْرَ الْمُزَلِّينَ ٢٨ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنِ وَإِنْ كُلَّا لَمَبَتِيَّنِ ٢٩» [المؤمنون: ٢٣ - ٣٠]، وقال في سورة هود: «وَأَرْجِعْ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ مَاءَنَ فَلَا يَتَبَيَّسُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٣٠ وَأَصْنَعَ الْفُلُكَ يَأْعِينَا وَوَحْيَنَا وَلَا تُخْطِبَنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرِفُونَ ٣١ وَيَصْنَعُ الْفُلُكَ وَكُلَّمَا مَرَ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخْرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ سَخْرُوا مِنَنَا سَخَّرْ مِنْكُمْ كَمَا سَخَّرُونَ ٣٢ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْلِ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ٣٣ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ الشَّنُورُ قُلْنَا أَحْبَلَ فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْجَيْنِ أَثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ مَاءَنَ وَمَا أَمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٤ وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا سَرِيرَ اللَّهِ بَعْرِبَهَا وَمُرْسَهَا إِنَّ رَبِّ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٥» [هود: ٣٦ - ٤١].

والمشهور عند الأمم أن الذين ركبو في السفينة مع نوح من المؤمنين هم ولده سام وحام ويافث وزوجاتهم وزوجة يام الذي كان مع الكافرين، وقد حمل نوح في السفينة ما شاء الله أن يحمل من الأزواج، وبعض الناس يغالى فيقول: حمل كذا وحمل كذا، ويعين ويحدد أسماء لم تثبت عن الله ولا عن رسوله ﷺ، ومن الغرائب العجائب أن بعضهم يقول: لما أركب نوح الأسد في السفينة وأركب الفأر خاف الناس وقالوا: يا نوح إن الفأر يفسد علينا طعامنا، فأوحى الله إلى الأسد أن اعطس فعطاً السد، فخرجت من منخاره هرة فخاف الفأر واختباً، وقال الناس: يا نوح إنا نخاف من الحيوانات المتوجهة فألقى الله عليها الحمى... إلخ.

فهذه حكايات وخرافات لا يثبت مثلها عن الله ولا عن رسوله ﷺ، وينبغي لل المسلمين أن يتعرفوا عن إيراد مثل هذه الخرافات، ولا ينبغي للإنسان أن يتكلم عن الله أو عن رسوله إلا بعلم وبينة، ولا تكون كأهل الكتاب الذين ﴿يَلُونَ أَسْتَهْمَ بِالْكِتَبِ لِتَحْسُبُوهُ مِنَ الْكِتَبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٨]. وقد أعدَ نوح سفينته من الخشب والمسامير، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَحَمَلْتَهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْوَرَجِ وَدُسْرِ﴾ [القمر: ١٣] أي على سفينة مكونة من الخشب والمسامير، فالدلسر جمع دسار وهو المسamar، وقد علمهم الله عز وجل أنهم عندما يركبون السفينة يبدؤون بحمد الله وشكره حيث يقول الله عز وجل: ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنَّ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَقِ فَقُلِّ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَعَثَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، وقال نوح لهم: ﴿وَقَالَ أَرْكِبُوا فِيهَا إِسْرَارِ اللَّهِ بَعْرِبِهَا وَمُرْسَهَا إِنَّ رَبِّ الْفَلَقِ رَحِيمٌ﴾ [٤١] وَهُنَّ بَعْرِي بِهِمْ فِي مَوْجِ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحُ أَبْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْقَى أَرْكَبَ مَعْنَى وَلَا تَكُونُ مَعَ الْكُفَّارِ [٤٢] قَالَ سَائِرًا إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغَرَّقِينَ﴾ [هود: ٤١ - ٤٣].

وهذا تنبيه إلى أن قلوب العباد بيد الله لا يملكها نبي مرسل ولا ملك مقرب، ولا يُصرُّفُها حيث يشاء إلا الله وحده؛ ولذلك كان من ذرية الأنبياء

المؤمن والكافر؛ ولذلك يقول الله عَزَّلَكَ في إبراهيم وإسحاق: «وَمِنْ ذُرَيْتِهِمَا تَحْسِنُ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِيتٌ» [الصافات: ١١٣]، وقال في نوح وإبراهيم: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرَيْتِهِمَا الْثُبُوتَ وَالْكِتَابَ فَهُمْ مُهَتَّدٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسَقُونَ» [الحديد: ٢٦]، وقال عَزَّلَكَ: «وَإِذَا أَبْتَلَنَا إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ يُكَلِّمُهُ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرَيْتِي قَالَ لَا يَتَأْلُمْ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» [البقرة: ١٢٤].

وقد استقرت سفينته نوح على الجودي بعد أن قيل: «يَتَأْرُضُ الْبَعْدِي مَاءَكَ وَيَنْسَمَأَهُ أَقْلَاعِي وَغَيْضَ الْمَاءِ» [هود: ٤٤]. والجودي عند أكثر أهل العلم جبل، وأنه في الجزيرة بالعراق، وبعضهم يقول: هو في جبال أرارات التي تقع فيما يسمى الآن بالاتحاد السوفيتي. «وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّي إِنَّ أَهْلِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنَّ أَخْكُمُ الْمُكْرِمِينَ» [٤٥] قَالَ يَسْتَرُّجُ إِنَّهُ لِيَسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلَ غَيْرَ صَلِحٍ فَلَا تَشَانِنْ مَا لِيَسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ» [٤٦] قَالَ رَبِّي إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشَكَّ مَا لِيَسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنُّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [هود: ٤٥ - ٤٧] وهذا المقام من نوح عَزَّلَكَ صدر عن ظن منه أن قوله: «أَحْمَلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْتَيْنِ وَاهْلَكَ» [هود: ٤٠] أن ولده من أهله، وبين الله أنه ليس من أهله؛ لأنه غير صالح؛ ولذلك قال رسول الله عَزَّلَكَ فيما رواه مسلم من حديث عمرو بن العاص: «إِنَّ أَلَّا أَبِي يَعْنِي فَلَانَا لِي بِأَوْلِيَاءِ إِنَّمَا وَلِيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»، وقد فسر بعض الناس قوله: «لِيَسَ مِنْ أَهْلِكَ» [هود: ٤٦] على أنه ولد زنا، وهذا خطأ، فإنه لم تزن زوجة النبي قط مع أنها قد تکفر بالله كزوجة نوح وزوجة لوط؛ ولذلك جاء في القراءة الأخرى إنه عَمِلَ غَيْرَ صالح، وهي تفسير قوله في القراءة الأولى: «إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَلِحٍ» [هود: ٤٦]. وكم من ولد يعقت أباه! وكم من رجل صالح يخرج من صلبه ولد فاسد! وما أجدو قول حسان بن ثابت شاعر رسول الله عَزَّلَكَ ويعزِّيهِ:

أبوك أب حر وأمك حرة      وقد يلد الحران غير نجيب  
 فلا يعجبن الناسُ منك ومنهما      فما خبث من فضة بعجيب  
 ولما نبه الله عَزَّلَكَ نوحًا إلى حال ولده الكافر اعتذر نوح إلى الله عَزَّلَكَ: «قَالَ

رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَقْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ  
الْخَسِيرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَئُوْجُ اهْبِطْ إِسْلَمْ مِنَا وَبَرَكَتِ عَيْنَكَ وَعَلَى أُمُّرِّ مِنْ مَعَكَ وَأَمْمٍ  
سَعَيْدُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَ عَذَابِ الْيَمْنِ ﴿٤٨﴾ [هود: ٤٧ - ٤٨]، سلام على نوح في  
المرسلين .

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل السادس عشر

### قصة هود عليه السلام

نتحدث إليكم عن هود عليه السلام، وهو أول رسول عربي ذكر الله قصته في القرآن الكريم، ولم نقف على عمود نسبه في خبر صحيح. فقد اختلف المؤرخون في عمود نسبه، فبعضهم يقول: هو هود بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وبعضهم يقول: إن هوداً هو عابر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وبعضهم يقول: هو هود بن عبد الله بن رباح بن الجارود أو جاور بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وكل هذه الأقوال لا يمكن الاعتماد عليها؛ لأنه لم يقم على إثباتها دليل صحيح، مع أن هوداً عليه السلام جاء بعد أن صاروا أمة عظيمة، فكيف يكون بينه وبين سام بن نوح أبوان على الرواية الأولى والثانية، أو كيف يكون عاد هو جده الثاني على الرواية الثالثة.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى أن هوداً عليه السلام أرسل إلى عاد، وأنهم كانوا يسكنون الأحقاف الواقعة باليمن بين عمان وحضرموت المطلة على البحر بناحية الشّحر وتصل إلى الدهناء وعالج، وكانت ديارهم أخصب البلاد وأكثرها جناناً، والأحقاف جمع حقف: وهو المعوج من الرمل أو الرمل العظيم المستدير، أو المستطيل المشرف، وقد سميت سورة من سور القرآن الكريم باسم الأحقاف، وكانت قبيلة عاد التي أرسل إليها هود عليه السلام من أشد الأمم قوة ومن أعظمهم بطشاً وأوفرهم أجساماً، لم يخلق مثلها في البلاد، ويقال لهم: عاد إرم، وعاد الأولى أي المتقدمة في التاريخ احترازاً من عاد الثانية، وهي ثمود قوم صالح عليه السلام، وقبيلة عاد من العرب العاربة، وقد ذكر كثير من المفسرين أنهم أول الأمم بعد قوم نوح عليه السلام؛ مستدلين بأن الله تبارك وتعالى ذكر في غير موضع من كتابه الكريم قوم هود عليه السلام بعد ذكر قوم نوح عليه السلام، كما في سورة الأعراف وهو دليل وشلاء

واقربت الساعة، على أن ذكر الله تبارك وتعالى لهود بعد نوح في هذه السورة الكريمة لا يدل على أن هوداً جاء بعد نوح مباشرة، وأن قوم هود هم أول من أشرك بالله بعد الطوفان؛ لأن الله تبارك وتعالى قال عن هود في سورة الأحقاف: ﴿وَذَكَرَ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْدَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ [الأحقاف: ٢١]، وقال في سورة فصلت: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَعْقَةً مِثْلَ صَعْقَةِ عَادٍ وَثُمُودٍ﴾ [فصلت: ١٣]، إذ جاءهم الرسول من بين يديهم ومن خلفهم لا تبعدوا إلا لله [١٤ - ١٣]، فهو صريح بأن هوداً تقدمه متذرون مرسلون من الله يذكر لم يذكر الله يجيئ قصصهم على حد قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصَنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]. غير أن سياق القرآن العظيم لقصة هود بعد نوح وتذكير هود قومه بقصة نوح في قوله تعالى: ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْتُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩]، يشعر بقرب زمان قوم هود من قوم نوح، وأن عاداً كانوا على علم تام بقصة الطوفان.

وقد اشتملت قصة هود ﷺ في القرآن العظيم والسنة النبوية على نقاط منها: أن أهم مهام دعوة المرسلين هي تخلص قومهم من الشرك بالله، وفي ذلك يقول الله يجيئ في سورة الأعراف: ﴿وَإِلَيْهِ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقُولُونَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ أَفَلَا تَرَوْنَ﴾ [الأعراف: ٦٥]. وقال في سورة هود: ﴿وَإِلَيْهِ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقُولُونَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠]. وقال في سورة الأحقاف: ﴿وَذَكَرَ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْدَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ لَا تَبْدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢١]. ومن نقاط قصة هود ﷺ لفت انتباه قومه إلى أنه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً، وهو شأن جميع المرسلين، وفي ذلك يقول الله يجيئ في سورة هود عن هود ﷺ: ﴿يَقُولُونَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ فَطَرَقَ أَفَلَا تَقْلُوْنَ﴾ [هود: ٥١]. وقال عنه في سورة الشعراء: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٠]، ولا شك أنهم لو كانت لهم عقول لسارعوا إلى تصديقه ما دام أنه قد تصدى لهذا الأمر

العظيم دون أن يطلب من أحد من خلق الله أجرًا على ذلك مع ثقل المهمة التي يؤديها.

ومن نقاط هذه القصة أن رسل الله كانوا يدعون قومهم ويدلونهم على ما يسعدهم في الدنيا والآخرة، وأن الرجوع إلى الله والابتعاد عن المعاشي، والوقوف عند حدود الله، هي أعظم أسباب سعادة العاجلة والأجلة، وفي ذلك يقول الله تعالى في قصة هود في سورة هود: ﴿وَيَقُولُ أَسْتَغْفِرُ رَبِّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَرِدُكُمْ قُوَّةً إِلَى فُوتُكُمْ وَلَا تَنْوِلُوا مُحْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢]، وهذا كقوله تعالى في قصة نوح ﷺ: ﴿فَقُلْتُ أَسْتَغْفِرُ رَبِّكُمْ إِنَّمَا كَانَ غَنَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٠﴾ وَيَمْدُدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبَئُ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَهْلَرًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢]. وكذلك عن محمد ﷺ في مطلع سورة هود: ﴿وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْتَعَكُمْ مَنْعَلًا حَسَنًا إِلَّا أَجَلٌ مُسَمٌّ وَيُؤْتَ كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلًا وَإِنْ تَنْوِلُوا فَإِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابًا يَوْمَ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣].

ومن نقاط هذه القصة بيان أن الكافرين عندما يعجزون عن مجاهدة الحجاج التي يأتي بها الرسول وتبدو عليهم الحيرة فلا يجدون شيئاً يردون به سوى أنهم يخافون على هذا الرسول من آلهتهم أن تصيبه بسوء. وهنا يظهر التحدي الكبير بين الرسول وهو وحده أمامهم بأنه لا يخاف آلهتهم؛ لأنها تعجز أن تمسه بسوء، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْهُودُ مَا جِئْنَا بِيَسْرَةٍ وَمَا نَحْنُ يَتَارِكُهُ إِلَهَهُنَا عَنْ قَوْلَكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ تَقُولُ إِلَّا أَعْتَرِكَ بَعْضَ إِلَهَهِنَا يُسْوِيُكَ﴾ [هود: ٥٣ - ٥٤] فيكون التحدي الكبير حيث يقول: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهُدُ اللَّهَ وَآشْهَدُو أَنِّي بِرِّيٌّ وَمَا نَشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَيِّعاً ثُمَّ لَا نُنْظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَائِبٍ إِلَّا هُوَ مَاجِدٌ بِنَاصِيَّهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَنْوِلُ فَقَدْ أَلْغَثْتُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخِلُّ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّنِيهِ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: ٥٤ - ٥٧]. وموقف هود ﷺ هذا شبيه بموقف نوح ﷺ، حيث قال لقومه: ﴿يَقُولُ إِنْ كَانَ كَبُرُّ عَلَيْكُمْ مَقَامٌ وَتَدْكِيَ إِنَّا يَأْتَتِ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُتُ فَاجْمُعوا أَمْرَكُمْ وَشَرِكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيْهِ وَلَا نُنْظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]، وهو شبيه أيضاً

بموقف إبراهيم عليه السلام حيث قال لقومه لما خوفوه من أصنامهم أن تصيبه بسوء قال: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ يَهُدِّي إِلَّا أَن يَشَاءُ رَبِّ شَيْئًا وَسَعَ رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾٨٠﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشَرَّكُتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشَرَّكُتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ عَيْنَكُمْ سُلْطَنَنَا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْآمِنَّ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾٨١﴿ أَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلِسُوْا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٠ - ٨٢].

والى الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل السابع عشر

### تابع: قصة هود عليه السلام

تحدثت في الفصل السابق عن نسب هود عليه السلام وعن الأمة التي بعث إليها، وعن أرضهم، وقوة بطشهم، وبعض المهامات التي برزت في دعوته عليه الصلاة والسلام، وتحدث في هذا الفصل عما جلاه الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم في قصة هود عليه السلام وتحذير قومه عليه وتحذير لهם من عقوبة الله، وكيف كان عذاب الله يحيط لهم؟ وقد أورد الله تبارك وتعالى قصة هود في كتابه الكريم في مواضع شتى من القرآن العظيم على سبيل الإطناب حيناً، والمساواة حيناً، والإيجاز حيناً آخر، بما يناسب كل مقام من مقامات إيراد قصة هذا النبي العظيم.

ففي سورة الأعراف يقول الله تعالى: «وَإِلَيْهِ عَادٍ لَّا هُمْ هُودٌ قَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا يَنْقُونَ» (٦٥) فَالْمُلَائِكَةُ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَا فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظَرَنَا مِنَ الْكَذَّابِينَ» (٦٦) فَالْمُؤْمِنُ لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ وَلَا كَيْفَيَّتُ رَسُولُنَا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (٦٧) أَلَيْلُفُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَإِنَّا لَكُمْ نَاصِحُ أَمِينٌ» (٦٨) أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرُ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِتُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْتُمْ حُلْفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ ثُوِجَ وَزَادُكُمْ فِي الْحَلْقِ بَصَطَّةً فَأَذْكُرُوا إِلَاهَ اللَّهِ لَمْ لَكُمْ شَلُّحُونَ» (٦٩) قَالُوا أَحَيْتَنَا لِتَعْبُدَ اللَّهَ وَخَدَّمَ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ إِمَامَهُنَا فَإِنَّا يَسِّدُنَا إِنْ كُنَّا مِنَ الصَّادِقِينَ» (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَيْنَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصْبٌ أَتُحِدُلُونِي فَتَأْسِمُو سَمِّيَّشُوهَا أَنْتُمْ وَإِمَامُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ فَأَنْظِرُوهُ إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ» (٧١) فَأَبْخَيْتَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَتِهِ وَقَطَعْنَا دَارِيَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَيْنِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ» [الأعراف: ٦٥ - ٧٢].

وفي سورة هود يقول تعالى: «وَإِلَيْهِ عَادٍ لَّا هُمْ هُودٌ قَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ» (٨٠) يَقُولُمْ لَا أَشْكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ

أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرْتَ أَفَلَا تَقْعِلُونَ ﴿٥١﴾ وَنَقُومُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ نُؤْبُو إِلَيْهِ  
يُرْسِلُ أَسْمَاءً عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَرَزْدَكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا نَثُولُّ بَحْرِيْمَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا  
يَهُودُ مَا جَعْنَا بِيَسْتَهْنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِسَارِكِ إِلَهَنَا عَنْ قَوْلَكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾  
إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَيْكَ بَعْضَ إِلَهَنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أَشْهِدُ اللَّهَ وَآشَهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشَكِّونَ  
مِنْ دُونِيَّةٍ فَكِيدُونِي حَيْيَا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٥٤﴾ إِنِّي تَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ رَبِّيَ وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ  
إِلَّا هُوَ أَخْذُدُ بِنَاصِيَّهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صَرْطِ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ إِنَّ تَوَلَّوْنَا فَقَدْ أَلْقَتُمُّ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ  
إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلُفُ رَبِّي قَوْمًا عَيْرَكُمْ وَلَا يَضْرُونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا جَاءَ  
أَمْرُنَا بِجَنِينَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ مَنَّا وَمَيْتَنَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِظٍ ﴿٥٧﴾ وَنَذْكَرَ عَادَ  
جَحَدُوا بِيَقِيْنِتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَّهُ وَاتَّبَعُوا أَثْرَ كُلِّ جَيْرٍ عَنِيدٍ ﴿٥٨﴾ وَأَتَيْعُوا فِي هَذِهِ الْأَذْنِيَا  
لِقَنَّةَ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ إِلَّا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبِّهِمْ إِلَّا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمٌ هُودٌ ﴿٥٩﴾ [هود: ٥٠ - ٦٠].

وفي سورة الشعرا يقول الحق جل وعلا: «كَذَّبَ عَادُ الرُّسُلَّمَ إِذَا قَالَ  
لَهُمْ أَخْوَهُمْ هُودٌ إِلَّا نَقْوُنَ ﴿٦٠﴾ إِنِّي لَكُوْنُ رَسُولُ أَمِينٍ ﴿٦١﴾ فَانْقُوا إِلَهُهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٢﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ  
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٣﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ عَابِهَ تَعْبُونَ  
وَتَسْتَخْدِنُونَ مَصَالِعَ لَعْلَكُمْ تَحْمِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ ﴿٦٥﴾ فَانْقُوا إِلَهُهُ وَأَطِيعُونِ  
وَانْقُوا إِلَيَّ أَمْدَكُ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَمْدَكُ بِأَغْنَمِ وَبَيْنَ ﴿٦٧﴾ وَجَنَّتِ وَعِيُونِ ﴿٦٨﴾ إِنِّي  
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٦٩﴾ فَالْأُولُو سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْ عَنَّا أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ  
إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٠﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٧١﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكُوهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيْجَةٌ وَمَا  
كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَلَمَّا رَأَيْكُمْ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٣﴾ [الشعرا: ١٢٣ - ١٤٠].

وقال عَلَيْكَ في سورة فصلت متهدداً قريشاً بمثل عقوبة عاد وثمود: «فَإِنْ  
أَعْرَصُوا فَقُلْ أَنْذِرْنِكُمْ صَعِيقَةً مِثْلَ صَعِيقَةِ عَادٍ وَثَمُودٍ ﴿١﴾ إِذَا جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ  
وَمَنْ حَلَفُهُمْ إِلَّا أَلَا اللَّهُ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلِكِكَةً فَإِنَّا يَمْأُلُونَا بِهِ كُفُرُونَ  
﴿٢﴾ فَامَّا عَادٌ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحِقْقَةِ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُ مِنَّا قُوَّةً أُولَئِكُمْ يَرْوَى أَنَّ اللَّهَ  
الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِيَقِيْنِتِهِمْ يَجْحَدُونَ ﴿٣﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ بِهِ صَرَصَرًا فِي  
أَيَّامِ نَحْسَاتٍ لِتُذَيْهُمْ عَذَابَ الْحَزَنِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْرَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾  
[فصلت: ١٣ - ١٦].

وقال عَبْلَكَ في سورة الأحقاف: «وَذَكَرَ أَنَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمًا بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ الْنُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّ أَخْافُ عَلَيْكُمْ عَذَابًا يَوْمَ عَظِيمٍ ٢١» قالوا أَجِئْنَا لِتَأْكِلَنَا عَنْ إِيمَانِنَا فَأَلْيَا إِيمَانًا تَعْذِيْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّدِيقِينَ ٢٢» قال إِنَّا عَلِمْ عَنَّ اللَّهِ وَأَلْيَاعُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ إِلَيْهِ وَلَكُمْ أَرْيَكُمْ قَوْمًا بِجَهَنَّمِ ٢٣» [الأحقاف: ٢١ - ٢٣]، ثم يصف العذاب الذي حل بهم فيقول: «فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْيَثِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُتَطْرَنٌ بَلْ هُوَ مَا أَسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٤» تُدَمِّرُ كُلُّ شَعْمٍ يَأْمُرُ رَبِّهَا فَاصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسْكُونُهُمْ كَذَلِكَ نَجَزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ٢٥» وَلَقَدْ مَكَنُوكُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمَّا وَأَبْصَرًا وَأَغْنَدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَعْهُمْ وَلَا أَبْصَرُوهُمْ وَلَا أَغْدِيْهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْهَدُونَ بِشَيْئِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ٢٦» [الأحقاف: ٢٤ - ٢٦].

وقال تعالى في سورة الذاريات: «وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْرِّيحَ الْعَقِيمَ ٤١» مَا نَذَرْ من شَيْءٍ أَنْتَ عَيْنِهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَارِبَيْرَ ٤٢» [الذاريات: ٤١ - ٤٢]. وقال في النجم: «وَإِنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا أَلْأَوَنَ ٤٣» [النجم: ٥٠]، وقال في اقتراب الساعة: «كَذَبَ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذَرِي ٤٤» إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرَصَرًا فِي يَوْمٍ مُحْسِنٍ مُسْتَمِرٍ ٤٥» تَرْبِعُ النَّاسَ كَمِّهِمْ أَعْجَابٌ تَخْلِي مُنْقَعِرٍ ٤٦» فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذَرِي ٤٧» وَلَقَدْ يَسَّرَنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَكَّرٍ ٤٨» [القمر: ١٨ - ٢٢]، وقال في سورة الحاقة: «فَلَمَّا عَادُ فَأَهْلَكُوكُمْ بِرِيحٍ صَرَصَرٍ عَاتِيَةٍ ٤٩» سَحَرَهَا عَيْنِهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمْنَيَةً أَيَّامٍ حَسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرَعَنِي كَمِّهِمْ أَعْجَابٌ تَخْلِي خَاوِيَةٌ ٤٥» فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَّةٍ ٤٦» [الحاقة: ٦ - ٨]. وقال تعالى في سورة الفجر: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٤٧» إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٤٨» الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَادِ ٤٩» [الفجر: ٦ - ٨].

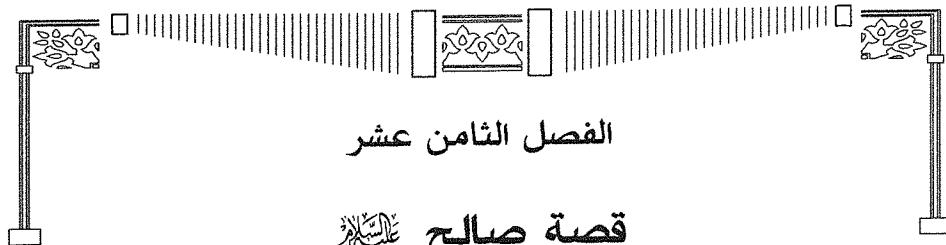
وقد روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجعمًا ضاحكاً قط حتى أرى منه لهواته إنما كان يبتسم، وقالت: كان إذا رأى غيماً أو ريحًا عُرف ذلك في وجهه، قالت: يا رسول الله، إن الناس إذا رأوا الغيم فرحاوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيتك عُرف في وجهك الكراهة؟! فقال: «يا عائشة! ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: «هَذَا عَارِضٌ مُتَطْرَنٌ»».

كما روى مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به». قالت: وإذا غيّبت السماء تغير لونه، وخرج ودخل وأقبل وأدبر، فإذا أمطرت سُرِّيَ عنه، فعرفت ذلك عائشة فسألته، فقال: «العله يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقِلَّا أَوْ يَنْهِمُ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُثْطِرُنَا﴾».

وقد روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «نُصِرْتُ بِالصَّبَّا وَأُهْلَكْتُ عَادُ بِالدَّبُورِ».

والى الفصل القادم ان شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل الثامن عشر

### قصة صالح عليه السلام

نتحدث في هذا الفصل عن صالح نبي الله ورسوله عليهما السلام. وهو ثاني رسول عربي بعد هود صلوات الله وسلامه عليهما، بعثه الله في جزيرة العرب، وقد أرسله الله تعالى إلى قومه ثمود، وقد ذكر علماء النسب أنه صالح بن عبيد بن أسيف بن ماسخ أو ماسح بن عبيد بن حاجر أو حادر بن ثمود بن عابر أو عاثر بن إرم بن سام بن نوح عليهما السلام.

وكان قومه يسكنون الحجر، وهي الأرض المعروفة باسم ديار ثمود أو مدائن صالح، وتقع على بعد نحو ثمانين وثلاث مئة «كيلومتر» شمال غرب من المدينة المنورة، ويقع في جنوبها الآن مدينة العلا، ولا يزال بعض آبارها ولا سيما البئر المعروفة ببئر الناقة باقية إلى الآن، كما لا تزال آثار ثمود من البيوت والمقابر موجودة حتى الآن، وبخاصة البيوت التي كانوا ينحدرونها في الجبال.

وكانت ثمود يعيشون آمنين في بساتين وارفة الظلال كثيرة العيون، وزروع ونخل طلعاً هضيم، يتذمرون في سهول الأرض قصوراً، وينحدرون من الجبال بيوتاً آية في الحذق والمهارة والزينة. وقد يسر الله تعالى لهم أسباب رغد العيش، وكانت أقرب الأمم التي جاءت بعد قوم هود عليه السلام، وكانوا على علم بخبرها وما أوقعه الله بهم من سوء العذاب لما كفروا بربهم وعبدوا الأصنام والأوثان، غير أن ثمود أطغتهم النعمة، فجحدوا بآيات ربهم وكفروا بالآله، فبعث الله تعالى إليهم رسولاً منهم هو صالح صلوات الله وسلامه عليه، فدعاهم إلى توحيد الله تعالى وإفراده بال神性، والربوبية، والإقرار بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وذكرهم نعم الله عليهم وخوفهم من عقوبته، ونبههم إلى أن استمرارهم في الشرك بالله وجحودهم نعم الله قد ينزل بهم ما نزل بقوم هود، وقد أجابه إلى الله تعالى

المستضعفون منهم، وأبى المستكثرون أن ينبووا إلى الله و﴿قَالُوا يَصْلِحُ فَمَنْ كَفَرَ فِيْنَا مَرْجُوا قَبْلَ هَذِهِ أَنْتَهَنَا أَنْ تَعْبُدُ مَا يَعْبُدُ إِبْرَاهِيمَ وَإِنَّا لَفِي شَيْءٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ [هود: ٦٢].

وطلبوها منه آية: فأخرج الله عليه السلام لهم الناقة من الصخر. وقال لهم صالح عليه السلام: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ إِيمَانُهُ فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَإِذَا ذُرْتُمْ عَذَابَ فَيُبَيِّبُ﴾ [هود: ٦٤].

وكان من آيات الله في آية الناقة أنها كانت تشرب من الماء ما يكاد يقضي على مياهم، فانتفق صالح عليه السلام معهم على اقتسام الماء بينهم وبين الناقة، فتشرب يوماً لا يشاركونها في الماء، ويشربون يوماً لا تشارکهم الناقة في شربهم، ومع أن هذه الآية تبهر العقول، فيها الدليل القاطع والبرهان الساطع على صدق صالح عليه الصلاة والسلام، فهي آية مبصرة، وحججة قاهرة، ومع ذلك فقد استمر المستكثرون على عنادهم، وأصرروا على كفرهم وضلالهم، وحاولوا أن يتحولوا بين المؤمنين وبين صالح رسول الله عليه السلام، وعملوا على إثارة الشبه في دعوة صالح عليه السلام، وقد منع الله عنهم المطر تخويفاً وإنذاراً، فقال المستكثرون: إن صالح سبب جدب بلادنا ومجيئه شؤم علينا، واتباع المؤمنين به له محق لبركة أرضنا ومياها، وقالوا لصالح: ﴿أَطَيَّرْنَا بِكَ وَيَمَنَ مَعَكَ قَالَ طَبِّرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٤٧] وسبب شؤمكم منكم، فرسى الله هم وجوه البر والخير، وهم أسباب سعادة الإنسانية إن استمسكت بمنهجهم وعملت بتعاليمهم، وأرشدهم عليه السلام إلى أن توبتهم إلى الله والاستغفار من السيئات يجلب لهم خير الدنيا والآخرة، وقال: ﴿لَوْلَا سَتَقْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ [النمل: ٤٦] فلم يستجيبوا له وقالوا للمؤمنين: ﴿أَقْلَمْوْتُ أَنَّكَ صَنَلِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٧٥]، قال المستضعفون: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥]. ﴿قَالَ الَّذِينَ أَسْكَبُرُوا إِنَّا بِالَّذِي عَاهَنَّسْمَ بِهِ كَفِرُوْنَ﴾ [الأعراف: ٧٦]. ﴿وَعَكَّوْا عَنْ أُمَّرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف: ٧٧] وعصوا رسله، واجتمع زعماؤهم على أن يعقروا الناقة، فانبعث لها أشقي شمود، وهو رجل عارم عزيز منيع في رهطه

فعقرها، واستعجلوا العذاب ﴿وَقَالُوا يَصْكِلُحُ أَثَيْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِن كُنَّا مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧]. ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥]، وأصرّ تسعة رهط منهم من المفسدين في الأرض على قتل صالح وإلحاقه بالناقة و﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنْيَسْتُهُ﴾ [النمل: ٤٩] أي لنكبسته في داره بالليل مع أهله فلنقتلنَّه ولنجحدن قتلَه، فلنقولن لأولياء دمه من المشركين: ما شهدنا مهلكه ولا ﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ [النمل: ٤٩]، ودبوا ودبَ الله فنجاه ومن معه من المؤمنين، وأرسل الله عَلَيْكُم عليهم الصيحة من فوقهم ورجفة من تحتهم على حد قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٥١ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةً مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْهُمْ أَجْمِعِينَ﴾ [النمل: ٥٠] - ٥٢ ، وكما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرَنَا بَيْتَنَا صَلِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ مَنْ كَانَ وَمِنْ خَرْزِي يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوْىُ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَلَأَخْذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَصْيَحَهُمْ فَأَصْبَحُوهُمْ فِي دِيْرِهِمْ جَنَاحِينَ ٦٧ كَانَ لَمْ يَفْتَنُوهُمْ إِلَّا إِنَّ شَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لَمْ شُمُودًا﴾ [هود: ٦٦ - ٦٨] . وكما قال الله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَنَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَصْكِلُحُ أَثَيْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِن كُنَّا مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٦٨ فَأَخْذَنَاهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوهُمْ فِي دَارِهِمْ جَنَاحِينَ ٦٩ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُومُ لَقَدْ أَلْفَتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّكُمْ وَنَصَحَّتْ لَكُمْ وَلَكُمْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧ - ٧٩] ، وكما قال تعالى: ﴿فَأَخْذَهُمْ أَصْيَحَهُمْ مُصْبِحِينَ ٧٠ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر: ٨٣ - ٨٤] ، وكما قال تعالى: ﴿فَادْرُوا صَاحِبَهُمْ فَنَاعَطَهُ فَعَقَرَ ٧١ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٧٢ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَنِجَادَةً فَكَانُوا كَهْشِيرَ الْمُحَظَّرِ﴾ [القمر: ٢٩ - ٣١] وكما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ شَمُودٌ يُطْفَوْنَهَا ٧٣ إِذَا أَبْعَثَ أَشْقَاهَا ٧٤ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا ٧٥ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمِلَمْ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِدَنَاهُمْ فَسَوَّهَا ٧٦ وَلَا يَخَافُ عَقْبَهَا﴾ [الشمس: ١١ - ١٥] .

هذا ولا وجود لذكر عاد وثمود في الكتب التي بيد اليهود والنصاري، مما يشعر بأنهم حرصوا على إزالة كل ذكر للنبيه في الأمة العربية حسداً للعرب وكراهيَة أن تكون النبوة في غيربني إسرائيل.

## الفصل التاسع عشر

### تابع: قصة صالح

تحدثت في الفصل السابق عن صالح عليه السلام، وأشارت إلى أنه ثانى رسول عربي بعد هود عليه السلام، وذكرت مساكن قومه ثمود، ونسبهم وطبيعة أرضهم وما أفاء الله عليهم، وما كانوا عليه من الشرك والفساد، وأن صالحًا عليه السلام بدأ بدعوتهم إلى توحيد الله تعالى وترك عبادة الأصنام والأوثان، وأن المستضعفين سارعوا إلى الإيمان به، وكفر المستكبرون، وأشارت إلى ما كان منهم من عقر الناقة ومكرهم في تبییت صالح عليه السلام وكيف نجاه الله منهم، وأنزل بهم عقوبته، وذكرت أن هوداً وصالحاً صلى الله عليهما وسلم لا ذكر لهما ولا لقوميهما في كتب اليهود والنصارى، مما يشعر بحرصهم على إزالة كل ذكر للنبوة في الأمة العربية؛ حسداً للعرب وكراهة أن تكون النبوة في غيربني إسرائيل.

ونشير هنا إلى أنه ورد في القرآن العظيم ما يشعر بأنّي الله موسى عليه السلام حذر قومه أن يحل بهم ما أوقعه بقوم هود وقبوّم صالح صلى الله عليهما وسلم كما قال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكُفُّوْنَا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَيْعَانًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَيْرِهِ حَيْدٌ ﴾ [٨] أَلَّا إِنَّمَا يَأْتِكُمْ بُشْرَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُوا أَيْدِيهِمْ فِي آفَوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِ وَإِنَّا لَنَحْنُ شَكِيرُونَ مَمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمٍّ﴾ [إبراهيم: ٨ - ١٠]، وقد أورد الله تبارك وتعالى قصة صالح عليه السلام في مواضع من كتابه الكريم بأساليب تناسب كل مقام من مقامات إيراد هذه القصة، كما قرنه مع كثير من أنبياء الله ورسله، وفي ذلك يقول في سورة الأعراف: ﴿وَإِلَيْهِ شَمُودٌ أَخَاهُمْ صَلِحًا قَالَ يَكُوْمُ أَعْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ﴾

قَدْ جَاءَنَّكُمْ بَيْتَهُ مَنْ رَيْكُمْ هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ إِيمَانَهُ فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ وَلَا تَمْسُوهَا سُوءٌ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْتُمُ الْخُلْفَاءَ مِنْ بَعْدِكُمْ عَكَارًا وَبَوَّاً كُمْ فِي الْأَرْضِ تَغْلِظُونَ مِنْ شَهْوَلَهَا قُصُورًا وَتَجْنِحُونَ إِلَيْهِ الْجَبَالَ يُبُوتًا فَأَذْكُرُوا إِلَاهَ اللَّهُ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَائِكَةُ أَسْتَكِنُّ بِمِنْ قَوْمِكُمْ لِلَّذِينَ أَسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَنْعَلَمُوكُمْ أَكَ صَلِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أَرْسَلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ أَسْتَكِنُّ بِإِنَّا بِالَّذِي ءَامَنَّتُمْ بِهِ كُفَّارُونَ فَعَفَرُوا الْأَنْفَاقَةَ وَكَعَوْا عَنْ أُمَرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَنْصَلِحُ آتَيْنَا إِمَّا تَعْدَنَا إِنْ كُنَّتْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٦﴾ فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَهِشِينَ ﴿٧٧﴾ فَنَوَّلُ عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُومُ لَقَدْ أَنْفَثْتُكُمْ يَسَالَةَ رَبِّي وَضَحَّتْ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا يُبُوتُونَ النَّصِيفِينَ ﴿٧٨﴾ [الأعراف: ٧٣ - ٧٩].

وقال تعالى في سورة هود: «وَلَكَ نُؤْدِي أَخَاهُمْ صَلِحًا قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمِلُكُمْ فِيهَا» [هود: ٦١] يعني جعلكم عمار الأرض ويسر لكم أسباب عمارتها بما هيأ فيها وأنبت من الزروع والشمار «فَاسْتَغْفِرُوهُ شَرَّ طُوبَا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيَ قَرِيبٌ تُحِبِّتْ» ﴿٦٩﴾ قَالُوا يَنْصَلِحُ قَدْ كُنَّتْ فِي نَا مَرْجُوا قَبْلَ هَذَا آتَهُنَا أَنْ تَعْبُدُ مَا يَعْبُدُ إِبْرَاهِيمَ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ إِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرْسَلٌ ﴿٧٠﴾ قَالَ يَنْقُومُ أَرْبَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّي وَإِنَّنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَرْبِيُونِي غَيْرُ تَخْسِيرٍ ﴿٧١﴾ وَنَقْوِرُ هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ إِيمَانَهُ فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا سُوءٌ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٧٢﴾ فَعَرَفُوهَا فَقَالَ تَمَعَّنُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ أَمْرُنَا بِجَتِنَا صَلِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعْلُومٌ بِرَحْمَةِ مِنْكُمْ وَمَنْ خَرَى يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوْيُ الْعَزِيزُ ﴿٧٤﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَهِشِينَ ﴿٧٥﴾ كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا أَلَا إِنَّ نُؤْدِي كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِشَمُودٍ» [هود: ٦١ - ٦٨].

وقال تعالى في سورة الحجر: «وَلَقَدْ كَذَبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ وَإِنَّهُمْ ءَايَتُنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْجِنُونَ مِنَ الْجَبَالِ يُبُوتًا ءَامِينِ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» [الحجر: ٨٠ - ٨٤].

وقال في سورة الإسراء: «وَمَا مَعَنَا أَنْ تُرْسِلَ إِلَيَّكُمْ إِلَّا أَنْ كَذَبَ إِلَيْهَا

الأَوَّلُونَ وَإِلَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبَصِّرَةً» [الإسراء: ٥٩] «أَيْ آيَةٍ وَاضْحَى جَلِيلَةٍ وَمَعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ دَالَّةٌ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ مَرْشِدَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَلَا مَعْبُودٌ بِحَقِّ سُوَّا». «فَظَلَمُوا إِلَيْهَا» «أَيْ جَحَدُوا هَذِهِ الْآيَةَ وَكَفَرُوا بِهَا وَمَنْعَمُوا النَّاقَةَ مِنْ شَرْبِهَا وَعَقْرُوْهَا» «وَمَا رُسِّلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَحْذِيفًا» [الإسراء: ٥٩].

وقال في سورة الشعراء: «كَذَّبُتْ ثُمُودَ الْمُرْسَلِينَ ١٤٣ إِذَا قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَنْقُونَ ١٤٤ إِنَّكُمْ رَسُولُ أَمِينٍ ١٤٥ فَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ ١٤٦ وَمَا أَشْكُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرَى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٤٧ أَتُنَزَّكُونَ فِي مَا هَذِهَا ءَامِنِينَ ١٤٨ فِي جَنَّتِ وَعِيُونَ ١٤٩ وَزَرْعَ وَنَخْلَ طَلْمَهَا هَضِيمٌ ١٥٠ وَتَنَجُّونَ مِنَ الْجَبَالِ يُبُوتُ فَرِهِينَ» [الشعراء: ١٤١ - ١٤٩] «أَيْ حاذقِينَ فِي صنْعِهَا وَإِحْكَامِهَا وَإِتقانِهَا» «فَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ ١٥١ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِفِينَ ١٥٢ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ١٥٣ قَالُوا إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ١٥٤ مَا أَنَا إِلَّا بَشَّرٌ مَثَّلْنَا فَأَنِّي يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُ مِنَ الصَّدِيقِينَ ١٥٥ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ هَذِهِ شَرِبَتْ وَلَكُنْ شَرِبَ يَوْمَ مَعْلُومٍ ١٥٦ وَلَا نَسْرُوْهَا بِسُوءٍ فَيَأْذِنُكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ١٥٧ فَعَفَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَذِيْمِينَ ١٥٨ فَأَخْذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْهَ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٥٩ وَلَمَّا رَأَيْكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» [الشعراء: ١٥٠ - ١٥٩].

وقال في سورة النمل: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فِي كِفَافٍ يَخْتَصِّمُونَ ٤٥ قَالَ يَنْقُورُ لِمَ سَتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٤٦ قَالُوا أَطَيْرَنَا إِلَكَ وَبِمَ مَعَكُمْ قَالَ طَرِيرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفَسِّنُونَ ٤٧ وَكَاتُ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةَ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ٤٨ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَتَبِيَّسْتُمْ وَأَهَلُكُمْ ثُمَّ لَقُولُنَّ لِوَلِيْهِ مَا شَهَدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَلَيْا لَصَدِيقُونَ ٤٩ وَمَكَرُوا مَكَرًا وَمَكَرَنَا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٠ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِقَبَةُ مَكَرِهِمْ أَنَا دَمَرْتُهُمْ وَوَقَمْهُمْ أَجْمَعِينَ ٥١ فِيلَكَ يُبُوتُهُمْ خَاوِيْكَةَ بِمَا ظَلَمُوا إِلَيْكَ فِي ذَلِكَ لَذَيْهَ لَقَوْمٌ يَعْلَمُونَ ٥٢ وَأَبْيَحْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَسَكَانُوا يَنْقُونَ» [النمل: ٤٥ - ٥٣].

وقال في سورة فصلت: «وَمَا ثُمُودٌ فَهَدَيْتَهُمْ فَأَسْتَحْبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخْذَهُمْ صَاعِدَةً الْعَذَابِ الْهُونُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٧ وَجَهَنَّمَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ» [فصلت: ١٧ - ١٨].

وقال تعالى في سورة اقتنبرت: «كَذَّبَتْ نَوْدُ بِالنَّذْرِ ٢٣) فَقَالُوا أَبْشِرْ مَنَا وَجَدَا  
نَّيْعَهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ٢٤) أَمْلَقَ الْذِكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنَنَا بَلْ هُوَ كَذَّابُ أَشَرْ ٢٥)  
سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَابِ الْأَشَرِ ٢٦) إِنَّا مُرْسِلُو النَّافَّةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقَبُوهُمْ وَاصْطَبَرُوهُمْ ٢٧) وَنَيْتَهُمْ  
أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ يَنْتَهُمْ كُلُّ شَرِّ مُخْضَرٍ ٢٨) فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَنَعَطَهُمْ فَقَرَ ٢٩) فَيَكَفَ كَانَ عَذَابُ  
وَنَذْرُ ٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجَهَةً فَكَانُوا كَهْشِيمُ الْمُخْنَطِرِ» [القمر: ٢٣ - ٣١] أي  
صاروا كالمنتفت من يابس الزروع في حظيرة الماشية.

وقال تعالى: «كَذَّبَتْ نَوْدُ بِطَغْوَتِهَا ١١) إِذَا أَبْعَثْتَ أَشْقَانَهَا ١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ  
اللهِ نَافَّةُ اللهِ وَسُقْيَهَا ١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَفَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّنَهَا  
وَلَا يَخَافُ عَقَبَهَا» [الشمس: ١١ - ١٥].

وقد روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن زمعة قال: خطب  
رسول الله ﷺ فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال: «إِذَا أَبْعَثْتَ أَشْقَانَهَا» انبعث  
لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة».

وقد روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما مر  
رسول الله ﷺ بالحجر قال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيّبكم  
ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين»، ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي.

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل العشرون

### إبراهيم عليه السلام

نتحدث إليكم في هذا الفصل عن إمام الحنفاء وأبي الأنبياء وخليل الرحمن، وأكثر الناس شبهها بخلق وخلق محمد عليهما السلام، وأحد السادة الكبار من أولي العزم من المرسلين، الأمة، القانت، الحنيف، الأواه، الحليم، إبراهيم عليه السلام، وأبوه آزر من ذرية سام بن نوح عليهما السلام، وقد ولد إبراهيم عليه السلام بأرض بابل المعروفة ببلاد الكلدانين، وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والأوثان، ويُسجدون للكواكب السبعة، ويقيمون الهياكل لها، فبعث الله إليهم إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام، فدعاهم إلى وجوب إخلاص العبادة لله وحده، واتخذ في دعوته من سبل الإرشاد ما تقوم به الحجّة، وتنقطع به الشبهة، وقد ساق الله تبارك وتعالى صوراً من أساليب دعوة إبراهيم عليه السلام في محاورته لقومه، وإرشادهم إلى الله تبارك وتعالى، وفي ذلك يقول: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إَزْرَ أَتَتَخْذُ أَصْنَاماً بِإِلَهٍ أُرِيدُكَ وَقَوْمَكَ فِي صَلَلٍ مُّبِينٍ ﴾ [٦] ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٤ - ٧٥] أي: نبين له وجه الاستدلال بآيات الله الكونية في السموات والأرض على أنه لا إله إلا الله ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوْقِنِينَ﴾ [٦] ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ أَيْلُ رَءَاءَ كَوْكِباً قَالَ هَذَا رَفِيقٌ﴾ أي: لهذا يصلح لأن يكون ربّاً يعبد **﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾** أي فلما غاب هذا النجم الذي يعبده قوله **﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلَئِ﴾** [الأنعام: ٧٦] وهذا أسلوب حكيم في زلزلة قواعد باطلهم **﴿فَلَمَّا رَءَاءَ الْقَمَرَ بَارِضاً﴾** أي: طالعاً، **﴿قَالَ هَذَا رَفِيقٌ﴾** أي: لهذا يصلح لأن يكون ربّاً يعبد؟ **﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهِدِنِي رَبِّي لَأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّاهِرِينَ﴾** [الأنعام: ٧٧] وقد أراد الله تعالى بهذا القول أن يستدرج قومه ويعرفهم جهلهم، وخطأهم في تعظيم وعبادة هذه الكواكب الآفلة، وأن ناصية الخلق بيد الله وحده، فمن لم يهده الله فلا هادي له، **﴿فَلَمَّا رَءَاءَ السَّمَاءَ**

بازغةً قَالَ هَذَا رَبِّ هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِلَيْ بَرِّيٍّ وَمَا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنَّ  
وَجَهَتْ وَجْهَهُ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ﴿٧٩﴾ [الأنعام: ٧٨ - ٧٩] «أي : مائلاً  
إلى الدين القيم» «وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشَرِّكِينَ» [الأنعام: ٧٩]. «وَحْدَفِ الاستفهام في مثل  
قوله : هذا ربِّي سائع شائع في اللسان ، وهو استفهام إنكار وتوبخ لقومه عبادة  
الكواكب ، وقد جاء حذف حرف الاستفهام في مواضع من القرآن الكريم ، ومنه قوله  
تعالى : «أَفَإِنْ مِتَ فَهُمُ الْخَالِدُونَ؟» [الأنياء: ٣٤]. أي : أَفَهُمُ الْخَالِدُونَ؟

ويشير القرآن العظيم إلى موقف قومه من هذه الحجة البالغة وأنهم لما  
انقطعوا لجوؤا إلى تخويفه من بطش آهتهم به ، وفي ذلك يقول الله تعالى : «وَحَاجَهُ  
قَوْمُهُ قَالَ أَهْبَجْتُهُ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَنِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا  
وَسَعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عَلَمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشَرَّكُتُمْ وَلَا  
تَخَافُونَ أَنْتُمْ أَشَرَّكُتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرَيقَيْنِ أَحَقُّ  
بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلِسُوا إِيمَانَهُمْ بِطْلُرٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ  
مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا إِنَّا نَتَبَيَّنُهَا إِنَّرَهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرَفَعُ دَرَجَتِي مَنْ نَشَاءَ إِنْ رَبَّكَ  
حَكِيمٌ عَلَيْهِمْ ﴿٨٣﴾ [الأنعام : ٨٠ - ٨٣].

ويذكر الله تعالى صورة أخرى من صور قيام إبراهيم عليه السلام ببيان أن الله وحده هو  
المستحق للعبادة ، وأن غيره من معبداتهم لا تسمع ولا تنفع فيقول تعالى : «وَأَنْلُ عَلَيْهِمْ  
بَنَآ إِنَّرَهِيمَ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَيْهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ [الشعراء : ٦٩ - ٧٠] «سَأَلَهُمْ عن معبداتهم  
ليبني على جوابهم أن هذه الآلهة لا تستحق شيئاً من العبادة لقطع شبهتهم» «قَالُوا نَعَمْ  
أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَكْفِينَ ﴿٨٦﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٨٧﴾ أَوْ يَقْعُونَكُمْ أَوْ يَضْرُونَ ﴿٨٨﴾ قَالُوا  
بَلْ وَجَدْنَا إِبَاهَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالَ أَفَرَبَرِيشَرْ مَا كُنْتُ تَعْبُدُونَ ﴿٩٠﴾ أَنْتُمْ وَابْنُوكُمُ الْأَقْدَمُونَ  
فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْبِنِ ﴿٩٢﴾ وَالَّذِي هُوَ يَطْعُمُنِي وَيَسْقِنِ  
وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيْنِ ﴿٩٣﴾ وَالَّذِي يُسْتَغْفِرُ شَمَّ يُحْسِنِ ﴿٩٤﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي  
خَطَّبَنِي يَوْمَ الْدِينِ ﴿٩٥﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحُقْقَنِي بِالصِّنْدِجانَ ﴿٩٦﴾ وَاجْعَلْ لِي إِسَانَ صِدِيقَ في  
الآخِرَنِ ﴿٩٧﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٩٨﴾ وَاعْفُرْ لِأَيْهِ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْظَّالِمِينَ ﴿٩٩﴾ [الشعراء : ٧١ -  
٨٦]. وهذا كان بسبب موعدة وعدها إبراهيم فهم منها إبراهيم عليه السلام أن أباهم مقارب

للامان، فلما تبين له أنه عدو الله تبراً منه كما قال تعالى: «وَمَا كَانَ أَسْتَغْفِرُ  
إِنْزَهِمْ لِأَيْهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ  
لَذَّهَ حَلِيمٌ» [التوبه: ١١٤].

ثم يستمر إبراهيم في ضراعته إلى الله وبسط دعوته لقومه فيقول: «وَلَا تُخْبِرْ  
يَوْمَ يُبَعَّثُونَ ﴿٨٧﴾ إِلَّا مَنْ أَقَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» [الشعراء: ٨٧ - ٨٩]  
؛ وفي صورة مشرقة من صور عرض دعوة إبراهيم عليه السلام وموقفه من قومه بعد  
أن استجابت له زوجته سارة ولوط عليهما السلام يقول الله تعالى: «فَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ  
حَسَنَةٌ فِي إِنْزَهِمْ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِتَوَهِّمُنَا إِنَّا بُرُءُوا مِنْكُمْ وَمَمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفَّارًا  
يُكَذِّبُونَ وَيَدَّأُونَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَعْصَاءَ أَبْدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيْهِ  
لَا سَتَغْفِرُنَّ لَكُمْ» [المتحنة: ٤] «أَيْ فَلَا تَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَئِيْ قَرْبَىٰ»  
«وَمَا أَمْلَكُ لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تُرْكَنَا وَإِلَيْكَ أَبْنَانَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا  
فِتْنَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤١﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ  
لَئِنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرُ وَمَنْ يَنْوِلْ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَيْدُ» [المتحنة: ٤ - ٦].

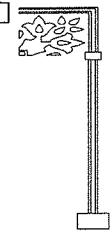
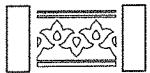
ويصف الله تبارك وتعالى موقفاً مشرقاً من مواقف إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر  
فيقول: «وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴿٤٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَيْهِ يَتَأْبَتْ لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا  
يَسْمَعُ وَلَا تُبَصِّرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٣﴾ يَتَأْبَتْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنْ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي  
أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَأْبَتْ لَا تَعْبُدِ الْشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٥﴾ يَتَأْبَتْ إِنِّي  
أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابًا مِنْ الرَّحْمَنِ فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلَيْكَ ﴿٤٦﴾ قَالَ أَرَاغِبُ أَنَّتَ عَنْ إِلَهِتِي  
يَتَأْبِهِمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَ لِأَرْجُمنَكَ وَاهْجُرْ فِي مَلَيْكَ ﴿٤٧﴾ قَالَ سَلَمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيْ إِنَّمَا  
كَانَ فِي حَفِيَّتِكَ ﴿٤٨﴾ أَيْ: عظيم اللطف بي كثير الإحسان إليّ» «وَأَعْتَرْلُكُمْ وَمَا  
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوكُمْ بِدُعَائِيْ رَبِّيْ شَقِيَّكَ» [مريم: ٤١ - ٤٨].

وفي موقف آخر من مواقف إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه يقول الله تعالى: «وَلَقَدْ  
أَلَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدًا مِنْ قَبْلٍ وَكُنَّا بِهِ عَلَيْمِينَ ﴿٤٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَيْهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ الْأَشْمَالُ  
الَّتِي أَنْتُ هَلَا عَنِّكُمْ ﴿٥٠﴾ قَالُوا وَجَدْنَا إِبَاءَنَا هَلَا عَنِّيدِينَ ﴿٥١﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَسْمَرَ  
وَأَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٢﴾ قَالُوا أَجْهَنَّتَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ بَلْ رَبِّيْ رَبِّيْ

السموات والأرض الذي فطر هرثي وانا على ذلكم من الشاهدين **٥٦** وتألم لا يكيدن أصنمكم **٥٧** بعد أن تولوا مدربين **٥٨** فجعلهم جذذا إلا كيما لهم لعلهم إليه يرجعون **٥٩** قالوا من فعل هذا يقالهنا إن هو لمن الظالمين **٦٠** قالوا سمعنا فنيذكرهم **٦١** أي يطعن عليهم ويسبهم يقال له إبراهيم **٦٢** قالوا فأنروا به على أعين الناس لعلهم يشهدون **٦٣** قالوا أنت فعلت هذا يقالهنا يقالهيم **٦٤** قال بل فعلك كيدهم هذا فشلوكهم إن كانوا ينطقون **٦٥** فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أئتم الظالمون **٦٦** ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون **٦٧** قال أتفبعدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم **٦٨** أفي لكم ولما تعبدون من دون الله أفالا تعقولون **٦٩** قالوا حرقوه وأنصروه إلهكم إن كنتم فعلين **٧٠** فتنا يكتار كوفي بريدا وسلماما على إبراهيم **٧١** وأرادوا به كيما فجعلتهم الآخرين **٧٢** [الأنياء: ٥١ - ٧٠].

ويسوق الله تعالى قصة ملك الكلدانيين في استجوابه لإبراهيم عن ربه وقول إبراهيم: «رَبِّ الَّذِي يُحِيٌّ وَيُمِيتُ»، فيتطاول هذا الملك ويقول: «أَنَا أُحِيٌّ وَأُمِيتُ»، فيفحمه إبراهيم بقوله: «فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتَتْ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ» فينقطع هذا الكافر وفي ذلك يقول الله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّيَّهُ أَنْ عَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي الَّذِي يُحِيٌّ وَيُمِيتُ قَالَ أَنْتَ أَنْتَ اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتَتْ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» [البقرة: ٢٥٨].

هذا وقد ذكر بعض المفسرين أن إبراهيم قد جرت هذه المعاشرة بينه وبين الملك لما قدم لطلب طعام منه، وأن الملك رفض إعطاءه الطعام، وأن إبراهيم قد اشتد حزنه عندما اقترب من منزل أهله وأنه كيف يدخل على سارة وإسحاق ولده دون طعام، فعمد إلى كثيب من التراب فملأ جرابيه منه ليؤنس أهله، فلما نام انقلب التراب دقيقاً أبيض خالصاً، فلما فتحت سارة الجراب وجدت الدقيق فصنعت طعاماً منه، فلما استيقظ إبراهيم وجد الطعام، فقال: من أين لك هذا؟ قالت: من جرابك. إلخ. فهذا كذب ظاهر ولا أصل له بحمد الله، وإسحاق لم يولد إلا بالشام.



## الفصل الحادي والعشرون

### تابع إبراهيم عليه السلام

تحدثت في الفصل السابق عن صور مشرقة من دعوة إبراهيم عليه السلام، وذكرت في آخرها ما كان من المنازرة بين الخليل عليه السلام وبين ملك الكلدانين الذي حاج إبراهيم في ربه، وكيف أقام إبراهيم عليه السلام الحجة الدامغة، فهُبَّت الذي كفر، ولم يزل إبراهيم عليه السلام يوالي دعوة قومه إلى الله، ويحاول إخراجهم من الظلمات إلى النور، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلِإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُ اللَّهَ وَأَنَّقُوهُ ذِلْكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [١٦] إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِنَّا وَتَخْلُقُونَ إِنْكَاء إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُوكُمْ لَّكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَأَعْبُدُهُ وَأَشْكُرُهُ لَهُ إِلَيْهِ تُرْجِعُونَ﴾ [١٧] وَلَمْ تُكَدِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أَمْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْبَيِّنُ﴾ [١٨] أَوْلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يَبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِسِيرٍ﴾ [١٩] قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقُ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشَأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾ [٢٠] يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْبَلُونَ﴾ [٢١] وَمَا أَنْتُ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [٢٢] وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِيَوْمَتِ اللَّهِ وَلِقَاءِهِ أُولَئِكَ يَءِسُوا مِنْ رَحْمَتِهِ وَأُولَئِكَ هُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [٢٣] فَمَا كَانَ جَوَابُ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَفْتَأْتُمُهُ أَوْ حَرَقُوهُ فَأَنْجَحَهُ اللَّهُ مِنْكَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [٢٤] وَقَالَ إِنَّمَا أَنْخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِنَّا مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِعَصْمَكُمْ وَيَلْعَبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَا وَنَتَّكُمُ أَنَّارًا وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَصِيرٍ﴾ [٢٥] فَعَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّمَا هُوَ الْعَرِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ١٦ - ٢٦].

وقد هاجر إبراهيم عليه السلام ومعه زوجته سارة ولوط إلى الشام، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿قَالُوا حَرَقُوهُ وَانْصُرُوا مَالِهِنَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِيتَ﴾ [٢٦] قُلْنَا يَسْأَلُ كُوئِي

بَرَدًا وَسَلَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٩﴾ وَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَعَلَّمَتْهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَحْيَنَتُهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَاهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ [الأنياء: ٦٨ - ٧١].

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى تعاون الوزغ مع قوم إبراهيم في محاولة إحراقه، وأن الوزغ كان ينفخ على إبراهيم، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أم شريك رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ، وفي لفظ البخاري: «كان ينفخ على إبراهيم».

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «اختن إبراهيم النبي ﷺ وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم».

وقد نزل إبراهيم ﷺ بالشام وهي بلاد الكنعانيين ومعه زوجته سارة ولوط فأرسل الله ﷺ لوطاً إلى أهل سدوم وعموراً ونواحيها من دائرة الأردن. وسار إبراهيم وسارة إلى مصر. فأخبر ملك مصر بحمل زوجة إبراهيم، وأغرى بها فنجها الله منه، وأخدمها هاجر، فوهبتها لإبراهيم، فرزقه الله منها إسماعيل ﷺ، ورجع إبراهيم بأهله إلى الأرض المقدسة بفلسطين، وصار بين سارة وهاجر بعض الشيء لما قضاه الله ﷺ أن يعمر ولدها إسماعيل مع أبيه البيت الحرام بمكة، فهربت هاجر من سارة، وأمر الله ﷺ إبراهيم أن يحمل هاجر وإسماعيل لمكة.

واتخذت هاجر منطقاً تشد به وسطها وترسل طرفه كذيل خلفها يُعفي آثارها على سارة، فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفَّى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها. قالت له: الله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يُضيعنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الشنية حيث لا يرونها استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: «رَبَّنَا إِنَّكَ أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بَوَادِي غَيْرِ ذِي زَرْعٍ» [إبراهيم: ٣٧] حتى بلغ

﴿يَشْكُونَ﴾، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال: يتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها. فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر، هل ترى أحداً، فلم تر أحداً. فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً. ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فذلك سعي الناس بينهما»، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه تrepid نفسها، ثم سمعت فسمعت أيضاً، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث. فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه، أو قال: بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تعرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدها تغرف قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم» أو قال: «لو لم تعرف من زمزم لكان زمزم عيناً معيناً»، قال: فشربت وأرضعت ولدتها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فإن هنا بيته الله يبنيه هذا الغلام وأبواه، وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية، تأتيه السيل فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفة من جرهم، أو أهل بيته من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريأاً أو جريئين «أي رسولًا أو رسولين» فإذا هم بالماء. فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أناذين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فالفي ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس»، فنزلوا فأرسلوا إلى أهلهم، فنزلوا معهم حتى إذا كانوا بها أهل أبيات وشبّ الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب. فلما أدرك زوجه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم عندما تزوج إسماعيل يطالع

تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا وفي رواية يصيد لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بشر، نحن في ضيق وشدة. وشكك إليها، قال: فإذا جاء زوجك أقرئي عليه السلام وقولي له: يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، سألنا عنك فأخبرته، سألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غير عتبة بابك. قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك، فطلقتها وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسأل عنها قالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنت؟ سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله، فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء. قال النبي عليه السلام: «ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه» قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه. قال: فإذا جاء زوجك أقرئي عليه السلام، ومريه يثبت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتنا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه، سألني عنك فأخبرته، سألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي وأنت العتبة، أمرني أن أمسنك، ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم، فلرآه قام إليه فصنع كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد. قال يا إسماعيل! إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني بيتاً هنا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها. فعند ذلك رفع القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي حجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر ووضعه له، فقام عليه السلام يبني وإسماعيل يتناوله الحجارة وهم يقولان: «ربنا تقبل مثنا إنك أنت السميع الرحيم» [البقرة: ١٢٧].

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## الفصل الثاني والعشرون

# تابع إبراهيم

أشرت في الفصل السابق إلى مجيء إبراهيم عليه السلام بابنه إسماعيل وهاجر إلى مكة، وذكرت ما أورده البخاري في صحيحه عن هذه القصة، وعن نشأة إسماعيل عليه السلام، وما كان من شأنه مع قبيلة جرهم، وتعلميه اللسان العربي ومساعدة أبيه إبراهيم عليه السلام في بناء البيت الحرام، وقد ذكر الله تبارك وتعالى قصة بناء الكعبة في كتابه الكريم حيث يقول: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَكَ الْبَيْتِ أَن لَا شُرِيكَ لِي شَيْئًا وَطَهَرَ يَتَّقِيَ لِلظَّاهِيفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكْعَ السُّجُودَ ﴾٢٦﴿ وَإِذْنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ بِحَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتُكَ مِن كُلِّ فَجَّ عَمِيقٍ ﴾٢٧﴿ لِيَشَهُدُوا مَنْفَعَ لَهُمْ وَلَذِكْرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بِهِمَةَ الْأَنْعَمِ فَكُلُّوْنَاهَا وَاطْعُمُوا الْبَالِسَ الْفَقِيرَ ﴾٢٨﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَتَّهُمْ وَلَمْ يُؤْفُوا نُذُورَهُمْ وَلَيَطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٦ - ٢٩].

وقال عيسى: ﴿وَإِذْ أَبْتَلَنِ إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ بِكِتَمِتِ فَانْهَمَ فَقَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ دُرِّيَّ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾٢٩﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَأَنْجَدْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلٍّ وَعَهْدِنَا إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَرَا بَيْتَ لِلظَّاهِيفِينَ وَالْمَكِيفِينَ وَالرُّكْعَ السُّجُودَ ﴾٣٠﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي أَجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّمَرَتِ مِنْ أَمَانَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرْ فَأَمْتَعْهُ فَلِيَلَا تُمَّ أَضْطَرْهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَيُسَّعِ الْمَعْصِيرَ ﴾٣١﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ الْسَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾٣٢﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ دُرِّيَّتِنَا أَمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَبَثْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْوَابُ الرَّجِمُ ﴾٣٣﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَنْهَا عَلَيْهِمْ مَا يَتَّكَ وَلَعَلَّهُمْ هُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَلَرِكِيْمُ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٤ - ١٢٩]. كما أشار الله تعالى إلى ما كان من إبراهيم في وضعه هاجر وإسماعيل عند مكان البيت

حيث يقول: «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ عَيْرَ ذِي رَزْعٍ عِنْدَ بَيْلِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الْأَصْلَوَةَ فَاجْعَلْ أَفْعَادَهُ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الْثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» [إبراهيم: ٣٧]. وقد استجاب الله تعالى دعوة إبراهيم فجعل هذا البيت آمناً، يجبى إليه ثمرات كل شيء، كما قال عليه: «أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْعَلُ إِلَيْهِ ثَمَرَتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزِيقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» [القصص: ٥٧]. وكما قال عليه: «أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيَخْطُفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ» [العنكبوت: ٦٧] . . .

كما استجاب الله تبارك وتعالى إلى دعاء خليله إبراهيم فأرسل محمدًا ﷺ من ذرية إسماعيل أهل البيت الحرام يتلو عليهم آيات الله ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم؛ ولذلك جاء في الحديث الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى بي، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام». كما جاء في مسنن الإمام أحمد رحمه الله من حديث أبي أمامة رضي الله عنه والعرباض بن سارية رضي الله عنه، واللفظ لأبي أمامة رضي الله عنه.

كما ذكر الله تبارك وتعالى قصة هجرة إبراهيم ﷺ وبشارته بإسماعيل وقصة رؤيه بذبحه فقال: «وَإِنَّكَ مِنْ شَيْئِنِي، لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبِّهِ يُقْلِبُ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَيْدِيهِ وَقَوْمِهِ، مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَيْقَنًا إِلَيْهِ دُونَ اللَّهِ تَرْبِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظَرَةً فِي السَّمَاوَاتِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ» [الصفات: ٨٣ - ٨٩]. وكأنه ﷺ أراد أن يفرقهم ليبتعدوا عنه حتى يتفرغ لتحطيم أصنامهم بايمانهم أنه مريض حتى لا يلامسوه وبخاصة بعد نظرته في النجوم، ونظرته ﷺ في النجوم لم يقصد بها أن يتعرف من النجم عن حالته، كما أن قوله: «إِنِّي سَقِيمٌ» لم يرد بها أنه مريض بمرض معد، وإنما أراد في نفسه أنه ضعيف، وكل ابن آدم ضعيف مهما كانت صحته. وقد خلق الإنسان ضعيفاً، فهذا من المعارض، وفي المعارض مندوحة عن الكذب، حاشاه ﷺ أن يكذب، على أنه قد يطلق على المعارض أنها كذب باعتبار حقيقة المراد، لكنه ليس الكذب المذموم بل هو كإطلاق الحسد على الغبطة، في مثل قول رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن

مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا في الشتتين، رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها».

وقد فسرّ عامة العلماء الحسد في هذا الحديث، بأنه الغبطة، إذ الحسد المذموم هو تمني زوال النعمة عن الغير، ولا شك عند أهل العلم أن قول إبراهيم عليه السلام: «إِنِّي سَقِيمٌ» وكذلك قوله: «بَلْ فَعَلَهُ كَيْرُوْمُ هَذَا» [الأنبياء: ٦٣] وكذلك لما سأله ملك مصر عن سارة فقال: إنها أختي لا شك عند العلماء أن ذلك ليس من باب الكذب المذموم، وإنما هو من باب التورية والمعاريض.

ثم قال تعالى: «فَنَلَوْا عَنْهُ مُذَبِّرِينَ ٩١ فَرَاغَ إِلَى الْهَنْمَمِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ» [الصفات: ٩٠ - ٩١] «لأن الكفار قد جعلوا عند أصنامهم طعاماً» «مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ٩٢ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرِبًا بِالْيَمِينِ ٩٣ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ ٩٤ قَالَ أَتَقْبِدُونَ مَا تَنْحِثُونَ ٩٥ وَاللَّهُ حَقَّكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ٩٦ قَالُوا أَبْتُوا لَمْ بُيَّنَا فَالْقُوَّةُ فِي الْجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَعَلَنْتُمُ الْأَسْفَلَيْنَ ٩٨ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّ سَيِّدِنَا ٩٩» [الصفات: ٩٢ - ٩٩] «أي إني مهاجر إلى الله تعالى من دار الكفر إلى الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، وأملي في الله تعالى أن يرشدني إلى سبيل الخير وما فيه صلاح ديني ودنيوي».

«رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ١٠١ فَبَشَّرَنِهِ بِعَلَمٍ حَلِيمٍ ١٠٢ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْتَئِلُ إِنِّي فِي الْمَنَامِ أَتَيْتَ أَذْبَحَكَ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ١٠٣ قَالَ يَتَأْبَتْ أَفْعَلْ مَا تُؤْمِرُ سَتَجْدِعِنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّدِّيقِينَ ١٠٤ فَلَمَّا أَسْلَمَ ١٠٥» [الصفات: ١٠٠ - ١٠٣] «أي انقادا لأمر الله» «وَتَلَمُّ لِلْجَنَّبِينَ ١٠٦ وَنَذَرَنِهِ أَنْ يَتَابِرَهِسَ ١٠٧ فَنَدَ صَدَقَتِ الرُّؤْيَا ١٠٨ إِنَّ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٠٩ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلْوَى الْمُبِينُ ١١٠ وَفَدَيْنِهِ يَذْبِحُ عَظِيمٍ ١١١ وَرَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ ١١٢ سَلَمَ عَلَى إِنْرِهِسَ ١١٣ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١١٤ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ١١٥ وَبَشَّرَنِهِ يَاسْحَاقَ نَبِيَا مِنَ الصَّالِحِينَ ١١٦ وَرَرَكَنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ ١١٧ وَمِنْ دُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ ١١٨ وَظَالَمٌ لِنَفْسِهِ ١١٩ مُبِيدٌ ١١٣» [الصفات: ١٠٣ - ١١٣].

ولا شك أن سياق هذه الآيات الكريمة يدل على أن الذبح هو إسماعيل لا إسحاق عليهما السلام؛ لأنه ذكر البشارة بإسحاق بعد البشارة بإسماعيل الذي وصفه بأنه غلام حليم، وقد وصف إسحاق عند البشارة به بأنه غلام عليم، ومن الأدلة أيضاً

على أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق أنه عند البشارة بِإِسْحَاقَ قَالَ: ﴿وَمَنْ وَرَأَهُ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، وهو يفيد أن إسحاق سيعيش ويولد له في حياة أبيه، فيكيف يؤمر بذبحه وهو غلام لم يولد له بعد، مع يقينه بأنه لن يموت حتى يولد له عقوب، وقد حدث ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم فقال: إن الذي أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه من أبنائه إسماعيل، وإنما نجد ذلك في كتاب الله تعالى، وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبح من أبني إبراهيم قال تعالى: ﴿وَبَشَّرَنَاهُ بِإِسْحَاقَ لِيَأْتِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصفات: ١١٢]. ويقول الله تعالى: ﴿فَبَشَّرَنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمَنْ وَرَأَهُ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]. يقول بابن وابن ابن، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الموعد بما وعده، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل، قال ابن إسحاق: سمعته يقول ذلك كثيراً، وقال ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز رض وهو خليفة، إذ كان معه بالشام، فقال له عمر: إن هذا شيء ما كنت أنظر فيه، وإنى لأراه كما قلت، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه، وكان يرى أنه من علمائهم، فسألته عمر بن عبد العزيز رض عن ذلك، قال محمد بن كعب: وأنا عند عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: أي أبني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين، وإن يهود لتعلم ذلك، ولكنهم يحسدونكم عشر العرب على أن يكون أباكم، الذي كان من أمر الله فيه. والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به، فهم يجحدون ذلك، ويزعمون أنه إسحاق؛ لأن إسحاق أبوهم. أ.هـ. كما ذكر ابن كثير رحمه الله، وليس هذا أول جحد من اليهود، فقد جحدوا أن يكون إبراهيم بنى الكعبة، ولعلم الله تعالى بما يكون من اليهود أبقى في البيت الحرام مقام إبراهيم ليكون شاهداً عليهم إلى يوم القيمة يتوارث العلم به جيل بعد جيل، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي يُبَارِكُهُ وَهُدَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ ٩٦ **فِيهِ** ءَايَتُ **بَيْتَنَا** **مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ**﴾

[آل عمران: ٩٦ - ٩٧].

والى الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## الفصل الثالث والعشرون

### تابع إبراهيم

أشرت في الفصل السابق إلى أن الله تعالى أبقى مقام إبراهيم في البيت الحرام؛ ليكون شاهداً على بناء إبراهيم لهذا البيت، لما يعلم من أن اليهود سيجحدون أن يكون إبراهيم هو الذي بني الكعبة المشرفة بمكة المكرمة. وجعل في ذلك آيات بينات حيث يقول: **﴿فِيهِ أَيْتُمْ بَيْتَنَا مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾** [آل عمران: ٩٧] وكما قال تعالى: **﴿وَأَنْجَدُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصْلِّ﴾** [البقرة: ١٢٥]

وأشرت إلى أن العرب لم يزالوا يتوارثون معرفة مقام إبراهيم جيلاً بعد جيل إلى أن بعث رسول الله ﷺ، وفي ذلك يقول أبو طالب في لامية المشهورة:

**وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة      على قدميه حافياً غير ناعل**

ويؤثر أن عبد المطلب جد رسول الله ﷺ كان يوضع له فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو دون الخامسة من عمره ﷺ فيأخذه عبد المطلب ويجلسه على فراشه، فجاء جماعة من بنى مدحج يطوفون حول الكعبة، فلما رأوا قدم رسول الله ﷺ أمعنوا النظر فيها ثم أمعنوا النظر في مقام إبراهيم، ثم قالوا لعبد المطلب: لمن هذا الغلام ياشيخ؟ قال: هذا محمد ولدي، قالوا: ما رأينا قدماً شبيهة بالتي في الصخر من قدم ولدك هذا.

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ وصف إبراهيم الخليل ﷺ بأنه أشبه الناس بمحمد ﷺ، فقد روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال وهو يتحدث عن ليلة أسرى به: «رأيت موسى وإذا هو رجل ضرب - أي خفيف اللحم - رجل - أي دهين الشعر - كأنه من رجال أزد شنوعة، ورأيت عيسى فإذا هو ربيعة أحمر كأنما خرج من ديماس - يعني الحمام - وأنا أشبه ولد إبراهيم به»، وكما

جمع الله ﷺ بين محمد ﷺ وأبيه إبراهيم في الشبه، جمع بينهما كذلك في صفة الخلة، فلم يتخذ الله خليلاً غير محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وجمع كذلك بينهما في الصلاة عليهما فنقول في التشهد: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

وقد حرص اليهود على قطع كل صلة للعرب بإسماعيل وإبراهيم، وحذفوا من التوراة كل ما يتصل بإسماعيل بعد أن أخذه أبوه وتركه وأمه في برية فاران، وقطعوا كل أخباره بعد ذلك. وقد جهلوا أو تجاهلوا أن برية فاران هي أرض مكة.

وقد استقر إبراهيم ﷺ بالأرض المباركة بفلسطين، إلا أنه كان يتrepid إلى مكة ليتعاهد تركته فيها ويطوف بالبيت العتيق، وقد دعا لمكة قبل بناء البيت فقال: «رَبِّ أَجْعَلْ هَذَا بَدْأاً ءَامِنًا» [البقرة: ١٢٦]. وفي زورة من زوراته لمكة بعد بناء البيت وميلاد إسحاق قال: «رَبِّ أَجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا...» [إبراهيم: ٣٥].

وقد كان لوط ﷺ لقي من قومه عنتاً ومشقة وكذبوا المرسلين. وكانوا يأتون الذكران من العالمين، فلما أراد الله ﷺ إهلاك قوم لوط أرسل بعض الملائكة لإهلاكهم، وأمرهم أن يمرروا بإبراهيم قبل تدمير قرى قوم لوط ليبشروه بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، وقد ساق الله ﷺ قصة البشرارة بإسحاق في مواضع من كتابه الكريم حيث يقول: «وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا إِنَّهُمْ بِالْبَشَرِ إِنَّمَا قَالُوا سَلَّمُ فَمَا لَيْثَ أَنْ جَاءَ يُعَصِّلْ حَنِيزًا (٧٩) فَمَمَّا رَءَى أَيْدِيهِمْ لَا تَصُلُّ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسْ مِنْهُمْ خِفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ لُوطًا (٨٠) وَأَمْرَأَتَهُ قَالَتْ فَضَحِّكَتْ فِي شَرَنَّهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٨١) قَالَتْ يَوْئِلَّيَّ إِلَّا وَأَنَا عَجُورٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا» [الترىد رحمها الله أنها عقيم وعجوز، وأن زوجها إبراهيم ﷺ قد تجاوز التسعين عاماً] «إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتِ اللهِ وَرَكْنِهِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَحِيدٌ» [هود: ٦٩ - ٧٣].

وقال تعالى: «وَنَبَّهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَاتُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ ﷺ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا بَشَرُكَ يُعْلَمُ عَلَيْهِ ﷺ قَالَ أَبْشِرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَنِي الْكَبَرُ فِيمَ تَبَشَّرُونَ ﷺ قَالُوا بَشَرْتَكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَنْطَنِينَ ﷺ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الصَّالُونَ» [الحجر: ٥٦ - ٥١]، وقال تعالى: «فَلَمَّا أَعْتَدْتُمْ وَمَا يَعْدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَلَكُلَّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﷺ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدِيقٍ عَلَيْهَا ﷺ» [مريم: ٤٩ - ٥٠]، وقال تعالى: «فَامَّا لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﷺ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذِرَيْتِهِ الْشَّوَّةَ وَالْكَنْبَ وَإِنَّتِهِ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَلَئِنْ فِي الْآخِرَةِ لِيَنَ الْصَّالِحِينَ» [العنكبوت: ٢٦ - ٢٧]، وقال تعالى: «هَلْ أَنْكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﷺ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَاتُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﷺ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ يُعْجِلُ سَمِينَ ﷺ فَقَرِبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﷺ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ يُعْلَمُ عَلَيْهِ ﷺ فَأَبَقَتْ أَمْرَتُهُ فِي صَرْفِ فَصَبَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﷺ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبِّكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ» [الذاريات: ٣٠ - ٢٤]. وقد نص القرآن الكريم على أن يعقوب ولد إسحق حيث يقول الله عز وجل: «أَمْ كُنْتُ شَهَادَةً إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا تَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهَنَا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» [البقرة: ١٣٣]، وإبراهيم جد، وإسماعيل عم، وإسحق والد، والكل يطلق عليه اسم الأب. وقد وصف الله تبارك وتعالى إبراهيم بصفات فقال: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا» [آل عمران: ١٢٠]. وقال: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوْهُ حَلِيمٌ» [التوبه: ١١٤]، وقال: «وَأَنْهَدَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا» [آل عمران: ١٢٥]، وأما ما ساقه الله عز وجل عن إبراهيم ﷺ في قوله: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَنَ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنَ قَالَ بَلْ لَكِنْ لَيَطْمَئِنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةَ مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَ يَأْتِيَكَ سَعِيًّا وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [البقرة: ٢٦٠]، فهو صريح في أن إبراهيم كان عند سؤاله موافقاً بالبعث وبقدرة الله على إحياء الموتى، لكنه أحب أن يضيف إلى علم اليقين عين اليقين، ولذلك تكون أحد الأدلة المادية المحسوسة على قدرة الله على إحياء الموتى، وقد أورد الله

تعالى في سورة البقرة مجموعة من الأمثلة على ذلك، فذكر قصة قتيلبني إسرائيل وضربه ببعض البقرة المذبوحة وقال: ﴿كَذَلِكَ يُخْبِرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ وَرَبِّكُمْ إِيمَانَهُ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]، وقال: ﴿فَوَإِذْ قُلْتُمْ يَكُوْنُ لَنَا نُؤْمِنُ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهَنَّمَ فَأَخَذْتُمُ الْصَّاعِدَةَ وَأَنْشَأْتُمْ نَظَرَوْنَ ﴾٦٦﴿ ثُمَّ بَعْثَتُمُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشَكُّرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥ - ٥٦]، وقال: ﴿إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِينَ حَرَجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرُ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُؤْمِنُوْنَ ثُمَّ أَحْيَهُمْ إِبْرَاهِيمَ اللَّهُ لَدُوْ فَضَلِّلَ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، وقال: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشَهَا قَالَ أَنِّي يُخْبِرُهُمْ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهِمْ فَأَمَاتُهُمُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثْتُمْ قَالَ كَمْ لَيْتَ قَالَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيْتَ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظُرْ إِلَيْ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْكُنَهُ وَأَنْظُرْ إِلَيْ حِمَارِكَ وَلْيَجْعَلَكَ إِيْكَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَيْ الْعِظَامِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا ثُمَّ تَكْسُوْهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ثم ساق بعد هذه القصة مباشرة قول إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وأما ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَ﴾ قال أَولَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلْ وَلَكِنَ لَيَطْمِئِنَ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، «وَبِرَحْمَةِ اللَّهِ لَوْطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رَكْنٍ شَدِيدٍ وَلَوْ لَبِثَ فِي السُّجُنِ طَوْلَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لِأَجْبَتِ الدَّاعِي». فإن المقصود من هذا هو الثناء على هؤلاء الأنبياء الثلاثة وبيان علو منازلهم، وأن إبراهيم لو كان شاكاً لكون أولى بالشك منه، وما دام لم يخطر على بال أحد أن محمداً صلوات الله عليه وسلم يشك في قدرة الله على إحياء الموتى فكذلك إبراهيم صلوات الله عليه وسلم، فهو من الأساليب البلاغية المعروفة بتأكيد المدح بما يشبه الزم.

والركن الشديد الذي أوى إليه لوط هو الله تبارك وتعالى. وقوله في الآية: ﴿أَوْ ءَاوَى إِلَى رَكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]. ﴿أَوْ﴾ فيها بمعنى بل أي، بل أوى إلى الله عز وجل. ثم الثناء على يوسف باعتصامه عن السوء مع ما لقى من الأذى

والسجن. وقول رسول الله ﷺ: « ولو لبشت في السجن طول ما لبست يوسف لأجبت الداعي» أي لسارعت إلى ما دعاني إليه رسول الملك وخرجت من السجن، وقد أراد رسول الله ﷺ أن ينبه إلى المرتبة العليا التي حازها يوسف الصديق رض.

والى الفصل القارئ ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الرابع والعشرون

### تابع إبراهيم ﷺ

أشرطت في الفصل السابق إلى ما قصّه الله تبارك وتعالى عن إبراهيم ﷺ من قوله: «رَبِّ أُرْنِي كَيْفَ تُعَيِّنُ الْمَوْقِعَ» إلخ الآية [البقرة: ٢٦٠]، وبينت المراد من قول رسول الله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»، وأوضحت أن ما كان من إبراهيم ﷺ ليس شكًا، وأن مراد رسول الله ﷺ الثناء على إبراهيم وبيان علو منزلته، وأن هذا جاء على طريقة الأسلوب البلاغي المعروف بتأكيد المدح بما يشبه الذم على حد قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يتأنس بـإبراهيم ﷺ وفي ذلك «قُلْ إِنِّي هَدَنِي رَبِّي إِلَّا صَرَاطُ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَيْمًا مِّلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ إِنَّ صَلَافَ وَشَكِّي وَحَمَّابَيْ وَمَحَّابَيْ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» [الأنعام: ١٦١ - ١٦٣].

وردَ على اليهود والنصارى دعوى حبهم لإبراهيم وأنه على ملتهم فقال: «مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصَارَائِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ أَوَّلَ أَنَّاسٍ يَأْتِيَهُمْ لِلَّذِينَ أَتَبَعُوهُ وَهُنَّا الظَّرِيءُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِلَّهِ الْمُؤْمِنُونَ» [آل عمران: ٦٨ - ٦٧]، وقال: «يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لَمْ تُحَاجِجُوكُنْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَزْلَتَ التَّوْرِيدَهُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» [آل عمران: ٦٥]، وقال تعالى: «وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَهٍ نَفْسَهُ وَلَقَدْ أَضْطَلَتْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ أَنْبَلَّهُمْ إِذَا قَالَ اللَّهُ رَبُّهُ أَسْلَمَ قَالَ أَسْلَمَتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبَيِّنُ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنَ لَكُمُ الْدِّينَ فَلَا تَمُؤْنِنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» [البقرة: ١٣٢ - ١٣٠].

وقد وصف الله تعالى إبراهيم بأنه وَفَى، أي أتم كل ما أمره الله ﷺ به،

وفي ذلك يقول: «وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَقَ» [النجم: ٣٧]. ويقول: «وَلَدُ أَبْشَلَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ يُكْلِمُهُ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعَلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّنِي قَالَ لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» [البقرة: ١٢٤]. وكما قال رجل: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَّةً قَاتَلَتِ اللَّهَ حَسِيفًا وَلَكَ يُكَفَّرُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» [١٢٥] شَاحِكَرًا لِأَنَّهُمْ أَجْبَنَهُ وَهَدَنَهُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ وَمَاءَتِهِ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلِئَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ أَصْلَحَهُنَّ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنَّ أَتَيْعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَسِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» [التحل: ١٢٠ - ١٢٣].

ولقد كان المشركون يدعون أنهم على ملة إبراهيم، وقد صوروا إبراهيم وإسماعيل وعلقوا صورتيهما بالكتعة وبأيديهما الأزلام يستقسمان بها، فأقسم رسول الله ﷺ أنهما لم يستقسما بالأزلام قط، وأمر بالصور فمحيت.

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت، ورأى إبراهيم وإسماعيل بأيديهما الأزلام فقال: «قاتلهم الله، والله إن استقسموا بالأزلام قط» وفي بعض ألفاظ البخاري لهذا الحديث قال: «قاتلهم الله لقد علموا أن شيخنا لم يستقسم بها قط».

ولم يتخذ الله تعالى من خلقه غير خليلين إبراهيم و محمد صلى الله عليهما وسلم، فقد ثبت في الصحيحين من حديث جندب البجلي وعبد الله بن عمرو وابن مسعود رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أيها الناس، إن الله اتخذني خليلاً».

كما أخرج البخاري من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في آخر خطبة خطبها: «أيها الناس، لو كنت متخدناً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أباً بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله».

كما روى البخاري في صحيحه من حديث عمرو بن ميمون قال: إن معاذًا رضي الله عنه لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقرأ: «وَلَعَذَنَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا» [النساء: ١٢٥]. فقال رجل من القوم: لقد فرئت عين أم إبراهيم.

وقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا

رسول الله! مَنْ أَكْرَمُ النَّاسَ؟ قال: «أَكْرَمُهُمْ أَتَقَاهُمْ». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ بْنُ الْمُحَمَّدِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ خَلِيلِ اللَّهِ». قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟» قالوا: نعم. قال: «فَخَيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خَيَارُهُمْ فِي إِسْلَامٍ إِذَا فَقَهُوَا».

وقد أخبر رسول الله ﷺ أن إبراهيم خليل الرحمن أول من يُكسى يوم القيمة، فقد روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحَشِّرُ النَّاسُ عُرَاءً غُرَلَّاً، فَأَوْلُ مَنْ يُكسَى إِبْرَاهِيمُ ﷺ» ثمقرأ: «كَمَا بَدَأْنَا أَوْلَى خَلْقِنَا بِعِيْدُونَ» [الأنبياء: ١٠٤]، وقد جعل الله تعالى من مكافأة إبراهيم عليه السلام على بنائه الكعبة المشرفة بأن جعله يسند ظهره إلى البيت المعمور في السماء السابعة كما جاء في صحيح البخاري في حديث رسول الله ﷺ عن الإسراء حيث قال: «فَاتَّيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، قَيْلَ: مَنْ هَذَا؟ قَيْلَ: جَبْرِيلُ، قَيْلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَيْلَ: مُحَمَّدٌ، قَيْلَ: وَقَدْ أُرْسَلَ إِلَيْهِ؟ مَرْحَبًا بِهِ وَنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَاتَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَبْنَى وَنَبِيٍّ». وفي لفظ: «مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، وإذا هو - أي إبراهيم - مستند ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه».

ومع هذه الكرامة وعلو المنزلة لخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام فإنه لم ينفع أباه لما مات على الشرك، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُلْقَى إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ آزْرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزْرٍ قَتْرَةٌ وَغَبْرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقْلِ لَكَ لَا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ لَهُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبَّ! إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تَخْزِينِي يَوْمَ يَبْعَثُونَ، فَأَيْ خَزِي أَخْزَى مِنْ أَبِي، الْأَبْعَدُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ». ثُمَّ يَقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمَ! مَا تَحْتَ رَجْلِكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيْخِ مُلْتَطِّخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ».

وهذا كما قال رسول الله ﷺ: «يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! اسْأَلِينِي مَمَّا شَئْتَ فَلَنْ أَغْنِيَ عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا عَبَاسَ عَمَ النَّبِيِّ! اشْتَرِ نَفْسَكَ لَا أَغْنِيَ عَنْكَ

من الله شيئاً». وكما قال رَبِّكَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]. ولما قال النبي ﷺ بعد موت أبي طالب: «لأستغرن لك ما لم أنه عن ذلك» فأنزل الله رَبِّكَ: ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُسْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَئِنَّ قَرْفَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَنْجَبُ الْجَحِيمَ ۝ وَمَا كَانَ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِلَيْهِ فَلَمَّا نَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوْهُ حَلِيمٌ﴾ [التوبه: ١١٣ - ١١٤].

وقد أثرت أن الله تبارك وتعالى جمع بين إبراهيم ومحمد ﷺ في صفاتهما الخلقية والخلقية، فكان محمد ﷺ أشبه الناس بأبيه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وقد روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿حَسِبْنَا اللَّهَ وَقَمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قيل له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَخَشُونَهُمْ فَرَادُهُمْ إِيمَنًا وَقَالُوا حَسِبْنَا اللَّهَ وَقَمَ الْوَكِيلُ ۝ فَلَقَلِبُوا بِنِعْمَةِ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلِ لَهُمْ يَمْسِهِمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ دُوْ فَضْلٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤]. كما روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يُعَوِّذُ الحسن والحسين ويقول: «إن أباكم كان يعوذ بها إسماعيل وإسحق: أَعُوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة».

وقد حصر الله النبوة والكتاب بعد إبراهيم ﷺ في ذريته حيث يقول: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا الْأُشْبُوَةَ وَالْكِتَبَ﴾ [الحديد: ٢٦]، وكما قال رَبِّكَ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ الْأُشْبُوَةَ وَالْكِتَبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

فكل كتاب أنزله الله تعالى بعد إبراهيم ﷺ على نبي من الأنبياء ففي ذريته، فقد ولد لإسحق يعقوب وهو إسرائيل، وإليه ينتسب سائر أسباطهم، وكانت فيهم النبوة حتى ختموا بيعيسى ابن مريم، وهو منبني إسرائيل لنسب أمه فيهم.

أما الفرع الثاني من ذرية إبراهيم فهو إسماعيل ﷺ، ومن ذريته خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وهو الجوهرة الباهرة والدرة الزاهرة، وهو صاحب

المقام المحمود والحوض المورود الذي يغبطه الأولون والآخرون يوم القيمة .  
وقد ثبت في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : «أَسْأَلُوهُمْ مَاقِمًا يرْغَبُ  
إِلَيْهِ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمَ» .

والي الفصل القادم ان شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .





## الفصل الخامس والعشرون

### لوط

نتحدث في هذا الفصل عن لوط نبي الله ورسوله ﷺ، وقد قرن الله تبارك وتعالى قصة لوط بقصة إبراهيم ﷺ في موضع كثيرة من كتابه الكريم، وذكر ﷺ أن لوطاً آمن لإبراهيم، وأشار إلى أنه هاجر معه، حيث يقول: «فَامْلَأْ لَهُ لُوطًا وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي» [العنكبوت: ٢٦]، وقد أشرت في ما مضى إلى أن الله ﷺ أرسل لوطاً إلى أهل سدوم وما حولها من دائرة الأردن، وبقي خليل الرحمن في فلسطين، وكان أهل سدوم وفراها من أكفر خلق الله وأفجراهم، وقد ابتدعوا في الفجور بدعة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، فكانوا مع شركهم بالله ﷺ يأتون الذكران من العالمين، ويقطعون السبيل، ويأتون في ناديهن المنكر ويعملون الخبائث، فجاءهم لوط ﷺ يدعوهم إلى ربهم وينهاهم عن هذه الجرائم التي يرتكبونها، ويحذرهم من عقوبة الله إذا استمروا على باطلهم، فلم يستجيبوا له، وقال بعضهم لبعض: «أَخِرُّوا إِلَّا لُوطٌ مِّنْ قَرِيبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ» [النمل: ٥٦]، وكأنهم من تسلط الرجس على قلوبهم صاروا يعدون الطهارة عيبة، يستحق به المتظاهر الإبعاد.

وقالوا للوط ﷺ: «أَتَيْنَا يَعْذَابَ اللَّهِ إِنْ كَثُرَتْ بِنَ الصَّنِيدِقِينَ» [العنكبوت: ٢٩]، قال لوط ﷺ عندما استيأس منهم: «قَالَ رَبِّي أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ» [العنكبوت: ٣٠]، فأرسل الله ﷺ ملائكة وأمرهم أن يمرروا بإبراهيم الخليل يبشرونه بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، وأمرهم إذا انصرفوا من عند إبراهيم أن يقلبو قرى قوم لوط على أهلها بعد أن يأمروا لوطاً بالخروج من ديارهم. فجاؤوا إلى سدوم في صورة رجال من أجمل خلق الله، فجاء قوم لوط إليهم مسرعين يريدون بهم السوء، فانذعر لوط ﷺ، وقال لقومه: «فَانْقُوْ اللَّهُ وَلَا

مُخْرِّبُونَ فِي ضَيْفَتِ أَنَسَ مَنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ» [هود: ٧٨]، إن نساءكم خير لكم وأطهر، قالوا: يا لوط! أنت تعرف أن شهوتنا في الرجال، ولا رغبة لنا في النساء، فاشتد غيظ لوط ﷺ، وقال لهم: «قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً» [هود: ٨٠] يعني لدمرتكم، ولكنني آوي إلى الله عَزَّوجَلَّ، فمن آوى إليه فقد آوى إلى ركن شديد، فعند ذلك أعلمهم الضيوف أنهم ملائكة، وأنهم رُسُلُ الله لإهلاك قومه، ويدرك أن جبريل ﷺ بعد أن طمأن لوطاً ﷺ على أنه لن ينالهم منهم أذى ضرب جبريل أعينهم فطمسها، وقالوا للوط: «لَا تَخَفْ وَلَا تَحْرَجْ إِنَّ مُنْجِوَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانِكَ كَانَتْ مِنْ الْفَنِيرِينَ» [العنكبوت: ٣٣]، وقالوا له: «فَأَسْرِرْ بِأَهْلَكَ يُقْطِعْ مِنْ أَلْيَلَ وَأَئْعَيْ أَدْبَرَهُمْ» [الحجر: ٦٥]. وبشروه بأن «دَابِرَ هَتُولَةً مَّقْطُوعَ مُصْبِحِينَ» [الحجر: ٦٦]، فخرج لوط ﷺ وابنته، فنجاهم الله من العذاب الأليم، وقلبت الملائكة أرض قوم لوط عليهم، فجاءهم حاصب من فوقهم، وخشف من تحتهم، فانقلبت أرضهم كما انقلبت فطرتهم، وقد أباقاها الله عَزَّوجَلَّ إلى اليوم آية بينة يعرفها أهل الجزيرة العربية إذا قدموا إلى الشام أو رجعوا منها على حد قول الله تعالى: «وَإِنَّكُمْ لَمَرْءُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» [الصفات: ١٣٧ - ١٣٨].

وقد جعل الله عَزَّوجَلَّ امرأة لوط قدوة لكل كافر إلى يوم القيمة، حيث يقول: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّادِينِ كَفَرُوا أَمْرَاتٍ ثُوِجَ وَأَمْرَاتٍ لُوْطٍ كَانَتْ تَحْتَ عَبْدِينَ مِنْ عِبَادِنَا صَلَاحِينَ فَخَاتَاهُمَا فَلَمْ يُعْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الْأَذْلِينَ» [التريم: ١٠]، وقد شرحت فيما مضى أن خيانة امرأة نوح وامرأة لوط لم تكن خيانة زوجية بالزنا، وإنما كانت كفراً بالله عَزَّوجَلَّ ومحاربة لرسله عليهم الصلاة والسلام.

وقد ساق الله تبارك وتعالى قصة لوط في مواضع من كتابه الكريم حيث يقول في سورة الأعراف: «وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَرْجَشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْعَلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْإِنْسَانِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسَرِّفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابٌ قَوْمَهُ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَوْيِتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهِرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنْ الْفَنِيرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْفَذَ كَيْفَ كَانَ عَيْقَةُ الْمُجْرِمِينَ» [الأعراف: ٨٠ - ٨٤].

وقال في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشَرِ فَالْأُولُو سَكَمًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لِيَثْ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَهُمْ لَا تَصِلُّ إِلَيْهِمْ نَكَرُهُمْ وَأَوْجَسُ مِنْهُمْ خِفْفَةً قَالُوا لَا تَخْفَفْ إِنَّا أُرْسَلَنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمَّا أَنَّهُ قَابِمٌ فَضَحِكَتْ فِي شَرْنَهَا يَاسِحْقَةً وَمِنْ وَرَءَءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَدْوِيلَقَاءَ الْأَدْدَ وَأَنَا عَجُورٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَقْتَحِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتِ اللَّهِ وَبِرَكَتِهِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَيْدٌ مَحِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَهُمْ الْبَشَرِي يُجَدِّلُنَا فِي قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُّنْبِتٌ ﴿٧٥﴾ يَكَانِرِهِمْ أَغْرِضُ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ إِنَّهُمْ عَذَابٌ غَيْرٌ مَرْدُودٌ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا بَيْهُمْ وَضَافَ بَيْهُمْ ذَرَعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِمْ وَمِنْ قَبْلٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِكُمْ ﴿٧٨﴾ «يعني زوجاتكم» ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَأَنْقُوا اللَّهُ وَلَا تُخْزُنُونَ فِي ضَيْقَةٍ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٩﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴿٨٠﴾ «أي من رغبة وشهوة» ﴿وَإِنَّكَ لَنَعَمَّ مَا تُرِيدُ ﴿٨١﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي يَكُمْ قُوَّةً أَوْ إِمْوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٢﴾ قَالُوا يَنْلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَاسِرٌ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ الْأَيْلَلِ وَلَا يَلْفَتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَأَكَ لَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابُهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصِّبْحُ يَقْرِيبٌ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَعْلَمْنَا عَلَيْهَا سَافَلَهَا وَأَنْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِيجِيلٍ مَنْضُودٍ ﴿٨٤﴾ مُسَوَّمَةً عَنْ دَرِّيْكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ يَبْعِدِي ﴿٨٥﴾ [هود: ٦٩ - ٨٣].

وقال تعالى في سورة الحجر في قصة بشارة إبراهيم بإسحاق وهلاك قوم لوط: ﴿نَّىٰ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٦٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٧٠﴾ وَنَنْهَاهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِعُلُمِ عَلِيهِ ﴿٧٣﴾ قَالَ أَبْشِرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنَّ مَسَيِّ الْكَبَرِ فِيمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَنَطِيْرِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا أَصَالُونَ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَمَا حَطَبْكُمْ أَيْهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسَلَنَا إِلَى قَوْمٍ شَجَرِيْنَ ﴿٧٨﴾ إِلَّا إَمَّا لُوطٍ إِنَّا لَمْجُوْهُمْ أَجْمَعِيْنَ ﴿٧٩﴾ إِلَّا أَمْرَأَتُمْ فَدَرَنَا إِيْهَا لَمِنَ الْفَدَيْتِ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٨١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا بَلْ چَنَتَكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْرُوْتَ ﴿٨٣﴾ وَأَتَيْتَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَدِيقُوكَ ﴿٨٤﴾ فَاسِرٌ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ الْأَيْلَلِ وَأَتَيْتَ أَدْبَرَهُمْ

وَلَا يَلْفَتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ شُرِّمُونَ ﴿٦٥﴾ وَفَضَّلُنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَئْمَرَ أَنَّ دَائِرَ هَوْلَاءَ  
 مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةَ يَشْتَبِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَوْلَاءَ ضَيْفِي فَلَا تَنْفَضُونَ  
 وَأَقْوِا اللَّهَ وَلَا تُخْزِنُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَوْنَمْ شَهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦٩﴾ قَالَ هَوْلَاءَ بَنَّاْيَةً إِنَّ  
 كُنْتُ فَنِيلِنَ ﴿٧٠﴾ لَعْنُوكَ إِنَّهُمْ لَهُ سَكُونَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧١﴾ فَاخْذُهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقُنَ ﴿٧٢﴾ فَجَعَلْنَا  
 عَلَيْهَا سَافَلَهَا وَأَنْطَرْنَا عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ سِيَّجِلَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَهُنَّا  
 لِسَيِّلِ مُقِيمٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَ لِلْمُؤْمِنِينَ» [الحجر: ٤٩ - ٧٧].

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل السادس والعشرون

### تابع: لوط

سقت في الفصل السابق ما ذكره الله عَزَّ وَجَلَّ عن لوط عليه السلام في سورتي الأعراف وهود وفي سورة الحجر، وقال تعالى في سورة الأنبياء عن إبراهيم ولوط: «وَبَيْتَنَاهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَنَا فِيهَا لِلْعَلَمِينَ» [الأنبياء: ٧١].

ثم قال بعد ذلك: «وَلَوْطًا أَلَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَيْتَنَاهُ مِنَ الْقَرِيبَةِ الَّتِي كَانَ تَعْمَلُ الْحَسَنَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوْءً فَسِقِينَ ٧٤ وَادْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ» [الأنبياء: ٧٤ - ٧٥].

وقال تعالى في سورة الشعراء: «كَذَّبَتْ قَوْمٌ لَوْطَ الْمُرْسَلِينَ ١٦٠ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ لَوْطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٦١ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٦٢ فَلَقَوْا اللَّهَ وَأَطْبَعُونَ ١٦٣ وَمَا أَشْكِلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَعْبُرٍ إِنَّ أَجْرَى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦٤ أَتَأْتُونَ الْذُكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ١٦٥ وَتَذَرُّونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ١٦٦ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْهَهْ يَلْوُطُ لَتَكُونُنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ١٦٧ قَالَ إِنِّي لَعَمِلْكُمْ مِنَ الْفَالِلَنَّ ١٦٨ رَبِّنِيَّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ١٦٩ فَجَيَّنَهُمْ وَأَهْلُهُمْ أَجْمَعُونَ ١٧٠ إِلَّا عَجَجُوا فِي الْغَدَرِينَ ١٧١ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ١٧٢ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا فَسَاءَ مَطْرُ الْمُنْذَرِينَ ١٧٣ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةً وَمَا كَانَ أَكْثُرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ١٧٤ وَلَئِنْ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الْأَرْجِيمُ» [الشعراء: ١٦٠ - ١٧٥].

وقال تعالى في سورة النمل: «وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَدْحَشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ٤٤ أَتَنْكِمْ لَتَأْتُونَ الْجَاهَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النَّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ٤٥ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا إِلَّا لَوْطًا مِنْ قَرِيَّتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْطَهِرُونَ ٤٦ فَأَبْيَنَنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتُهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْفَدَرِينَ ٤٧ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا فَسَاءَ مَطْرُ الْمُنْذَرِينَ» [النمل: ٥٤ - ٥٨].

وقال تعالى في سورة العنكبوت: «وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ

الفحشة ما سبّقُوكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ إِلَيْهَا  
وَتَقْطَعُونَ السَّكِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرُ فَمَا كَانَ جَوَابُ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ  
قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥﴾ قَالَ رَبِّيْنَ أَنْصَرِي عَلَى الْقَوْمِ  
الْمُفْسِدِينَ ﴿٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلًا إِبْرَاهِيمَ يَالْبَشَرَى قَالُوا إِنَّا مُهَلِّكُوْنَا أَهْلَهُنَّهُنَّ الْقَرِيبُونَ  
إِنَّ أَهْلَهُنَّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٧﴾ قَالَ إِنَّكَ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا  
لَنْنَجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَافِرِينَ ﴿٨﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلًا لُوطًا  
سُوْءَ يَوْمٍ وَضَافَكَ بِهِمْ دَرَعاً وَقَالُوا لَا تَخْفَ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُتَشَوِّعُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ  
مِنَ الْفَدِيرِينَ ﴿٩﴾ إِنَّا مُتَزَلِّنُونَ عَلَى أَهْلِهِنَّهُنَّ الْقَرِيبُونَ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا  
يَفْسُدُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ تَرَكَنَا مِنْهَا آيَةً يَتَكَبَّرُ قَوْمٌ يَعْقِلُونَ﴿﴾ [العنكبوت: ٢٨ - ٣٥].

وقال تعالى في سورة الصافات: «وَلَمَّا لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ إِذْ جَيَّثَهُ وَأَهْلَهُ  
أَجْعَيْنَهُ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَارِبِينَ ﴿٢﴾ ثُمَّ دَمَرَنَا الْأَخْرَيْنَ ﴿٣﴾ وَإِنَّكُمْ لَمُؤْمِنُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ  
وَبِالْأَيْلَلِ أَفَلَا تَقْتُلُونَ﴾ [الصفات: ١٣٣ - ١٣٨].

وقال تعالى في سورة الذاريات بعد قصة ضيف إبراهيم وبشارتهم إياه بخلاف  
 عليهم قال يعيلون: «فَأَلَّا حَطَبْكُنْ أَهْلَهُ الْمُرْسَلُونَ ﴿١﴾ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ فَوْجًا مُجْرِمِينَ  
لِتُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٢﴾ مُسَوْمَةً عِنْدَ رَبِّكَ الْمُسَرِّفِينَ ﴿٣﴾ فَأَخْرَجْنَا مِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٥﴾ وَرَكَنَّا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخْافُونَ الْعَذَابَ  
الْأَلِيمَ﴾ [الذاريات: ٣١ - ٣٧].

وقال تعالى في سورة النجم: «وَالْمُؤْفِكَةَ أَهْوَى ﴿٦﴾ فَعَسَنَهَا مَا عَسَى﴾ [النجم:  
٥٣ - ٥٤].

وقال تعالى في سورة القمر: «كَذَّبَ قَوْمٌ لُوطًا بِالنُّذْرِ ﴿١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا  
إِلَّا إِلَّا لُوطًا بَحَيْنَهُمْ سِحَرٌ ﴿٢﴾ تَعْمَمَ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ بَخْرِي مِنْ شَكَرَ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ  
بَطْشَنَا فَتَسَارَوْ بِالنُّذْرِ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ رَأَوْهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسَنَا أَعْيُنَهُمْ فَدُوْفُوا عَذَابِي وَنُذْرِ  
وَلَقَدْ صَبَحُهُمْ بَكْرَهُ عَذَابٌ مُسْتَقِرٌ ﴿٥﴾ فَدُوْفُوا عَذَابِي وَنُذْرِ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ يَسَرَنَا الْقُرْآنَ لِلْأَنْكَرِ فَهَلْ  
مِنْ مُذَكِّرٍ﴾ [القمر: ٣٣ - ٤٠].

وقد فهم بعض الناس خطأً أن قول لوط: «أَوْ أَوْيَ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]

يعني أو أوي إلى قبيلة قوية تدافع عنى، وهذا فهم فاسد، فقد جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يغفر الله للوط إن كان يأوي إلى ركن شديد»، وهذا يدل على أن الركن الشديد الذي كان يأوي إليه لوط موجود، وهو الله عز وجل، بخلاف من زعم أنه كان يتمنى عشيرة يأوي إليها وهي غير موجودة، فأهله في العراق، وقد هاجر عنهم، وقد جاء تأكيد وجود الركن الشديد الذي أوى إليه لوط فآواه فيما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد».

وفيما ساقه ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْءَأَوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رحمة الله على لوط لقد كان يأوي إلى ركن شديد». و﴿أَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوْءَأَوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ بمعنى بل، فهي للإضراب كأنه قال: «ليس لي بكم قوة بل أوي إلى ركن شديد»، فلما آوى إلى الله آواه الله إليه، ولذلك قال الملائكة حينئذ: ﴿يَلْوُطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوَا إِلَيْتُكُم﴾ [هود: ٨١].

هذا وجريمة إتيان الذكران من العالمين تأباهما الكثير من الحيوانات العجماء، وقد قال عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي: «لولا أن الله ذكر ذلك في القرآن ما ظنت أن ذكرًا ينزو على ذكر».

ومن غرائب الأمور وعجباتها إطلاق لفظ لوطى على من يأتي الذكران، وقد شاعت هذه اللفظة. واستعملها العلماء والعوام، وهو إطلاق غير صحيح، فلا يجوز أن تنسب هذه الجريمة إلى لوط عليه السلام، فيقال لمرتكبها لوطى، كما لا يجوز أن يقال في أبي جهل وأبي لهب إنهما محمديان؛ لأنهما ضد محمد عليه السلام، كما أن من يأتي هذه الجريمة هو ضد لوط عليه السلام، وقد حكى الله تعالى عن لوط أنه قال: ﴿إِنِّي لَعَمَّلْكُمْ مِّنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨]، ولا سبيل إلى صحة هذا الإطلاق بحال؛ لأن كلمة لوط تدل على معنى الإصلاح، يقال: لاط الحوض إذا أصلحه، وهؤلاء مفسدون في الأرض، ولذلك لم يرد خبر عن رسول الله ﷺ في تسمية

أهل هذه الجريمة لوطين، بل الآثار الواردة عنه تقول: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط...» إلخ الأثر. فيقال لمن يرتكب هذه الجريمة: إنه عملَ عَمَلَ قوم لوط، ولا يقال: له لوطٌ بحال؛ برأ الله لوطاً من هذه النسبة الرديئة.

هذا ومن مفتريات أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن لوطاً بعد أن نجاه الله سكر وزنا بابنته، فقد جاء في الإصلاح التاسع عشر من سفر التكوين ٣٠ - وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنته. ٣١ - وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. ٣٢ - هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً. ٣٣ - فسقنا أباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. ٣٤ - وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة مع أبي، هلم نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلني اضطجعي معه. ٣٥ - فسقنا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. ٣٦ - فحبلت ابنتا لوط من أبيهما.

هذه عبارة الإصلاح التاسع عشر من سفر التكوين من التوراة التي بيد اليهود والنصارى، برأ الله لوطاً وابتنته من هذه الفرية ونزعه لوطاً من كل إثم، وسلام عليه في العالمين.

والى الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل السابع والعشرون

### إسماعيل

نتحدث في هذا الفصل عن الابن البكر لخليل الرحمن، وهو إسماعيل عليهما السلام، وقد ذكرتُ في أثناء حديثي عن إبراهيم عليهما السلام قصة هاجر وأن ملك مصر أعطاها لسارة، وأن سارة وهبها لإبراهيم، وأنها ولدت له إسماعيل عليهما السلام، وذكرتُ ما أورده البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما من قصة مجيء إبراهيم بهاجر وإسماعيل إلى مكة، وقصة زمزم ونشأة إسماعيل عليهما السلام وتعلمه اللسان العربي، وزواجه بامرأة من جرهم ثم فراقها بأمر أبيه الخليل عليهما السلام، وزواجه بأمرأة أخرى صالحة من جرهم، وأمر أبيه له بالمحافظة عليها وتثبيتها، وقصة مساعدة إسماعيل لإبراهيم عليهما السلام في بناء البيت الحرام، وأقامت الحجّة الواضحة على أن إسماعيل هو الذبيح وليس إسحاق عليهما السلام، وأن وصف إسماعيل في البشرة به بأنه غلام حليم بخلاف البشرة بإسحاق، فقد وصف بأنه غلام علیم، وأن إسماعيل أكبر من إسحاق، وأن إبراهيم لم يُبَشِّر بإسحاق إلا بعد أن بلغ إسماعيل السعي مع أبيه عليهم الصلاة والسلام، وقد بيّنت كذلك أن إسماعيل عليهما السلام قد جعل الله من ذريته خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين، الجوهرة الباهرة، والدرة الزاهرة صاحب المقام المحمود والحوض المورود محمداً عليهما السلام.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى إسماعيل في كتابه الكريم في مواضع بأوصاف جليلة، حيث يقول في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا نَقَبَّلُ مِنْ أَنَّكَ أَنْتَ أَكْبَرُ أَسْمَاعِيلُ الْعَلِيمُ ﴾٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرَنَا مَنَاسِكًا وَبَثْ عَيْنَانِا إِنَّكَ أَنْتَ الْوَّابُ الرَّجِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٨].

وقال تعالى في سورة مريم: ﴿وَذَكَرَ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾٤٦﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكُورِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤ - ٥٥].

وقرنه في سلسلة الأنبياء والمرسلين في موضع حيث يقول: ﴿وَذَكْرٌ عَيْدَانًا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخَضَّنَاهُمْ بِخَالِصَتِهِ ذِكْرَ الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمَنْ أَمْصَطَفَنَا الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَذَكْرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكَفَلِ وَكُلُّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨ - ٤٥]

وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكَفَلِ كُلُّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٨﴾ وَادْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنْ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥ - ٨٦].

وقال تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكُنَّا نُوحَ وَالنَّبِيَّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَدْرُونَ وَسُلَيْمَانَ وَإِتَّيْنَا دَاؤِدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿فُلُواً ءَامَّتَكَ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ الَّذِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَهْلِهِ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ ءَامَّتَكَ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالثَّيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَهْلِهِ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤].

وبرأً إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأساطير من اليهودية والنصرانية، حيث يقول: ﴿أَمَّا تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِّ اللَّهِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْهُمْ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ يَعْلَمُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠].

وقد أورد الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم مقاماً لإسماعيل عليهما شهادة تقاضر دونه المقامات العالية، حيث أخبره أبوه الخليل عليهما شهادة بأنه رأى في المنام أنه يذبحه، ففطن إسماعيل في الحال إلى أن رؤيا الأنبياء وهي تجب المسارعة في الإذعان له، والامتثال لأمره، ولو كان في ذلك ذبحه، فإنه يوجد بنفسه امتثالاً لأمر الله، وطاعة لرسول الله عليهما شهادة، ولم تعرف الإنسانية كلها مثل هذا المقام.

وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى في سورة الصافات: ﴿فَإِنَّمَا مِنْ شَيْءِنِهِ﴾

لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٥﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ يَقْلِبُ سَلَمِيْرَ ﴿٨٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَيْهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُوْنَ ﴿٨٧﴾ أَيْقِنًا  
إِلَهَهُ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُوْنَ ﴿٨٨﴾ فَمَا ظَلَّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴿٨٩﴾ فَنَظَرَ نَظَرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٩٠﴾ فَقَالَ إِنِّي  
سَقِيْمٌ ﴿٩١﴾ فَنَوَّلُوا عَنْهُ مُنْبِرِيْ ﴿٩٢﴾ فَرَأَيْتَ إِلَى عَالَمِيْمَهُمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُوْنَ ﴿٩٣﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطَقُوْنَ  
فَرَأَيْتَ عَلَيْهِمْ صَرِيْحًا يَالْمَيْمِينَ ﴿٩٤﴾ فَأَفْبَلُوا إِلَيْهِ يَرِفُونَ ﴿٩٥﴾ قَالَ أَتَعْبُدُوْنَ مَا تَنْجِسُوْنَ ﴿٩٦﴾ وَاللَّهُ  
خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُوْنَ ﴿٩٧﴾ قَالُوا أَبْتَأْلُاهُمْ بِمِنْبَرِنَا فَأَلْقَوُهُ فِي الْجَحِيْمِ ﴿٩٨﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كِيدًا فَعَلَّتْهُمْ  
الْأَسْفَلَيْنَ ﴿٩٩﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّ سَيِّدِيْنَ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ هَبَ لِي مِنَ الصَّابِرِيْنَ ﴿١٠١﴾ فَبَشَّرَنَهُ  
يُعْلَمِ حَلِيْمٌ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا يَلْعَمْ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْتَئِلُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَارِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَظْرُ مَاذَا  
تَرَكَ قَالَ يَتَأْبِتَ أَفْعَلَ مَا تُؤْمِرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ ﴿١٠٣﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَهُ ﴿١٠٤﴾ «أَيِّ  
انْقَادًا لِأَمْرِ اللَّهِ» ﴿وَتَلَوَ لِلْجَيْنِ﴾ «أَيِّ وَصْرَعَهُ عَلَى جَبِينِهِ لِيُنَفَذَ فِيهِ أَمْرُ اللَّهِ وَجَهَلَ»  
﴿وَنَدِيَّنَهُ أَنْ يَتَأْبِهِمُ﴾ ﴿١٠٥﴾ قَدْ صَدَقَ الرُّؤْيَا ﴿أَيِّ وَفِيتَ مَا أَمْرَكَ اللَّهَ بِهِ﴾ «إِنَّا  
كَذَّاكَ بَهْرَى الْمُحْسِنِيْنَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّ هَذَا لَهُ أَبْلَوْا الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿١٠٧﴾ وَقَدِيَّنَهُ بِذِبْحٍ عَظِيْمٍ﴾

[الصفات: ٨٣ - ١٠٧].

هذا ولا نزاع عند النسايين أن جميع القبائل العربية العدنانية هم من ذرية إسماعيل عليه السلام، أما القحطانيون فأكثر أهل العلم على أنهم ليسوا من ذرية إسماعيل، وعامة أهل العلم على أن خزاعة من قحطان، وكذلك الأوس والمخزرج.

وقد جاء في صحيح البخاري من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: مرَّ النبي عليه السلام على نفر من أسلم يتناضلون، أي يتراamon للسبق، فقال: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راماً وأنا مع ابن فلان» قال: فأمسك أحد الفريقيين بأيديهم، فقال رسول الله عليه السلام: «ما لكم لا ترمون؟» فقالوا: يا رسول الله! نرمي وأنت معهم؟. قال: «ارموا وأنا معكم كلكم».

وفي لفظ للبخاري من حديث سلمة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله عليه السلام على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق، قال: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راماً وأنا مع بني فلان» لأحد الفريقيين، فأمسكوا بأيديهم، فقال: «ما لهم؟» قالوا: كيف نرمي وأنت مع بني فلان؟ قال: «ارموا وأنا معكم كلكم».

وقبيلة أسلم تنتهي إلى أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة، ولا إشكال في هذا على من زعم أن قحطان من ذرية إسماعيل، أما أكثر أهل العلم الذين يرون أن القحطانيين ليسوا من ذرية إسماعيل فإنهم يقولون: إن هذا الحديث قد يحمل على كون أسلم من ذرية إسماعيل من جهة الأمهات لا من جهة الآباء؛ لأن القحطانية والعدنانية قد احتلטו بالمحاورة، ولا مانع من مثل هذه النسبة كما اتسبب جميع بنى فاطمة الزهراء إلى رسول الله ﷺ.

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الثامن والعشرون

### إسحاق بن إبراهيم

نتحدث في هذا الفصل عن نبي الله ورسوله إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام، وإسحاق هو الابن الثاني لإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وهو أحد الآيات التي امتن الله بها على خلقه وإليه تنتمي جميع أسباطبني إسرائيل، قد ولدته أمه وهي عجوز عقیم، من إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وقد أشرف سنه على مئة عام.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى البشارة بإسحاق في غير موضع من كتابه الكريم، حيث يقول في سورة الذاريات: «هَلْ أَنَّكَ حَدَّيْتُ صَيْفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكَرَّمِينَ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَأَيْتَ أَهْلَهُ فَجَاءَ بِعِجَلٍ سَمِينٍ فَرَأَيْتَ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَسِرُوهُ يُغْلِيمُ عَلَيْهِ فَأَفْكَتْ أُمَّرَاتُهُ فِي صَرَقَ فَصَكَّ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ» [الذاريات: ٢٤ - ٣٠].

ويقول عَلَيْكَ في سورة هود: «وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشَرَى فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَيْثَ أَنْ جَاءَ بِعِجَلٍ حَنِيدٍ فَلَمَّا رَأَاهُمْ لَا تَنْصُلُ إِلَيْهِ نَكَرُهُمْ وَأَوْجَسُ مِنْهُمْ خِفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ قَوْمًا لُوطًا وَأَمَّا إِنَّهُ فَإِنَّمَا فَضَحِكَ فَبَشَّرَنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَلَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ فَقَالَتْ يَوْنِيَّقَاءُ الْأَدُّ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَعْجَبُنَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ دَحْمَثُ اللَّهُ وَرِكْنُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرُّؤُوفِ وَجَاءَهُ الْبَشَرَى يُجَدِّلُنَا فِي قَوْمٍ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوْهُ مُنْبِتٌ» [هود: ٦٩ - ٧٥].

ويقول عَلَيْكَ في سورة الحجر: «وَنَتَّهُمْ عَنْ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لَا تَنْجُلْ إِنَّا نُشَرِّكُ بِعُلُّيْمٍ عَلَيْهِ قَالَ

أَبْشِرُهُمْ عَلَيْهِ أَنَّ مَسِيَّ الْكَبِيرِ فِيمَا تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ إِلَى الْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنَجِّيْنَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّوْنَ ﴿٥٦﴾ [الحجر: ٥١ - ٥٦].

وقال تعالى في سورة العنكبوت: «وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ إِلَيْهِمْ إِلَيْهِمْ قَالُوا إِنَّا مُهَلِّكُوْا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرِيَّةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِيْنَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَتَسْجِنَهُمْ وَأَهْلَهُمْ إِلَّا امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَافِرِينَ» [العنكبوت: ٣١ - ٣٢].

وقال تعالى في سورة الصافات: «وَبَشَّرَنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الْصَّالِحِيْنَ وَبَرَكَنَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحَمَّدٌ وَظَالِمٌ لِفَسِيْهِ مُدِيْتُ» [الصفات: ١١٢ - ١١٣].

وقد وصف الله تبارك وتعالي سارة عند تلقيها البشرة بأوصاف منها أنها عندما سمعت ضيف إبراهيم يبشرونه بإسحاق أقبلت عليهم في رنة عجيبة مبدية استغرابها من أن يلد مثلها في هذا السن المتقدم، من هذا الزوج الشيخ الكبير، ولذلك صكت وجهها من شدة وقوع هذه البشرة على نفسها، وفي ذلك يقول الله عزّ وجلّ: «فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَقَ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيْمٌ» [الذاريات: ٢٩]. وكما وصفها الله تبارك وتعالي بأنها كانت قائمة، وأنها ضحكت، وليس من سبب لضحكها هنا سوى فرحتها بالأضياف، فجاءتها البشرة بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب. وقالت مستغربة متعجبة: «قَالَتْ يَوْلَقَيْ إِلَيْهِ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيْمٌ» [هود: ٧٢].

وفي قوله عزّ وجلّ: «رَحِمَتْ اللَّهُ وَبِرَكَنَهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ حَمِيدٌ» [هود: ٧٣]. دليل قاطع على أن زوجة الرجل من أهل بيته وفيه رد حاسم على بعض أهل الأهواء المنحرفين عن سُنَّة رسول الله ﷺ أولئك الذين لا يدخلون زوجات النبي محمد ﷺ في أهل بيته في قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الْرِّحْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطْهِرُكُمْ تَطْهِيْرًا» [الأحزاب: ٣٣] حقداً منهم على الطيبات الطاهرات أمهات المؤمنين مع أن السياق جاء نصاً في زوجات رسول الله ﷺ حيث يقول عزّ وجلّ: «يَسْأَلُ النَّبِيَّ لَسْتَنَ كَاحِدٌ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقْيَثُ فَلَا تَخْصَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرْضٌ وَقُلْنَ فَوْلَا مَعْرُوفًا ﴿٣٣﴾ وَقَرْنَ فِي بُؤْتَكَنَ وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرُجَ

الْجَنِيَّةَ الْأُولَى وَقَمَنَ الْصَّلَوةَ وَأَتَيْتَ الرَّكْوَةَ وَأَطْعَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُدْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطْهِرُكُمْ تَطْهِيرًا ٣٣ وَأَذْكُرْنَ مَا يُسْتَأْنَ فِي يُوْقِنْ مِنْ أَيَّتَ اللَّهُ وَالْحِكْمَةُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا [الأحزاب: ٣٢ - ٣٤].

وفي قوله تعالى: «وَمَنْ وَرَأَ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ» [هود: ٧١]. إشعار بأنها تلد غلاماً عليماً يعيش ويكون له نسل، وأن الله تعالى هو الذي سمي ولدتها إسحاق، وسمى ولد ولدتها يعقوب، ويمكن أن يكون فيه إشعار كذلك بأنها سيمتد بها العمر حتى ترى ولد ولدتها، ولا شك أن يعقوب هو ولد إسحاق، وفي ذلك يقول الله تعالى: «أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِيَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ أَبَابِيكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَجْدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» [آل عمران: ١٣٣].

وابراهيم جد وإسماعيل عم وإسحاق والد، والكل يسمى أباً، وكما قال تعالى: «وَلَدَكَ يَجْنِيَكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَتَسْمُّ فَعَمَّتْ عَيْنَكَ وَعَلَّ مَالِيَ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَّ أَبَوِيَكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» [يوسف: ٦].

وقد نص رسول الله ﷺ على أن يعقوب هو ولد إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، فقد روى البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم». وقد وصف الله تبارك وتعالى يعقوب في البشارة بإسحاق بأنه نافلة، حيث يقول: «وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَلَلَّا جَعَلْنَا صَلِيبَنِهِمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعْلَمَ الْخَيْرَاتِ وَلِقَامَ الْصَّلَاةَ وَلِيَتَاءَ الرَّكْوَةَ وَكَافُوا لَنَا عَيْدِينَ» [الأنبياء: ٧٢ - ٧٣]، وقال ابن عباس وقتادة والحكم بن عبيدة: النافلة ولد الولد، ومن فسر النافلة في الآية بأنها العطية أو الزيادة فإنه مقر بأن يعقوب هو ولد إسحاق لما جاء في نص القرآن العظيم والسنّة النبوية بأن يعقوب هو ولد إبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

وقد أورد الله تبارك وتعالى ذكر إسحاق في مواضع من كتابه الكريم مع

جملة من النبيين والمرسلين . وفي ذلك يقول في حق إبراهيم عليه السلام : ﴿فَلَمَّا أَعْتَدْنَاهُمْ وَمَا يَعْدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكَلَّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم : ٤٩] .

وكما قال عليه السلام : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُوبَ وَيُوسُفَ وَهَذِرُونَ وَشُعَيْبُنَ وَأَئِيَّنَا دَاؤِدَ زُبُورًا ﴿١١٦﴾ وَرَسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَرَسُلًا لَمْ نَقَصِصْنَاهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكَلِّيمًا ﴿١١٧﴾ رَسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء : ١٦٣ - ١٦٥] .

والى الفصل القادم انت شاء الله ، والسلام عليكم درحمة الله رب العالمين .



## الفصل التاسع والعشرون

### يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

نتحدث في هذا الفصل عن يعقوب نبي الله بن إسحاق نبي الله بن إبراهيم نبي الله عليهم الصلاة والسلام، وقد تقدم في الفصل السابق أن الله تعالى بشر سارة بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، وأشارت إلى أن القرآن قد نص على أن يعقوب هو ابن إسحاق كما نص على ذلك رسول الله ﷺ في الخبر الذي أخرجه البخاري في ذلك.

ويعقوب هو إسرائيل، وإليه تنتمي جميع أسباطهم، ومعنى إسرائيل: عبد الله، فهو مركب تركيب الإضافة؛ فإن إسرا بالعبرانية هو: العبد، وإيل هو: الله، على أن العرب قد تصرّفت في هذا الاسم بلغات كثيرة منها: إسرائيلين، بإبدال اللام نوناً، كما قالوا في إسماعيل: إسماعين. وهي لغة عربية فصيحة كذلك.

وقد ساق الله تبارك وتعالى الكثير من أخبار يعقوب عليه في قصة ولده يوسف عليه، وقد أشار القرآن العظيم إلى أن يعقوب تزوج أكثر من زوجة، وأنه كان يحس بحنان وعاطفة قوية إلى يوسف عليه، وأن إخوة يوسف من أبيه حقدوا عليه لحب أبيه له، وأن يوسف كان له أخ شقيق بدليل قوله تعالى عن يوسف: ﴿وَلَمَّا جَهَّزْهُمْ بِمَا هُنْ مُهَاجِرُونَ قَالَ ائْتُنُّكُمْ بِأَنَّكُمْ مَنْ أَيْكُمْ﴾ [يوسف: ٥٩].

وأشار القرآن إلى أن يعقوب عليه كان يسكن في بادية بفلسطين مع بنيه، وأن يوسف عليه رأى وهو صغير رؤيا فقصّها على يعقوب، قال: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكِباً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَيِّدِينِكَ﴾ [يوسف: ٤]. فنصحه أبوه بكتمان هذه الرؤيا عن إخوته مخافة أن تحملهم على الكيد له وإلحاق الأذى به. وأفاده أن هذه الرؤيا تدلّ على أن الله يختارك بصفتك **﴿وَيَعْلَمَنَّ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُشَرِّعُ**

لَعْمَتُمْ عَيْلَكَ وَعَلَّ مَالِ يَعْقُوبَ كَمَا أَنْتَمَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَلَعْنَكُمْ [يوسف: ٦] ، وقد ازداد يعقوب بهذا حرصاً على يوسف بِشَكْرَه ، وكان لا يكاد يطيق فراقه أو بعده عنه ، وقد أشعل الشيطان نار الحقد على يوسف في قلوب إخوته فتآمروا عليه: أن يقتلوه أو يطرحوه أرضاً بعيدة عن أبيهم ليخلو لهم وجه أبيهم ، واستقر رأيهم على عدم قتله ، وأن يلقوه في غيابة الجب لتلتقطه بعض السيارة ويحملوه إلى أرض بعيدة مدعين لأبيهم أن الذئب أكله . «فَالْوَيْلَ يَكْبَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ ١١ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدَّاً يَرْقَعَ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفْظُونَ» [يوسف: ١١ - ١٢] ، فأظهر يعقوب بِشَكْرَه تعلقه بي يوسف وأنه لا يحب أن يبتعد عنه ويخشى عليه من الذئب فَقَالَ إِنِّي لَيَخْرُنُنِي أَنْ تَذَهَّبُوا إِلَيَّ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الْذَّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ عَنْفِلُونَ ١٢ قالوا لَيْنَ أَكَلَهُ الْذَّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَيْرُونَ ١٣ فَلَمَّا ذَهَبُوا إِلَيْهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي عَيْنَتِ الْجَبِّ وَأَوْجَنَا إِلَيْهِ لَتَتِسَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٤ وَجَاءُو أَبَاهُمْ عِشَاءَ يَكُونُ ١٥ فَالْوَيْلَ يَكْبَابَانَا إِنَّا ذَهَبَنَا سَتَّى وَتَرَكَنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الْذَّئْبُ وَمَا أَنَّ يُمْؤِنِنَ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَدِيقِينَ ١٦ وَجَاءُو عَلَى قِيَمِهِ بِدَمِ گَدِيرٍ قَالَ بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَفْسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَنُ عَلَى مَا نَصَفُونَ ١٧» [يوسف: ١٣ - ١٤] .

وقد ذكر الله بِشَكْرَه قصة مجيء إخوة يوسف إليه في مصر يمتارون طعاماً وهم لا يعرفونه ، وأنه طلب منهم إحضار أخي لهم من أبيهم فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ قَالُوا يَكْبَابَانَا مُنْعِ مَنَا الْكَيْلُ فَأَرْسَلَ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفْظُونَ ١٨ قال هل أَمْنَكُمْ عَيْتَهُ إِلَّا كَمَا أَمْنَتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلِ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفَظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ بِهِ [يوسف: ٦٣ - ٦٤] ، وقال يعقوب بِشَكْرَه: «فَقَالَ لَنَّ أَرْسَلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونَ مَوْتِيَا مِنْ أَنَّ اللَّهَ لَتَائِنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُعَاطِيْكُمْ فَلَمَّا أَتَوْهُ مَوْتِهِمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَفُولُ وَكِيلٌ ١٩ وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابِ وَجِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابِ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنِيْتُكُمْ مِنْ أَنَّ اللَّهَ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلُ ٢٠ وَعَلَيْهِ فَلِيَتَوَكِّلَ الْمُتَوَكِّلُونَ ٢١ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمْرَهُمْ أَبْوَهُمْ مَا كَانَ يُعْنِيْهِمْ مِنْ أَنَّ اللَّهَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَيْتُهَا بِهِ [يوسف: ٦٦ - ٦٨] ، وأن يوسف بِشَكْرَه عندما رأى شقيقه عرفة بنفسه

وقال: ﴿إِنِّي أَخْوَكَ فَلَا تَبْتَسِّسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ٦٩]، ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٠]، لتكون سبباً ظاهراً لحرجه عنده، وحاول إخوه يوسف أن يجعلوا أحد أشقائهم مكانه لكنه رفض ﴿قَالُوا يَأَبَيْهَا الْعَرِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شِيخًا كَيْرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَدَكَ مِنَ الْمُخْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨]، فرفض يوسف ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْغُسُوا مِنْهُ حَكَمُوا بِهِمَا قَالَ كَيْرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاتُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْنِيقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي إِنِّي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَكَمِينَ﴾ [٨١] أَرْجَعُوا إِلَيْهِمْ فَقَوْلُوا يَأَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهَدْنَا إِلَّا مَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِغَيْبِ حَفَظِينَ [٨١] وَسَعَى الْفَرِيَةُ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرُ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِّقُونَ﴾ [يوسف: ٨٠ - ٨٢].

قال يعقوب ﴿لَمَّا قَالَ لَهُ أَوْلَادُهُ ذَلِكَ: قَالَ بْلَ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَيْلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَيْعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [٨٣] وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَافَى عَلَى يُوسُفَ وَأَيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْعَزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٣ - ٨٤]، فقال له بنوه: ﴿تَالَّهُ تَفَتَّأْ تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً﴾ [يوسف: ٨٥] أي قريباً من الموت لما يجلبه لك الحزن من الأقسام والأوجاع ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَلَكَينَ﴾ [يوسف: ٨٥] أي أو تموت. ﴿قَالَ إِنَّا أَشْكُوُ بَثِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٨٦] يَبْكِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنِي مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَفَرُونَ﴾ [يوسف: ٨٦ - ٨٧].

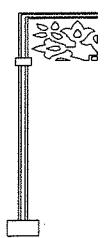
فلما دخلوا على يوسف وشرحوا له ما أصاب أباهم من الهم والحزن على فراق ولده عرّفهم يوسف بنفسه، وأمرهم أن يذهبوا بقميصه ليضعوه على وجه أبيه ليذهب حزنه وليأتي بصيراً، وأمرهم أن يأتوه بأهلهم أجمعين، ﴿وَلَمَّا فَضَلَّتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ﴾ يعقوب ﴿لَبْنِيَهِ: إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [٩٦] ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ ألقى قميص يوسف على وجه أبيه ﴿فَأَرَنَّدَ بَصِيرًا﴾ وقال لبنيه: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٩٧] ﴿قَالُوا يَأَبَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا حَظَّعِينَ﴾ [٩٨] قال سوفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ مَأْوَى إِلَيْهِ أَبُويهِ﴾ [يوسف: ٩٦ - ٩٩] أي ضم إليه أباه وخالته أم إخوانه

لأبيه، والخالة أم فهي أحد الأبوين، أو هي أمه. ﴿وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْنِينَ ﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ٩٩ - ١٠٠] وسجدوا لله للشكر.

وقال يوسف: ﴿يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلِ فَقَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحَسَّ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ الْسِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ أَنْدُو مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِ وَبَيْنَ إِخْرَقَ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

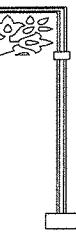
والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل الثلاثون

### يوسف الصديق ﷺ



نتحدث في هذا الفصل عن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف الصديق نبي الله ورسوله ﷺ، وقد تقدم في الحديث عن آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام بعض الحديث عنه ﷺ، وعامة النسبين على أنه ولد ليعقوب من زوجته راحيل، وأكثر أهل العلم على أنها ماتت وهو صغير بعد أن تركت له شقيقاً أصغر منه هو بنيامين.

وكان يعقوب ﷺ قد أنجب من غير راحيل عشرة أولاد آخرين، وكانت زوجته الأخرى هي أخت راحيل الكبرى، وقد أعطى الله تعالى يوسف ﷺ من الحُسن والجمال ما جعل مضرب المثل في ذلك حتى وصفه رسول الله ﷺ بأنه أعطي شطر الحُسن، فقد روى مسلم في صحيحه في قصة الإسراء والمعراج من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال في حديثه عن عروجه إلى السموات العليا: «ثم عُرْجَ بنا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعثت إليه؟ قال: قد بُعثت إليه. فَفَتَحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ، فَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ» إلخ الحديث.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى عن النسوة اللاتي لُمْنَ امرأة العزيز أنها لما اخترتهم فوضعت **﴿لَمْنَ مُتَّكَأً وَأَنَّتِ كُلَّ وَجْدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ أَخْرُجْ عَلَيْنِنَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَكْبَرَنَّهُمْ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيهِنَّ وَقُلنَ حَشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَسْرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾** [يوسف: ٢١].

وقد أحبه أبوه يعقوب ﷺ، لما من الله عليه به من جمال الظاهر والباطن، ورأى إخوه أن أباهم يحب يوسف وبنيامين أكثر منهم، وأبوهم أعرف بحالهم وحاله وسلوكهم وسلوكه.

فحقدوا على يوسف ﷺ، وإن خوة يوسف ليسوا بمعصومين من المعاصي

والسيئات، فهم ليسوا بأنبياء، وهم وإن كانوا من الأسباط لكنهم غير الأسباط الذين ذكر الله عَنْكَ أنه أوحى إليهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْنَاهُ نُوحُجُ وَالثَّنَيْنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ [ النساء: ١٦٣] إذ السبط يطلق على ولد الولد مهما نزل. كما يطلق على ولد البنت كذلك. وقد خصَّ الله تبارك وتعالى يوسف بسورة كاملة من القرآن قصَّ فيها قصته وقد ختم سورة هود بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَفْعُلُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرَّسُولِ مَا نُثِّلُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] إلخ، وقد ذكر في أنباء الرُّسل المذكورين في سورة هود ما لقي الأنبياء من قومهم من الأقارب والأبعد من الأذى ذكر في سورة يوسف وهو أحد الرسل العظام ما لقي من أذى إخوته له، ليعلم ما لقيه الأنبياء من أذى الأقارب والأجانب لِمَا في ذلك من تشبيت فؤاد رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وتثبيت قلوب المؤمنين.

وقد اشتغلت قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ على الجليل من الأحكام والحكم والأداب وقواعد السوق وسيَر الملوك، وتفكير العلماء، وتدبير الخطط للوصول إلى المقاصد الصالحة، ورسم الوسائل الجميلة لنيل الأهداف السامية، ومكر النساء، وعدم صبرهن على ما قد يعرض لهن من الفتنة. وبيان حسن عاقبة المتقين الصابرين، وأن الأنبياء لا يعلمون الغيب إلا ما يطلعهم الله عليه منه.

وقد بدأ الله تبارك وتعالى قصة يوسف برؤياه التي رأى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو صغير السن، وختم قصته بأن ما آتَى إليه من العزة والكرامة كان تأويل رؤياه وتحقيقها، وفي رؤيا يوسف يقول الله عَنْكَ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَأَبَّتْ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكِبًا وَالشَّمْسَ وَالْفَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجِيدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، وقد فهم يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أن رؤيا يوسف هذه تدل على أنه أَعْدَّ لأمر عظيم من تشريف الله له، وإعزاز جنابه، واصطفاء الله له، وأنه يتم نعمته عليه وعلى أبيه يعقوب كما أتمها على أبويه إبراهيم وإسحاق، وطلب من يوسف أن يكتم هذه الرؤيا عن إخوته لما يستشعره يعقوب من حقد them عليه وبغضهم له، وأنه لو أخبرهم بقصة هذه الرؤيا لازدادوا حقداً وكادوا له كيداً.

وفي ذلك يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَلَيْسَ لَا تَفْتَصُرُ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتَكَ فَيُكَيِّدُوا لَكَ كِيدَّا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَنِ عَذُّوٌ مُّبِينٌ﴾ <sup>٥</sup> وكذلك يُهَمِّيْكَ رُؤْيَاكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُشَمُّ بِعَمَّتِهِ عَلَيْكَ وَعَلَى إِلَيْكَ يَعْقُوبَ كَمَا أَنْتَهَا عَلَى أَبُوكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٦ - ٥]، وقد فهم يعقوب من هذه الرؤيا كذلك أن ابنه يوسف سيكون طويلاً في تعبير الرؤيا والأحلام، مما يبني على ذلك من رفعة شأنه وعلو منزلته، وتمكينه في الأرض، وعامة المفسرين على أن الأحد عشر كوكباً هم إخوة يوسف، وأن الشمس والقمر هما أبوه وخالته أو أبوه وأمه.

وقد وصف الله عَزَّ وَجَلَّ ما كان من شأن يوسف وإخوته بأنه آيات للسائلين حيث يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَلِغُورِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]، أي عبر وعظات وعجائب وحكم للمست Sherifin المستشرين المعتبرين المتshawفين. وماذا يفعل الحسد بصاحب، ونهاية حال الحاسدين، وأثار الصبر والعاقبة الحميده للصابرين، وحنان الأب، وأنه مهما حرص الإنسان على حفظ ولده من السوء، فإنه لا يخلصه من قضاء الله، وأن الأب الصالح قد يلد الابن غير البار. وأن العفو عند المقدرة من شيم الكرام، وإثبات النبوة والرسالة لخاتم الأنبياء محمد ﷺ، إلى غير ذلك من الدلالات وال عبر مما لا يحيط به إلا الله عَزَّ وَجَلَّ.

وكانت أول بادرة سوء من إخوة يوسف أن قالوا: ﴿لَيُوْسُفُ وَأَخْوَهُ﴾ [يوسف: ٨] بنiamin ﴿أَحَبُّ إِلَيْهِ أَبِينَا مَنَّا﴾ [يوسف: ٨]، فميله إليهما أكثر، وحنانه عليهما أعظم، وعطفه عليهما أشد مع أنها لقوتنا أعظم نفعاً لأبينا، ونحن مع كثرتنا يد واحدة، إن أبانا لمخطئ في هذا الحب، بعيد عن الرشد والصواب، قال بعضهم لبعض: لا بد من صرف يوسف عن وجه أبيه فاقتصر بعضهم قتلها، واقتصر بعضهم رميها في أرض بعيدة تفترسه الوحش أو يموت في تلك الأرض ونكون صالحين بعد ذلك، واقتصر بعضهم بإعاده عن أبيه مع محاولة المحافظة عليه من أسباب الهالاك بإلقائه في ﴿غَيَّبَتِ الْجِبَّ﴾ [يوسف: ١٠]، وهي إحدى جوانب البئر المظلمة ليُلْتَقَطَ، واستقر رأيهم على أن يجعلوه في مكان مظلم من بئر يُرِدُّها المسافرون إلى مصر من فلسطين، ولما بدؤوا في تنفيذ هذه الخطة قالوا

لأبيهم : يا أبايا ما لك لا تسمح لنا باستصحاب يوسف معنا إلى ملاعبنا ومراعينا مع أننا نحبه وننصح له ونخلص موته ، ابعثه معنا غداً إلى الصحراء ننعم ونأكل ونلهم ونشتت ونتسابق ويتدرب على رعي الماشية ، ونؤكد لك أننا سنحافظ عليه من كل ما يسوء .

فأجابهم يعقوب عليه لا يطيق فراقه ، وأنه يحزنه بعده عنه ، ويخشى عليه من الذئب في حالة لَهُوِّهِم وغفلتهم عنه ، فاستبعدوا أن يأكله الذئب ؛ لأنهم عصبة أي جماعة أقوىاء يشد بعضهم أزر بعض ، فلن يصل إليه الذئب بحال ؛ لأنه لو وصل إليه الذئب مع قوتنا وكثرتنا فإنه لا خير فيما حينئذٍ ونكون هالكين عاجزين ضعفاء ، فأخذوه من أبيه مع حذر أبيهم ؛ لأن الحذر لا ينجي من القدر وتركوا بنiamين ، وذهبوا به إلى الجُب فلما ألقوه في عَيْبَتِ الجُبِ (غيابة الجب شبيهة (بيت الماكينة) في عصرنا الحاضر ، يجذب بها الماء من البئر ، ولو ألقوه في وسط البئر لمات) ألقى الله عَيْنَكَ في قلبه الطمأنينة وأنه لن يهلك في هذه البئر ، وأنه سيري إخوانه الحسدة هؤلاء مرة أخرى ، وأنه سيخبرهم بهذا الذي فعلوه معه في وقت يكون فيه عزيزاً وهم أذلاء ، وكانوا قد جردوه من قميصه قبل إلقاءه في الجُب ، فوضعوا على قميصه دماً كذباً ، أي دماً مكذوباً مفتعلًا ليس بدم يوسف ، **﴿وَجَاءُوكُمْ أَبَاهُمْ عَشَّةً يَتَكُونُ﴾** [يوسف: ١٦] وقالوا لأبيهم : **﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْأِقُ وَرَكَّنَنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾** وما أنت بمصدق ما نقول **﴿وَلَوْ كُنَّا صَدِيقَنَ﴾** [يوسف: ١٧] ، ولم يصدقهم يعقوب عليه في أكل الذئب له ولا أنه قتل ليقيمه أنه سيكون ليوسف شأن ، ولذلك قال لهم : **﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ بِجَهَنَّمْ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصْنَعُونَ﴾** [يوسف: ١٨] .

والى الفصل القادم انت شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## الفصل الحادي والثلاثون

### تابع يوسف الصديق ﷺ

ذكرت في الفصل السابق ما كان من إخوة يوسف ﷺ وكيدهم له، والاحتياط على أبيهم في أخذهم يوسف منه وإلقائه في الجب، وفي ذلك يقول الله تعالى: «لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَلِحْوِيهِ مَا يَنْتَ لِلسَّالِمِينَ ۝ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَلَهُ خُوْبٌ إِنَّا أَنْسَنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ أَفَنَلُو يُوسُفَ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَيْكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَلَمِيْنَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا نَقْلُو يُوسُفَ وَلَقَوْهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ الْسَّيَارَةِ» (أي بعض المسافرين المارين من القوافل، والسيارة جمع سيّار، أي الكثير السير المبالغ فيه) «إِنْ كُثُّمْ قَعْلِيْنَ» [يوسف: ٧ - ١٠]. «قَالُوا يَتَأْبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُّونَ ۝ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدَّا يَرْتَعِنَ وَلَعْبَتْ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ۝ قَالَ إِنِّي لَيَحْرُثُنِي أَنْ تَذَهَّبُوا بِهِ وَلَا خَافَ أَنْ يَأْكُلَهُ الْذَّئْبُ وَأَتَمَّ عَنْهُ غَنِفُونَ ۝ قَالُوا لِئِنْ أَكَلَهُ الْذَّئْبُ وَتَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَعَسِرُونَ ۝ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَمْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْجَحُوا إِلَيْهِ لَتُنَيَّثُهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَسْتَعْرُونَ ۝ وَجَاءُو أَبَاهُمْ عِشَّاً يَتَكُونُ ۝ قَالُوا يَتَأْبَانَا إِنَّا ذَهَبَنا نَسْتِرِنَ وَنَرْكَنَ يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الْذَّئْبُ وَمَا أَنَّ يَمُؤْمِنِ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَدِيقِنَ ۝ وَجَاءُو عَلَى قَمِصِهِ يَدْمِرُ كَذِيْبَ قَالَ بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَفْسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ حَيْلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصْنَعُونَ» [يوسف: ١١ - ١٨].

وكان موقف يعقوب ﷺ عندما أخبره بنوه بأن الذئب أكل أخاهم يوسف مع يقينه بكذب بنيه هؤلاء وأن يوسف قد تعرض لامتحان عسير كان موقف يعقوب ﷺ هو هذا الموقف الكريم من الصبر على البلاء، وتفويض الأمر لله وعدم الجزع، وفي ذلك قدوة لكل عبد صالح يبتلى ويُمتحن.

ولذلك روى البخاري أن الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين الحسان الرزان

عائشة رَبِّيَتْ لِمَا رُمِيتَ بِالْإِلْفَكَ قَالَتْ: «وَاللَّهِ لَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مثلاً إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: ﴿فَصَبَرُ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

وقد وصف الله تبارك وتعالى ما حدث ليوسف بعد أن ألقاه إخوه في الجُب بما يفيد أن وحشته في الجُب لم تطل، وأن الله تعالى هيئاً له قوماً من المسافرين نزلوا قريباً من الجُب، وبعثوا واردهم، أي شخصاً يَرِدُ الجُب ليستقي لهم، فألقى دلوه في الجُب فتعلق بها يوسف ﷺ، فلما أحسَّ به الوارد أخرجه وقال: يا فرحتي هذا غلام، واتفق في السر مع بعض رفقة أن يزعموا أنه عبد استبعضناه لبعض أهل المال القريبين من الجُب لنبيعه لهم في مصر، وكأن يوسف ﷺ رأى أنه لا يستطيع رد دعواهم هذه في عبوديته، فاستسلم، وكأن الذين جعلوه بضاعة أحسوا بأنهم أمام إنسان كريم، لا ينبغي أن تتداول مثله الأيدي، ورأوا أنه لا يصلح أن يضعوه إلا عند كبير وزراء ملك مصر تكرمةً له، فما إن قدِّموا مصر حتى قدَّموه لعزيزها وباعوه له بشمن «رمزي» ﴿بِشَمِّنْ بَخْسِنْ دَرَّهُمْ مَعْدُودَة﴾ أي قليلة، يقيناً منهم أن هذا الإنسان الكريم حريٌ أن يستقر في بيت العزيز على أي حال، وأنهم ليسوا أهلاً لجعله تحت أيديهم أو أيدي سواهم ممن دون العزيز، وبدأت مراحل التكريم والإكبار والإجلال والإعزاز تترادف على يوسف ﷺ، وكانت فرحة العزيز به غامرة، وقال ﴿لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِيمٍ مَؤْنَهِ﴾ وأنزليه أحسن المنازل ﴿عَسَقٌ أَنْ يَقْعُنَّا أَوْ نَتَخَذَنَّهُ وَلَدَّا﴾، وهكذا فرُّ ضارة نافعة، فقد انتقل من شظف العيش في الباية إلى أكبر القصور المتحضرة، وكان إلقاءه في الجُب سبباً لوصوله إلى مصر وتنقله في أطوار الكرامة حتى صار ملكها، فرحم الله به العباد والبلاد وبخاصة في سني القحط والجدب، حتى امتد ما أفاء الله به بسيبه إلى أبويه وإخوه، وفي هذا ثبيت لفؤاد رسول الله ﷺ وإعلام له بأنني عالم بأذى قومك لك، ولكن الفرج قريب، فسأجعل لك حُسن العاقبة والتمكّن منهم، وكذلك فعل الله ﷺ، فلم يطل الأمر حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وبعد سنين قريبة من سني ابتعد يوسف عن أبيه فتح رسول الله ﷺ مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وقد أثر أن رسول الله ﷺ قال لأهل مكة

الذين آذوه وأخرجوه: «ما تظنون أني فاعلُ بكم؟» قالوا: أخُ كريم، وابنُ أخ كريم. قال: «لا أقول لكم إلا كما قال أخي يوسف ﴿لَا تَرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ اذهبوا فأنتم الطلقاء».

وقد وصف الله تبارك وتعالى انتقال يوسف إلى بيت عزيز مصر بأنه تمكين له في الأرض، وقد بلغ فيه أشدَّه، وآتاه الله الحكم والعلم، وفي ذلك كله يقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَارَةً فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَادْلَكَ دَلْوُمْ قَالَ يَبْشِرَى هَذَا غَلْنَمُ وَاسْرُوهُ بِضَعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾١٩﴿ وَشَرَوْهُ﴾ «أي باعوه» ﴿شَرَبَ بِخِسْ دَرَهَمٍ مَعْدُودَةً وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْزَّاهِدِينَ﴾ «كان زدهم فيه زهد إجلال وإكبار لا زهد ازدراء واحتقار» ﴿وَقَالَ الَّذِي أَشْرَكَهُ مِنْ مَصْرَ لِأَمْرَائِهِ أَكْرِمِي مَثْوِيَ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَنْخَذُهُ وَلَدَّا وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلَعِلْمُهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ عَالِمٌ عَلَى أُمُرِهِ وَلَكِنَّ أَكْرَمَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾٢٠﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشَدَّهُ، ءَاتَيْنَاهُ حَكْمًا وَعَلِمًا وَكَذَلِكَ بَهْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ١٩ - ٢٢].

وقد ذكر الله تبارك وتعالى عن زوجة العزيز أنها تعلق قلبها بيوسف، وقد شففها جباراً أي دخل حبه شغاف قلبها، أي غلافه أو حجابه أو حبته أو سويادةه، فصار في قلبها كأنه ملك وهي أمته، تبذل كل ما تطيق لإسعاده وإعزازه وإكرامه، حتى بلغ بها الحال أن فكرت في مخالطته، فبذلت كل ألوان الإغراء بها أمامه، وهو منصرف عنها غير عابئ بتصرفاتها، فلما أيقنت أن مراودتها له لم تصرف وجهه إليها رأت كما قيل:

فَمَا نَيَلَ الْمَطَالِبُ بِالْتَّمَنِي      وَلَكِنْ تَؤْخُذُ الدُّنْيَا غَلَابًا

وأن التلويع لم يفدها بشيء وأنه لا بد من التصریح ليوسف بحاجتها، ﴿وَعَلَقَتِ الْأَبَوَابُ وَقَاتَتِ هَيَّتَ لَكَ﴾ أي تهیئت وتجملت من أجلك أنت فأقبل علىي، ﴿قَالَ مَعَادَ اللَّهِ﴾ أي اتحصن بالله وأستجير به من أن أرتكب جريمة الزنا، وهي أفحش الجرائم، وقد أحسن الله إليَّ كثيراً وهياً لي المترتب على الحسن والمرجع الكريم فكيف أقابل إحسانه بمعصيته، والزنا لا يسعدون ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ أي لا يسعد الزناة، فإن الزنا مجيبة لروابط النعمة في الدنيا وعذاب الله في الآخرة،

ولما كان الطيش والثورة الجنسية قد بلغت بالمرأة كل مبلغ فلم تعبأ بامتناعه واعتصامه عن السوء فأقبلت عليه، ولو لا أن الله تعالى يعصم أنبياءه ورسله من السوء لأقبل عليها، ولكن يوسف عليه السلام قد تجلت له نعم الله عليه فصرف الله عنه السوء والفحشاء، وخرج إلى جهة الباب هارباً منها، فلحقته وأدركت قميصه من خلفه فجذبه فانقطع القميص من دبر «أي من خلف»، لكنه تمكّن من الباب، وكان العزيز عند هذا الباب، فسارعت إلى إلصاق التهمة بيوسف، وقالت لزوجها: «مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» فدافع يوسف عن نفسه وقال للعزيز: «هَيَ رَوَدَتِي عَنْ نَفْسِي» فأنطق الله شاهداً من أهلها فقال للعزيز: انظر القميص إن كان قطعه من جهة صدره فهي بريئة؛ لأنها تكون قطعته وهي تدافع عن نفسها وهو مقبل عليها، وإن كان القميص قطع من جهة الخلف فهو بريء؛ لأنها قطعته وهو يحاول الفرار منها وهي تلاحمه، فلما رأى أن قطع القميص كان من الخلف أيقن ببراءة يوسف عليه السلام.

ومن الملاحظ هنا أن الشاهد بدأ بالنظر في قطع القميص من أمام ليكون أدعى لمحاولته براءتها حتى لا يتهم بمحاباة يوسف عليه السلام، وإن كان هذا الشاهد من أهلها، كما أن ذلك يكون أوقع في قبول شهادته عندهما، وهذا شبيه بما قال مؤمن آل فرعون لفرعون وقومه في موسى عليه السلام: «وَإِنْ يُكُنْ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يُكُنْ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعْدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ» [غافر: ٢٨]. فإن هذا المؤمن بدأ فرض المسألة باحتمال أن يكون كاذباً، وثنى باحتمال أن يكون صادقاً ليكون كلامه أوقع في قلوبهم، وأقرب لتصديق نصحه لهم، ولم يسم الله تبارك وتعالى امرأة العزيز ولم يسمها رسول الله عليه السلام والناس يقولون فيها: زليخاء أو زلليخاء أو راعيل، ولما لم يكن لتعيين اسمها كبير فائدة لم يسمها الله تعالى لنا، وإنما ذكر الأمر المهم الدال على رفعه قدر يوسف ونزاهته بأنه في بيتها، وأنها غلقت الأبواب، وأنها قالت: «هَمِّتْ لَكَ» وأنها «هَمَّتْ بِهِ» [يوسف: ٢٤] ومع ذلك صرف الله عنه «السوء والفحشاء».

وفي ذلك كله يقول الله تعالى: «وَرَوَدَتِهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَقَتِ

الْأَبْرَبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لِكَ قَالَ مَعَادُ اللَّهِ إِنَّمَا رِيقَ أَحْسَنَ مَشَائِي إِنَّمَا لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ **(٢٣)**  
 وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهُمْ يَهَا لَوْلَا أَنْ رَعَاهُ بِرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ  
 إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ **(٢٤)** وَأَسْتَبَقَ الْبَابَ وَقَدَّتْ قِيَصِيمُ مِنْ دُبُّرِ وَالْفِيَا سِيدَهَا لَدَّا  
 الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابُ أَلِيمٌ **(٢٥)** قَالَ هِيَ  
 زَوْدَتِنِي عَنْ شَفَقٍ وَشَهَدَ شَاهِدًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قِيَصِيمُ قُدَّ مِنْ قُبْلٍ فَصَدَّقَتْ وَهُوَ  
 مِنَ الْكَذِيْنِ **(٢٦)** وَإِنْ كَانَ قِيَصِيمُ قُدَّ مِنْ دُبُّرٍ فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّدِيقِينَ **(٢٧)** فَلَمَّا رَأَهَا  
 قِيَصِيمُ قُدَّ مِنْ دُبُّرٍ قَالَ إِنَّمَا مِنْ كَيْدَكُنْ إِنَّ كَيْدَكُنَ عَظِيمٌ **(٢٨)** يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا  
 وَأَسْتَغْفِرِي لِذَنِيْكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ **(٢٩)** [يوسف : ٢٣ - ٢٩].

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الثاني والثلاثون

### تابع يوسف الصديق عليه السلام

ذكرت في ختام الفصل السابق ما ذكره الله تعالى من محاولة العزيز استكتام قصة مراودة زوجته ليوسف عليه السلام، وأنه طلب منها أن تستغفر الله لذنبها، وأنها من الخاطئين، حيث قال: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩].

غير أن استكتام هذه الحادثة لم يتم، فتناقلته بعض الألسن، وتحدثت به نسوة في المدينة من نساء الأمراء وبنات الكبار، وطعنن على امرأة العزيز وعيوبها وبشّعن عملها، وشنعن عليها في مراودتها فتاتها، وحبها الشديد له وتشوقن لرؤيتها، فلما سمعت بتشنيعهن عليها، والتّنّقص لها، وعيوبها ومذمّتها بحب مولاها، ولم يعرفن أن جمال يوسف يفتن ذات اللب، فأحببت أن تبسّط عندها عندهن، وتبيّن أن هذا الفتى لا وجود لمثله في الفتيا، فأرسلت إليهن فجتمعن في منزليها، وأعتدت لهن ضيافة، وأحضرت في جملة ذلك شيئاً مما يقطع بالسّكاكين كالأترج ونحوه، وآتت كل واحدة منهن سكيناً، فلما بدأن بقطيع ما بأيديهن بالسّكاكين أمرته بالخروج عليهن، فخرج وهو أحسن من البدر لا محالة، فلما رأينه أعظمته وأجللته وحبّنه واندهشن لرؤيته وبهرهن حسنه حتى اشتغلن عن أنفسهن به، وجعلن يقطعن ويحززن في أيديهن بالسّكاكين بدل تقطيع الفاكهة ولا يشعرن بالجرح، وظنّن أنه لا وجود لمثل هذا فيبني آدم، ﴿وَقُلْنَ حَسْنَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]، أي معاذ الله أن يكون هذا من بني آدم، ما هذا إلا ملك كريم.

وأهل مصر يومها وإن كانوا وثنين إلا أنهم كانوا يقررون برب السموات والأرض كمشركي قريش وغيرهم، وإن كانوا يعبدون غير الله، وعندئذٍ أبرزت

امرأة العزيز مكتنون ما في قلبها من عشقه والهياط به، و﴿فَقَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لَمْ تُمْتَنِنِ فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢]، وأظهرت عفتها وبراءته التامة، وقالت: ﴿وَلَقَدْ رَوَدْنَا عَنْ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصِمُ﴾ «أي امتنع وأبى» ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُوا لَيُسْجَنَ وَلَيَكُونَا مِنَ الظَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

ولا شك أنها كانت قد وصلت من الهياط به والجنون فيه إلى حد أنها أصبحت تصريح بهذا الذي قالته عند هذا الملا من الناس، فلما سمع يوسف ﷺ ما توعدته به من السجن ومذلة إن لم يخضع لما تريده منه ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبَرُ إِلَيْهِنَّ﴾ «أمل إليهن» ﴿وَلَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] فإنه لا يصرف عني السوء أحد سواك يا أرحم الراحمين، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، فإنك إن وكلتني لنفسي وكلتني إلى عجز وضعف، ولا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله، فاعصمني من السوء واحفظني من الشر، وحُظِّني بحولك وقوتك يا رب العالمين، ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَّفَ عَنْهُ كَيْدُهُنَّ إِنَّهُ هُوَ أَسْمَىُ الْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ٣٤].

واستحق يوسف ﷺ أن يكون بهذا على رأس السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فمنهم رجل دعوه امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله. كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي في الصحيحين.

وبعد أن ذاع وشاع براءة يوسف ﷺ رأى العزيز وزوجته أنه من المصلحة سجن يوسف؛ ليكون ذلك أقل لكلام الناس في تلك القضية، وليرغبوا الناس بأنه هو الذي راودها عن نفسها فسُجن بسببها، فسجنه ظلماً وعدواناً، وكان السجن أحب إلى يوسف من مخالفتها، وأبعد له عن معاشرتهم وقربهم.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ نَسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ أُمَرَاتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَنَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَفَّهَا حُبًا إِنَّا لَنَرَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿فَلَمَّا سَعَتْ بِمَكْرِهِنَ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْنَدَتْ لَهُنَّ مُشَكِّكًا وَأَعْتَدَتْ لَكُلَّ وَجْدَةٍ مِّنْهُنَّ سِرْكِينًا وَقَالَتْ أَخْرُجْ عَنِّيْنَ فَلَمَّا رَأَيْهُمْ أَكْبَرُهُمْ وَقَطَعُنَّ أَيْدِيهِنَّ وَقُلْنَ حَشَّ لِلَّهِ مَا هَذَا إِلَّا مَلَكُ كَرِيمٌ﴾ ﴿فَقَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لَمْ تُمْتَنِنِ فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْنَا عَنْ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصِمُ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُوا لَيُسْجَنَ وَلَيَكُونَا مِنَ

الصَّدِيقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مَا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفَ عَنِي كَيْدُهُنَّ أَصْبَرُ  
إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْمُجْهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدُهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ  
ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا أَلَّا يَسْجُنُنَّهُ حَتَّى جِئِنَ ﴿٣٤﴾ [يوسف: ٣٠ - ٣٥].

وقد قيَضَ الله تعالى ليوسف الصديق أن دخل معه السجن فتىًان، فلما رأيا يوسف في السجن أعجبهما سنته ودهيه وما كساه الله تعالى به من الجلال والبهاء، وأبصرا في سلوكه النجابة والكرامة وكثرة عبادته لله وإحسانه إلى خلق الله، فكان سلوكه أوضح دعوة إلى الله، فتعلق قلبهما به، وقد رأى كل واحد منهما رؤيا، ورأيا أن خير من يعبر لهما رؤياهما هو يوسف الصديق، فأقبل عليه وقص كل واحد منهما عليه رؤيا، قال أحدهما: إني أراني أعصر عنباً لأتخذه خمراً، وقال الآخر: إني أراني أحمل فوق رأسي سلة خبز وأن الطير تأكل من هذا الخبز، ففسر لنا رؤيانا وعرفنا بحقيقة ما تدل وتؤول إليه هذه الرؤيا، إنما نرى في وجهك الخير والعلم والمعرفة والإحسان. وقبل أن يفسر لهما رؤياهما، استغل فرصة إقبالهما عليه هذا الإقبال الصادق، فدعاهما إلى الله تعالى إلا أنه قبل دعوتهما إلى الله تعالى بدأ بتعريفهما بنفسه وبمنته الله تعالى عليه وعلى آبائه، فأخبرهما أنه عليم بتعصي الرؤى والأحلام، فمهما رأيتما من حلم فإني أعتبره لكما قبل وقوعه فيكون كما أقول، وأخبركما بما يأتيكما من طعام قبل مجئه، وليس هذا مني، إنما هو من الله الذي علمنيه، وقبل أن يجرد دعوتهما إلى توحيد الله تعالى سلك أجمل الطرق في الدعوة إلى الله بترك عبادة الأصنام والأوثان، وأنه لا يجوز لأحد أن يتصل بها فقال: «رَبِّ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كُفَّارٌ وَأَبَتَغْتُ مِلَّةَ  
أَبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ أَنْ شَرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» [يوسف: ٣٧ - ٣٨]،  
 وأن أفضل ما يعطي العبد ترك عبادة الأصنام والأوثان ومعرفة حق الله تعالى، «ذَلِكَ  
مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَكُلُّ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ» [يوسف: ٣٨].

ولما وصل إلى هذا المقام جرد دعوتهما إلى توحيد الله تعالى فقال:  
﴿يَصَدِّحُ السِّجْنُ عَزَّابٌ مُّقْرَبُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِهِ  
إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُهُنَّا أَنْتُمْ وَإِبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلطَنٍ﴾ [يوسف: ٣٩ - ٤٠].

وبيَّنَ أَنَّ الْخَلْقَ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَأَنَّ الْأَمْرَ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَأَحَدٍ أَنْ يَحْتَكِمْ لِغَيْرِ شَرْعِ اللَّهِ، فَلَلَّهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وبعد أن دعاهم إلى الله فسَرَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا رَؤْيَاهُ، وَأَنَّ الَّذِي رَأَى أَنَّهُ يَعْصِرُ خَمْرًا سَيُخْرُجُ مِنَ السَّجْنِ وَيُسْقِي سَيِّدَهُ خَمْرًا. وَأَمَّا الْآخِرُ الَّذِي رَأَى أَنَّهُ يَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِهِ خَبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ فَإِنَّهُ يُصْلِبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَحْدُدْ لَهُمَا مَنْ الَّذِي يُصْلِبُ؟ بَلْ قَالَ: أَحَدُكُمَا يُسْقِي رَبِّهِ خَمْرًا وَالْآخِرُ يُصْلِبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ. وَتَمْ تَعْبِيرُ رَؤْيَاكُمَا، يَعْنِي: فَلِيَصْبِرُ الَّذِي قُضِيَ عَلَيْهِ بِالصَّلْبِ وَلِيَشْكُرُ الَّذِي سَيَنْجُو مِنَ السَّجْنِ، ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٌ مِّنْهُمَا أَذْكُرْنِي﴾ [يوسف: ٤٢] عِنْدَ الْمُلْكِ وَادْكُرْ أَنِّي مُظْلُومٌ، وَالظَّنُّ قَدْ يَأْتِي بِمَعْنَى الْيَقِينِ كَقُولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ظَنَّتُ أَنِّي مُلَكٌ حَسَابٍ﴾ [الحاقة: ٢٠]. وَقُولُهُ: ﴿أَلَّذِينَ يَطْنَبُونَ أَهْمَمُهُمْ مُلْقُوا رَبَّهُمْ﴾ [البقرة: ٤٦]. وَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَطْنَبُ أُولَئِكَ أَهْمَمُهُمْ مَمْبُوْتُونَ ﴾ ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٤ - ٥].

وَقَدْ أَنْسَى الشَّيْطَانُ النَّاجِيَ بَعْدَ خَرْوَجِهِ مِنَ السَّجْنِ ذَكْرَ يُوسُفَ السَّجِينِ الْمُظْلُومِ، فَمَكَثَ يُوسُفُ ﷺ فِي السَّجْنِ بِضَعْفِ سَنِينِ، أَيْ عَدْدًا مِّنَ السَّنِينِ، وَالبَّعْضُ قَلِيلٌ مَا بَيْنَ الْثَّلَاثَ إِلَى التَّسْعَ أَوْ إِلَى الْخَمْسِ أَوْ مِنْ أَرْبَعَ إِلَى تَسْعَ أَوْ هُوَ سَبْعٌ، وَقَدْ قَصَ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ حِيثُ يَقُولُ: ﴿وَدَحَّلَ مَعَهُ الْسَّجْنَ فَتَبَيَّنَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِلَيْيَ أَرَيْنِي أَعْصَرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِلَيْ أَرَيْنِي أَحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خَبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَيَّتَنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرِنَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ٣٦﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمْ طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ مَا ذَلِكُمْ مِمَّا عَلَمْنِي رَبِّي إِلَيْ تَرَكْتُ مِلَةً قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفَرُونَ ﴾ ٣٧﴿ وَأَتَبَعْتُ مِلَةً إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشَرِّكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ٣٨﴿ يَصْنَعُونَ السِّجْنَ أَرَبَابُ مُتَفَقِّهِونَ حَبْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَحْدُ أَفَهَمُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْيَهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَإِبْرَاهِيمُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِي الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَصْنَحِي السِّجْنَ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْأَخَرُ فَيُضْلِبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْنَقِيَانِ ﴿٧﴾ وَقَالَ لِلَّذِي طَنَّ أَنَّهُ نَاجَ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عَنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَهُ الشَّيْطَنُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَمَّا بَيْتَ فِي السِّجْنِ بَضَعَ سِنِينَ ﴿٨﴾ [يوسف: ٤٢ - ٣٦].

هذا قول يوسف ﷺ: ﴿لِلَّذِي طَنَّ أَنَّهُ نَاجَ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عَنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] يدل على أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله، وقد زعم بعض الناس أن الضمير في قوله: ﴿فَأَنْسَهُ الشَّيْطَنُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٤٢] عائد على يوسف، وأنه إنما عوقب بلبيه في السجن بضع سنين لطلبه الفرج من غير الله، وهذا كذب على الله وعلى يوسف ﷺ، وأما ما ذكره ابن جرير في تفسيره حيث قال: حدثنا ابن وكيع حدثنا عمرو بن محمد عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً قال: قال النبي ﷺ: «لو لم يقل - يعني يوسف - الكلمة التي قالها ما لبث في السجن طويلاً، حيث يتغى الفرج من عند غير الله». فإن هذا الخبر لا يصح عن رسول الله ﷺ. قال ابن كثير في تفسيره: وهذا الحديث ضعيف جداً؛ لأن سفيان بن وكيع ضعيف وإبراهيم بن يزيد هو الخوزي أضعف منه أيضاً.

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل الثالث والثلاثون

### تابع يوسف الصديق

أشرت في الفصل السابق إلى نسيان الناجي من صاحبي سجن يوسف عليه السلام ذكر شأن يوسف للملك، وقد أنسد الله تعالى أمر هذا النسيان إلى الشيطان حيث قال: ﴿فَأَنْسَنَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٤٢].

وهذا الأسلوب في إسناد الشر إلى الشيطان قد كرر الله تبارك وتعالى ذكره في القرآن العظيم حيث قال في قصة أیوب: ﴿إِذَا نَادَى رَبُّهُ أَنِّي مَسَنَّى الشَّيْطَانَ لِيُصِّبَ وَعَذَابِ﴾ [ص: ٤١]؛ وذلك لأن كل شر وضير يصيب الإنسان إنما هو بسبب الشيطان الذي أخرج أبوينا من الجنة، وهو من الأدب مع الله تعالى في إسناد الخير إليه وإسناد الشر إلى الشيطان وإلى النفس الأمارة بالسوء؛ مع الاعتقاد الجازم بأن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الكل من عند الله، ﴿وَلَيُمَحَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١].

وعندما أراد الله تعالى إعلاء شأن يوسف وتبنيت كرامته في قلوب ملك مصر وعموم شعبها رأى الملك في منامه سبع بقرات سمان وسبع بقرات هزيلة، وأن السبع البقرات الهزيلة تأكل السبع السمان، كما رأى في منامه سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات يابسات، وقد اهتم الملك بأمر رؤياه هذه وطلب من أشراف قومه ومن يظن فيهم المعرفة بتأويلها أن يؤلوها ويعبروها له ويفتوه بما تقتضيه هذه الرؤيا، فقالوا: هذه أخلاق طبعها منamas وأضغاث أحلام، وأصل الضغث قبضة الحشيش المختلط الرطب باليابس، أي هذه رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها، ونحن غير قادرين على تعبيرها، وغير عارفين بتفسيرها، وعندئذ تذكر الناجي من صاحبيه في السجن بعد هذه المدة الطويلة، وقال: أنا آتكم بتفسيرها وتعبيرها من الخبر بذلك يوسف السجين، فأرسلوني إليه، فأرسلوه إلى يوسف عليه السلام، وب مجرد

ما عرض عليه الرؤيا سارع إلى تفسيرها، ففسر السبع البقرات السمان والسبعين السنبلات الخضر بسبعين سنوات رغيدة مخاصلب، وفسر السبع البقرات العجاف الهزلة والسبعين السنبلات اليابسة بسبعين سنوات مجده، ولم يكتف بهذا التفسير العظيم لرؤيا الملك، بل وضع لهم خطة تجاوز محنـة السبع السنوات المجده، فقال : تزرعون السبع السنوات مختمنـين فرصة رغدـها وجودـة محاصيلـها دون تضييع شيء من هذه الفرصة، وإذا نضج الزرع فلا تدوسوه واتركوه في سنابله إلا بقدر حاجتكمـ الضروريـة من الطعام منهـ، ولا توسعوا في النفقةـ وادخرـوا كلـ ما يمكنـكمـ ادخـارـهـ فيـ هذهـ السـنـوـاتـ المـخـصـبـةـ، حتىـ يـبـقـىـ لـكـمـ ماـ تـحـتـاجـونـ إـلـيـهـ فيـ السـنـوـاتـ السـبـعـ المـجـدـيـةـ، وـبـشـرـهـمـ بـأـنـ اللهـ سـيـغـيـثـهـمـ فـيـ أـوـلـ عـامـ بـعـدـ هـذـهـ السـبـعـ بـخـيـرـ كـثـيرـ يـغـاثـ النـاسـ وـيـذـهـبـ الـجـدـبـ عـنـهـمـ، وـتـعـودـ مـعـاـصـرـ الـزـيـتـ وـنـحـوـهـ إـلـىـ عـمـلـهـ كـمـاـ كـانـ قـبـلـ هـذـهـ السـنـوـاتـ .

ولاشك أن ما أشار به يوسف الصديق عليه السلام من حفظ الحبوب في سنابلـها لا يزال محل إعجاب وتقدير من علماء الزراعة في القديم والحديث؛ فإن بقاء الحبوب في سنابلـها أدىـ لـصـيـانـتـهـاـ منـ السـوسـ وـالـفـسـادـ وـأـبـقـىـ لـهـاـ عـلـىـ طـوـلـ الزـمـانـ دونـ حـاجـةـ إـلـىـ صـوـامـعـ أوـ نـحـوـهـاـ، وـعـنـدـمـاـ سـمـعـ الـمـلـكـ بـهـذـاـ التـبـيـرـ عـظـمـ يـوـسـفـ فـيـ قـلـبـهـ وـظـهـرـ لـهـ أـنـهـ فـيـ أـمـسـ الـحـاجـةـ إـلـىـ قـرـبـهـ؛ فـقـالـ: أـتـتـونـيـ بـهـ، فـلـمـ جـاءـهـ الرـسـوـلـ وـعـرـفـهـ أـنـ الـمـلـكـ يـدـعـوـهـ لـتـكـرـيـمـهـ وـإـجـالـلـهـ لـمـ يـسـارـعـ إـلـىـ الـخـروـجـ مـنـ السـجـنـ، بـلـ طـلـبـ مـنـ الرـسـوـلـ أـنـ يـرـجـعـ إـلـىـ الـمـلـكـ وـيـسـأـلـهـ عـنـ خـبـرـ النـسـوـةـ الـلـاتـيـ قـطـعـنـ أـيـدـيـهـنـ لـيـكـونـ ذـلـكـ أـظـهـرـ لـبـرـاءـتـهـ وـأـعـزـ لـمـكـانـتـهـ، وـقـطـعاـ لـأـلسـنـةـ السـوـءـ، وـالـهـ لـاـ تـخـفـيـ عـلـيـهـ خـافـيـةـ، وـقـدـ ذـهـبـ عـامـ الـعـلـمـاءـ إـلـىـ أـنـ الـمـرـادـ مـنـ قـوـلـ رـسـوـلـ اللهـ عليه السلام فـيـ الـحـدـيـثـ الصـحـيـحـ: «وـلـوـ لـبـثـ فـيـ السـجـنـ مـاـ لـبـثـ يـوـسـفـ لـأـجـبـ الدـاعـيـ». أـيـ لـسـارـعـتـ إـلـىـ الـخـروـجـ مـنـ السـجـنـ دـوـنـ تـرـيـثـ، وـلـأـجـبـ رـسـوـلـ الـمـلـكـ فـيـ الـحـالـ وـخـرـجـتـ مـنـ السـجـنـ، وـعـلـىـ أـيـ حـالـ فـإـنـ الـمـقـصـودـ مـنـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ كـمـاـ أـشـرـتـ فـيـ سـرـدـ قـصـةـ إـبـرـاهـيـمـ عليه السلام وـلـوـطـ عليه السلام هـوـ بـيـانـ عـلـىـ مـنـزـلـةـ يـوـسـفـ عليه السلام لـاـ أـنـهـ أـفـضـلـ مـنـ رـسـوـلـ اللهـ عليه السلام فـإـنـ مـنـ الـمـتـفـقـ عـلـيـهـ عـنـدـ الـعـقـلـاءـ أـنـ تـوـاضـعـ الـرـفـيـعـ الـقـدـرـ

لمن دونه لا ينزل من قدره، ورسول الله ﷺ هو أفضل خلق الله قاطبة، فهو شيخ المرسلين وإمام الأنبياء، وهو العالي الدرجات المشار إليه في قوله تعالى: ﴿تَلَكَ الرُّسُلُ فَضَلَّنَا بِعَضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَتِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فرسول الله محمد ﷺ في المرسلين سماء ما طاولتها سماء.

وقد سأله الملك النسوة اللاتي أخبرن أنهن قطعن أيديهن: هل رأيت من يوسف شيئاً يسوء؟ ﴿فُلِنَ حَشَ لِلَّهِ﴾ ما رأين عليه من سوء، ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ إِنَّمَا حَصَحَ الْحَقُّ﴾ واتضح وبيان وانكشف، ﴿إِنَّمَا رَوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّمَا لَمَنِ الْصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِعَلَمَ أَنِّي لَمْ أَحْمِهِ بِالْغَيْبِ﴾ أي اعترف له بفضله وهو غائب عنى، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَالِئِينَ﴾، وقالت امرأة العزيز أيضاً: ﴿وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَأَمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وعندما تأكد الملك أن يوسف سجن ظلماً، وأنه أحد الأمناء الكرام، والعلماء العظام فلم يطق الملك صبراً، وقال: ﴿أَتُؤْفِي بِهِ﴾؛ ليكون خاصتي، فلما جاء يوسف وكلمه قال له الملك: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَنِي مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ فأراد يوسف ﷺ نفع البلاد والعباد، فقال للملك: ﴿فَالْأَجْعَلْنِي عَلَى خَرَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظُ عَلِيمٌ﴾ فمكّن الله ﷺ ليوسف في أرض مصر ينزل فيها حيث يشاء حرّاً كريماً سيداً مطاعاً من فضل الله عليه وعلى كل محسن، وهذا في الدنيا ﴿وَلَا يَجُرُ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ﴾ [يوسف: ٥٧].

وفي ذلك يقول الله ﷺ: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنَّهُ أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سَمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعَ سُبْلَكٍ حُضْرٍ وَأَخْرَ يَأْسَنَتِ يَكَاهِنَ الْمَلَأُ أَفَتُوْنِي فِي رُؤْيَتِي إِنْ كُنْتُ لِرَءُوفًا تَعْبُرُونَ﴾ [٤٣] ﴿قَالُوا أَضْفَنَتُ أَحَلَمِي وَمَا نَحْنُ يَتَوَلِلُ الْأَحَلَامِ يَعْلَمُونَ﴾ [٤٤] ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهَا وَأَذْكَرَ بَعْدَ أَمْتَهَا أَنِّي نَتَكَبَّرُ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرَيْلُونَ﴾ [٤٥] يوسف أتاه الصديق أفسنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبعين سبلكاً حضر وأخر يأسنت لعلني أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون [٤٦] قال زرعون سبع سفين داباً فما حصدمتم فذروه في سبلكة إلا قليلاً ممّا نأكلون [٤٧] ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدّمتم هنّ إلا قليلاً ممّا تحصّلون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون [٤٨] وقال الملك أتُؤْفِي بِهِ

فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيْكَ فَشَلَّهُ مَا بَالُ السُّوْرَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ إِنَّ رَبِّي  
يَكِيدِهِنَّ عَلِمٌ ﴿٥٠﴾ «أَيْ إِنْ إِلَهٌ وَخَالقٌ وَسِيدٌ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَخْفِي  
عَلَيْهِ خَافِيَةً مِنْ كِيدِ النَّسَاءِ وَمَكْرَهِنَ الَّذِي أَوْصَلَنِي إِلَى السِّجْنِ» «فَلَمَّا حَطَّبُكُنَّ إِذَ  
رَوَدِنَ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتَ حَدَّشْ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَيْنَهُ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنْ  
حَصْصَنُ الْحَقِّ أَنَا رَوَدِنَ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لِيَمِنَ الصَّدِيقَنَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ  
وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنَينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَا تَمَارِدُ بِإِلَيْهِ إِلَّا مَا رَحَمَ  
رَبِّي إِنَّ رَبَّ غَفُورٍ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ أَسْتَحْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَمْتُهُ قَالَ إِنَّكَ الْأَيْمَ  
لَدِيَنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَانِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظْ عَلَيْمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَنَّا  
لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ثُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ شَاءَ وَلَا ثُصِيبُ أَجْرَ  
الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلِأَجْرِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْتَقُونَ» [يوسف: ٤٣ - ٥٧].

وقد أورد بعض المفسرين هنا أحاديث باطلة، وأخباراً مردودة عاطلة في تفسير بعض هذه الآيات يحمي الله تعالى أنبياءه ورسله عن مثل ما روي في هذه التفاسير كمثل ما روى في قوله «وَهُمْ بِهَا» أنه حلَّ الهميان، أي تكة سراويله وجلس منها مجلس الرجل من زوجته. وهذا والله الحمد لم يثبت بخبر عن رسول الله ﷺ، وإنما هو قول مدسوس من اليهود وأخباربني إسرائيل، وتصريح الآية علق الهمَّ بها على رؤيته برهان ربه بصيغة الماضي، فكأنه قال: ولو لا أنه رأى برهان ربه لهم بها، ولكنه لم يهم بها؛ لأنَّه رأى برهان ربه، وسياق الآية يكذب ما زعموا، كقوله تعالى عنها: «وَلَقَدْ رَوَدِنَ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمْ». معطوفاً بالفاء الدالة على التعقيب، وأنه بمجرد مراودتها له استعصم وهذا ظاهر.

وكذلك تفسيرهم لقوله: «إِنَّهُ رَبِّ أَحْسَنَ مَثَوَىٰ» بأنه أراد بربه عزيز مصر، وهذا والله الحمد لم يثبت بخبر صحيح ولا حسن عن رسول الله ﷺ، وسياق يدل على أن الذي رأى يوسف برهانه وأحسن مثواه هو رب العالمين.

كما زعموا أن قوله: «ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ» من كلام يوسف لامرأة العزيز، وأن جبريل قال له: ولا حين همت بها، أو أن امرأة العزيز قالت له حينئذ: ولا حين حللت سراويلك يا يوسف.

فهذا كله مفترى على يوسف الصديق وقد صانه الله وعصمه من كل سوء كما عصم إخوانه الأنبياء والمرسلين.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦﴾ وَلَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: ١٨٠ - ١٨٢].

والى الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل الرابع والثلاثون

### تابع يوسف الصديق ﷺ

بعد أن مكن الله تعالى ليوسف وقرر ملكها جعله عزيزها، وأطلق له حرية التصرف في خزائن الأرض، واحتاج القاصي والداني إلى الميرة من عنده، وكانت الأقطار المجاورة لمصر ولا سيما أرض كنعان في حاجة شديدة إلى الطعام وقتئذ، فصاروا يجيئون إلى يوسف ﷺ يمتارون لأنفسهم وعيالهم وأهليهم. يحملون معهم إلى مصر ما عندهم من بضائع وأثمان، وكان يوسف ﷺ قد قرر أنه لا يعطي أحدًّا من هؤلاء إلا مقداراً معيناً من الكيل في النوبة الواحدة، وله أن يرجع في وقت آخر في المستقبل ليأخذ مرة أخرى على الطريقة المعروفة في العصر الحديث، وفي بعض أمصار العالم بنظام التموين.

﴿وَجَاءَ إِخْرَجَةً يُوسُفَ﴾ ليختاروا عندما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الناس الطعام بشمنه، فأخذوا معهم بضاعة يعتاضون بها طعاماً، وقد أبقى يعقوب ﷺ ولده بنيامين عنده، فلما وصلوا إلى يوسف ﷺ ودخلوا عليه عرفهم لأنهم عندما رموه في الجُب كانوا كباراً بالعين فلم تغير صورهم؛ أما يوسف ﷺ عندما رُمي في الجب كان صغيراً، والصغرى إذا شب وبلغ أشدّه لا يكاد يعرفه من رأه في الصغر فقط؛ لأنه في الغالب تتغير ملامحه؛ ولذلك لم يعرفه إخوه ولم يخطر على بالهم أنه يوسف الصديق، والظاهر أن يوسف ﷺ أخذ يسألهم عن أحوالهم وأهليهم ليصل من وراء ذلك إلى الاطمئنان على حال أبيه وأخيه بنيامين، فعرّفوه بحالهم وأن لهم أخاً من أبيهم؛ وأن أباهم هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، فأكملهم يوسف ﷺ وأظهر العناية بهم، وأمر بجهازهم ووفى لهم كيلهم بأنه قال لهم: لقد شوقيتوني إلى أخيكم من أبيكم وأنا حريص على رؤيته، ولن تحصلوا على كيل منا في المستقبل في النوبات القادمة إلا إذا جئتموني بأخيكم

من أبيكم ولكم مني زيادة في تكريمكم حينئذٍ لأنني أزيدكم كيل بغير، وأضاعف لكم الميرة، وأواعز إلى غلمانه أن يدسوا في رحالهم جميع ما جاؤوا به من بضاعة زيادة في صلة رحمهم وإحساناً إليهم، وإبقاء لثرواتهم معهم ليعودوا بها إلى يوسف تحثناً، وإنما لم يضع بضاعتهم في رحالهم علناً لأنه ربما يؤدي ذلك إلى امتناعهم عنأخذها.

وقد قالوا ليوسف ﷺ: سنبذل كل جهدنا في إحضار أخيانا من أبيينا معنا في المرة القادمة، وسنحاول أباه في ذلك بكل ما نطيق، ولن نقصّر في ذلك.

فلما رجعوا إلى أبيهم أخبروه بقصتهم مع عزيز مصر وأنه قرر ألا يكيل لنا في المستقبل إلا إذا أحضرنا أخانا بنiamين معنا، فنرجو أن ترسله معنا لنكتال، وسنحافظ عليه أشد المحافظة، قال يعقوب ﷺ: كيف آمنكم عليه وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم، وزعمتم أنكم ستحافظون عليه عندما قلتم في يوسف: «أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدَّا يَرْتَعَ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ» [يوسف: ١٢] لكن الله تعالى هو الحافظ له، وهو خير الحافظين، «وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ» «وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَتَابَانَا» [يوسف: ٦٥] ما نريد؟ لقد أوفى لنا الكيل ورد إلينا بضاعتنا، وأحسن مثوانا فأرسل معنا بنiamين في المرة القادمة لنمير أهلنا أي نأitem بالميري وهي الطعام، وسنحفظ أخانا ونرداد كيل بغير، ذلك العطاء الجزل سهل على هذا العزيز الكريم، فقرر يعقوب ﷺ أن يرسل معهم بينامين بشرط أن يؤته عهد الله وميثاقه أن يحافظوا عليه، وأنهم لا يقتصرن في حفظه إلا إذا بُلوا بشيء لا طاقة لهم به، ولا قدرة لهم على دفعه، فلما حلفوا له ووثقوا عهدهم أشهد يعقوب الله تعالى على عهدهم وميثاقهم و«قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا تَفْوَلُ وَكِيلٌ» [يوسف: ٦٦].

ولما تقرر سفرهم للميري نصحهم يعقوب ﷺ بأنهم لا يدخلون من باب واحد. وإنما يدخلون من أبواب متفرقة إما من خوف العين عليهم إذا كانوا مجتمعين وعرف أنهم أبناء رجل واحد، وإما من خوف أن يحصروا جميعاً إذا كان أريد بهم شر، غير أن يعقوب ﷺ بين أن الحذر لا ينجي من القدر، وأن حرصه على سلامتهم لن ينفعهم إذا كان الله يعلم أراد أن يضرهم، فقضاء الله

نافذ. وحكم الله غالب، والله وحده الحكم، وعليه أتوكل وأعتمد، ويجب على كل مؤمن أن يكون توكله على الله واعتماده عليه وحده لا إله غيره ولا رب سواه، وسارت القافلة ووصلوا إلى مصر، ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمْرَهُمْ أَبْوَهُمْ﴾ [يوسف: ٦٨] من الأبواب المترفرفة مع صدق ما قال يعقوب عليه السلام: «أَنَّهُ مَا يُعْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؛ لَأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْحَافِظُ، لَكِنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعَالَى نَفْعُهُمْ بِمَا عَلِمُوهُمْ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ عَجَلُكُ، فَوَصِيَّةُ يَعْقُوبَ لِبَنِيهِ وَصِيَّةُ حَقٍّ» ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٦٨]، والعين حق، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «العين حق»، كما أخرج مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «العين حق، ولو كان شيءٌ سابقٌ للقدر لسبقته العين».

وقد ذكر الله تبارك وتعالى ما كان من مجيء إخوة يوسف إليه ودخولهم عليه، وما صار من جهة الكيل ودس البضاعة في أوعيتهم ورحالهم، وطلب أخيهم غير الشقيق، ورجوعهم إلى أبيهم. ومراؤته في بنiamين حتى قرر إرساله معهم، ووصية أبيهم لهم عند دخولهم، وتقرير أن الأمر كله لله، وأن الحذر لا ينجي من القدر، والإشارة إلى أن العين حق، حيث يقول عجلوك:

﴿وَرَجَأَهُ إِخْوَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفُهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَزُوهُمْ بِمَهَارَهُمْ قَالَ أَئْنُفُ يَاخْ لَكُمْ مَنْ أَيْكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَيْنَ أُوْفِيَ الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُتَزَلِّنِ ﴿٥٩﴾ فَإِنَّمَا تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا نَفَرُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَتَرُودُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَنْعَلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتِيَّنِهِ أَجْعَلُوا بِصَنْعِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ لِعَاهُمْ يَعْرُفُونَهَا إِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَتَابَانَا مُنْعِ مَنَا الْكَيْلُ فَأَرْسَلَ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ إِمْكُنُ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْكَنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلِهِ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعْهُمْ وَجَدُوا بِصَنْعِهِمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَتَابَانَا مَا بَنَيْنَا هَذِهِ بِصَنْعِنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِّيْرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزَّدُهُمْ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أَرْسَلَمُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونَ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتِيَنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا مَاتَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَتَبَيَّنَ لَأَنَّ

تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَيَحْدِرُوا مِنْ آبَوِيْ مُتَرِيقَةٍ وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنْ أَنَّ اللَّهَ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِيدٌ وَعَلَيْهِ فَلِيَسْتَوْكِلُ الْمُتَوْكِلُونَ ﴿٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمْرُهُمْ مَا كَانَ يُقْبَلُ عَنْهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَيْهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلِمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ [يوسف: ٥٨ - ٦٨].

وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى أن إخوة يوسف لما دخلوا عليه ومعهم أخوهم بنiamin وتلقاهم يوسف عليهما السلام بما يثليج صدورهم ويطمئن نفوسهم أسر إلى بنiamin وقال له: «إِنِّي أَنَا أَخُوكَ» يوسف، فلا تحزن بما أصابك من إخوتكم بسبب الحسد، وأمره ألا يخبرهم بأن هذا العزيز هو أخوه، وتوطأ معه على أنه سيحتال على أن يقيمه عنده، وأفهمه أن جمع جميع الأحبة قريب، لما خططه يوسف عليهما السلام ودبّره حتى يجيء إليه أهله أجمعون، وعلى رأسهم أبوه يعقوب عليهما السلام وأنه لما جهزهم بجهازهم ووفى لهم كيلهم وزادهم كيل بغير دس السقاية «وهو صواع الملك»، في رحل أخيه بنiamin دون أن يراه أحد من غلمانه أو غيرهم، ولما افتقد فتیان يوسف الصواع وشاع أنه سرق نادي مناد: «أَيْتُهَا الْعِيرُ» يا أهل القافلة! «إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ» قال أهل القافلة بمن فيهم من إخوة يوسف وقد انزعجوا: ماذا ضاع منكم؟ «فَالْأُولَاءِ نَفَقُدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ» [يوسف: ٧٢]. ولم يكن يوسف عليهما السلام هو الذي نادى، ولا هو الذي أمر المنادي، وإنما المسؤول عن المحافظة على أمواله هو الذي نادى أو أمر المنادي، فلا يقول قائل: كيف يليق بيوسف عليهما السلام مع علو منصبه وشريف مرتبته من النبوة والرسالة أن يتهم أقواماً بالسرقة وهم براء؛ لأن عمل يوسف عليهما السلام اقتصر على جعله السقاية في رحل أخيه وهو لا حرج فيها، أما المنادي أو الأمر بالنداء فلم يكن يوسف عليهما السلام هو الذي نادى الصواع: والله لقد علمتم أننا في أمس الحاجة للتردد عليكم، ومثلنا مع حاجته إليكم لا يفسد في أرضكم، ولا يسرق منها، فقال المسؤولون عن المحافظة على الغلال والأمتعة: مما جزاوه إن كنتم كاذبين في دعواكم أن الصواع ليس معكم، وثبت أن صواع الملك في رحل بعضكم؟ قالوا: جزاء من وجد في رحله صواع الملك أن يؤخذ ويصير في خدمة الملك جزاء له على ذلك، كذلك النظام الذي نجاري به السارقين.

وهنا بدأ يوسف عليه السلام بالتفتيش والبحث في رحالهم قبل التفتيش في رحل أخيه ووعائه؛ لأنَّه لو بدأ برحيل أخيه لخطر بيالهم أنها حيلة لأخذ أخيهم، فأخر تفتيش رحل أخيه ليدفع هذه الخاطرة عنهم، ثم استخرجها من وعاء أخيه، يقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَنَا لِيُوسُفَ﴾ أي كذلك ألهمنا إخوة يوسف أن يحكموا على من سرق الصواع بأن يؤخذ به كما ألهمنا يوسف بدس الصواع في رحل أخيه، وهذا الذي فعله يوسف عليه السلام من الكيد المحبوب الذي يحبه الله ويرضاه، ولكن الله عز وجل يرفع من يشاء من عباده درجات، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ [يوسف: ٧٦].

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الخامس والثلاثون

### تابع: يوسف الصديق

ذكرت في ختام الفصل السابق ما كان من تدبير يوسف ﷺ لاستبقاء أخيه بنيامين عنده وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوْفَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَخْوَكَ فَلَا تَبْتَسِّسْ إِنْ كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٦٩ فَلَمَّا جَهَزُوهُمْ بِمَا هَبُوا جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذْنَ مُؤْذِنَ أَيْتَهَا الْعِيرِ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ٧٠ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ٧١ قَالُوا نَفْقَدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حَمْلٌ بَعِيرٌ وَآنَا بِهِ زَعِيمٌ ٧٢ قَالُوا تَالَّهُ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جَعَلْنَا لِنُفَسِّدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ سَرْقِينَ ٧٣ قَالُوا فَمَا جَرَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ كَذَّابِينَ ٧٤ قَالُوا جَرَوْهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَرَوْهُ كَذَّاكَ بَغْزِي الظَّالِمِينَ ٧٥ بَدَا بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءَ أَخِيهِ ثُمَّ أَسْتَرْجَهَا مِنْ وِعَاءَ أَخِيهِ كَذَّاكَ كَذَّاكَ لِيُوْسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَتِي مَنْ شَاءَ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٦٩ - ٧٦].

ولما رأى أخوه يوسف أن الصراع وُجد في رحل بنيامين أطلقوا أسلتهم بسبه وسب يوسف، وقالوا: إن يكن قد سرق الصواع فقد سرق أخ له من قبل، وكأنهم أرادوا أن يوسف سرق قلب أبيه منهم، أو أنهم لبغضهم ليوسف ﷺ بسبب حب أبيه له رموه وسبوه ولم يتركوا الإساءة إليه؛ ولذلك قال يوسف ﷺ في نفسه وسره عن إخوته هؤلاء: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصْفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧]، ﴿قَالُوا يَتَأْبِيَ الْعَزِيزُ﴾ إن أخانا هذا له أب شيخ كبير لا يطيق فراقه ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ وأعطانا بنيامين لنوصله إلى أبيه، فقال يوسف: أعود بالله ﴿إِنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَعَنَا عِنْدَهُ﴾ إنما إذا لواضعوا الأمر في غير موضعه، في Yusuf ﷺ لا حاجة له في واحد منهم سوى بنيامين، فلما يئسوا من تخليص بنيامين الذي قد التزموا لأبيه برده إليه وعاهدوه على ذلك ﴿خَلَصُوا يَحِيَا﴾ أي

انفردوا عن الناس ليتناجووا فيما بينهم: ماذا يفعلون؟ فقال أنسهم: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَّاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتِيقًا مِنَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٠] بردہ إليه إلا أن يحاط بكم، فأنا سأبقى في هذه البلدة قريباً من بنiamin حتى يأذن لي أبي في الرجوع إليه راضياً عنني أو يحكم الله لي، أي أو أن يقضي الله لي قضاء إما بموتي أو تخلص أخي والله خير الحاكمين.

ثم أمرهم أن يخبروا أباهم بصورة ما وقع حتى يكون ذلك عذرًا لهم فيقولوا له: إن ابنك نسب إلى السرقة وأخذ بذلك. وما شهدنا إلا بما علمنا وشاع عند جميع من حولنا من أهل العير والقرية، وما كنا ندرى أنه سيقع في هذا الأمر؛ لأننا لا نعلم الغيب، وسائل القافلة التي أقبلنا فيها والقرية التي كنا فيها، وإننا لصادقون، فوصلوا إلى أبيهم وأخبروه بما نصحهم به أخوه الكبير، فأجابهم يعقوب عليه السلام بمثل ما أجابهم به حين جاؤوا على قميص يوسف بدم كذب وقال لهم: ﴿قَالَ بْلَ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَفْشَكُمْ أَمْرًا فَصَدَّرْ جَمِيلٌ﴾، ورجا الله عجل أن يرد عليه يوسف وبنiamin وأخاهم الكبير، فقال: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣]، وأعرض يعقوب عن هؤلاء ﴿وَقَالَ يَكَاسِفَ عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]، واشتد حزنه حتى ابكيت عيناه من الحزن، إذ جدد حزن الآخرين حزن يوسف، لكنه كظم غيظه وسكت عن الشكوى لغير الله عجل، ومع ذلك فقد هيج حزنه على يوسف كوامن حقدهم فقالوا: تالله لا تزال ولا تبرح تذكر يوسف ولا تنسى حبه حتى تكون حرضاً أي مشرفاً على الموت والهلاك، أو تكون من الهالكين، قال إنما أشكوبشي أي عظيم حزني وغمي إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، من أن يوسف حي وقد يكون في مصر، اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه واطلبوا خبرهما، ولا تيأسوا من روح الله أي لا تقنطوا من رحمة الله، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. فانطلقوا مرة أخرى إلى مصر بحثاً عن يوسف وشكوى إلى عزيز مصر مما أصابهم من الضر وطلباً للميري؛ فلما دخلوا على يوسف قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلانا الضر وجئنا ببضاعة مزحة أي مدفوعة لا يقبلها أحد لردايتها، فأحسن إلينا من فضلك، وأوف لنا وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين.

فقال لهم يوسف ﷺ: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه وقت جهلكم، فلما سمعوه يذكر ما فعلوه بيوسف تفرسوا فيه، ووقع في نفوسهم أنه يوسف ﷺ فقالوا: إنك لأنك يوسف، قال: أنا يوسف وهذا بنiamين أخي قد منَ الله علينا بالإعزاز والإكرام، إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، فأظهروا الندم على ما كان منهم، وقالوا: تالله لقد آثرك الله علينا وفضلك، وإننا كنا خاطئين آثمين فيما فعلناه بك. قال: لا عتب ولا تشرب عليكم، اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين.

وقد علم أن أباء قد ابكيت عيناه من الحزن فقال لإخواته: اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً، وأنوني بأهلكم أجمعين. وهذا يدل على أن الحزن يؤثر على العين ويؤذيها، وأن السرور يؤثر على العين صحة وعافية؛ ولذلك قالت النساء في صخر عن نفسها:

لذى بعينيك أم بالعين عوار      أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار

وبمجرد خروج العير من أرض مصر ومعهم قميص يوسف شم يعقوب ريح يوسف ﷺ، فقال لمن حضره من بنيه وأولادهم: إني لأجد ريح يوسف لو لا أن تنسبني إلى السفة لصدق تموني، قالوا تالله إنك لفي ضلالك وهيا مك القديم في حب يوسف. فلما جاء البشير بالقميص وألقاه على وجه يعقوب ﷺ رجع بصيراً. وقال لهم: ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون، فطلبوه من أبيهم الصفح عنهم، وأن يستغفر الله لهم، وأنهم أخطئوا في حق أبيهم وأخيهم. فوعدهم بأنه سيستغفر لهم رباه إنه هو الغفور الرحيم. ثم توجهوا جميعاً إلى مصر وجمع الله شملهم.

فلما دخلوا على يوسف ضم إليه أبيه أي أباء وختاته أو أباء وأمه على القول بأنها عاشت إلى ذلك الحين، وقال: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين، وأجلس أبوه على سريره، وسجدوا الله جمِعاً شاكراً من أجل يوسف على ما منَ به الله عليهم وما أعز به يوسف. وقال يوسف لأبيه: يا أبا تأوييل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً، وقد تفضل عليَّ إذ أخرجني من السجن وجاء بكم

من البدو من بعد أن نزع الشيطان، فأفسد قلوب إخوتي عليّ، إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم.

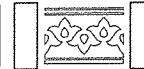
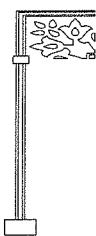
وقد تمت على يوسف النعمة وآتاه الله الملك، وطلب من الله تعالى أن يلحقه بالصالحين. وفي ذلك يقول:

﴿قَالُوا إِن يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلٍ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَقْسِيهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَشْمَ شَرًّ مَكَانًا وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصْفُونَ ﴾٧٦﴾ قَالُوا يَتَأَبَّهَا الْعَزِيزُ إِنَّهُ أَبَا شَيْخًا كَيْرًا فَحَذَّ أَحَدُنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرِدُكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾٧٧﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهُ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَعَنَا عَنْهُ إِنَّا إِذَا لَظَلَمْوْنَا ﴾٧٨﴾ فَلَمَّا أَسْتَيْسَوْ مِنْهُ خَاصُّوْ بِهِمَا قَالَ كَيْرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوْ أَنْ أَبَاكُمْ قَدْ أَخْذَ عَلَيْكُمْ مَوْفِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلِ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَأَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَنْ أَقُولَ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِيٌ وَهُوَ خَيْرُ الْحَكَمِينَ ﴾٧٩﴾ أَرْجِعُوْ إِلَيْ أَيِّكُمْ فَقُولُوا يَتَأَبَّهَا إِنْ أَبَنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهَدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَفَظِينَ ﴾٨٠﴾ وَسَلَّ الْفَرِيَةَ إِلَيْ كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَفْلَنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَنَدِقُونَ ﴾٨١﴾ قَالَ بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَفْسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَيْلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَيْعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾٨٢﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَأْسَفَ عَلَى يُوسُفَ وَأَيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾٨٣﴾ قَالُوا تَالَّهُ تَفَتَّأْ تَذَكَّرْ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَصًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْمُهَلِّكِينَ ﴾٨٤﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوْ بَنِي وَحْزَنَ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴾٨٥﴾ يَبْيَقِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّمَا لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكُفَّارُونَ ﴾٨٦﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَأَبَّهَا الْعَزِيزُ مَسَنَا وَهَنَا أَصْرُ وَجَثَنَا يُضْنَعَةً مُزْجَلَةً فَأَوْفَ لَنَا الْكِيلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَعْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾٨٧﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَسْتُمْ جَهَلُونَ ﴾٨٨﴾ قَالُوا أَئْنَكَ لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَرَبَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَقَوْ وَيَصْدِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾٨٩﴾ قَالُوا تَالَّهُ لَقَدْ مَأْتَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾٩٠﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾٩١﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقَوْهُ عَلَى وَجْهِهِ إِنْ يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُوْفِ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾٩٢﴾ وَلَمَّا فَضَلَّتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَحِدُ رِبِّيْ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ

تَعْنِدُونَ ٩٤ قَالُوا تَالَّهِ إِنَّكَ لَفِي صَلَاتِكَ الْكَدِيرِ ٩٥ فَلَمَّا آتَاهُ الْبَشِيرُ أَلْقَنَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٩٦ قَالُوا يَتَأَبَّلُنَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُؤْبِنَا إِنَّا كُنَّا خَطِيعِينَ ٩٧ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّمَا هُوَ الْغَافُورُ الرَّحِيمُ ٩٨ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ إِذَا أَوْتَهُ أَبُوَيْهِ وَقَالَ أَذْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْنِينَ ٩٩ وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوْلَهُ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَكَبَّتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَيْ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّ حَقًّا وَقَدْ أَحَسَنَ إِذَا أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاهَ إِلَيْكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَّعَ أَلْشَيْطَنُ بَيْنَ وَبَيْنَ إِحْوَانِتْ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لَمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ١٠٠ رَبِّ قَدْ أَتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُوفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّلَاحِينَ ١٠١ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعِيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذَا أَجْمَعُوكُمْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَكْنُونَ ١٠٢ [يوسف: ٧٧ - ١٠٢].

والى الفصل القادم انت شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل السادس والثلاثون

شعيب عليه السلام

نتحدث إليكم عن شعيب نبي الله ورسوله الموصوف بأنه خطيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأكثر أهل العلم ينسبونه إلى إبراهيم خليل الرحمن عليهما الصلاة والسلام، وبعضهم يذكر أنه من العرب العاربة، وقد بعثه الله عليه السلام إلى قومه مدين، وكانوا يسكنون الأرض المعروفة باسمهم قرب معان من أطراف الشام مما يلي أرض الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط المعروفة باسم البحر الميت، على طريق يسلكه العرب في أسفارهم إلى الشام، كما هي على طريق يسلكه المسافرون بين مصر والشام والجاز بالقرب من خليج العقبة، والظاهر أنهم كانوا بعد هلاك قوم لوط بزمان غير بعيد؛ كما أن أرضهم غير بعيدة من قرى قوم لوط عليه السلام، وكان أهل مدين كفاراً يقطعون السبيل ويختفون المارة ويعبدون مع الله آلهة أخرى منها الأيكة؛ وهي شجرة أو غية تنبت السدر والأراك، كما كانوا من أسوأ الناس معاملة وتعدياً على الأموال، يطففون في المكيال والميزان، ويبخسون الناس أشياءهم ويفسدون في الأرض بعد إصلاحها، ويسلكون كل سبيل معوجة، وينحرفون عن الصراط المستقيم، وقد سماهم الله عليه السلام مدين باسم قبيلتهم، كما وصفهم بأنهم أصحاب الأيكة، وقد توهّم بعض الناس فزعم أن شعيباً أُرسل إلى أممٍ هما مدين وأصحاب الأيكة، وهذا قول مردود، وفهم غير سديد، وإنما مدين هم أصحاب الأيكة، وإنما قال الله عليه السلام: ﴿وَإِنَّ  
مَّدِينَكَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا﴾ [الأعراف: ٨٥] وقال في أصحاب الأيكة: ﴿إِذَا  
قَالَ لَهُمْ شَعِيبٌ﴾ [الشعراء: ١٧٧]. ولم يقل أخوههم؛ لأنه لما ذكر مدين - وشعيب في نسبها - قال: أخوههم، ولكنه لما ذكر أصحاب الأيكة وشعيب غير مشارك معهم في أيكتهم قال: ﴿إِذَا  
قَالَ لَهُمْ شَعِيبٌ﴾ ولم يقل أخوههم وهم هم، وجملة الأوصاف

التي وصف الله تعالى بها أهل مدين هي جملة الأوصاف التي وصف الله تعالى بها أصحاب الأئمة، وقد بعث الله تعالى إلى مدين أصحاب الأئمة شعيباً عليه السلام، وهو من أهل بيت هم أعز بيوت مدين، فدعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، وأمرهم أن يوفوا الكيل والميزان. وأن لا يبخسوا الناس أشياءهم، وأن يتركوا الإفساد في الأرض، وأن لا يقطعوا الطريق، وأن يستغفروا بالحلال من رزق الله عن الحرام، وأن يتركوا الظلم ويلتزموا بالعدل في معاملاتهم، وأن ما عند الله خير وأبقى للمؤمنين، وبين لهم أنه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً ولا يسألهم عن نصيحته لهم عوضاً، وأنه يخاف عليهم إن كذبوا أن يحل بهم ما حل بالمكذبين بالرسل، وتهددهم إن شاقوه أن يصيبهم **﴿فَمَنْ مَا أَصَابَ قَوْمًا ثُرُوجٌ أُوْفِيَ لَهُمْ أَوْ قَوْمًا صَلَحٌ﴾** [هود: ٨٩]، وذكرهم بما أصاب قوم لوط لما كذبوا لوطاً عليه السلام، وهم غير بعيدين عنهم، يعلمون ما حل بهم.

وقد ساق القرآن قصة مدين بعد قصة قوم لوط مباشرة في سورة الأعراف، وفي سورة هود، وفي سورة الحجر، وفي سورة الشعراء، كما ذكرهم شعيب عليه السلام بنعمه الله عليهم في أنفسهم وببلادهم، وكيف كانوا قليلاً فكثراً، فما كان جواب قومه إلا أن سخروا منه، واستهزأوا به وبصلاته. وقالوا له: **«إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ»**، و**«مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مُّثُلُّنَا»**، تماماً كما قال الكفار لرسول الله محمد عليه السلام ولإخوانه الأنبياء من قبله، وقالوا: يا شعيب أصلاتك تأمرك أن ندع عبادة الأوثان والأصنام التي عبدها آباؤنا من قبل مجيكك لنا ودعوتكم إيانا؟ وهل صلاتك تقيد حررتنا في التصرف في أموالنا كيف نشاء من نهب أو سلب أو غصب أو ربا أو رشوة أو تطفييف الكيل والميزان، كنا قبل دعوتك نظنك حليماً رشيداً، وجهلوا أن رسول الله صلى الله عليه قد اتفقت دعوتهم على أنه يجب صيانة النفس والمال والعرض والعقل مع صيانة الدين، وأنه لا يحل لأحد أن يأخذ من مال غيره شيئاً من غير طريق مشروع، كما جهل هؤلاء أن طيب المطعم أو خبيثه له أثر خطير على سلوك الإنسان استقامة أو انحرافاً، وقد أجابهم شعيب عليه السلام بأن الله تفضل عليه وهذا إلى هذا الدين الذي يسلك بهم سبل السلام ويهدى بهم إلى الصراط المستقيم.

والسعيد من سارع إلى اتباعه والعمل بما يرسمه، وهذا رزق حسن تفضل الله به على عباده، وأنا أول المؤمنين الملزمين بهذا الدين، ولن **﴿أَخْلَفْتُكُمْ إِلَى مَا أَهْمَكُمْ عَنْهُ﴾**، ولا أريد لكم إلا الخير. **﴿إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا إِلَصْحَاحَ مَا أَسْطَعْتُ وَمَا تَرْفَيْقَ إِلَّا إِلَلَهُ عَلَيْهِ تَوْكِيدُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾** [هود: ٨٨].

وبعد هذا البيان الواضح والدعوى المشرقة من شعيب **عليه السلام** قالوا له: **﴿يَسْعَيْتُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾**، ولا ندري حكمة هذه الأوامر والتواهي التي جئت بها، وأنت رجل ضعيف نستطيع القضاء عليك، إلا أننا من أجل رهطك وعشيرتك تركناك ولم نرجمك، ولن ترى منا بعد اليوم كرامة ولا إعزازاً، فقال لهم شعيب: أمقام رهطي أهيب في قلوبكم من الله المحيط بكم الآخذ بنواصيكم الذي لا يعجزه شيء ولا يفوته شيء، ومع ذلك لم تخافوه ولم تعظموه وهو رب كل شيء وسиде ومليكه المحيط بأعمالكم، وقد أجابه إلى الله تبارك وتعالى جماعة من قومه فأغاظ ذلك الكافرين وهددوا شعيباً والمؤمنين بطردهم من البلاد إذا لم يرجعوا عن هذا الدين وحاولوا التلبيس على المؤمنين فقالوا لهم: **﴿إِنَّ أَتَّبَعْتُمْ شَعِيبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَرَجُونَ﴾** [الأعراف: ٩٠]. فأجابهم شعيب والمؤمنون معه: كيف تطلبون منا أن نرجع من النور إلى الظلمات ومن الهدى إلى الضلال، وقد تفضل الله علينا فهدانا إلى صراطه المستقيم. **﴿فَقَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عَدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَنَنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾** ولا حول ولا قوة إلا بالله الذي يفعل ما يشاء ويقضى ما يريد لا راد لقضاءه ولا معقب لحكمه **﴿وَسَعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمَنَا بِالْحَقِّ﴾** وانصرنا عليهم **﴿وَأَنَّا خَيْرُ الْفَلَّاحِينَ﴾**، وسيد الحاكمين، وخير الناصرين، وليس في قوله تعالى عن شعيب والمؤمنين: **﴿إِنْ عَدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَنَنَا اللَّهُ مِنْهَا﴾**. دليل على أن شعيباً كان على ملتهم، بل المراد بالعود هنا الصيرورة، أي إن صرنا في ملتهم بعد أن صاننا الله عن الوقوع فيها. وكذلك ما حکاه الله عن قوم شعيب في قولهم له وللمؤمنين به: **﴿لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾** أي لتصيرن إلى ملتنا، فكلمة عاد قد تستعمل بمعنى صار، وقد بلغ الحال بقوم شعيب أن استعجلوا عقوبة الله وطلبوها من

شعيب أن يأتي بها وأن يُسقط عليهم كسفاً من السماء إن كان من الصادقين . فبَيْنَ لهم شعيب أن عقوبتهم بيد الله وحده يأتي بها إن شاء متى شاء ، وأنه لا تخفي عليه خافية ، وأنه علِيم بأقوالكم واستهزائكم ولن تفلتوا من عقوبته ، ثم تحداهم ﷺ وقال لهم : «أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ» أي ابذلوا كل جهودكم وطاقتكم لمقاومة عذاب الله إذا نزل بكم ، وأنا عامل على طاعة الله أبذل كل جهدي في مرضاته ، وسترون قريباً لمن تكون العاقبة الحميـدة ، وانتظروا وإني منتظر ، وستندمون حيث لا ينفعكم الندم ، ولما جاء أمر الله نجى الله تعالى شعيباً والذين آمنوا معه برحمة من الله ، وسـلـط الله تبارك وتعالـى على الكافـرـين من قومـه العـذـاب ؛ فجاءـتـهم رجـفـة وـزـلـزـلـة من تحتـهـم ، وصـيـحة زـلـزـلـت قـلـوبـهـم ، وـظـلـةـ أمـطـرـتـهـمـ كـسـفـاـ منـ عـذـابـ اللهـ ، وـقطـعاـ منـ النـارـ ، وـحـاقـ بـهـمـ ماـ كـانـواـ بـهـ يـسـتـهـزـئـونـ ، فأـصـبـحـوـاـ فـيـ بـلـادـهـمـ وـدـيـارـهـمـ جـاثـمـينـ صـرـعـىـ هـالـكـينـ كـأـنـ لـمـ يـغـنـواـ فـيـ هـذـهـ الـدـيـارـ وـلـمـ يـقـيـمـواـ فـيـهـاـ ، وـأـلـحـقـهـمـ اللهـ بـعـيـكـ بالـكـافـرـينـ الـمـكـذـبـينـ ، فـبـعـدـاـ لـمـ دـيـنـ كـمـ بـعـدـ ثـمـودـ ، هـذـاـ وـقـدـ سـاقـ اللهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ قـصـةـ شـعـيبـ مـعـ قـوـمـهـ فـيـ مـوـاضـعـ مـنـ كـتـابـهـ الـكـرـيمـ ، فـذـكـرـ قـصـتـهـمـ فـيـ سـوـرـةـ الـأـعـرـافـ وـفـيـ سـوـرـةـ هـوـدـ وـفـيـ سـوـرـةـ الشـعـراءـ ، وـذـكـرـهـاـ عـلـىـ سـبـيلـ الإـيـجازـ فـيـ سـوـرـةـ الـعـنـكـبـوتـ وـفـيـ سـوـرـةـ الـحـجـرـ .

والى الفضل القادر ان شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



## الفصل السابع والثلاثون

### تابع شعيب عليه السلام

أشرت في ختام الفصل السابق إلى أن الله تبارك وتعالى ذكر قصة شعيب مع قومه في موضع من كتابه الكريم؛ فذكرها في سورة الأعراف حيث يقول:

﴿وَإِنْ مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَقُولُونَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَنَّكُمْ بِكِتَابٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْحَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾٨٥﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ أَمْنَى بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوْجًا وَأَذْكُرُوكُمْ إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثُرُوكُمْ وَأَنْظُرُوكُمْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾٨٦﴿ وَإِنْ كَانَ طَالِبَكُمْ مِنْكُمْ إِيمَانُوا بِاللَّهِ أَرْسَلْتُ بِهِ وَطَالِبَةً لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَصْبِرُوكُمْ حَتَّى يَعْلَمُوكُمْ اللَّهُ يَعْلَمُكُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْحَكَمِينَ ﴾٨٧﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ أَسْتَكَبُرُوكُمْ مِنْ قَوْمِكُمْ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبَ وَالَّذِينَ إِمَانُوا مَعَكَ مِنْ قَرِيبَتِكَ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مَلَائِكَتِكَ قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَهِينَ قَدْ أَفْرَيْتُمَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عَدَنَا فِي مِلَائِكَتِكَ بَعْدَ إِذْ بَعْثَنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبِّنَا وَسَعَ رَبِّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبِّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنَّ خَيْرَ الْفَتَيْحَيْنَ ﴾٨٩﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوكُمْ مِنْ قَوْمِكُمْ لَيْنَ اتَّبَعْتُمْ شَيْئًا إِنَّكُمْ إِذَا لَحَبَرُوكُمْ ﴾٩٠﴿ فَلَأَخْذُوكُمْ الْرَّاجِفَةَ فَأَصْبِحُوكُمْ فِي دَارِهِمْ جَحَشِينَ ﴾٩١﴿ الَّذِينَ كَذَبُوكُمْ شَيْئًا كَانَ لَمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوكُمْ شَيْئًا كَانُوكُمْ هُمُ الْخَسِيرُونَ ﴾٩٢﴿ فَنَوَّلَ عَنْهُمْ وَقَالَ يَقُولُونَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَضَعَثْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ إِمَانُوكُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ كَفِيرِينَ ﴾٩٣﴾

[الأعراف: ٨٥ - ٩٣]

وقال تعالى في سورة هود: ﴿وَإِنْ مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَقُولُونَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكَيْلَ وَالْمِيزَانَ إِنَّ أَرْبَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنَّ أَخَافُ عَيْنَكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْحِسْبَرِ ﴾٩٤﴿ وَيَقُولُونَ أَوْفُوا الْمِكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْحَسُوا

النَّاسَ أَشْيَاءُهُمْ وَلَا تَعْثَوْنَ فِي الْأَرْضِ مُقْسِدِينَ ﴿٤٦﴾ يَقِيَّثُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِمُحِيفٍ ﴿٤٧﴾ قَالُوا يَسْعِيهِ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَنْكِرَ مَا يَعْبُدُ إِبْرَاهِيمَ أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَوْلُ إِنَّكَ لَأَنَّ الْجَلِيلُ الرَّشِيدُ ﴿٤٨﴾ قَالَ يَنْقُومُ أَرْءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بِيَنَّةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِلْيَاصْلَحَ مَا أَسْتَطَعْ وَمَا تَوْفِيقٌ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِيدٌ وَإِلَيْهِ أُنْبِئُ ﴿٤٩﴾ وَيَنْقُومُ لَا يَمْرِغُنَّكُمْ شَفَاقٌ أَنْ يُصِيبَكُمْ بِمُلْ مَا أَصَابَ قَوْمًا ثُوجَ أَوْ قَوْمًا هُودٍ أَوْ قَوْمًا صَلَاحَ وَمَا قَوْمٌ لُوطٌ مِنْكُمْ بِيَعْبِدِ ﴿٥٠﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحْمَةً وَدُودًّا ﴿٥١﴾ قَالُوا يَسْعِيهِ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَيْكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لِرَجْمَنَاكَ وَمَا أَنَّ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٥٢﴾ قَالَ يَنْقُومُ أَرْهَطْيَ أَعْزَ عَلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَأَخْذَنَّمُهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٥٣﴾ وَيَنْقُومُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنَّ عَمَلَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَمَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَارْتَقَبُوا إِنَّ مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٥٤﴾ وَلَمَّا جَاءَهُ أَمْرًا بَعْثَتْنَا شَعِيبًا وَالَّذِينَ ءامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ مِنَّا وَأَخْدَتْ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَحَشِينَ ﴿٥٥﴾ كَانَ لَهُ يَغْنَوْ فِيهَا أَلَا بُعدًا لِمَدِينَ كَمَا بَعَدَتْ نَمُودُ ﴿٥٦﴾ [هود: ٨٤ - ٩٥].

وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿كَذَبَ أَحَبُّ لَيْكَةَ الْمُرْسَلِينَ ﴾١٧٦﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شَعِيبٌ أَلَا تَنْكِنُونَ ﴾١٧٧﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾١٧٨﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾١٧٩﴿ وَمَا أَنْكِنُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾١٨٠﴿ أَوْفُوا الْكِيلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾١٨١﴿ وَزِيَادًا بِالْفَسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾١٨٢﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْنَ فِي الْأَرْضِ مُقْسِدِينَ ﴾١٨٣﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقْتُمْ وَالْجِلَّةَ الْأَوَّلَيْنَ ﴾١٨٤﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنَّا مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴾١٨٥﴿ وَمَا أَنَّ إِلَّا بَشَرٌ مِثْنَا وَإِنْ نَظَنَّكُمْ لِئَنَّ الْكَذِيلِينَ ﴾١٨٦﴿ فَأَسْقَطْتُ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتُ مِنَ الْأَصْنَدِيقَنَ ﴾١٨٧﴿ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾١٨٨﴿ فَكَذَبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظِّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾١٨٩﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾١٩٠﴿ وَلَنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾١٩١﴾ [الشعراء: ١٧٦ - ١٩١].

وقال في سورة العنكبوت: ﴿وَإِلَيْ مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا فَقَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْ فِي الْأَرْضِ مُقْسِدِينَ ﴾٣٦﴿ فَكَذَبُوهُ فَأَخَذَنَّهُمُ الْرَّجَفَةُ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَحَشِينَ ﴾٣٧﴾ [العنكبوت: ٣٦ - ٣٧].

وقال تعالى في سورة الحجر: «وَلَوْنَ كَانَ أَحَبُّ الْأَيْكَةِ لِظَّالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانْتَقَنَا مِنْهُمْ وَإِنَّمَا لِيَمَامِرُ مُبِينٍ» [الحجر: ٧٨ - ٧٩].

كما قرن ذكر مدين بمجموعة من الأمم التي كذبت رسالتها وأنزل الله بهم بأسه الشديد وعقابه المبيد حيث يقول في سورة التوبه: «أَفَرَأَيْتُمْ نَّبِيًّا مِّنْ أَنَّهُمْ مِّنْ قَبْلِهِمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَثَمُودٌ إِنَّهُمْ أَصَحَّبُ مَدِينَ وَالْمُؤْفَكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» [التوبه: ٧٠] وكما قال في سورة ق: «كَذَّبُوا قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَأَصَحَّبُ الرَّئِسِ وَثَمُودٌ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَلِيَوْنُ لُوطٌ ﴿١٣﴾ وَأَصَحَّبُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ شَيْجٌ كُلُّ كَذَبَ الرُّسُلَ فَهُنَّ وَعِدٌ» [ق: ١٢ - ١٤].

وفي قوله تعالى في قوم لوط وقوم شعيب: «وَإِنَّمَا لِيَمَامِرُ مُبِينٍ» [الحجر: ٧٩]. أي إن قرى قوم لوط وأهل مدين على طريق مشهور مسلوك يعرفه المسافرون إلى تلك الجهات، ويتوارث العلم به جيل بعد جيل، فلا يزال الناس إلى اليوم يعرفون قرى قوم لوط وأرض مدين.

وقد وهم كثير من المتسبين للعلم فرعموا أن شعيباً هو الشيخ الكبير الذي زوج موسى عليه السلام ابنته لما توجه موسى إلى أرض مدين هارباً من فرعون والقوم الطالمين قبل أن يبعثه الله عجل نبياً رسولاً، ويفسرون بذلك قوله تعالى عن موسى عليه السلام.

«وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى فَالَّذِي يَنْهَا مُسَعِّي إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتِيُونَ إِلَيْكَ لِيُقْتَلُوكَ فَأَخْرَجَ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِيَةِ ﴿٢٠﴾ خَرَجَ مِنْهَا حَلِيفًا يَتَرَبَّ قَالَ رَبِّنِي مَنْ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدِينَ قَالَ عَسَى رَفِيقُكَ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّكِينِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أُمَّرَاتٍ تَذَوَّدَانِ قَالَ مَا حَطَبُكُمْ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَقَّ يُصْدِرُ الْرِّعَاةُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّ إِلَى الظَّلَلِ فَقَالَ رَبِّنِي لِمَا أَزَّلْتَ إِلَيَّ مِنْ حَيْرٍ فَقَدِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَبَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمَشِّي عَلَى أَسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنِّي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَضَ عَلَيْهِ الْفَحَصَصَ قَالَ لَا تَحْفَظْ نَهْوَتِ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَأَبَّتْ أَسْتَعْجِرُهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَعْجَرَتِ الْقَوْمُ الْآمِمُونُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى أَبْنَيَّ هَذَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَّاجٌ فَإِنْ أَتَمَّتْ عَشَرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشْقَ عَلَيْكَ سَتِيدُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِ وَبَيْنَكَ أَيْمَانًا الْأَجْلَانِ فَصَبَّتْ فَلَا عَدَوْكَ

عَلَىٰ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ إِذَا هُنْ جَانِبُ الظُّورِ نَاكِرًا قَالَ لِأَهْلِهِ أَمْكُنُوا لِيٰ إِنِّي مَانَتْ نَاكِرًا لَعَلَىٰ مَا تَمَكُّمْ مِنْهَا يَحْبِرُ أَوْ جَذْوَقُ مِنْ الْتَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ [القصص: ٢٩ - ٢٠].

فإن شعيباً عليه السلام متقدم على موسى عليه السلام بقرون كثيرة وأزمان متباude، ولا يلزم من ورود موسى أرض مدین ووجود شيخ كبير صالح فيها يزوج موسى إحدى ابنته أن يكون هذا الشيخ الكبير هو شعيب عليه السلام. ولم يرد خبر صحيح عن رسول الله عليه السلام يذكر أن الرجل الذي صاهر موسى بمدین هو شعيب عليه السلام، بل القرآن يشير إلى أن الله تعالى بعث موسى بعد قرون متطاولة من إهلاك قوم شعيب، حيث يقول عليه السلام في سورة الأعراف بعدما ذكر قصة شعيب مع قومه وهلاكهم: «إِنَّكَ الْقَرِئَ تَقْصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَابِهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لَيَؤْمِنُوا إِمَّا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلٍ كَذَّلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَنِسْقِينَ ﴿١٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِنَائِنَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلِكِيَهِ فَظَلَمُوا إِلَيْهَا فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَ عَيْبَةُ الْمُقْسِدِينَ ﴿١٣﴾ [الأعراف: ١٠٣ - ١٠١].

وقال في سورة القصص: «وَلَقَدْ أَلَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا آهَلَكَنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بِصَاحِبِرِ لِلنَّاسِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ [القصص: ٤٣].

وقال شعيب لقومه: «وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِعَيْدٍ» [هود: ٨٩].

والي لوط أهلوكوا في حياة إبراهيم خليل الرحمن، وبينهم وبين موسى أمم متطاولة وأجيال متباude، أما الذي زوج موسى عليه السلام ابنته فهو رجل مؤمن، من ذرية أحد المؤمنين الذين نجاهم الله من قوم شعيب. والله أعلم.

هذا وظاهر سياق القرآن لقصة قوم شعيب عليه السلام يشعر أن أكبر جرائمهم بعد الشرك بالله كان التطفيف في الكيل والميزان؛ مما ينبه الناس إلى الاحتراز من هذه الجريمة، ولذلك قال الله تعالى: «وَلَيْلٌ لِلْمُطَفَّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَىٰ النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَوْهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَعُوْنُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ [المطففين: ١ - ٦].

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## الفصل الثامن والثلاثون

### أيوب عليه السلام

نتحدث في هذا الفصل عن نبي الله ورسوله قدوة الصابرين المضروب به المثل في الصبر على البلاء أيوب عليه السلام، وأكثر أهل العلم على أنه من ذرية إبراهيم عليه السلام؛ لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتَا ءاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَزَفَ دَرَجَتٍ مَّنْ نَشَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [٨٣] وَهَبَنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلُّا هَدَيْنَا وَنُؤْحَانَا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاؤِدٌ وَسُلَيْمَانٌ وَأَيُوبٌ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَدْرُونَ وَكَذَّالِكَ بَهْرَيْنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٤]. بناءً على أن الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ عائد على إبراهيم عليه السلام؛ لأن الكلام سبق من أجله، وقال بعض أهل العلم إنه ليس من ذرية إبراهيم وجعل الضمير في قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ راجعاً إلى نوح؛ لأنه أقرب مذكور. على أن الله تبارك وتعالى قد حصر النبوة بعد إبراهيم في ذريته حيث قال في سورة العنكبوت: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ الْتُّبُوَّةَ وَالْكِتَبَ﴾ [٢٧].

وقد اشتغلت قصة أيوب عليه السلام في كتاب الله تعالى وفي سنة رسول الله عليه السلام على نقاط منها ابتلاوه وأنه مسه الضر، وأن هذا الضر أصابه في نفسه وأهله، فأحس بِنُصُبٍ وعذاب، أي بتعب وألم ومشقة، ومنها أنه ابتدى فاحلف على فعل شيء يؤلمه تنفيذه ويشق عليه، كما أنه ابتدى بالغنى الواسع والمال التوفير، ولم يثبت عن الله ولا عن رسوله عليه تحديد نوع البلاء الذي أصيب به أيوب عليه السلام في جسمه؛ إلا أن القرآن العظيم يشير إلى أنه أصيب بنوع من الحمى الشديدة، إذ جعل الله تبارك وتعالى علاجه من مرضه أن يغسل بماء بارد، وأن يشرب منه، وقد أوصى رسول الله عليه من أصيب بنوع من الحمى أن يغسل بالماء البارد؛ فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي عليه السلام: «الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء»؛ وفي لفظ للبخاري من حديث

عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «الحمى من فيع جهنم فأبردوها بالماء»، كما روی البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من طريق فاطمة بنت المنذر أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها كانت إذا أتيت بالمرأة قد حمت تدعوا لها، أخذت الماء فصبته بينها وبين جيبها وقالت: كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نبردها بالماء.

وليس كل مرض أو كل حمى يعالجها التبريد بالماء، إنما هو نوع خاص من الحمى، إذ إن بعض أمراض الحمى قد يقتل المريض أن يتغسل بالماء.

والظاهر أن نوع المرض الذي أصاب أیوب ﷺ كان غاية في الشدة والوجع والألم، وليس ذلك بغرير، فإن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فقد روی البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يُوعك وعكاً شديداً، فمسسته بيدي فقلت: يا رسول الله، إنك توعلك وعكاً شديداً؛ فقال رسول الله ﷺ: «أجل إني أوعك كما يوعك رجالان منكم» فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ فقال رسول الله ﷺ: «أجل»، ثم قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يصبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله له سيئاته كما تحط الشجرة ورقبها».

وقد أخرج الدارمي والنسائي في الكبرى وابن ماجه وصححه الترمذى وابن حبان والحاكم كلهم من طريق عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله! أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل». وقال ابن كثير في قصص الأنبياء من البداية والنهاية: وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل».

أما ما يذكر من أن أیوب مرض وطال مرضه حتى عافه الجليس وأخرج من بلده وألقى على مزبلة خارجها، وانقطع عنه الناس، ولم يبق أحد يحيط عليه سوى زوجته، وأن الدود صار يسرح ويمرح في جسده، وأنه تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم والعصب، وأنه مر عليه في هذا المرض ثلاث سنوات أو سبع سنوات أو ثلاث عشرة سنة أو ثمانية عشرة سنة، وأنه كان له أخوان صديقان

فجاء يوماً فلم يستطعوا أن يدنوا منه من ريحه فقاما من بعيد، فقال أحدهما لصاحبه: لو كان الله علم من أيوب خيراً ما ابتلاه بهذا، فجزع أيوب جزاً شديداً إلخ. وأنه لما شفاه الله جاءته امرأته إلى المزبلة فلم تعرفه، فقالت له: أين ذهب هذا المبتلى الذي كان ه هنا لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب؟ هذا القصص المختلق لم يثبت شيء منه بخبر صحيح عن رسول الله ﷺ وعامة أهل العلم، على أن الله تبارك وتعالى يحمي أنبياءه من الأمراض المنفرة، وقد أشار رسول الله ﷺ إلى أن الله تبارك وتعالى أعطى أيوب غنىً واسعاً، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أيوب يغسل عرياناً خرّ عليه رجل جrai من ذهب فجعل يحثي في ثوبه، فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيك عمما ترى؟ قال: بلّي يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك».

وقد ساق الله تبارك وتعالى قصته في موضعين من كتابه الكريم، فقال في سورة الأنبياء: ﴿وَإِنَّمَا يُؤْتَ إِذْ نَادَنَاهُ أَنِّي مَسَّنِي الضرُّ وَأَنَّ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ - ٨٤]. وقد عقب ذلك في هذا المقام ببيان أن الصبر من شيم المرسلين فقال: ﴿وَإِنَّمَا كَعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكَفْلِ كُلُّ مِنَ الصَّابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]. وقد بين الله تبارك وتعالى في هذا المقام أنه تفضل على أيوب فاستجاب له وكشف الضر عنه وأعطاه أهله ومثلهم معهم رحمة من الله وذكرى للعابدين.

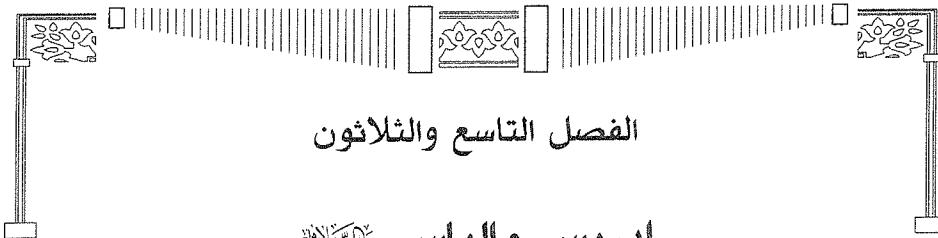
وقال في سورة ص: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَنَاهُ أَنِّي مَسَّنِي الشَّيْطَانُ يُنْصِبُ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكَضَ بِرِحْلَكَ هَذَا مُغْسَلٌ بِأَرْدٍ وَشَرَابٍ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةٌ مِنَ وَذِكْرَى الْأُولَى الْأَلَبَبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضُغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا يَعْمَلُ لِلْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّلُهُ﴾ [ص: ٤١ - ٤٤].

وفي هذا المقام الكريم يسند أيوب الضر الذي أصابه إلى الشيطان تأدباً مع الله يشك في إسناد الشر إلى الشيطان؛ لأنّه سبب كل بلاء يصيب ابن آدم في

الدنيا، حيث إنه هو المتسبب في إخراج آدم من الجنة وإهابطه إلى هذه الأرض للامتحان والابتلاء. وقد أشار الله تبارك وتعالى بقول: ﴿وَحْدُ يَدِكَ ضِعْتَ﴾ الآية. والضغط قبضة الحشيش المختلطة الرطب باليابس، وهو يشعر أنه حلف في حالة غضب أن يضرب حبيباً له عدداً معيناً، وقد أمره الله تعالى أن يير بيمينه فيضرب من حلف على ضربه بهذه القبضة، مكافأة له على صبره وإحسانه؛ لأنه لو ضربه بسوط أو نحو لالم ذلك الضارب والمضروب؛ ففرج الله كربته، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلَ لَهُ بَرْجَمًا ۝ وَرَزْقًا مِّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَوْكَلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۝ إِنَّ اللَّهَ يَكْلُبُ أَمْرَهُ ۝ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

والى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل التاسع والثلاثون

### إدريس وإلياس عليهم السلام

نتحدث في هذا الفصل عن نبين كريمين من أنبياء الله تعالى وهما إدريس وإلياس عليهما الصلاة والسلام، وقد أشار البخاري في صحيحه إلى أن إدريس هو إلياس، حيث قال: يذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس، كما أشار البخاري رحمه الله إلى اختلاف الناس في نسب إدريس عليه السلام، حيث قال في صحيحه: باب ذكر إدريس عليه السلام، وهو جد أبي نوح، ويقال: جد نوح عليه السلام، ولم يجزم البخاري بشيء من نسب إدريس عليه السلام، ولم يرد عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم خبر ثابت يؤكّد أن إدريس قبل نوح عليه السلام، وقد ذهب القاضي أبو بكر ابن العربي رحمه الله إلى أن إدريس عليه السلام لم يكن جداً لنوح عليه السلام، وإنما هو منبني إسرائيل بناءً على أن إدريس هو إلياس، وأن إلياس من أنبياءبني إسرائيل، ومما يرجح ذلك الذي ذهب إليه ابن العربي ما رواه البخاري في صحيحه في حديث الإسراء والمعراج بلفظ: فلما مر جبريل بالنبي صلوات الله عليه وسلم بإدريس قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، فقلت: من هذا قال: هذا إدريس، وفي لفظ للبخاري من طريق قتادة: ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك قال: محمد، قيل: أورأني أرسل إلي؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء، قال: ففتح لنا، فلما خلصت فإذا إدريس عليه السلام، قال: هذا إدريس. قال: فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. فقوله: بالأخ الصالح، يشعر بأن رسول الله صلوات الله عليه وسلم ليس من ذريته، ولو كان إدريس جداً لنوح لكان رسول الله صلوات الله عليه وسلم من ذريته قطعاً، ولقال له كما قال له آدم وإبراهيم صلوات الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج في هذا الحديث الصحيح: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

وكون إدريس عليه السلام قبل نوح أو بعده لا يتعلّق به عظيم قصد، ولذلك لم يرد تحديد تاريخ وجوده وزمان بعثته في خبر ثابت صريح، وإنما المهم هو أنه من أنبياء الله تعالى، وأن الله رفعه مكاناً علياً، وأنه كان صديقاً نبياً.

وفي ذلك يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَذْرَقَ فِي الْكِتَبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِيقَنَا نَبِيًّا وَرَفِعْنَاهُ مَكَانًا عَلَيْنَا﴾ [مريم: ٥٦ - ٥٧]. وكما قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكَفْلِ كُلُّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾٨٥﴿ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنياء: ٨٥ - ٨٦].

وقد ذكر كثير من المفسرين والإنباريين كثيراً من الأساطير عن إدريس عليه السلام، فزعموا أنه طلب من أحد الملائكة أن يتوسط له عند ملك الموت أن يؤجل قبض روحه ليزداد عملاً، فحمله بين جناحيه ثم صعد به إلى السماء، فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدراً، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس، فقال له ملك الموت: وأين إدريس؟ قال: هو ذا على ظهري، فقال ملك الموت: يا للعجب! بُعثْتُ وقيل لي: أقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض، فقبض روحه هناك.

كما زعموا له أوليات كثيرة فقالوا: إنه أول من خط بالقلم، وأول من خاط الشاب، وأول من خط بالرمل.

وقد قال ابن كثير في قصص الأنبياء: ويزعم كثير من علماء التفسير والأحكام أنه أول من تكلم في ذلك، ويسمونه هرمس الهرامسة، ويكتذبون عليهأشياء كثيرة، كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء ١٠١.هـ.

أما إلياس عليه السلام فظاهر القرآن الكريم يشير إلى أنه من ذرية نوح عليه السلام، حيث يقول الله عزّ وجلّ في سورة الأنعام: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاؤُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَدْرُونَ وَكَذَلِكَ بَهْرَى الْمُحْسِنِينَ ﴾٨٤﴿ وَزَكَرِيَا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلَيَّاسَ كُلُّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤ - ٨٥]، فهذا يدل على أن إلياس من ذرية نوح سواء قلنا: إن الضمير في قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ يعود على نوح أو على إبراهيم؛ لأن إبراهيم؛ من ذرية نوح، فمن كان من ذرية إبراهيم فهو من ذرية نوح لا محالة.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى إلياس في سورة الأنعام كما ذكرت قریباً، كما ذكر قصته في سورة الصافات، وقد تضمنت هذه القصة صورة مشرقة من صور دعوته إلى الله عَزَّلَهُ، ووجوب إخلاص العبادة لله وحده، وحضور قومه على تقوى الله تبارك وتعالى وتحذيرهم من أسباب سخطه، وأنه لا ينجيهم من عذاب الله إلا الفرار إلى الله وحده واتباع أوامره واجتناب نواهيه وسلوك صراط الله المستقيم، ونفرهم من عبادة صنفهم «بعل»، وأشعرهم بأن هذا الصنم لا يستحق تقديساً ولا تكريماً، وأن الله تبارك تعالى قد أيدَ إلياس بالحق ونصره على قومه المكذبين، وأن الله تعالى قد جعل العاقبة الحميدة لإلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن آمن به، وأنه ترك له ذكرأ حسناً وثناءً جميلاً وسلاماً في الآخرين من الأنبياء والأمم إلى يوم القيمة.

وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَئِنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ لَمَنْ أَمْرَسَلَنِ إِذْ قَاتَلَ لِقَوْمِهِ أَلَا نَنَفِعُونَ ﴾١٢٣﴾ اللَّذُنُونَ بَعْلًا وَتَدَرُّونَ أَحْسَنَ الْخَلَقِينَ ﴾١٢٤﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ إِبْرَاهِيمَ الْأُولَئِنَ ﴾١٢٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضُرُونَ ﴾١٢٦﴾ إِلَّا عِبَادُ اللَّهِ الْمُسْتَخْصِمُونَ ﴾١٢٧﴾ وَرَزَّكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ ﴾١٢٨﴾ سَلَمٌ عَلَى إِلَيْسِينَ ﴾١٢٩﴾ إِنَّا كَذَّلِكَ بَعَزِّيَ الْمُحْسِنِينَ ﴾١٣٠﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾١٣١﴾ [الصفات: ١٢٣ - ١٣٢].

وفي هذه القصة تثبت لفؤاد رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وعبرة لأولي الألباب، وأن العاقبة الحسنة لعباد الله الصالحين، وأن عاقبة السوء للمكذبين المنحرفين، وإلياس اسم عبراني، وقد تزداد في آخره ياء ونون، فيقال فيه: إلياسين كما قالوا في إدريس: إدريسين، وقد قرأ أكثر القراء السبعة: سلام على إلياسين. وهذا يحتمل أن المراد إلياس وحده بزيادة الياء والنون على اللغة التي ذكرتها، ويحتمل أن المراد به: سلام على إلياس ومن معه من المؤمنين، فجُمِعوا معه تغليباً كقولهم للمهلب وقومه: المهلبون، وللأشعرى وقومه أشعرون بحذف ياء النسب، وقد قرأ نافع وعبد الله بن عامر: سلام على آل ياسين. وهذا يحتمل أن يكون اسم والد إلياس ياسين، فكأنه قيل: سلام على إلياس ولد ياسين، ويحتمل أن يكون ياسين اسمأ ثانياً لإلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ، والمراد باله رهطه وقبوته المؤمنون معه عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكأنه قيل: سلام على إلياس ومن معه من المؤمنين، والعلم عند الله عَزَّلَهُ.

هذا وقد قال ابن كثير في قصص الأنبياء وقد قدمنا قول من ذكر أن إلياس والخضر يجتمعان في كل عام في شهر رمضان بيت المقدس، وأنهما يحجان كل سنة ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من العام المقبل، وأوردنا الحديث الذي فيه أنهما يجتمعان بعرفات كل سنة، وبينما أنه لم يصح شيء من ذلك، وأن الذي يقوم عليه الدليل أن الخضر مات وكذلك إلياس عليه السلام .هـ. كلام ابن كثير.

والى الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الأربعون

### يونس بن متن عليه السلام

نتحدث إليكم في هذا الفصل عن نبي الله ورسوله ذي النون يونس بن متن عليه الصلاة والسلام، وقد أرسل الله تبارك وتعالى يونس إلى أهل نينوى من الموصل بالعراق، فدعاهم إلى الله وحده، ونبذ عبادة ما سواه، وقد بذل لهم النصح، وبلغهم رسالة ربه، ولما لم يكن يونس عليه السلام من أولي العزم من المرسلين لم يتحمله ألوه العزم من الرسل من الصبر على تكذيب قومه له، وإيذائه، وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى أن قومه أغضبوه، وأنه أحسن منهم الكفر، فتهددهم بعقوبة من الله عَزَّوَجَلَّ تحل بهم إن لم يؤمنوا به، وبدأت أمارات العذاب تظهر في جوهم، وأخذت مقدمات العذاب تتجه نحوهم، فظن يونس عليه السلام أنه قد أدى ما عليه من أعباء الرسالة، ما دام قد أوضح لقومه الطريق وعرفهم صراط الله المستقيم، وحضرهم من أسباب سخط الله وغضبه، وأن الله تعالى لن يضيق عليه إن هاجر من أرض قومه، وأن له أن يذهب حيث يشاء، فاتجه نحو البحر، وركب سفينة مشحونة، ويظهر أن أهل السفينة عندما رأوه، وشاهدوا ما علاه من الوقار والبهاء لم يحاولوا رده عن ركوب سفيتهم.

غير أن البحر لما هاج، اضطر ركب السفينة إلى تخفييف حمولتها من الركاب، فعملوا قرعة ليلقوا في البحر من تقع عليه القرعة، فكان يونس عليه السلام: «من المدحدين» [الصفات: ١٤١]، أي من وقعت عليهم السهام، فألقى في البحر وهو في كربه وغمه وهمه الذي فارق عليه قومه، فهياً الله عَزَّوَجَلَّ له حوتاً أي سمكة فابتلعه الحوت، وصان الله تبارك وتعالى يونس من أذى الحوت فلم يكسر له عظماً، ولم يخدش له لحماً، وإنما صار بطن الحوت كالسجن المؤقت ليونس عليه السلام، وأحاطت به ظلمة داخل ظلمات البحر، فصرخ يونس

ينادي ربه متوسلاً إليه بكلمة التوحيد التي من أجلها خلق الله الإنسان والجن، ومن أجلها أنزل الكتب وأرسل الرسل ومن أجلها يقام سوق الجنة والنار، وقد نزّه الله عَنْك عن كل نقص، واعتذر إلى الله عَنْك من فراره من قومه، فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنباء: ٨٧]، فاستجاب الله له، ونجاه من الغم، فأسرع الحوت إلى شاطئ البحر، وقدف بيونس في العراء، وهو مريض من شدة ما أصابه من الهول والكرب والهم والغم، وأنبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين، واليقطين هو ما لا ساق له من النبات، ويقال لحمله القرع أو هو الدباء، وهو نوع من القرع.

وقد ذكر العلماء في حكمة إنبات اليقطينة على يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ أن ورقة شجرة القرع في غاية النعومة، وأنه كثير، وأنه ظليل، ولا يقربه الذباب، ويؤكل ثمرة من أول طلوعه إلى آخره نياً ومطبوخاً، ويؤكل بقشره وببذره أيضاً، وفيه نفع كثير، وقوية للدماغ وللبدن إلى غير ذلك؛ ولذلك أثر أن رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يحب الدباء، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن خياطاً دعا رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ ل الطعام صنعه، قال أنس: فذهبت مع رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فرأيته يتبع الدباء من حوالي القصعة، قال: فلم أزل أحب الدباء من يومئذ.

وقد ردَ الله تبارك وتعالى ليونس كمال صحته، وأخبره بأن قومه آمنوا لما رأوا عذاب الله متوجهاً نحوهم، وأن الله قبل منهم إيمانهم وكشف عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا، وأمره الله تبارك وتعالى بالرجوع إليهم والاستمرار في توجيههم إلى صراط الله المستقيم، فرجع إليهم يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانوا أكثر من مئة ألف إنسان، وقد أفاض الله عليهم من الخيرات والبركات، فعاشوا أمنين في ظل شريعة الله التي بعث بها يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى جوانب من قصة يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ في مواضع من كتابه الكريم، وقد ذكر في كل مقام منها مقاله الذي يناسبه، فذكر في سورة سُميت بكمالها سورة يونس أنه امتنَّ على أمة يونس بمنة تفردوا بها من بين الأمم السابقة، وأنه استثنىهم بها من قاعدة: أن من آمن من الكفار عند رؤية العذاب لا

ينفعه إيمانه على حد قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا إِنَّا يَأْتِنَا بِاللَّهِ وَهُدًىٰ وَكَفَرْنَا بِمَا كَانَ أُنْذِنَنَا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ [٨٤] فَلَمَّا يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنْنَتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ حَلَّتْ فِي عِبَادَتِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤ - ٨٥]. فقد استثنى الله تبارك وتعالى أمة يونس من هذه القاعدة، فإنهم عندما رأوا مقدمة العذاب قبلة عليهم آمنوا بالله وصدقوا يonus ﷺ وفي ذلك يقول الله عزوجل: ﴿فَلَوْلَا كَانَ قَرْيَةً أَمْتَثَلَ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُؤْسِسُ لَمَّا آمَنُوا كَشْفَنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْغَرَقِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَعَنَّاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

وفي سورة الأنبياء يقول عزوجل: ﴿وَذَا الْنُونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَلَّ أَنَّ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَكَادَ فِي الظُّلْمَتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَّ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٨٧] فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَيَّنَاهُ مِنَ الْغَمَّ وَكَذَّلَكَ ثَسِحِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨]. فقوله تعالى: ﴿وَذَا الْنُونِ﴾ أي واذكر في المرسلين صاحب النون، والنون الحوت والمراد به يonus ﷺ، فقد لقبه الله تعالى بصاحب النون وصاحب الحوت للتقام الحوت له، ورحمته به، وملازمته له فترة من الزمن، وتخليصه إياه من الغرق، حتى طرحة على الساحل، وقوله تعالى: ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ أي فارق قومه وهو ممتلىء من الغضب عليهم لکفرهم به، وتكذيبهم له، فهو غاضب عليهم وهم عليه غضاب. وقوله تعالى: ﴿فَظَلَّ أَنَّ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي فحسب أن الله تعالى لن يُضيق عليه إذا فارق قومه الكافرين بعد أن بلغهم رسالة ربهم، وكان هذا عن اجتهاد منه ﷺ، فمعنى نقدر: نضيق على حد قوله تعالى: ﴿وَتَكَبَّرَ اللَّهُ يَسْطُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ [القصص: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَسْطُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الإسراء: ٣٠] أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء، فلا ينبغي أن يخطر ببال مسلم أنَّ ﴿وَيَقْدِرُ﴾ هنا بمعنى يستطيع، فإن أحد المؤمنين من غير الأنبياء لا يخطر بباله أن الله يعجز عن شيء ولا يستطيعه، إذ هو على كل شيء قادر.

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## الفصل العادي والأربعون

### تابع: يونس بن متى

ذكرت في ختام الفصل السابق معنى قوله تعالى عن يونس ﷺ: «وَذَا الْئُونَى إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنَّ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ» [الأنباء: ٨٧]، أما قوله تعالى: «فَكَادَى فِي الظُّلُمَتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» [الأنباء: ٨٧]. أي فصرخ مستغيثًا بربه في ظلمات بطن الحوت في البحر اللجي متوسلاً إليه بكلمة التوحيد، مُنْزَهًا الله تعالى عن كل نقص، واصفًا له بكل كمال، مستغفراً الله تعالى من مفارقة قومه دون إذن من الله تعالى قائلاً: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» [الأنباء: ٨٧]، قوله: «إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» لا يدل على أنه ارتكب ذنبًا أو أتى معصية، فقد ثبت أن نوحًا رسول الله ﷺ وأحد أولي العزم من المرسلين لما قال: «وَنَادَى رُوحُ رَبِّهِ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ آتَيْتَنِي أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَخْكُمُ الْحَكَمِينَ» ﴿٤٥﴾ قَالَ يَتَوَهُّ إِنَّمَا يَسِّنُ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّمَا عَمِلَ عَيْرَ صَلِيقَ فَلَا تَشَكُّنِ ما يَسِّنَ لَكَ بِهِ، عِلْمٌ لِيَنْتَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا يَسِّنَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَعْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنُ مِنَ الْخَسِيرِينَ» [هود: ٤٥ - ٤٧]. قوله تعالى: «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَعْثَنَاهُ مِنَ الْغَمَّ وَكَذَلِكَ نُثْبِي الْمُؤْمِنِينَ» [الأنباء: ٨٨] أي فأجبنا يونس لما دعانا وهو في بطن الحوت، وخلصناه من الغم والهم والحزن والكرb الذي وقع فيه، فوضعه الحوت على ساحل البحر، وأتممنا عليه النعمة، وكذلك ننجي كل مؤمن يقع في غم وكرب فيلتتجى إلينا فإنما نخلصه مما هو فيه من الغم والكرb **﴿أَمَّنْ يُحِبِّبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ الْشَّوَّهَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَعْلَمُهُمْ مَعَ اللَّهِ فَلَيْلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾** [النمل: ٦٢].

وقال تعالى في سورة الصافات: «وَلَمَّا يُؤْسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٣﴾﴾ إِذْ أَبْقَى إِلَى

الفُلُكَ الْمَشْحُونَ ﴿١٤٦﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْخَضِينَ ﴿١٤٧﴾ فَالْقَمَمُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٨﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَيْبِينَ ﴿١٤٩﴾ لَلَّا يَتَبَيَّنُ إِلَى يَوْمِ يُبَعَّثُونَ ﴿١٥٠﴾ فَبَنَدَتْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٥١﴾ وَأَنْلَثَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٥٢﴾ وَأَرْسَلَنَا إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَرِيدُونَ ﴿١٥٣﴾ فَعَانَتْهُمْ فَعَنَتْهُمْ إِلَى حِينٍ﴿١٥٤﴾ [الصفات: ١٣٩ - ١٤٨].

وقوله تعالى: ﴿أَيْ ذَهْبٌ﴾ أي ذهب بلا خوف أو استخفى ثم ذهب، وقوله: ﴿فَسَاهَمَ﴾ أي اشترك في القرعة مع ركاب السفينة، واقتصر معهم فيمن يُلقى من الركاب في البحر لتخفيض حمل السفينة ولنجاة من لم يقع عليه السهم من الركاب. وقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْخَضِينَ﴾ أي من المغلوبين الذين وقعت عليهم القرعة ليُلقى بهم في البحر.

وقوله: ﴿فَالْقَمَمُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي فابتلع الحوت يونس عليه السلام، وهو مليم، أي معاذ نفسه على فراق قومه بلا إذن من ربه، أو وهو آت بما يلام عليه أي يعاتب عليه، فاللوم العزل والعتب، وكون بعض الأنبياء يفعل ما يعاتب عليه عن طريق الاجتهاد لا ضير فيه، وقد وقع ذلك لأكميل خلق الله وسيد المرسلين محمد عليه السلام يوم بدر حينما استشار أصحابه فيما يفعله بالأسرى فأشار عليه أبو بكر عليه السلام باستبقاءهم وقبول الفداء منهم، وأشار عليه عمر عليه السلام بقتلهم لإضعاف شوكة المشركين، وكان رسول الله عليه السلام لا يخَرِّي بين أمرٍ إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فمال إلى رأي أبي بكر عليه السلام وقبل الفداء من الأسرى، فعاتبه الله تعالى على قبول الفداء، وقال عليه في ذلك: ﴿مَا كَانَ لِنَّيٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُتَخَيَّرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ لَوْلَا كَتَبَ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَكُمْ فِيمَا أَخْذَمْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ فَلَكُلُوا مِمَّا غَيْمَتْ حَلَلَأَ طِيبًا وَأَنْقُوا اللَّهَ إِلَكَ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿١٩﴾ [الأناشيد: ٦٧ - ٦٩].

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَيْبِينَ﴾ لَلَّا يَتَبَيَّنُ إِلَى يَوْمِ يُبَعَّثُونَ﴿١٤٩﴾ [الصفات: ١٤٣ - ١٤٤]. أي فلو لا أن يونس عليه السلام كان من الذاريين الله كثيراً المسيحيين بحمده في السراء والضراء لجعلنا بطن الحوت مقبرة له، لكنه كان يتعرف إلى الله في الرخاء، ففرج الله كربته في الشدة؛ ولذلك أثر أن رسول الله عليه السلام

قال لابن عباس رضي الله عنهما كما رواه أحمد وبعض أهل السنن: «يا غلام! إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

وقوله تعالى: ﴿فَبَدَّلْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ . أي فأمرنا الحوت بطرحه على ساحل البحر في الفضاء، وكان قد سقم ومريض مما أصابه من الغم والكرب وبطن الحوت، و﴿أَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَسْلَنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ ليست للشك في عدد المرسل إليهم، بل هي للإضمار بمعنى بل، فقد أثبتت مئة ألف، فاستقر هذا العدد الكبير في نفوس السامعين، ثم ذكر أنهم يزيدون على ذلك، فيكون زيادة في تعظيم عدد المرسل إليهم، وهو أبلغ من قول القائل: أرسل إلى أكثر من مئة ألف، وأجمل وأفصح وفي هذا ثبيت لفؤاد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما منَّ الله تعالى به على يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، والزائد من عدد هؤلاء عن مئة ألف لا يعلمه إلا الله إذ لم يقل عن المعموم عَلَيْهِ السَّلَامُ تحديد لهذه الزيادة.

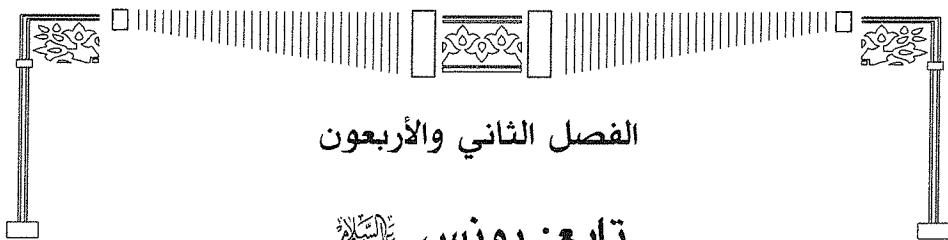
وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّنَا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ ، أي فاستمروا على إيمانهم، وازدادوا إيماناً بما رسمه لهم يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، ففتح الله عليهم من البركات والخيرات مدة استمساكهم بالدين الذي جاءهم به يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقال تعالى في سورة (ن): ﴿فَاصِرٌ لِّكُوْنِ رَيْكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْمَوْتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْطُومٌ ﴾ [٢٨] لَوْلَا أَنْ تَدَرَّكُهُ نُعْمَةٌ يَنْرَيْهُ لَتَنْدِي بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَدْمُومٌ ﴾ [٢٩] فَاجْبَهُهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [٤٨ - ٥٠] وفي هذا المقام الكريم من مقامات ذكر يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ يبدأ الله عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمر حبيبه ورسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصبر على أذى قومه له مهما كان منهم، لأنه سيد أولي العزم من المرسلين، ثم نبهه إلى أنه لا ينبغي له أن ينفذ صبره كما نفذ صبر أخيه يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن امتلاه كرباً وغماماً من أذى قومه له، فإن يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس من أولي العزم من المرسلين، فهو من جملة النبيين المرسلين من غير أولي العزم، وقد قال الله تعالى في واحد منهم وهو أبوهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدْ عَهَدْنَا إِلَيْهِ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ يَحْدَدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] وقال لشيخ المرسلين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَاصِرٌ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا سَتَّعِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وهذا لا يمنع أن يقتدي رسول الله ﷺ بأخوانه النبيين فيما جاؤوا به من الهدى بما فيهم يونس عليه السلام؛ ولذلك لما ذكر الله تعالى جملة من النبيين والمرسلين في سورة الأنعام وفيهم يونس عليه السلام قال الله لرسوله ﷺ بعد ذكرهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَنَّهُمْ أَفْتَدَهُمْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل الثاني والأربعون

تابع: يونس

ذكرت في ختام الفصل السابق معنى قوله تعالى عن يونس ﷺ من سورة «ن»: «فَاصِرٌ لِّكُوْنِ رَبِّكَ وَلَا تَكُونُ كَصَاحِبِ الْحَوْتِ» [القلم: ٤٨]. وقوله تعالى: «إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ» [القلم: ٤٨] ليس داخلاً في حيز النهي، فإن نداء المكظوم ودعاه ربها محبوب مطلوب، ومعنى إذ نادى وهو مكظوم، أي دعا ربها وهو ممتلىء كرباً وغماً، حيث قال وهو في بطن الحوت، «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سَمِيعُنَاكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» [الأنياء: ٨٧]، وقوله تعالى: «لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُنَا بِنَعْمَةٍ مِّنْ رَبِّنَا لَتَبَدَّلُنَا وَهُوَ مَذْمُومٌ» [القلم: ٤٩]، أي لو لا أن أدركته رحمة الله وعنائه لطرح بالأرض الفضاء وهو ملوم، وما دام قد أدركته رحمة الله فقد ألقاه الحوت على الساحل غير ملوم، وكان الله تبارك وتعالى تفضل على يونس ﷺ فلم يؤاخذه باجتهاده في فراق قومه حين ذهب مغاضباً بلا إذن من ربها، كما تفضل على محمد ﷺ حينما لم يؤاخذه على قبول فدية الأسرى يوم بدر حيث قال: «لَوْلَا كَتَبَ اللَّهُ سَبَقَ لَمَسْكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابَ عَظِيمٍ» [الأنفال: ٦٨] و«لَوْلَا» حرف امتناع لوجود، فقد امتنع جوابها هنا لوجود شرطها، وكل من لم تدركه رحمة الله مذموم، لكن يونس لم يذم؛ لأنه أدركته رحمة الله.

وقوله تعالى: «فَاجْتَبَهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ» [القلم: ٥٠] زيادة في فضل الله تعالى على يونس ﷺ أن الله تعالى اجتباه، أي أعلى درجة في المصطفين الآخيار، وجعله من الكاملين في الصلاح، وقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة تشير بفضل يونس ﷺ وتهنى عن تفضيل سيد الأنبياء وشيخ المرسلين محمد ﷺ على يونس بن متى، وهي محمولة على أنها من باب تواضعه ﷺ كما أشرت في قصة إبراهيم ولوط ويوسف ﷺ إلى أن تواضع الرفيع القدر لا ينزل من قدره،

وقد جاء صريح القرآن في تفضيل بعض الأنبياء على بعض حيث يقول الله عز وجل: ﴿تَلَكَ الرَّسُولُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَمَ اللَّهُ وَرَقَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ولا شك عند أهل العلم أن أولي العزم من المرسلين أفضل من سواهم من الأنبياء والمرسلين، وأن أفضل أولي العزم محمد ﷺ ثم أبوه إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليهم جميعاً وسلم، غير أنه إذا كان المقام مقام تنازع بين أهل الأديان وسبباً لإثارة الشر وإلحاق الضرر بال المسلمين، فإنه ينبغي الكف عن التفضيل على حد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًا بِعَيْرٍ عَلَيْهِ كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَّا هُمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَتَّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٨].

فإن الأصنام والأوثان تستحق السب، لكن إذا كان سب الأصنام يثير عابديها على المسلمين فإنه نهي عن سبها لذلك.

وكذلك التفضيل على وجه الفخر أو الحمية أو العصبية، وعلى هذا يحمل ما ورد عن رسول الله ﷺ في منع تفضيله على موسى أو يونس بن متى عليهم جميعاً الصلاة والسلام، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما يهودي يعرض سلعة له، أعطي بها شيئاً كرهه أو لم يرضه، قال: لا، والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر، فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه، قال: تقول والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر ورسول الله عليه السلام بين أظهرنا؟ قال: فذهب اليهودي إلى رسوله الله عليه السلام فقال: يا أبا القاسم! إن لي ذمةً وعهداً، وقال: فلان لطم وجهي، فقال رسول الله عليه السلام: «لَمْ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟». قال: قال يا رسول الله: والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر وأنت بين أظهرنا، قال: فغضب رسول الله عليه السلام حتى عرف الغضب في وجهه ثم قال: «لَا تَفْضِلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، إِنَّهُ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصُعُّ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مِنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوْلَى مَنْ بَعْثَ، أَوْ فِي أَوْلَى مَنْ بَعْثَ، فَإِذَا مُوسَى عليه السلام آخَذَ بِالْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَحْوَسْ بِصُعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَوْ بُعْثَ قَبْلِيِّ، وَلَا أَقُولُ: إِنْ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونَسَ بْنَ مَتَّى». وقوله عليه السلام في هذا الحديث عن

موسى ﷺ: «فأكون أول من بُعث فإذا موسى ﷺ آخذ بالعرش فلا أدرى أحوس بصعنته يوم الطور أو بُعث قبله» لا يدل على أن موسى أفضل من محمد ﷺ، إذ القاعدة عند أهل العلم أن المزية لا تنافي الأفضلية. أي إن ثبت لأحد مزية على أحد في جانب من جوانبه لا يدل على أن صاحب هذه المزية أفضل من الآخر، ومثال ذلك أن رسول الله ﷺ رأى في منامه أن بلاً رضي الله عنه يمشي بين يديه في الجنة، فقد روى البخاري ومسلم واللّفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لبلاً عند صلاة الفجر: «يا بلاً! حدثني بأرجى عمله في الإسلام فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة» قال: ما عملت عملاً أرجى عندي أنني لم أتطهر طهوراً في ساعة ليل أو نهار إلا صلّيت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلّي، وفي لفظ لمسلم: «إني سمعت الليلة» وفي لفظ له بدل «دف نعليك» «خشاف نعليك» والدف الحركة الخفيفة، والخشاف الحركة الخفيفة أيضاً، فالدف والخشاف بمعنى واحد. وقد جاء في رواية الترمذى وابن خزيمة وأحمد من حديث بريدة رضي الله عنه في حديث بلاً هذا أن رسول الله ﷺ قال: «يا بلاً! بم سبقتني إلى الجنة؟» ولا يخطر على بال مسلم أن بلاً أفضل من رسول الله ﷺ لهذه المزية.

ولعل أحداً يحسب أنه خير من يونس بن متى ﷺ عندما يسمع قوله تعالى: **﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾** [القلم: ٤٨]، ويجهل أن المقصود من هذا الذكر الكريم تنبئه رسول الله ﷺ - كما أسلفت - إلى التأسي في باب الصبر بأولي العزم دون التأسي بمن ليسوا من أولي العزم في هذا الباب، وينسى كذلك أن الله أمر رسوله محمداً ﷺ بالاقتداء بالأئمّة والمرسلين بما فيهم يونس ﷺ في باب الاهتداء إلى الصراط المستقيم كما جاء في سورة الأنعام كما أشرت؛ ولذلك كله حذر رسول الله ﷺ المسلمين من أي خاطر شيطاني في هذا الأمر، فقد روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس بن متى» ونسبة إلى أبيه، وفي لفظ للبخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير

من يونس بن متى». كما روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى». سلام على يونس في المرسلين.

والى الفضل القادر ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الثالث والأربعون

### اليسع ذو الكفل

نتحدث في هذا الفصل عن نبيين كريمين من أنبياء الله تعالى وهم اليسع ذو الكفل عليهما الصلاة والسلام، وقد ذكر الله تبارك وتعالى اليسع في كتابه مرتين، فذكره في جملة الأنبياء الذين أعطاهم الله تعالى الحجّة على قومهم، وأمر رسوله ﷺ أن يقتدي بهم، فقال تعالى في سورة الأنعام:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا مَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرَقَ دَرَجَتِ مَنْ نَشَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾٨٣﴿ وَوَهَبَنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلُّا هَدَيْنَا وَنُؤْحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ دُرِّيَتِهِ دَاؤُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَذِرُونَ وَكَذَلِكَ هَجَرَى الْمُحَسِّنِينَ ﴾٨٤﴿ وَزَكَرِيَا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلَيَّاسَ كُلُّ مِنَ الْمُصَلِّيَّينَ ﴾٨٥﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلُّا فَضَلَّنَا عَلَى الْعَلَمِيَّةِ ﴾[الأنعام: ٨٣ - ٨٦]، ثم قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَنَّهُمْ أَفَتَدِهُمْ ﴾[الأنعام: ٩٠].

وذكر اليسع مرة أخرى في جملة الأنبياء الذين أمر رسوله محمدًا ﷺ أن يتأسى بهم في الصبر على أذى قومه له، فقال تعالى في سورة «ص»: ﴿أَصَدَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاؤُدَ دَا الْأَيْدِي إِنَّهُ أَوَّلُهُ﴾ [ص: ١٧]. وبعد سياق قصة داود قال: ﴿وَوَهَبَنَا لِدَاؤُدَ سُلَيْمَانَ نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّلُهُ﴾ [ص: ٣٠].

وبعد سياق قصته ذكر من كان أشد منها ابتلاء وهو أيوب ﷺ، وقال في آخر قصته: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا تَعَمَّلُ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّلُهُ﴾ [ص: ٤٤].

ثم ذكر ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ﴾ [ص: ٤٥] ثم قال: ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكَفَلَ وَكُلُّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨].

واليسع اسم يمكن أن يكون عبرانياً، ويمكن أن يكون عربياً، قال أبو حيان في البحر المحيط في تفسير سورة الأنعام: وقرأ الجمهور واليسع كأن أل أدخلت

على مضارع وسع، وقرأ الأخوان «يعني بهما حمزة والكسائي» واللَّيسَع على وزن فيعمل نحو الضيغم، واختلف في: أهو عربي أم أعمجي، فأما على قراءة الجمهور وقول من قال إنه عربي فقال: هو مضارع سمي به ولا ضمير فيه. فأعرب ثم نُكِر وعُرِّف بأَلْ، وقيل: سمي بالفعل كيزيد ثم أدخلت فيه أَلْ زائدة شذوذًا كاليزيد في قوله: رأيت اليزيد بن اليزيد مباركاً. ولزمت كما لزمه في الآن. ومن قال: إنه أعمجي فقال: زيدت فيه أَلْ ولزمت شذوذًا، وممن نص على زيادة أَلْ في اليسع أبو علي الفارسي، وأما على قراءة الأخوين فزعم أبو علي أن أَلْ فيه كهي في الحارت والعباس؛ لأنهما من أبنية الصفات، لكن دخول أَلْ فيه شذوذ عما عليه الأسماء الأعمجية، إذ لم يجيء فيها شيء على هذا الوزن، كما لم يجيء فيها شيء فيه أَلْ للتعريف، وقال أبو عبد الله بن مالك الجياني: ما قارنت أَلْ نقله كالسمى بالنضر أو بالنعلم أو ارتجاله كاليسع، والسموع فإن الأغلب ثبوت أَلْ فيه، وقد يجوز أن يحذف، فعلى هذا لا تكون أَلْ فيه لازمة؛ واتضح من قوله أن اليسع ليس متقولاً من فعل كما قال بعضهم .ا.ه.

ثم قال أبو حيان: وهذه الأسماء الأعمجية لا تجر بالكسرة ولا تنون إلا اليسع فإنه يجر بها ولا ينون، وإلا لوطاً فإنه مصروف لخفة بنائه بسكون وسطه وكونه مذكراً وإن كان فيه ما في إخوته من مانع الصرف وهو العلمية والجمة الشخصية .ا.ه.

هذا وكون اليسع هو ابن أخطوب أو ابن العجوز أو كان اسمه الأسباط ابن عدي من ذرية يوسف بن يعقوب عليه السلام، أو هو ابن عم إلياس، وكان مستخفياً معه بجبل قاسيون، وأنه خلف إلياس في قومه أو كان ببنياس من أرض الشام فإن هذه الأقوال كلها لا تستند إلى دليل صحيح، وفيما ذكره الله تعالى عنه في محكم كتابه كفاية. والعلم عند الله تعالى .

أما ذو الكفل فقد ذكره الله تبارك وتعالى كذلك مرتين في كتابه الكريم، فذكره في سورة الأنبياء في جملة من المرسلين بعد قصة أیوب عليه السلام ليتأسى بهم رسول الله محمدًا صلوات الله عليه وآله وسلامه في الصبر على أذى قومه، فقال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ

وَذَا الْكَفْلِ كُلُّ مِنَ الصَّدِّيقِينَ ﴿٦٦﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٧﴾  
[الأنياء: ٨٥ - ٨٦].

كما ذكره الله تعالى في سورة «ص» بعد قصة أیوب أيضاً حيث قال تعالى:

﴿وَذَكَرَ عِبْدًا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَئِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِمُغَاصَةٍ ذُكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَأَتَهُمْ عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَذَكَرَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكَفْلِ وَكُلُّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٥ - ٤٨].

وقد زعم بعض الناس أن ذا الكفل لم يكننبياً، ونسبوا هذا القول المردود إلى بعض السلف، معتمدين على أخبار مدسosa إسرائيلية، لم يصح منها خبر عن رسول الله عليه السلام، والمتبادر من سياق القرآن العظيم يثبت أنه من الأنبياء العظام الذين أمر الله رسوله عليه السلام أن يتأنس بهم، إذ قرنه في سورة الأنبياء بجملة من عظماء المرسلين، ثم قرنه في سورة (ص) بجملة من هؤلاء السادة المرسلين بعد أن أمر محمداً عليه السلام بالصبر تأسياً بهؤلاء، ومنهم ذو الكفل عليه السلام، والقاعدة عند الأصوليين أن الأصل وجوب العمل بظاهر اللفظ حتى يرد دليل يصرفه عن هذا الظاهر، ولم يرد دليل صحيح يثبت أن ذا الكفل لم يكن من جملة الأنبياء.

أما ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد بأن اليسع عليه السلام استخلفه بعد أن كبر اليسع واشترط عليه أن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب، وأنه كان تزدرية العين، وأنه وفّى بما اشترطه عليه اليسع. فهذا من أساطيربني إسرائيل، وكذلك ما رواه ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري بأنه خطب فقال: لم يكن ذو الكفلنبياً، فهو خبر في سنته اضطراب وعليه الشنشنة المعروفة عنبني إسرائيل.

فاما الحديث الذي رواه الإمام أحمد من طريق أسباط بن محمد حدثنا الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعد مولى طلحة عن ابن عمر أنه سمع من رسول الله عليه السلام سبع مرات أو أكثر قال: «كان الكفل منبني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله، وأنه جاءته امرأة محتاجة، وأنه أعطاها ستين ديناراً ليقارفها، وأنها بكت عندما جلس منها مجلس الرجل من زوجته، فقام وتاب وأعطها الدنانير،

وأنه مات من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه: قد غفر الله للكفل». وقد رواه الترمذى من حديث الأعمش به، وقال: حسن. وذكر أن بعضهم رواه فوقفه على ابن عمر، فهو كذلك من دسائس بني إسرائيل ضد أنبياء الله ورسله، قال ابن كثير في قصص الأنبياء من البداية والنهاية: هو حديث غريب جداً وفي إسناده نظر.

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل الرابع والأربعون

موسى عليه السلام

نتحدث إليكم عن كبير أنبياء بنى إسرائيل، أحد أولي العزم من المرسلين، كلِّيم الله موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام، وعمران والد موسى عليهما السلام من نسل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، وليس هو عمران المذكور في سورة آل عمران المسمّاة باسمه، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنَّ أَدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عُمَرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، فإن عمران هذا هو والد مريم أم عيسى عليهما السلام، وقد بينَ الله تعالى ذلك في قوله بعد هذه الآية مباشرةً: ﴿ذُرْيَةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعُ عَلِيهِمْ﴾ [٤٦] إِذْ قَالَتْ أُمَّهُاتُ عُمَرَانَ رَبِّي إِنِّي نَدَرْتُ لِكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْغَيْرُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّي إِنِّي وَضَعَتْهَا أُنْهَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيَسَ الدَّجَوْ كَالْأَنْثَى وَلَيَسْ سَمَيَّهَا مَرِيمٌ وَلَيَسْ أَعْيُدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الْأَجِيرِ﴾ [آل عمران: ٣٤ - ٣٦].

وبين عمران والد موسى وعمران والد مريم قريب من ألفي سنة.

وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى الحالة التي كانت سائدة بمصر عند ميلاد موسى عليه السلام، إذ كان ظلم فرعون وبغيه على بنى إسرائيل وفساده في الأرض قد بلغ أقصى حدود الطغيان، فجعل أهلها شيئاً، يقرب بعضهم، ويستضعف طائفه منهم وهو بنو إسرائيل، يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ويستعمل معهم صنوف الذلة، وأنواع الهوان والعقاب، وأراد الله تعالى أن يمْنَ على الذين استضعفوا في الأرض من بنى إسرائيل، وكانوا يومها محصورين في مصر، وأن يبدل خوفهم أمناً، وأن يُمَكِّن لهم في الأرض، وأن يجعل منهم أئمة هدى، ويجعلهم الوارثين، وقد كان الحقد والبغض لبني إسرائيل قد اشتعل في قلب فرعون وهامان وجندهما بسبب ما ألقى في روعهم أن زوال ملتهم، وتدميرهم سيكون

على يد رجل من بنى إسرائيل، ولكن الحذر لا ينجي من القدر، فأراد الله تعالى أن يُري ﴿فَرَعَوْنَ وَهَامَنَ وَجُنَاحُهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٦].

فَوْلَدَ موسى عليه السلام في هذا الجو الخانق، وخافت أمه أن يذبحه فرعون؛ لأن ميلاد موسى عليه السلام صادف إحدى النوبات التي يقوم بها فرعون بتذبح أطفال بنى إسرائيل الذكور، فأوحى الله تعالى إلى أم موسى أن أرضعيه، فإذا خشيت عليه من فرعون أن يذبحه فاصنعي له صندوقاً محكماً كأنه سفينه، وضععيه في الصندوق وألقيه في نهر النيل، وأبعدي الخوف عن نفسك فلا تخافي ولا تحزني، فإن الله تعالى سيحفظه لك، ويرده عليك، وسيكون ولدك هذا من المرسلين، قال بعض أهل العلم: المراد بالوحي هنا وحي إلهام أو منام. قلت: لا مانع أن يكون الله تبارك وتعالى أرسل لها ملكاً بهذا الوحي فآمنت به وصدقته بوعده. ولا يلزم من مجيء الملك لها بهذه النصيحة أن تكون نبية، فقد ثبت في صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي عليه السلام يقول: «إن ثلاثة من بنى إسرائيل أبصر واقرء وأعمى أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويدھ عنني الذي قد قدرني الناس، فمسحه فذهب عنه قدره، وأعطي لوناً حسناً، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال: البقر، شك الرواية، فأعطي ناقةً عشراء، فقال: بارك الله لك فيها، فأتى الأقرع. فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويدھ عنني الذي قدرني الناس، فمسحه فذهب عنه وأعطي شعرأ حسناً، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر فأعطي بقرة حاملاً. قال له: بارك الله لك فيها، فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يردد الله إلي بصري فأبصرا الناس؛ فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاةً والدأ. فانتاج هذان وولد هذا؛ فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكيٌّ قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغيراً أتبليغ به في

سفرى ، فقال : الحقوق كثيرة ، فقال : كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيراً فأعطياك الله ؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر . فقال : إن كنت كاذبًا فصيّرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأقرع في صورته وهيئته . فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد هذا ، فقال : إن كنت كاذبًا فصيّرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأعمى في صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكون وابن سبيل ، انقطعت بي الحال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أبلغ بها في سفري ، فقال : قد كنت أعمى فرداً الله إلى بصري . فخذ ما شئت ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته الله تعالى ، فقال : أمسك مالك فإنما ابتليت فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك » .

فهذا الحديث الصحيح المتفق عليه يثبت أن الله قد يبعث ملكاً لأحد من عباده وليسنبي ولا برسول ، كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرسل الله تعالى على مدرجه ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تrepid ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة ترُبُّها عليه ؟ قال : لا غير أنني أحببته في الله تعالى . قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه .

فهذا يثبت أن الله تعالى قد يرسل ملكاً إلى بعض الناس ويحاطفهم وليس بأنبياء .

وقد أرسل الله تعالى الملائكة لمریم حيث يقول : « وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيمُ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنَا وَطَهَرَنَا وَأَصْطَفَنَا عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ٤٢ يَمْرِيمُ أَفْنَى لِرِبِّكَ وَاسْجُدْيَ وَأَرْكَعِي مَعَ الْرَّاكِعِينَ » [آل عمران: ٤٢ - ٤٣] ، ثم يقول تعالى : « إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلْمَةٍ مِنْهُ أَسْمَهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِئَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ٤٥ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الْمُتَلِّحِينَ » [آل عمران: ٤٥ - ٤٦] ، ولم تكن مریم نبیة وإنما كانت امرأة صالحة صدیقة من القانتین .

وفي ميلاد موسى عليه السلام وبيان الجو الذي ولد فيه وما كان من طغيان فرعون وإذلاله لبني إسرائيل والإيحاء إلى أم موسى بالقائه في اليوم مع الوعد بردہ إليها ،

يقول الله تعالى: ﴿تَنَلُوا عَيْنَكِ مِنْ نَبِيًّا مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۚ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعَةً يَسْتَعْفِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّغُ أَثْنَاءَ هُمْ وَيَسْتَخِيءُ نِسَاءَ هُمْ إِنَّمَا كَانَ مِنَ الْمُقْسِرِينَ ۚ وَرُبِّيَ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ أَشْتَعْفَفُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلُوهُمْ أَبْيَةً وَجَعَلَهُمُ الْمُرْثِيَنَ ۚ وَنُسَكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَرُبِّيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَنْ وَجُنُودُهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أُمُّ مُوسَى أَنَّ أَرْضَعِيهِ فَإِذَا حَفِظَ عَلَيْهِ فَكَأْلَقَهُ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزِنْ إِنَّا رَادُونَا إِلَيْكِ وَجَاعَلُوْهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٣ - ٧].

والى الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الخامس والأربعون

### تابع: موسى

ذكرت في ختام الفصل السابق ما قصّه الله عَنْك عن ميلاد موسى عليه السلام وإحياء الله تعالى لأمه أن «أَرْضِيَّةٌ فَإِذَا خَفَتِ عَلَيْهِ فَكَأْلِفِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِ إِنَّا رَادُوْهُ إِلَيْكَ وَجَاءُوكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» [القصص: ٧].

وقد اشتمل هذا الوحي على أمرين ونهيدين وخبرين، وقد أجمل الله تبارك وتعالى ذلك في سورة طه حيث يقول ممتنًا على موسى عليه السلام: «وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ٢٧ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى ۝» [طه: ٣٧ - ٣٨]، ثم فصل ذلك الوحي المجمل فقال: «أَنَّ أَذْرِيفَهُ فِي الْتَّابُوتِ فَاقْذِفْهُ فِي الْيَمِّ فَلَيُقْبِلَ الْيَمُ إِلَيْكَ يَأْمُدُهُ عَدُوُّكِ وَعَدُوُّكِ لَمْ وَلَقَيْتِ عَلَيْكَ حَبَّةً مَّيِّيٍّ وَلَنْصَنَعَ عَلَى عَيْنِي ۝» [طه: ٣٩].

وقد قامت أم موسى عليه السلام بما أمرها الله تعالى به فألفت ولدها في اليم بعد أن وضعته في التابوت أي الصندوق. وقد ذكر الله تبارك وتعالى أن اليم ألقى بالصندوق وفيه موسى عليه السلام إلى الساحل، أي شاطئ النهر أمام بيت آل فرعون «فَالْفَقَطَهُمْ أَهْلُ قِرْعَوْنَ ۝» [القصص: ٨] وفرحوا به لما ألقى الله عَنْكَ على موسى من المحبة في قلب من يراه، غير أن فرعون خشي أن يكون منبني إسرائيل، وفكّر في قتله، فقالت زوجته آسيا عليهما السلام: «لَا نَقْتُلُهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ تَتَخَذَهُمْ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝» [القصص: ٩] أنهم التقاطوا من يزول ملكهم على يديه، وأنه سيكون لهم عدواً وحزناً، فقيض الله له عليه السلام أعدى أعدائه أن يربوه، وأن ينشأ في بيتهما على حد قول الشاعر:

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

وهيأ الله تعالى له المرأة الصالحة آسيا زوجة فرعون عدو الله ورسله لتشرف على تربيتها، غير أن الله عَنْكَ منعه من التقام أي ثدي غير ثدي أمه. فكلما قدموه

لمرضعة رفض الامتصاص من ثديها، وقد بلغ الحال بأم موسى مع شدة كظم ما بها من الخوف عليه أن أصبح فؤادها كالهواء، كأنها كادت أن تُجنَّ لولا أن ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين، وقالت لأخته: تتبعي أثره وانظري ماذا يفعل به ملقطوه، وإياك أن يعرفوا أنك أخته أو أنك تحاولين معرفة شيء عنه، فانظري عن بُعد وبطريقة جانبية لا يُعرف منها أنك مشغولة به، فقامت أخته بتنفيذ وصية أمها، ومرروا بها يبحثن عن مرضعة له، فقالت: أنا أدلّكم على مرضعة لعله يقبل منها، فجاؤوا به إلى أمه فالتقى ثديها ففرحوا فرحاً عظيماً. وجعلوا يترددون به عليها، وقد قرت عينها به وخلصها الله تعالى من الحزن عليه. وعلمت أن وعد الله حق، وأن الله على كل شيء قادر، وأنه إذا أراد أمراً هيأ له الأسباب وأزال الموانع. وقد استمر موسى عليه السلام في بيت فرعون كأنه ولد لهم، يحوطونه بمحبتهم حتى بلغ أشدّه واستوى، وملأ الله قلبه حكمة وفقها وعلمها.

وفي هذا تبشير فؤاد رسول الله عليه السلام والمؤمنين، وأن الله تعالى ينصر أولياءه، ويخلصهم من المحن وينجيهم من السوء.

وفي ذلك كله يقول الله تبارك وتعالى في سورة القصص: «فَالْقَطَّافُ هُوَ إِلَّا فِرْعَوْنُ لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَّابًا وَحَزَّنًا إِنَّكَ فِرْعَوْنُ وَهَمَنَ وَجُنُودُهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ٨ وَقَاتَ أَمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِ لَيْ وَلَكَ لَا نَقْتُلُهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَخَذَهُمْ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ٩ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرِيقًا إِنْ كَادَتْ لَتُبَدِّي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ١٠ وَقَاتَ لِأَخْتِهِ فُصِّيَّةً فَبَصَرَتْ بِهِ عَنْ جِنْبِهِ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ١١ وَحَرَّمَنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلِ فَقَاتَ هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَكُمْ وَهُمْ لَهُمْ لَهُ نَصِيبُونَ ١٢ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ نَفَرَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْرَبَ وَلِعَلَّمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٣ وَمَا لَمْ يَأْشِمْ وَأَسْتَوِي عَائِلَتَهُ حُكْمًا وَعَلَمًا وَكَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» [القصص: ٨ - ١٤].

ويقول تعالى في سورة طه: «إِذْ تَسْأَلُ أَخْتَكَ فَقَوْلُ هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْتَكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ نَفَرَ عَيْنَهَا وَلَا تَحْرَنَ» [طه: ٤٠]، وفي قوله تعالى: «فَالْقَطَّافُ هُوَ إِلَّا فِرْعَوْنُ لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَّابًا وَحَزَّنًا» اللام في قوله: «لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَّابًا وَحَزَّنًا»

لام العاقبة. أي ما دروا أنهم بالتقاطه ستكون العاقبة أن يكون لهم ﴿عَدُوًا وَحَزْنًا﴾، وكم من عمل يعمله الإنسان لأمر ف تكون عاقبته على عكس ما أراد من عمله؛ لأن الأمر كله لله وحده.

والإنسان مهما ادعى القدرة والمعرفة فإنه يجهل عاقبة أمره.

وهامان هو وزير فرعون لعنهم الله، وفي تنشئة موسى في بيت فرعون يقول الله تعالى في سورة الشعرا: ﴿قَالَ اللَّهُ نُرِيكَ فِينَا وَلِيَسْتَأْمِنَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعرا: ١٨]، وبعد أن بلغ موسى عليه السلام أشدّه وتم نضجه وشبابه وتكامل عقله وأفاء الله تعالى عليه من الحكمة والفقه والعلم، وأراد الله تعالى أن يقيم على يديه سبباً يدعوه للخروج من مصر، والهروب من آل فرعون والبعد عن تقاليدهم وعاداتهم فقرر الله له أن يدخل وسط المدينة في وقت غفلة أهلها، إما في وقت نومهم أو في وقت اشتغالهم بطبعهم ولهمهم، حيث تكون الطرقات شبه خالية من المارة، فوجد فيها رجلين يتصارعان يريد كل منها الفتک بصاحبه، وموسى عليه السلام قد عرف أن أحدهما إسرائيلي وأن الآخر قبطي، وكأنه رأى أن القبطي أشدّه فأباً من الإسرائيلي؛ ولذلك استغاثه وطلب منه العون، فأراد موسى عليه السلام أن يدفع القبطي عن الإسرائيلي، فوكره بيده ودفعه بجُمْع كفه ليدفعه عنه. ولم يكن موسى عليه السلام يدرى أن هذه الوكزة ستقتضي عليه وقتلته؛ ولذلك أحسّ بندم شديد وأسنده هذا الشر للشيطان فقال: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَنِ إِنَّمَا عَدُوُّ مُصْلِّي مُؤْمِنٍ﴾ [١٥] قال رب إني ظلمت نفسى فأغفر لي فغفر له إني هؤلئك هو الغفور الرحيم﴾ [القصص: ١٥ - ١٦] وعزم على أنه لن يعود لمثلها وقال: ﴿رَبِّيْ بِمَا أَغْمَتَ عَلَيْ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧] أي نصيراً لأحد من الكافرين المجرمين.

وقد أصبح ﴿فِي الْمَدِينَةِ حَلِيفًا يَرْقَبُ﴾ [القصص: ١٨] ماذا سيؤدي إليه قتل هذا القبطي، وهل سيعرفون أنه موسى فياخذونه به، وبينما هو كذلك في طريق قريب من موضع قتل القبطي وإذا بالإسرائيلي الذي ساعده بالأمس (يستصرخه) ويستغيث به على قبطي آخر، فأجابه موسى عليه السلام بأنك شديد الغواية بين الأذى، ولما أشار موسى عليه السلام بيده إلى الإسرائيلي إشارة غضب مؤدياً له على سوء سلوكه

﴿قَالَ يَهُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَاهَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: ١٩]، فعلم موسى عليه السلام أن الخبر لا بد وأن يصل إلى فرعون من هذا القبطي، وأنهم لا بد قاتلوه، وفعلاً أعلم القبطي آل فرعون بأن موسى هو الذي قتل القبطي بالأمس، فتأمروا على قتل موسى عليه السلام.

والى الفضل القارئ ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل السادس والأربعون

### تابع: موسى عليه السلام

ذكرت في ختام الفصل السابق أن القبطي أخبر آل فرعون أن موسى عليه السلام هو الذي قتل القبطي، وأنهم تآمروا عليه، وقد أحـسـ موسى عليه السلام بغمـ شـدـيدـ، وامتحان عـسـيرـ وفتـنـةـ شـدـidleـةـ، وقد سـخـرـ اللهـ تـعـالـىـ لـموـسـىـ عليهـ سـلـامـ رـجـلاـ قـرـيبـ المـنـزـلـ منـ آـلـ فـرـعـوـنـ يـسـكـنـ مـعـهـمـ فـيـ أـقـصـيـ الـمـدـيـنـةـ كـالـعـادـةـ فـيـ الـقـدـيمـ وـالـحـدـيـثـ أـنـ الـأـشـرـافـ يـسـكـنـ الـأـطـرـافـ، وـيـعـرـفـ أـخـبـارـهـ، وـيـكـنـ لـموـسـىـ عليهـ سـلـامـ مـحـبـةـ قـوـيـةـ، فـسـارـعـ يـبـحـثـ عـنـ مـوـسـىـ عليهـ سـلـامـ حتـىـ وـجـدـ فـيـ دـاـخـلـ الـمـدـيـنـةـ، وـأـخـبـرـهـ أـنـ آـلـ فـرـعـوـنـ يـأـتـمـرـونـ بـمـوـسـىـ لـيـقـتـلـوـهـ، وـأـمـرـهـ أـنـ يـسـارـعـ بـالـفـرـارـ مـنـ شـرـهـ، وـيـنـجـوـ مـنـ مـكـرـهـ، وـبـيـنـ لـهـ أـنـ الـحـاـمـلـ لـهـ عـلـىـ ذـلـكـ هـوـ حـبـهـ وـنـصـحـهـ لـهـ، فـخـرـجـ مـوـسـىـ عليهـ سـلـامـ مـسـرـعاـ مـتـجـهـاـ إـلـىـ سـيـنـاءـ وـهـوـ يـدـعـوـ رـبـهـ أـنـ يـنـجـيـهـ مـنـ الـقـوـمـ الـظـالـمـينـ الـذـيـنـ يـقـرـرـوـنـ قـتـلـ مـنـ لـاـ يـسـتـحـقـ القـتـلـ، وـقـدـ عـزـ مـوـسـىـ عليهـ سـلـامـ أـنـ يـتـجـهـ تـلـقـاءـ مـدـيـنـ، غـيـرـ أـنـ غـيـرـ خـبـيرـ بـالـطـرـيقـ إـلـيـهـ، فـتـضـرـعـ إـلـىـ اللهـ تـعـالـىـ أـنـ يـهـدـيـهـ إـلـىـ طـرـيقـهـ، وـأـنـ يـوـقـعـهـ إـلـىـ سـلـوكـ طـرـيقـ قـصـدـ وـأـنـ يـرـشـدـهـ إـلـىـ سـوـاءـ السـبـيلـ.

واستمر في سـيـرـهـ عـلـىـ (ورـدـ مـاءـ مـدـيـنـ) حتـىـ (ورـدـ مـاءـ مـدـيـنـ) وـوـجـدـ عـلـيـهـ جـمـاعـةـ مـنـ النـاسـ يـسـقـونـ مـوـاشـيـهـمـ، وـوـجـدـ أـمـامـهـ قـبـلـ هـؤـلـاءـ الـجـمـاعـةـ الـذـيـ يـسـقـونـ مـوـاشـيـهـمـ اـمـرـأـتـيـنـ تـدـفعـانـ غـنـمـهـماـ حتـىـ لـاـ تـرـدـ المـاءـ معـ رـؤـيـةـ مـوـسـىـ عليهـ سـلـامـ لـلـغـنـمـ فـيـ حاجـةـ إـلـىـ المـاءـ، فـقـالـ مـوـسـىـ عليهـ سـلـامـ لـلـمـرـأـتـيـنـ مـاـ شـأـنـكـمـ؟ لـمـاـذـاـ تـدـفعـانـ غـنـمـكـمـاـ عـنـ المـاءـ وـهـيـ فـيـ حاجـةـ إـلـىـهـ، قـالـتـاـ: نـحـنـ لـاـ نـحـبـ أـنـ نـخـتـلـطـ مـعـ الرـجـالـ الرـعـاءـ، وـلـنـاـ أـبـ شـيـخـ كـبـيرـ لـاـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـتـولـيـ سـقـيـ أـغـنـامـاـ، فـتـقـدـمـ مـوـسـىـ عليهـ سـلـامـ وـسـقـىـ لـهـمـاـ دـوـنـ أـنـ يـطـلـبـ مـنـهـمـ أـجـراـ عـلـىـ ذـلـكـ، وـلـمـاـ سـقـىـ لـهـمـاـ أـغـنـامـهـماـ تـولـىـ إـلـىـ ظـلـ شـجـرـةـ قـرـيـةـ وـجـلـسـ تـحـتـهـ وـنـاجـيـ رـبـهـ قـالـ: (رـبـ إـنـ لـمـاـ أـنـزـلـتـ إـلـىـ مـنـ خـيـرـ فـقـيرـ) [القصص: ٢٤]

فجاءته إحدى المرأتين والحياة باد على محيها ومشيتها ﴿فَالَّتِي إِنْ كَانَ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْرِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥] ويكافئك على هذا الإحسان بالإحسان، فلما وصل موسى عليه السلام إلى الشيخ الكبير وقصّ عليه قصته مع آل فرعون قال له الشيخ الكبير: ﴿لَا تَحْفَظْ نَبَوَةَ مِنْ الْقَوْمِ الظَّلَمِيْنَ﴾ [القصص: ٢٥]. فطلبت إحدى المرأتين من أبيها أن يستأجر موسى عليه السلام ليرعى الغنم، وأشارت أبيها أنه خير من يُستأجر؛ لأنَّه قويُّ أمين، يجمع أهم وأحسن وأوفى صفات الأجير، وكأنها عرفت ذلك من مراقبتها له وهو يسقي الغنم مع غض بصره وحسن سنته عليه السلام، فقال الشيخ الكبير: إني أحب أن أزوجك إحدى ابنتي هاتين على أن تشغل عندي أجيراً ثمانية سنوات، فإن أتممت في الخدمة عشر سنوات فهذا من عندك، ولا أشق عليك ولا أحدهك، فوافق موسى عليه السلام على أن يتزوج إحدى المرأتين بمهر هو خدمة ثمانية أعوام، وإن شاء أتمها عشرة، ولا شك أنه مهر مرتفع، لكن حكمة الله واصطناعه لموسى عليه السلام، حتى يكون هذا الأجل هو الباقى لموسى عليه السلام حتى يبعثه الله رسولًا ويتم عليه نعمته ويجيء إلى الطور على قدرٍ.

والى ذلك كله يشير الله تعالى حيث يقول في سورة طه مبيناً ما أصاب موسى من الهم والغم بعد مقتل القبطي واستصرار الإسرائيلى به في اليوم الثاني وهروله إلى أرض مدین ومحشه بها ما شاء الله أن يمكث فيقول: ﴿وَقَاتَلَتْ نَفْسًا فَجَيَّنَكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَّاكَ فُلُونًا فَلَيْلَتَ سِينَ فِي أَهْلِ مَدِينَ ثُمَّ جِئَتْ عَلَى قَدَرٍ يَمْوَسَى ﴿٤١﴾ وَاصْطَنَعْتَكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤٠ - ٤١].

ويقول الله تعالى في سورة القصص: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى جِينِ غَفَلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَلَانِ هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْاثَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَأَعْفُرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّكُمْ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَعْصَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَرْقَبُ فَإِذَا الَّذِي

أَسْتَصْرُ بِالْأَمَّمِ يَسْتَصْرِخُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغُوَيْ مُبِينٌ ﴿١﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوُّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَنِي نَفْسًا بِالْأَمَّمِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٢﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَفْصَا الْمَدِينَةِ يَسْتَأْتِي قَالَ يَمْوَسَى إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيُقْتُلُوكَ فَأَخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٣﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَلِيفًا يَرْقَبُ قَالَ رَبِّ يَعْنَى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدِينَ قَالَ عَسَى رَبِّنِي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءً السَّكِيلِ ﴿٥﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ الْكَاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أُمَّرَاتِينَ تَدْوَانَ قَالَ مَا حَطَبُكُمَا فَالَّتَّا لَا سَقَى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاةُ وَأَبْوَنَا شَيْخٌ كَيْرٌ ﴿٦﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّ إِلَى الظَّلِيلِ فَقَالَ رَبِّنِي إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقَيْرٌ ﴿٧﴾ بَجَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَمَشِّي عَلَى أَسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَيْ بَدِعُوكَ لِيَجْرِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخْفَ فَجَوَتْ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَأْبِي أَسْتَحْجِرُهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَحْجَرَ الْقَوْيِ الْأَمَّمِ ﴿٩﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنِكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتِي هَتَّنِي عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي حِجَاجٌ فَإِنْ أَتَمَّتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشْقَّ عَلَيْكَ سَتَبْدُدُتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٠﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيْمَانًا الْأَجَلِينَ فَضَيَّثُتْ فَلَا عُدُونَ عَلَىٰ وَلَلَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ ﴿١١﴾ [القصص: ١٥ - ٢٨].

وقد ذكرت في قصة شعيب عليه السلام أنه لم يكن صهر موسى عليه السلام، وأن الشيخ الكبير الذي زوج موسى عليه السلام ابنته في مدین هو رجل صالح من بقايا مَنْ آمن بشعيب عليه السلام، وذكرت ما يدل على ذلك من كتاب الله تبارك وتعالى في هذا المقام.

هذا وأما ما اشتهر عند الناس من حديث الفتون الذي ذكره النسائي في كتاب التفسير من سنته المتضمن قصة موسى مبسوطة من أولها إلى آخرها الذي رواه النسائي فقال: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا أصيغ بن زيد حدثنا القاسم بن أبي أيوب أخبرني سعيد بن جبير قال: سألت عبد الله بن عباس عن قول الله تعالى لموسى: «وَفَتَنَكَ فُونَوا» فسألته عن الفتون ما هي؟ فقال: استأنف النهار يا ابن جبير فإن لها حديثاً طويلاً. فلما أصبحت غدوت إلى

ابن عباس لأنجز منه ما وعدني من حديث الفتون، فساق الحديث. قال ابن كثير في تاريخه بعد أن ساقه: هكذا ساق هذا الحديث الإمام النسائي وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما من حديث يزيد بن هارون، والأشباه والله أعلم أنه موقوف، وكونه مرفوعاً فيه نظر، غالبه متلقى من الإسرائيليات، ثم قال: وفي بعض ما فيه نظر ونکارة. والأغلب أنه من كلام كعب الأحبار، وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك. والله أعلم.

والى الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل السابع والأربعون

### تابع: موسى

بعد أن قضى موسى الأجل الذي التزم به وأدّاه على أكمل وجه، ألهمه الله تعالى أن يتجه بأهله نحو مصر، وهو لا يعلم أن مراسم السعادة تتنتظره في الطريق، وأن الله تعالى سيناديه ويكلّمه ويناجيه بالوادي المقدس طوى، فسار بأهله ومعه قطيع من الغنم متوجهاً إلى أرض مصر، وفي أثناء سيره مرّت به ريح باردة في ليلة مظلمة، لم يتمكن معها من مواصلة السير، إذ اشتد بهم البرد، ولم يعرف اتجاه الطريق، وفجأة لاحت له نار أبصر عندها شجرة، فدخل عليه لذلك أنسٌ ومسرة، وقال لأهله: ﴿أَمْكُنُوا إِلَيْيَّ مَا سَتَّ نَارًا﴾ [طه: ١٠] سأذهب إليها، لعلي أجد عندها من يرشدنا إلى الطريق السوي والصراط المستقيم، أو آتيكم منها بقطعة من النار لعلكم تستدفئون بها، والظاهر أن زوجته عائلاً لم تبصر هذه النار، وأن النار إنما تجلّت لموسى وحده، كما يظهر أن موسى عائلاً لم يعرف اسم المكان الذي رأى النار فيه، ولم يدرك أنه الوادي المقدس طوى، وأنه سيجد عنده أعظم الهدى، وما إن اقترب موسى عائلاً من النار وبهذه عصا حتى ﴿تُورَى مِن شَطِّي الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ [القصص: ٣٠] أي من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب ﴿فِي الْبَقْعَةِ الْبَرَكَةِ مِن الشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠] ﴿أَنْ بُورَكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٨] ﴿فَأَخْلَعَ نَعْلَكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوَى﴾ [طه: ١٢] ﴿يَمْسَوَّحُ إِنَّهُ أَنَّا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَّا فَاعْبُدُنِي وَأَقِمِ الْصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [١٦] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ عَلَيْهَا أَكَدُ أَخْفِيَهَا لِتُجَرَّى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَ﴾ [١٥] ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَنَهُ فَتَرَدَّى﴾ [طه: ١٤ - ١٦].

وبعد أن توج الله تعالى موسى عائلاً بمراسيم السعادة سأله وهو العليم الخبير بما بيده، ليدخل عليه الأنس وليثبت قلبه، وليُظهر له معجزة تبين له أن الله تعالى

سيؤيده وينصره ويجعل العاقبة الحميـدة له ولمن آمن به ، فقال عَجَلُكَ يَمِينِكَ يَمْوَسِي ﴿١٧﴾ قَالَ هَىَ عَصَائِى﴾ [طه: ١٧ - ١٨] ولم يقف موسى في الجواب إلى هذا الحد ، فأخذ يبين بعض منافع عصاه زيادة في طول لذة المناجاة ، فقال : ﴿أَنَّوْكَهُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى عَنَّمِي﴾ [طه: ١٨] ثم قال : ﴿وَلَى فِيهَا مَارِبُ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨] لعله يسأله عن هذه المآرب والمقاصد فيزداد لذة وتطول لذة المناجاة ، فالحبيب يود أن لا ينقطع عنه صوت حبيبه على حد قول الشاعر :

مشافهة يملئ على فأناقل  
ولا حسن إلا سمع حديثكم  
وعلى حد قول الشاعر الآخر :

وكنت إذا ما جئت سعدى أزورها  
أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها  
من الخفرات البيض وَ جليسها  
إذا ما انقضت أحدوثة لو تعiedها  
ولله المثل الأعلى ، فأمرَه الله عَجَلُكَ بإلقاء العصا على الأرض ، فألقاها فإذا هي حية تسير على بطنها في غاية السرعة كأنها جان . فلما رأها موسى عَلِيَّ اللَّهُ عَزَّلَهُ وهي تهتز وتتحرك مسرعة ولَى مُدْبِراً ولم ينتظر من شدة الخوف . فناداه الله عَجَلُكَ : ﴿يَمِينِي لَا تَخْفَ إِلَيَّ لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠] . وقال له : ﴿خَذْهَا وَلَا تَخْفَ  
سَعِيْدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه: ٢١] فأخذها فعادت في يده عصا كما كانت أول مرة .

ثم أمره الله عَجَلُكَ أن يُدخل يده في جيده أي في طوق قميصه فأدخلها ، فلما أخرجها إذا هي بيضاء من غير برص ولا مرض ، مع أن موسى عَلِيَّ اللَّهُ عَزَّلَهُ كان أسمر اللون آدم ، فهذه آية أخرى .

وأمره الله عَجَلُكَ بالذهاب إلى فرعون الطاغية الذي يقول لقومه : ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] ، ويطالبه وقومه بإخلاص العبادة لله وحده ، وأن يسلمه بنى إسرائيل ، ويخلصهم من العذاب المهين ، وطلب منه أن يتلطف في دعوة فرعون إلى الله ، وأن يقول : ﴿لَهُ قَوْلًا لَّيْنَا لَعْلَمْ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤] ، فطلب موسى عَلِيَّ اللَّهُ عَزَّلَهُ من ربه أن يشرح له صدره ، وأن ييسر له أمره ، وأن يحلل له عقدة من لسانه ليفقهوها قوله ، وأن يُرسل معه هارون أخاه ليُشد به أزره ويسركه في

أمره؛ لأن هارون بن عمران عليهما مسحور بالفضاحة بين قومه، فأجابه الله عَزَّوجَلَّ ذلك كله، وبين له أن منَّةَ الله عليه عظيمة، وليست هذه أول منة، وذَكْرَه بمنة أخرى عند ولادته إذ أوحى إلى أمه أن تلقيه في اليم ليلتقطه آل فرعون ويربى في حجر عدوه، الذي يصونه ويرعاه مع أنه لا يفتَأِ يذبح أبناءبني إسرائيل.

وقد ذكر موسى عليهما مسحة أنه يخاف من فرعون أن يقتله بالقطبي، فطمأنه الله عَزَّوجَلَّ وعرَفَه أنه سيجعل له سلطاناً فلا يتمكن فرعون من قتله، وقال له: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّمَا مَعَكُمَا أَسْمَاعُ وَأَرْأَىٰ﴾ [٤٦] فَأَنِيَاهُ فَقُولَاهُ إِنَّا رَسُولًا رَبِّكَ فَارْسِلْ مَعَنَا بَنَى إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِثَائِيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَاسْلَمْ عَلَىٰ مِنْ أَنْبَعَ الْمُهَدَّى﴾ [طه: ٤٦ - ٤٧].

وقد وصف الله تبارك وتعالى مجيء موسى إلى الوادي المقدس طوى وحدد المكان الذي تمت فيه المناجاة، وذكر ما ناجى به موسى عليهما مسحة في مواضع من القرآن العظيم ليثبت بذلك فؤاد رسول الله محمد ﷺ، ول يكن آية بيّنة للعرب والعجم أن محمداً رسول الله ﷺ، فلم يكن رسول الله ﷺ ولا أحد من قومه يعرف هذه الأخبار الدقيقة الصادقة، وهو الأمي في القوم الأميين، فلم يكن محمد ﷺ بجانب الغربي إذ قضى الله إلى موسى الأمر، وما كان من الشاهدين، وما كان بجانب الطور إذ نادى موسى عليهما مسحة ولكنها رحمة من الله للبشر النذير ولمن آمن به إلى يوم القيمة.

وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى في سورة مريم: ﴿وَذَكْرٌ فِي الْكِتَبِ مُوسَىٰ إِنَّمَا كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَنَذِيَّهُ مِنْ جَانِبِ الْطُورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَبَتْهُ نَجِيَّا وَهَبَنَا لَهُ مِنْ رَحْمَنِنَا أَخَاهُ هَرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١ - ٥٣].

ويقول عَزَّوجَلَّ في سورة طه: ﴿وَهَلْ أَتَنَكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ أَمْكُثُوا إِنِّي مَانَسْتُ نَارًا لَعَلَّيْ إِنِي أَكُوْرُ مِنْهَا بِقَبِيسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًىٰ فَلَمَّا أَنْهَا نُورَى يَنْمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبِّكَ فَأَخْلَعَ نَعْلَيَكَ إِنَّكَ يَالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوَىٰ وَإِنَّا أَخْرَنَكَ فَأَسْتَعِنُ لِمَا يُؤْخِجُنِي إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدُنِي وَأَقِيمُ الْصَّلَاةَ لِلِّذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ مَائِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيَهَا لِتُجْرَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَىٰ فَلَا يَصْدِنَكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَأَتَّبَعَ هَوْنَهُ فَتَرَدَّىٰ وَمَا تَلْكَ يَسِمِينَكَ يَنْمُوسَىٰ قَالَ هَيَ عَصَمَىٰ أَتَوْكَعُوا عَلَيْهَا

وَاهْشِ يَهَا عَلَى غَنَمِي وَلَيْ فِيهَا مَارِبُ أُخْرَى ﴿١٩﴾ قَالَ أَفْقَهَا يَمُوسَى ﴿٢٠﴾ فَأَلْقَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ سَعَى ﴿٢١﴾ قَالَ حَذْهَا وَلَا تَحْفَ سَعِيدُهَا سِيرَتْهَا الْأُولَى ﴿٢٢﴾ وَاضْمِمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بِيَضَّاءِ مِنْ غَيْرِ سُوءِ عَائِدَةِ أُخْرَى ﴿٢٣﴾ لِزُبُرِكَ مِنْ إِيمَانِنَا الْكَبِيرَى ﴿٢٤﴾ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّي أَشْرَحْ لِي صَدَرِي ﴿٢٦﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٧﴾ وَاحْلُلْ عَقْدَةَ مِنْ لِسَانِي ﴿٢٨﴾ يَقْهُمُوا قَوْلِي ﴿٢٩﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٣٠﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣١﴾ أَشَدُّ يَدِهِ أَزْرِي ﴿٣٢﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٣﴾ كَيْ نُسْعِكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٥﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٦﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُولَكَ يَمُوسَى ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٨﴾ [طه: ٩ - ٣٧].

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الثامن والأربعون

### تابع: موسى

تابع في هذا الفصل ما ذكره الله تعالى في سورة طه عن قصة مجيء موسى عليه السلام إلى الوادي المقدس طوى، ومناجاة الله تعالى له ومنتها عليه حيث يقول: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ [٣٧] إِذْ أَوْجَيْنَا إِلَيْنَاهُ أُمَّكَ مَا بُوْحَى [٣٨] أَنْ أَفْدِيهِ فِي أَتَابُوتٍ فَأَفْزِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلَيْلَقِهِ الْيَمُ يَأْسَاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوُّ لَهُ وَلَقِيَتْ عَلَيْكَ حَمَّةً مِنِّي وَلِصْنَعَ عَلَى عَيْفَ [٣٩] إِذْ تَشَنَّى أَنْتَكَ فَقَوْلُ هَلْ أَذْكُرُ عَلَى مَنْ يَكْفُلُ فَرَجَعْنَكَ إِلَيَّ أُمَّكَ كَيْ نَقَرَ عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنْ وَقَلَّتْ نَفْسًا فَنَجَيْتَكَ مِنَ الْفَمِ وَفَنَّكَ فُتُونًا فَلَيْثَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدِينَ ثُمَّ جَئْتَ عَلَى قَدْرِ يَمُوسَى [٤٠] وَأَصْطَعْنَكَ لِنَفْسِي [٤١] أَذْهَبْتَ أَنَّ وَلَحْوَكَ يَقَائِتِي وَلَا نَنِيَا فِي ذِكْرِي [٤٢] أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى [٤٣] فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى [٤٤] قَالَ لَرَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يَقْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى [٤٥] قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعَ وَارَى [٤٦] فَأَيْمَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولًا رَبِّكَ فَأَرْسَلْنَعَنَّا بَيْنَ إِسْرَئِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ حِشَنَكَ يَقَائِتِي مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَتَيْتَ أَهْمَدَى [٤٧] إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّ [٤٨] [طه: ٣٧ - ٤٨].

ويقول تعالى في سورة الشعراة: ﴿وَلَذِنَادِي رَبِّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [٤٩] قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْتَقُونَ [٥٠] قَالَ رَبِّي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونَ [٥١] وَيَضْبِطُ صَدَرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَافِ فَأَرْسَلْنَإِلَى هَدْرُونَ [٥٢] وَلَكُمْ عَلَى ذَبْتِ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونَ [٥٣] قَالَ كَلَّا فَأَذْهَبَا يَقَائِتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَقِيمُونَ [٥٤] فَأَيْمَاهُ فِرْعَوْنَ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ [٥٥] أَنَّ أَرْسَلْنَعَنَّا بَيْنَ إِسْرَئِيلَ [٥٦] [الشعراة: ١٠ - ١٧].

ويقول تعالى في سورة النمل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي مَانَّتْ نَارًا سَكَانِي كُوْتَمِنِها بِخَيْرٍ أَوْ إِاتِيَكُمْ يَشَاهِبَ قَسِيسَ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ [٥٧] فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُوْرَكَ مَنْ فِي الْأَنَارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ [٥٨] يَكْمُسَةَ إِنَّهُ أَنَّا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْعَكِيرُ [٥٩] وَلَقِ

عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا نَهَرَ كَانَهَا جَانِّ وَلَيْ مُدَبِّرًا وَلَمْ يُعْقِبْ يَمْوِسَيْ لَا تَحْفَتْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيْ  
الْمُرْسَلُونَ ١٥ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلَ حُسْنَتْ بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٦ وَادْجَهَلْ يَدَكَ فِي  
جَيْبِكَ تَحْرُجَ يَضَاءَهُ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تَسْعَ إِيَّاكَ إِلَى فَرْعَوْنَ وَهَامَوْهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ١٧  
[النمل: ٧ - ١٢].

وقال تعالى في سورة القصص: «فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ إِنَّهُ  
مِنْ جَانِبِ الظُّرُورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ أَتَكُثُرُوا إِنِّي عَانَسْتُ نَارًا لَعَلَيْهِ مَا تَرَكْتُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ  
جَذْوَةٍ مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ١٩ فَلَمَّا أَتَهَا نُودِيَ مِنْ شَطَبِي الْوَادِ الْأَيْمَنِ  
فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَرَّكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسِعَ إِنْفَتْ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٠ وَأَنَّ الْقِيَامَةَ  
عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا نَهَرَ كَانَهَا جَانِّ وَلَيْ مُدَبِّرًا وَلَمْ يُعْقِبْ يَمْوِسَيْ أَقْلَى وَلَا تَحْفَتْ إِنِّي  
مِنَ الْأَمْمَيْنَ ٢١ أَسْكُ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَحْرُجَ يَضَاءَهُ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ  
جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهَبِ فَذَنِيَّكَ بِرَهْنَانَيْ مِنْ رَيَّكَ إِلَى فَرْعَوْنَ وَمَلَائِيَّهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا  
فَسِيقِينَ ٢٢ قَالَ رَبِّ إِنِّي فَلَمَّا مِنْهُمْ نَفَسًا فَلَاحَ أَنْ يَقْتُلُونَ ٢٣ وَأَنِّي هَنْرُوتُ هُوَ  
أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِي رَدَمًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَحَافُ أَنْ يُكَدِّيُونَ ٢٤ قَالَ سَنَشِدُ  
عَصْدَكَ يَا جِيكَ وَتَحْمُلُ لَكُمَا سُلْطَنَنَا فَلَا يَصْلُونَ إِلَيْكُمَا يَتَكَمَّلُ أَنْتُمَا وَمِنْ أَتَبَعَكُمَا  
الْغَلَابِيُّونَ ٢٥» [القصص: ٢٩ - ٣٥].

وقال يَعْلَكَ في سورة النازعات: «هُلْ أَنِّي حَدِيثُ مُوسَى ١٥ إِذْ نَادَهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ  
الْمَقْدِسِ طَوَى ١٦ أَذَهَبَ إِلَى فَرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ١٧ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَرَزَّكَ ١٨ وَاهْدِيَكَ إِلَى  
رَيَّكَ فَتَخَشَّنِي ١٩» [النازعات: ١٥ - ١٩].

وقوله تعالى: «إِنَّمَا جِئْتَ عَلَى قَدْرِ يَمْوِسَيْ» [طه: ٤٠].

أَيْ إِنَّ توجّهك من أرض مدين إلى أرض مصر ليناديك ربك ويناجيك  
بالوادي المقدس كان أمراً مقدوراً قضاه الله يَعْلَكَ، فحررك وجهك وألهمه  
لتجيء البقعة المباركة وفق ما قضاه الله يَعْلَكَ في الأزل وقدره قبل خلق السموات  
والأرض، فكل شيء عنده بمقدار، وهو «عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ»  
[الرعد: ٩]. قوله تعالى: «إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلَ حُسْنَتْ بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ»  
[النمل: ١١] الاستثناء فيه منقطع بمعنى لكن، والجملة اعترافية لبيان فضل الله

تعالى على خلقه، وأنه يغفو عن السيئات ويغفر **﴿لَمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَلَحاً ثُمَّ أَهْتَدَ﴾** [طه: ٨٢]، فلا يحل لأحد أن ييأس من رحمة الله، **﴿إِنَّمَا لَا يَأْتِسُ مِنْ رَّوْجِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَفَرُونَ﴾** [يوسف: ٨٧].

وفي قوله تعالى: **﴿وَنَذَرْتَهُ مِنْ جَانِبِ الظُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَبْتَهُ بِحَيَا﴾** [مريم: ٥٢].  
 وقوله تعالى: **﴿فَلَمَّا أَتَنَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَقَ﴾** [طه: ١١]، وقوله تعالى: **﴿وَإِذْ نَادَ رَبُّكَ مُوسَقَ﴾** [الشعراء: ١٠]، وقوله تعالى: **﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي الْأَنَارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَّحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسَقَ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [النمل: ٩ - ٨] وقوله تعالى: **﴿فَلَمَّا أَتَنَاهَا نُودِيَ مِنْ شَطَّيِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَرَّكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَقَ إِفْتَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** [القصص: ٣٠] وقوله تعالى: **﴿إِذْ نَادَهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمَقْدِسِ طَوَّ﴾** [النازعات: ١٦]، وقوله تعالى: **﴿وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾** [النساء: ١٦٤]، وقوله تعالى: **﴿تَلَكَ الرَّسُولُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ﴾** [القراءة: ٢٥٣].

في هذه الآيات المباركات دليل قطعي على إثبات صفة الكلام الله **وَجْهَهُ**، وأنه يتكلم متى شاء وأنى شاء، وأن الله **وَجْهَهُ** جعل موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** كلجمه كما جعل إبراهيم ومحمدًا **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ** خليلين، وقوله تعالى: **﴿فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَرَّكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾** [القصص: ٣٠] أي إن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة كما تقول: سمعت كلام زيد من البيت. فقولك: من البيت ابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلّم، فكذلك ليست الشجرة هي المتكلّمة بل سمع موسى كلام الله من عند الشجرة، إذ ليست الشجرة هي القائلة: **﴿يَمْوَسَقَ إِفْتَ أَنَا اللَّهُ﴾** [القصص: ٣٠]، بل قائل ذلك هو رب العالمين.

وقوله **﴿إِنَّا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْعَنَ﴾** [طه: ٤٥]، معنى **﴿يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾** أي أن يعجل بعقوبتنا قبل سماع قولنا. وقوله تعالى: **﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾** [القصص: ٢٩] أي أتمه وأدّاه ووفاه، فإنّ «قضى» قد تستعمل بمعنى أدى ووفى ومنه قول الشاعر:

قضى كل ذي دين فوفى غريمها      وعزة ممطول معنى غريمها

وقوله تعالى : ﴿كَانُوا جَانِينَ﴾ [القصص : ٣١] أي صارت العصا شبيهة بالجان ، وهو حية بيضاء أكحل العين سريعة الحركة .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنْضَمْتُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّقَبَةِ﴾ [القصص : ٣٢] أي وَضَعْ يدك على صدرك ليزول ما بك من الرُّعب والفزع والخوف الذي أصابك .

دالى الفصل القارئ انت شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



## الفصل التاسع والأربعون

### تابع: موسى

أرشد الله تبارك وتعالى موسى ﷺ أن يبرز إلى فرعون آية العصا وأية اليد. ولما وصل موسى ﷺ إلى مصر وانضم إليه أخوه هارون بن عمران ﷺ توجها إلى فرعون، وطلبا منه أن يُخلص العبادة لله وحده، وأخبراه أنهما رسول رب العالمين، وقال له موسى ﷺ: «هَل لَكَ إِنَّ أَنْ تَرَكَ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَنَخْشَى» [النازعات: ١٨ - ١٩] وتسعد في الدنيا والآخرة؟ «لَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ» [الأعراف: ١٠٥]، و«فَقَدْ جِئْنَاكَ بِثَائِقَ مِنْ رَبِّكَ» [طه: ٤٧] ومعجزة ظاهرة قاهرة. فأمِنَ بالله، وأرسل معنًا بني إسرائيل، قال فرعون: «قَالَ أَتَرْ نُرِيكَ فِينَا وَلِيًّا وَلَيْسَ فِينَا مِنْ عُمْرُوكَ سِينَينَ» [الشعراء: ١٨] عديدة. «وَقَعَلْتَ فَعَلْتَكَ أَلَّيْ فَعَلْتَ» [الشعراء: ١٩]، وأنت جاحد للنعمـة التي أسدـيناها إليـكـ. قال موسى ﷺ: لقد فعلـتها وأـنا غـير قـاصـدـ، فـلم أـرد قـتل القـبطـيـ عـندـما وـكـرـتهـ، وـلـعـلـمـيـ أـنـكـمـ لـنـ تـحـكـمـواـ فـيـ هـذـهـ القـضـيـةـ بـالـحـقـ فـرـرـتـ مـنـكـ لـأـنـيـ خـفـتـكـمـ «فَوَهَبَ لِي رَبِّي مَحْكَمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمَرْسَلِينَ» [الـشـعـرـاءـ: ٢١]. ولـقـدـ أـوـحـيـ إـلـيـنـاـ يـاـ فـرـعـوـنـ أـنـ العـذـابـ عـلـىـ مـنـ كـذـبـ بـآـيـاتـ الـلـهـ وـأـعـرـضـ عـنـ دـيـنـ الـلـهـ وـكـذـبـ الـمـرـسـلـيـنـ، وـلـاـ تـكـبـرـوـاـ عـلـىـ اللـهـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ. «قَالَ فَرَعُونَ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ» [الـشـعـرـاءـ: ٢٣]، قال موسى ﷺ: «رَبُّ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَنْهَا» [الـشـعـرـاءـ: ٢٤]، إنـ كـانـ هـنـاكـ شـيـءـ يـُوـقـنـ بـهـ فـهـوـ رـبـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ لـظـهـورـ بـرـهـانـهـ وـبـلـوغـ حـجـتـهـ، وـهـوـ الـذـيـ خـلـقـ كـلـ شـيـءـ، وـأـعـطـيـ كـلـ شـيـءـ مـنـ خـلـقـهـ مـاـ يـتـمـيـزـ بـهـ عـنـ غـيرـهـ، ثـمـ هـدـاهـ بـمـاـ فـطـرـهـ فـيـ مـنـ الجـلـةـ إـلـىـ مـطـعـمـهـ وـمـشـرـبـهـ وـبـقـاءـ نـسـلـهـ وـغـيرـ ذـلـكـ، فـالـدـوـابـ وـالـطـيـورـ وـالـأـسـمـاـكـ تـعـرـفـ مـسـارـبـهـ، وـقـدـ أـوـدـعـهـ اللـهـ يـعـلـمـ كـمـ مـنـ آـيـاتـ وـأـلـاـئـهـ مـاـ لـاـ يـحـيـطـ بـهـ إـلـاـ اللـهـ يـعـلـمـ، فـفـيـ الـعـالـمـ آـيـاتـ سـاطـعـاتـ وـبـرـاهـيـنـ قـاطـعـاتـ تـشـهـدـ أـنـهـ مـنـ صـنـعـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ، وـقـدـ أـفـامـ فـيـ كـلـ شـيـءـ مـنـ الـكـوـنـ آـيـةـ عـلـىـ حـدـ قـوـلـ الشـاعـرـ:

فيما عجباً كيف يعصى الإله  
أم كيف يجحده الجاحد  
وفي كل شيء له آية  
تدل على أنه الواحد

ولو بذلنا ما في الأرض من محابر لنشرح آيات الله في الإنسان والسموات والأرض وما بينهما وجميع ما وصلت إليه المدارك الإنسانية لعجزنا عن الوفاء بذلك؛ ولذلك اكتفى موسى عليه السلام بقوله لفرعون: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَنَا كُلَّ شَيْءٍ خَلْقُهُمْ  
ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]. قال فرعون لمن حوله وقد انبهر: ألا تستمعون إلى ما يقول موسى في دعوه وجود إله غيري؟ قال موسى عليه السلام: الذي أرسلني وهو الذي خلق السموات والأرض هو ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ أَبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦]، قال فرعون لمن معه من ملائكة مستهزئاً منقطعاً: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لِمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]، فأجابه موسى عليه السلام بأن الله الذي أرسلني هو ﴿رَبُّ الْشَّرْقِ وَالْغَربِ وَمَا بَيْنَهُمَا  
إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨] فسارعوا إلى الإيمان به قبل أن ينزل بكم عقوبته، فاشتد انقطاع فرعون عن المحاجة ولجا إلى التهديد بالسجن لموسى عليه السلام فقال: ﴿إِنِّي أَنْخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، فلم يزدد موسى عليه السلام هذا التهديد إلا نصحاً فقال: أتسجنني ولو جئتكم بأية واضحة وحججة قاهرة على أنني رسول الله رب العالمين، فازداد فرعون سفهاً وعلواً وقال لوزيره هامان: ﴿فَأَوْقَدْتَ لِي يَتَهَمَّنُ عَلَى الْأَطْيَابِ فَاجْعَلْتَ لِي صَرْحًا﴾ [القصص: ٣٨] لأصعد عليه لعلي أنظر إلى إله موسى وأكلمه إن كان صادقاً أن في السماء إلهًا، وأراد بذلك أن يموه على قومه وأن يستخفهم حتى لا تسرب إلى قلوبهم أنوار الحق الذي جاء به موسى عليه السلام، وقال له موسى عليه السلام: أتستمر يا فرعون على تكذيبك وإن ﴿جِئْتُكَ  
بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٣٠]. قال فرعون: ﴿فَأَتْبِعْهُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ٣١] فألقى موسى عصاه فإذا هي حية تجري على بطنهما وتهتز مسرعة كأنها جانٌ، وصارت تتضخم وتتكبر فكاد قلب فرعون ينخلع، ثم أدخل موسى يده في جيده ثم أخرجها فإذا هي بيضاء من غير برص ولا سوء، فقال فرعون وقومه: ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَحْرَانِ يُرِيدُانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ سِرِّهِمَا وَيَدْهَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُنْتَهَى﴾ [طه: ٦٣]، وهذا السحر يدل على أنه سحر ساحر عليم.

وطلب ملأ فرعون من فرعون أن يبعث في المدائن رسلاً يجمعون السحرة من سائر أنحاء بلاد مصر؛ ليجتمعوا ويجتمعوا عند فرعون لمغالبة موسى ﷺ، وقال فرعون وملؤه لموسى ﷺ: «أَجْئَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا إِسْحَارَكَ يَمْوَسَيَّ ۝ فَلَنَأْبِتَنَّكَ إِسْحَارَ مِثْلِهِ فَأَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ» [طه: ٥٧ - ٥٨] في مكان متفق عليه بيننا وبينك، قال موسى ﷺ: «مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الْزِيَّةِ» [طه: ٥٩]، وهو يوم عيدهم الذي يتزينون ويجتمعون فيه، وأن يكون الاجتماع بيننا وبينكم وقت الضحى.

وفي مجيء موسى ﷺ وأخيه هارون ﷺ إلى فرعون وتبلغهما له رسالة الله وما كان من فرعون وملئه مع موسى ﷺ يتحدث القرآن العظيم في مواضع شتى فيقول الله ﷺ في سورة الأعراف وهو أصدق القائلين، وما يقصه هو أحسن القصص:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَيَّ بْنَيَّتَنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِيهِ فَظَلَمُوا إِلَيْهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَدْيَقَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَقَالَ مُوسَيٌّ يَكْفَرُونَ إِنِّي رَسُولُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جَنَاحُكُمْ بَيْنَنَا مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعَنِّي بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِغَايَةِ فَقَاتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعَبَانٌ مُبِينٌ ۝ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ۝ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّكَ هَذَا لَسِنْحَرُ عَلِيهِ ۝ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝ قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخْأُهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَشِيرَنَ ۝ يَا تُوكَ يِكْلِ سَحِيرَ عَلِيهِ﴾ [الأعراف: ١٠٣ - ١١٢].

ويقول ﷺ في سورة يومنس: «ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَيَّ وَهَذُورَنَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِيهِ بْنَيَّتَنَا فَأَسْتَكْبُرُوا وَكَانُوا فَوْمًا مُجْرِمِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِنْحَرُ مُبِينٌ ۝ قَالَ مُوسَيَّ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسْحَرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ۝ قَالُوا أَجْئَنَا لِتَأْلِفَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ أَبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَنْهَى لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَ فِرْعَوْنُ اثْتُوْنِي بِكُلِّ سَحِيرٍ عَلِيهِ﴾ [يومنس: ٧٥ - ٧٩].

وقال تعالى في سورة هود: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَيَّ بْنَيَّتَنَا وَسُلْطَنِ مُبِينٌ ۝ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِيهِ قَاتَلُوكُمْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٦ - ٩٧].

وقال تعالى في سورة طه عن موسى وهارون أنهما قالا لفرعون لما جاءاه إليه: ﴿إِنَّا رَسُولًا رَبِّكَ فَأُرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ حِتَّنَاكَ بِتَائِةِ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مِنْ أَبْيَعِ الْمُهَدَّى﴾ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحَى إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَقَوَى﴾ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ زَيَّكُمَا يَمْوَسِي﴾ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْفُرُونُ الْأُولُونَ﴾ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهَدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُّلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ ﴿٥٣﴾ كُلُّوا وَارْعُوا أَنْعَمَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيْنَ لَا تُؤْلِي أَنْشَهِي﴾ [طه: ٤٧ - ٥٤].

والى الفصل القادم انت شاء الله ، والسلام عليكم در حسنة الله رب كلاته .



## الفصل الخامسون

### تابع: موسى عليه السلام

نتابع في هذا الفصل إيراد ما ذكره الله عَزَّلَكَ في سورة طه عما دار بين موسى وفرعون عند قيام موسى بدعوة فرعون إلى الله حيث يقول عَزَّلَكَ في سياق ما استدل به موسى عَزَّلَكَ على أن الله وحده هو رب كل شيء وسديه ومليكه، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا تُعِدُّكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [٦٦] ولقد أَرَيْتَهُ عَائِنَتَنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى [٦٧] قَالَ أَجْهَنَّتَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَكْسُوَنِي [٦٨] فَلَمَّا تَبَّتْنَاكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْفِفُهُ مَنْ هُنَّ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوَى [٦٩] قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الْزِيَّنةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحْيًا﴾ [طه: ٥٥ - ٥٩].

وقال عَزَّلَكَ في سورة الشعراة: ﴿قَالَ أَنْزَلْنَاكَ فِينَا وَلِيَدًا وَلَيَسْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِينَ [١١] وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكُفَّارِ [١٢] قَالَ فَعَلْنَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الظَّالِمِينَ [١٣] فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ [١٤] وَلِنَكَ نِعْمَةٌ تُكَبِّلُ عَلَيَّ أَنْ عَبَدَتْ بَيْنِ إِسْرَئِيلَ [١٥] قَالَ فَرَعُونُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ [١٦] قَالَ رَبِّي السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُ مُوقِنِي [١٧] قَالَ لِمَنْ حَوَلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ [١٨] قَالَ رَبِّكُمْ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ الْأَوَّلَيْنَ [١٩] قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لِمَجْنُونٌ [٢٠] قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُ تَعْقِلُونَ [٢١] قَالَ لِمَنْ أَخْذَتْ إِلَيْهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَكَ مِنَ السَّاجِدِينَ [٢٢] قَالَ أَوْلَوْ حِشْنَكَ يَشْوِي مَيْنَ [٢٣] قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّابِدِينَ [٢٤] فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُبَّانٌ مَيْنَ [٢٥] وَوَعَ يَدُوْ فَإِذَا هِيَ يَضَاءٌ لِلنَّاظِرِينَ [٢٦] قَالَ لِلْمَلِأِ حَوَلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِيرُ عَلِيْمٌ [٢٧] يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ [٢٨] قَالُوا أَرْجِهُ وَلَأَخْهُ وَلَيَسْتَ في الْمَدَائِنِ حَشِّرِينَ [٢٩] يَا تُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيْمٍ﴾ [الشعراة: ١٨ - ٣٧].

ويقول تعالى في سورة النمل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ عَائِنَّا مُبَصَّرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِيْتٌ [٣٠] وَجَحَدُوا بِهَا وَأَسْتَيقَنْتُهَا أَنَّهُمْ ظَلَّمُوا وَعُلُوْا فَانْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَلَيْهِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٣ - ١٤].

ويقول عَجِيل في سورة القصص : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِنَيَّابِنَا بَيْتَنَا قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهِكُنَا فِي أَبَابِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾٢٣﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِنِي وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَنْقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾٢٤﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنْ عَلَى الْطِينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَكَنْ أَطْلَعَ إِلَيَّ إِلَهٌ مُؤْمِنٌ فَلَيَقِنْ لَأَطْلَعْ مِنْ الْكَذَّابِينَ ﴾٢٥﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَطَنَوْ أَنَّهُمْ إِيَّنَا لَا يُرْجِعُونَ﴾ [القصص : ٣٩ - ٣٦].

وقال تعالى في سورة غافر : ﴿وَلَقَدْ أَرَسْلَنَا مُوسَىٰ بِنَيَّابِنَا وَسَاطِلَنِ مُيَمِّنٍ ﴾٢٦﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَنَ وَقَرْوَنَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴾٢٧﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا أَفْتَأْلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَفَّارُ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾٢٨﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرْوْنِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلَيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾٢٩﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر : ٢٣ - ٢٧].

وعندما أظهر موسى هذا الالتجاء العظيم إلى الله وحده، سُخِّر الله عَجِيل له رجلاً مؤمناً من آل فرعون يكتبه إيمانه، فبدأ في الدفاع عن موسى عليه السلام، وأخذ ينصح فرعون وملاهه بضرورة المسارعة إلى طاعة موسى عليه السلام والدخول في دينه قبل أن يسلط الله على المكذبين عقوبته التي ينزلها بالمكذبين، وفي ذلك يقول الله عَجِيل : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ فِرْعَوْنَ يَكُمُّ إِيمَنَهُ أَنْقَلَوْنَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّ اللَّهِ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ مَكَذِيبًا فَعَلَيْهِ كَذِيبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبِّكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعْدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴾٣٠﴿ يَقُوْمُكُمْ لَكُمُ الْمَلَكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا فَالْفِرْعَوْنُ مَا أُرِيَكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيَكُمْ إِلَّا سِيلَ الرَّشَادِ ﴾٣١﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقُوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾٣٢﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمٍ نُوحَ وَعَادِ وَثَمُودَ وَاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ بِرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِيَادِ ﴾٣٣﴿ وَيَقُوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَيْكُمْ يَوْمَ النَّبَادِ ﴾٣٤﴿ يَوْمَ نُوُّونَ مُدَبِّرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُصْبِلِ اللَّهَ فَإِنَّهُ مِنْ هَادِ ﴾٣٥﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زَلَمْتُمْ فِي شَكٍ وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ حَقٌّ إِذَا هَلَكَ فَلَتَمَ لَنْ يَعْثَرَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا

كَذَلِكَ يُصْلِلُ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسِرِّفٌ مُرْتَابٌ **﴿٣﴾** الَّذِينَ يُجَدِّلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَنٍ أَتَهُمْ كَبُرُّ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُسْكِنٍ جَبَارٍ **﴿٤﴾** وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَكُنِي أَبْنَ لِي صَرَحًا لَعَلَيْهِ أَتْبُعُ الْأَسْبَابَ **﴿٥﴾** أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَاطَّلَعَ إِلَيَّ إِلَهُ مُوسَى وَلَيْلَ لَأَطْهُمْ كَذَلِكَ وَكَذَلِكَ زُئْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّهُ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي سَبَابٍ **﴿٦﴾** وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقُولُ أَتَيْعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ **﴿٧﴾** [غافر: ٢٨ - ٣٨].

وعندما وصل فرعون إلى هذه الدرجة من البغي والطغيان صرخ الرجل وأعلن إيمانه: «وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقُولُ أَتَيْعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ **﴿٨﴾** يَقُولُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ **﴿٩﴾** مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَحِلًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَوْ أَوْ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأَوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَوْنَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ **﴿١٠﴾** وَيَقُولُ مَا لِي أَذْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ **﴿١١﴾** تَدْعُونِي لِأَكُفَّرُ بِاللَّهِ وَأُشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَذْعُوكُمْ إِلَى الْعَرِيزِ الْفَقَرِ **﴿١٢﴾** لَا جُرْمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْبَحُ الْأَسَارِ **﴿١٣﴾** فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَفْوَلُ لَكُمْ وَأَفْوَضُ أَمْرِيَتُ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ **﴿١٤﴾** فَوَقَلَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِغَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَدَابِ **﴿١٥﴾** [غافر: ٤٥ - ٣٨].

وقال تعالى في سورة الزخرف: «فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِعَائِنَّا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْعَفُونَ» **﴿١٦﴾** [الزخرف: ٤٧].

وقال تعالى في سورة الدخان: «أَنْ أَدْوِ إِلَيْكَ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ **﴿١﴾** وَأَنَّ لَا تَعْلُوَ عَلَى اللَّهِ إِنِّي عَاتِيكُمْ سُلْطَنِي مُبِينٍ **﴿٢﴾** وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ **﴿٣﴾** وَإِنَّ لَّهَ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزُّلُونِ **﴿٤﴾**» [الدخان: ١٨ - ٢١].

وقال تعالى في سورة الذاريات: «وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ سُلْطَنِي مُبِينٍ **﴿١﴾** فَتَوَلَّ بِرَبِّكِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَحْمُونٌ **﴿٢﴾**» [الذاريات: ٣٩ - ٣٨].

وقال تعالى في سورة النازعات: «فَارْلُهُ أَلَاهَ الْكُبُرَ **﴿٣﴾** فَكَذَّبَ وَعَصَى **﴿٤﴾** ثُمَّ أَدَبَرَ يَسْعَى **﴿٥﴾** فَحَسَرَ فَنَادَى **﴿٦﴾** فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَغْلَى **﴿٧﴾**» [النازعات: ٢٠ - ٢٤].

نالى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الحادي والخمسون

### تابع: موسى عليه السلام

جمع فرعون مهرة السحررة من جميع مداين مصر، وقد كان السحر يومها هو أهم أهداف التعليم في بلادهم، وقد كانوا يبلغوا فيه مبلغاً لم يصله أحد من قبلهم، ولم يعرف أنه وصل إليه أحد من بعدهم، وقد جرت السنة الإلهية في أن يبعث الله كلنبي بمعجزة تفوق أعلى درجات العلم الذي برع فيه قومه؛ ليكون أظهر للحق، ويعرفوا أنه من عند الله، وأنه لا يقدر على مثله البشر؛ ولذلك أرسل محمدًا عليه السلام بالقرآن، وجعله معجزته الكبرى؛ لأن قوم محمد عليه السلام قد برعوا في الفصاحة والبيان والبلاغة حتى أقاموا للخطباء والشعراء منابر في أسواق عكاظ ومجندة وذى المجاز.

وكما أرسل عيسى عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله؛ لأن قومه قد بلغوا في الطب شأواً لم يسبقوا إليه، وقد وصف الله تبارك وتعالى ما كان من موسى والسحررة ومن فرعون وملئه، وكيف سارع السحررة إلى الإيمان بموسى عليه السلام عندما ألقوا حبالهم وعصيهم، وحُيل إلى موسى عليه السلام أنها تسعى، وأنه أوجس وأحس في نفسه بالخوف. فطمأنه الله تعالى وأمره أن يلقي عصاه، فانقلبت حية هائلة وابتلت جميع ما صنعوا، فأيقن السحررة أن هذا لا يقدر عليه إلا الذي خلق القوى والقدر، فخرعوا الله ساجدين معلقين إيمانهم بالله ورسله، صابرين على كل بلاء يصيّبهم في مرضاته الله تعالى، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى في سورة الأعراف:

﴿وَجَاءَ أَسْحَرَهُ رَوْعَنَ قَالُوا إِنَّا لَأَجْرَأَ إِن كُنَّا نَحْنُ الْمَغْدِلِينَ ﴾١١٣﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمَّانِ الْمُقْرَبِينَ ﴾١١٤﴿ قَالُوا يَمْوَسَى إِمَّا أَن تُلْقِي وَإِمَّا أَن تَكُونَ نَحْنُ الْمُقْرَبِينَ ﴾١١٥﴿ قَالَ آتُهُمْ فَلَمَّا أَلْقَاهُمْ سَحَرُوهُمْ وَأَسْتَهْبُوهُمْ وَجَاءَهُمْ وَسِرِّي عَظِيمٍ ﴾١١٦﴾ وَأَوْجَيْنَا

إِنَّ مُوسَىٰ أَنَّ الَّتِي عَصَمْتُكُوكَ فَإِذَا هِيَ تَلَفَّقُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١٧﴾ فَوَقَعَ الْحُقْ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ فَعُشِلُوا هُنَالِكَ وَأَنْقَلُوا صَفَرِينَ ﴿١٩﴾ وَالَّتِي السَّحَرَةُ سَجِدُونَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا إِنَّا بَرِيتُ الْعَالَمَينَ ﴿٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَرُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ إِنَّمَّا نِيَّرْتُكُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ إَذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَكُمْ مَكْرُمَوْهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ لَأَفْطَعُنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفِ شَمْهُ لَأُصْبِيَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِنَّا إِنَّا رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَا نَنْقُمُ إِنَّا إِلَّا أَنَّا إِنَّا رَبِّنَا رَبِّنَا جَاءَنَا أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبِرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴿﴾ [الأعراف: ١١٣ - ١٢٦].

وقال تعالى في سورة يومن: «فَلَمَّا جَاءَهُ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ إِنَّمَا أَنْتُمْ مُلْقُوتُ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا آتَقْوَا إِنَّمَا مُوسَىٰ مَا جَعَلْتُمْ بِهِ السَّحْرَ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْلُلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلُحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَتَحْقِيقُ اللَّهِ الْحَقَّ بِكَلْمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ» [يومن: ٨٠ - ٨٢].

ويقول تعالى في سورة طه: «فَتَوَلَّ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَقَى ﴿٦١﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلْكُمْ لَا تَقْرَبُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْتَحْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى ﴿٦٢﴾ فَنَزَّلْنَا عَوْنَوْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَوْهُ الْغَيْوَى ﴿٦٣﴾ قَالُوا إِنَّ هَذَا نَسْجُونَ يُرِيدُنَا أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ يُسْخِرُهُمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقِتِكُمُ الْمُنْتَهَى ﴿٦٤﴾ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَثْوَرُوا صَفَا وَقَدْ أَفْلَحَ اللَّهُمَّ مِنْ أَسْتَعْنَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا يَمْهُوسَةٌ إِنَّا أَنْ تَقِيَ وَلَمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَنْتَ ﴿٦٦﴾ قَالَ بَلْ إِنَّمَا إِنَّا جَاهَلْنَا وَعَصَيْهُمْ يُجْهِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِخْرَهُمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٧﴾ فَأَنْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفَ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٩﴾ وَأَقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَاقَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سَحِيرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَى ﴿٧٠﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا إِنَّا بَرِيتُ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧١﴾ قَالَ إِنَّمَّا لَمْ قُلْ أَنْ إَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَيْدُكُمُ الَّذِي عَلَمْتُكُمُ السَّحْرَ لَا فَلَأَطْعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفِ وَلَأُصْبِيَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيْنَنَا أَشَدُ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧٢﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْصِ مَا أَنْتَ فَاقْصِ إِنَّمَا نَفْعِي هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴿٧٣﴾ إِنَّا إِنَّا بَرِيتَنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَائِنَا وَمَا أَكْرَهْنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحِيرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى» [طه: ٦٠ - ٧٣].

وقال تعالى في سورة الشعراء: «فَجَمِيعَ السَّحَرَةِ لِمِيقَتِ يَوْمِ مَعْلُومٍ ﴿٧٤﴾ وَقَيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ تُجْتَمِعُونَ ﴿٧٥﴾ لَعَلَّنَا نَتَّيَّعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْفَلَيْنَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَيْنَ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كَانَ نَحْنُ الْمُنْلَيْنَ ﴿٧٧﴾ قَالَ فَنَمْ وَلَكُمْ إِذَا لَمَّا نَمْرُونَ ﴿٧٨﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ إِنَّمَا إِنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٧٩﴾ فَأَلْقَوْا جَاهَلَمْ وَعَصَيْهُمْ وَقَالُوا بِعْرَةً فِرْعَوْنَ إِنَّا لَعَنْ

الْفَنَانِينَ ﴿٤٤﴾ فَأَلَقَ مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلَقَ أَسْحَرَهُ سَجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا إِمَّا نَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ إِمَّا نَّتَمَّ لَهُ قَبْلَ أَنْ إَذَنَ لَكُمْ إِنَّمَا لَكُمُ الْكِبِيرُ كُمُ الَّذِي عَلِمْكُمُ السِّحْرَ فَلَسْوَقَ تَعْلَمُونَ لَا يُطَعَنُ أَتَيْكُمْ وَأَرْجِلُكُمْ مِّنْ خَلْفِ وَلَا صَنْنَكُمْ أَجَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرٌ لِّنَا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَبِلُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطَمْ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبِّنَا خَطَائِنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ [الشعراء: ٣٨ - ٥١].

وفي قوله تعالى في سورة الأعراف: «قَالُوا يَمْوِسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِي وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ حَنْ حَنَ الْمُلْقِينَ» [الأعراف: ١١٥]، وقوله تعالى في سورة طه: «قَالُوا يَمْوِسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِي وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى» [طه: ٦٥]، إشعار بأن الله إذا أراد إظهار حجته هيأً أسباب هذا الإظهار، ووفق موسى عليه السلام إلى أن يطلب منهم أن يكونوا هم البدئين بالإلقاء، حتى إذا جاؤوا بهذا السحر العظيم الذي خوف الناس حتى موسى عليه السلام، ثم ألقى موسى عصاه وهي واحدة فانقلبت حية هائلة تتبع وتلتف جميع جبالهم وعصيهم التي انقلبت حياتٍ تجري هنا وهناك، ليكون ذلك أتم في باب إظهار هذه المعجزة القاضية على إفكهم وسحرهم وباطلهم.

وفي قوله تعالى: «فَعَلَوْا هُنَالِكَ وَنَفَلَوْا صَغِيرِينَ» [الأعراف: ١١٩]، إشعار بما لحق فرعون وقومه من المهانة والذلة والصغر عند ظهور هذه المعجزة.

وفي قوله تعالى: «فَأَلَقَ أَسْحَرَهُ سَاجِدِينَ» [الشعراء: ٤٦] إشعار بأن هؤلاء السحرة قد سارت إلى قلوبهم أنوار الحق فلم يتربدوا في الانقياد لله والإذعان لدینه والإيمان برسله، وقد خالطت بشاشة الحق شغاف قلوبهم؛ لأنهم أعرف القوم بأن ما جاء به موسى ليس سحراً.

وفي قوله تعالى: «قَالَ فِرْعَوْنُ إِمَّا نَّتَمَّ بِهِ قَبْلَ أَنْ إَذَنَ لَكُمْ» [الأعراف: ١٢٣] إشعار بأن فرعون أيقن أن ما جاء به موسى هو الحق من عند الله، غير أن شقوته جعلته يحاول الإبقاء على بعض سلطانه حتى في إيمان من يشرح الله صدره للإسلام.

وفي قوله تعالى: «إِنَّ هَذَا لَكُمْ مَّكْرُمَةٌ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا» [الأعراف: ١٢٣] وفي قوله: «إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلِمْكُمُ السِّحْرَ» [طه: ٧١] إشعار

بتخطي فرعون في إلصاق التهم بهؤلاء المؤمنين لتضليل قومه ومحاولة صرفهم عن هذا الحق الأبلج، وما كيد فرعون إلا في ضلال.

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الثاني والخمسون

تابع: موسى ﷺ

أشرت في ختام الفصل السابق إلى أن فرعون عندما رأى عصا موسى انقلبت حية وابتعدت ما قدمه السحرة من السحر العظيم، وأمن السحرة برب العالمين رب موسى وهارون ولم تؤثر فيهم تهديدات فرعون بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلبهم في جذوع النخل، وثباتهم على الحق وسؤالهم الله تعالى أن يفرغ عليهم صبراً ليتحملوا كل ألوان العذاب من فرعون في سبيل إيمانهم بالله، أيقن فرعون أن ما جاء به موسى ﷺ حق لا مرية فيه، واستيقن هو وملوه أن موسى رسول الله ﷺ، وقد أثر ذلك في نفس فرعون خوفاً من أن يصيب موسى بأذى، واكتفى بتهديد موسى ووعيده، ويظهر ذلك جلياً في قوله: «ذُرْوْفَ أَقْتُلْ مُوسَى وَلَيَدْعُ رَبَّهُ إِنَّ أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ» [غافر: ٢٦]. فهل كان مربوطاً بحبل لا يتمكن بسببه من قتل موسى، لكنه التهديد الأجوف الدال على أنه يحس أن موسى رسول الله، غير أنه وقومه أصرروا على تشديد العذاب علىبني إسرائيل، وازدادوا في تقتيل أبنائهم واستحياء نسائهم، وصان الله موسى ﷺ من أن تنانه يد فرعون، كما صان محمداً ﷺ من أبي جهل ومن معه من أن تنان أيديهم رسول الله محمدًا ﷺ، وقد أوحى الله تعالى إلى موسى وهارون أن يتبوأا لقومهما بمصر بيوتاً، وأن يجعلوا بيوتهم قبلة، وأن يقيموا الصلاة، وأن يستمر موسى ﷺ في بشارة المؤمنين بنصر الله وتأييده، ولما أخذ فرعون يعلن عن تشديد العذاب المهين علىبني إسرائيل وأنه لا بد من قهرهم، «فَالَّذِي أَنْتَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَسْتَعِينُ بِإِلَهِهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَنْقَبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» [الأعراف: ١٢٨]، وقال قوم موسى له: أوذينا من قبل مجئك بالرسالة ومن بعد مجئك بها، قال لهم:

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوكُمْ وَيَسْتَهْلِكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

ولقد بدأت بشائر نصر الله لموسى ومن معه من المؤمنين فسلط الله على آل فرعون الجدب والقطط ونقص الشمرات لعلهم يُفيقون من غيهم وضلالهم، لكنهم بدل ذلك صاروا يزعمون أن هذا الذي أصابهم هو بسبب مجيء موسى لهم واظيروا به وبمن معه، وأجابهم موسى ﷺ بأن سبب بلائهم هو كفرهم وتکذيبهم رسول الله، وزعموا مرة أخرى أن هذا الجدب والقطط من سحر موسى، وأنهم لن يؤمنوا به أبداً، فسلط الله عليهم الطوفان، فغرقت مزارعهم وهلكت ثمارهم، ولما انتهى الطوفان وبدأت الأرض تؤتي ثمارها سلط عليهم الجراد، فأباد زروعهم وثمارهم، ثم سلط عليهم القمل وهو صغار الذر، والذبابة الذي لا أجنحة له، أو شيء صغير بجناح أحمر، وشيء يشبه الحلم خبيث الرائحة، فصار هذا القمل يخالطهم في جميع أحوالهم لا يلمسون شيئاً إلا وجدهو فيه، ثم سلط الله عليهم الصفادي، فملأت بيوتهم وطعامهم وشرابهم، ثم سلط الله عليهم الدم، فصاروا لا يتناولون شيئاً إلا وجدهو مغطى بالدم، وقد امتزجت به مياههم ومطاعمهم.

وقد كان من آيات الله تعالى أن صانبني إسرائيل من كل هذه العقوبات، ولما اشتد هذا البلاء بفرعون وملئه ﴿فَأَلَوْا يَهُوَسَى أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهَدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا أَرِزْجَ لَتُؤْمِنَ لَكَ وَلَرْسَلَنَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، لكنهم كانوا كلما كشف الله عنهم الضر إذا هم ينكثون، ومع يقينهم بأن هذه آيات مفصلات من الله تعالى جحدوا بها وضحكوا منها.

وقال فرعون لموسى: ﴿إِنِّي لَأَطْهُنُكَ يَهُوَسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١]، فقال له موسى: لقد علمت أن هذه الآيات التسع وهي العصا واليد وما جاء بعدهما من السنين ونقص الشمرات والطوفان والجراد والقمل والصفادي والدم كلها من الله تعالى لعلكم تهتدون ﴿وَلَئِنْ لَأَطْهُنُكَ يَقْرَعُونَ مَقْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢] أي هالكاً بسبب كفرك وضلالك، ودعا موسى ﷺ على فرعون وقومه فقال: ﴿رَبِّنَا

إِنَّكَ أَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الْذِيَا رَبَّنَا لِيُضْلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴿١﴾ [يونس: ٨٨] فبدل أن يشكرونك عليها استعملوها في الصد عن سبيلك ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي أهلكها ﴿وَأَشَدَّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي اطبع عليها ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، وقد بلغ موسى ﷺ هذا الحال في الوقت الذي رأى فرعون أنه لا بد من إعلان الحرب على موسى، وأرسل فرعون في المدائن حاشرين، يجمعون العدة والسلاح والرجال للقضاء على موسى وهارون ومن معهما منبني إسرائيل من المؤمنين باذلاً كل ألوان الإغراء بهم.

وقد أوحى الله تعالى إلى موسى أن يخرج من مصر ليلاً ببني إسرائيل مسرعين إلى سيناء، وأعلمته أن فرعون وجنوده سيتبعونهم، فسارع موسى ﷺ إلى امتثال أمر ربه، فسرى ببني إسرائيل، ولما اجتمع جنده فرعون سارعوا إلى اللحاق بموسى ﷺ يقودهم فرعون عليه لعنة الله، فأتباعوهم مشرقين، أي وقت شروق الشمس، وقد كان موسى ﷺ ومن معه وصلوا إلى مكان عسير، فالبحر أمامهم والعدو خلفهم والجبال عن يمينهم وشمالهم، فلما تراءى الجمعان جمع موسى وجمع فرعون قال أصحاب موسى: إننا لمدركون، أي سيكون هلاكتنا على يد فرعون وجنته هنا؛ لأنه لا مفر لنا. فأجابهم موسى ﷺ وقال لهم: كلام يدركونا، ولن يصلوا إلينا؛ لأن الله وعدني بذلك، وأراد موسى ﷺ بذلك وعد الله له حيث أجابه عندما قال موسى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴾ قال لا تخافا إِنَّمَا مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿[طه: ٤٥ - ٤٦]﴾، ولذلك لما قال له أصحابه: ﴿إِنَّا لَمَدْرُوكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] أجابهم بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبٌ سَيِّدُنَا﴾ [الشعراء: ٦٢].

فأوحى الله تعالى إلى موسى ﷺ أن اضرب بعصاك البحر، فضرب موسى البحر بعصاه فانفلق، فكان كل فرق كالطود العظيم، أي كالجبل العظيم، فجعل الله لهم بذلك طريقاً في البحر يبسأ لا يخاف دركاً ولا يخشى، وصار موسى ومن معه يمشون على أرض صلبة يابسة. على كل جانب من جوانب طريقهم جدار من الماء كأنه صخر منحوت، وعندما خرج موسى ومن معه من

البحر أمره الله تعالى أن يترك البحر ساكناً حتى يدخل فيه فرعون وجنوده، فلما صار فرعون وجنوده في اليم غشיהם، من اليم ما غشיהם وأضل فرعون قومه وما هدى، ولما أدركه الغرق قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين، فلم ينفعه هذا الإيمان، ولم يخلصه من عذاب الله، ورمي البحر بجثته ليراهما من بقي من قومه؛ ليعرفوا قدرة الله عليه، وكان ذلك في يوم عاشوراء.

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الثالث والخمسون

### تابع: موسى عليه السلام

ذكرت في ختام الفصل السابق أن غرق فرعون ونجاة موسى عليه السلام كان في يوم عاشوراء، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله عليه السلام قد أدم المدينة، فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله عليه السلام: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟» فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا، فنحن نصومه، فقال رسول الله عليه السلام: «فنحن أحق وأولى بموسى منكم» فصامه رسول الله عليه السلام وأمر بصيامه.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم موقف فرعون وملئه من موسى عليه السلام وقومه بعد إيمان السحرة في مواضع من كتابه الكريم، حيث يقول في سورة الأعراف:

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرِي مُوسَى وَقَوْمُهُ لِيُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَدْرِكُ وَءَاهَتْكَ  
قَالَ سَنُقْتَلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَعْيِّنِي، نَسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَهْرُونَ﴾ ١٣١  
 قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَسْتَعْيِّنُ بِإِلَهِي وَأَصْدِرُوا إِبْرَاهِيمَ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعِنْقَةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٢  
 قَالُوا أُوذِيَّنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا ١٣٣ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوكُمْ  
 وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ١٣٤ وَلَقَدْ أَخْذَنَا إِلَى فِرْعَوْنَ بِالسِّينِ وَنَفَصَ  
 مِنَ الْمَرْأَتِ لَعَاهُمْ يَدْكُرُونَ ١٣٥ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ  
 يَطْبِرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ، أَلَا إِنَّمَا طَلَرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٣٦ وَقَالُوا  
 مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ، مِنْ إِعْيَةٍ لَسَحْرَنَا بِهَا فَمَا تَحْنُنَ لَكَ يُمُؤْمِنُينَ ١٣٧ فَأَرْسَلَنَا عَلَيْهِمُ الظُّوفَانَ وَالْجَرَادَ  
 وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَاللَّدَمَ إِيَّنِي مُفْصَلَتِ فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ١٣٨ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ  
 الْبَرْجُ قَالُوا يَنْمُوسِي أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهْدَ عِنْدَكَ لَيْنَ كَشَفْتَ عَنَّا الْبَرْجَ لَتُؤْمِنَنَ لَكَ

ولَنُرِسِّلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَئِيلَ ﴿١٣٦﴾ فَلَمَّا كَسَفْنَا عَنْهُمُ الْبَرْجَ إِلَى أَجْلِهِ هُمْ يَلْغُوُهُ إِذَا هُمْ يَنْكُونُ ﴿١٣٧﴾ فَانْقَمَّا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي أَيْمَانِهِمْ كَذَبُوا بِعِيَادِنَا وَكَانُوا عَنْهَا عَنْفِلِنَّ ﴿١٣٨﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلْمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَئِيلَ بِمَا صَرَبُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٩﴾ [الأعراف: ١٢٧ - ١٣٧].

وقال تعالى في سورة يونس: «فَمَا ءامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ عَلَى حُوفِ قِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِيْهِمْ أَنْ يَقْنِنُهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَلَهُمْ لِمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقُولُ إِنِّي كُنْتُ ءاَمَنْتُ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكُّلُوا إِنْ كُنْتُمْ شَمِلِيْمَ ﴿٤٩﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلَنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ ﴿٥٠﴾ وَبِمَنْ حَمِّلْتَكَ مِنَ الْقُوَّةِ الْكُفَّارِ ﴿٥١﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَلَيْخَيْهِ أَنْ تَبُوَّءَا لِقَوْمِكُمْ بِعِصْرِ بَيْتِهِ وَاجْعَلُوا بَيْتَكُمْ قِسْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرَ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٥٢﴾ وَقَالَكَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءاَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَ زِيَّهُ وَأَوْلَأَ فِي الْحَيَاةِ الَّذِيَا رَبَّنَا لِيُصْلِلُوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرُوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٥٣﴾ قَالَ قَدْ أُحِبْتَ دَعَوْتُكُمَا فَاسْتَقِيْمَا وَلَا تَنْتَعَانَ سَبِيلَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ وَجَنَّزَنَا بِبَنِي إِسْرَئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْتُهُمْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُمْ بَعْيَا وَعَدُوًا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرْقُ قَالَ ءاَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَّا الَّذِي ءاَمَنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَئِيلَ وَانَا مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الْفَنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِيْنَ ﴿٥٦﴾ فَالْيَوْمَ تُنْجِحُكَ بِسَيِّدِكَ لِتُكُوْنَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَهُ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنِ ءاَيَاتِنَا لَغَفِلُوْنَ ﴿٥٧﴾ [يونس: ٨٣ - ٩٢].

وقال في سورة هود: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِعِيَادِنَا وَسُلْطَنِيْنَ مُبِينِ ﴿٩١﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِيْهِ فَأَبَيُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٢﴾ يَقْدُمُ قَوْمٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدُهُمُ الْتَّارِ وَبِشَّ أَلْوَرْدُ الْمَوْرُودِ ﴿٩٣﴾ وَأَتَيْعُوا فِي هَذِهِ لَفْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِيَسِّ الْرِّفْدَ الْمَرْفُودِ ﴿٩٤﴾» [هود: ٩٦ - ٩٩].

وقال تعالى في سورة طه: «وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنَّ أَسْرِيْرَ بِعِيَادِي فَأَصْرَبَهُ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَسِّا لَا تَخْفَ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٧٧﴾ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنَ بِجُنُودِهِ فَغَشِيْهِمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيْهِمْ ﴿٧٨﴾ وَأَصْلَ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾» [طه: ٧٧ - ٧٩].

وقال تعالى في سورة الشعرااء: «وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنَّ أَسْرِيْرَ بِعِيَادِي إِلَّا كُمْ

مُتَّبِعُونَ ﴿٥٧﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَشَرِينَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشَرَذَمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَافِلُونَ ﴿٦٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ حَذَرُونَ ﴿٦١﴾ فَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ جَنَّتِ وَعِيُونَ ﴿٦٢﴾ وَكُنُزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٦٣﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثَهُمْ بَيْتَ إِسْرَئِيلَ ﴿٦٤﴾ فَأَتَبْعَوْهُمْ شَرِيفِينَ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا تَرَهَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُوكُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّ سَهْدِينَ ﴿٦٧﴾ فَأَوْجَحَنَا إِلَى مُوسَى أَنَّ أَضَرَّ بِعَصَابَكَ الْبَحْرُ فَانْفَاقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَاظِدُورَ الظَّطِيرِ ﴿٦٨﴾ وَأَنْلَفَنَا ثَمَّ الْأَخْرَيْنِ ﴿٦٩﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٧٠﴾ ثُرَّ أَغْرَقَنَا الْأَخْرَيْنَ ﴿٧١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَلَمَّا رَأَيْكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٣﴾ [الشعراء : ٥٢ - ٦٨].

وقال تعالى في سورة القصص: «وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يَهَمَّنْ عَلَى الْطِينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَكَلِّي أَطْلَعْ إِلَيَّ إِلَهٌ مُوسَى وَلَمَّا لَأَظْنَنْ مِنْ الْكَذِيْنَ ﴿٢٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقَّ وَظَنَّا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَخْذَنَاهُمْ وَجْهُنَّدُهُمْ فَنَبَذَنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَدِيقَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يُكَدِّعُونَ إِلَى النَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَمةَ لَا يُنْصَرُونَ ﴿٣١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَغْسَةً وَيَوْمَ الْقِيَمةَ هُمْ مِنْ الْمَقْبُوحِينَ» [القصص : ٣٨ - ٤٢].

وكمما قال ع JACK في سورة الإسراء: «ولَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى تَسْعَ إِيَّاهُ بِيَنَتٍ فَسَعَ بَنْي إِسْرَئِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَطْنَكَ يَكُونُ مَسْحُورًا ﴿١٩﴾ قَالَ لَقَدْ عِلِّمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَارِرَ وَلَمَّا لَأَطْنَكَ يَرْجِعُونَ مَشْبُورًا ﴿٢٠﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفْرِزُهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُمْ وَمَنْ مَعَهُ جِمِيعًا» [الإسراء : ١٠١ - ١٠٣].

وقال تعالى في سورة الزخرف: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِعَايَتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِئِيهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِعَايَتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَصْحُكُونَ ﴿٤٤﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ إِيَّاهُ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخْذَنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَالُوا يَتَأْيَهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهْدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمْهَدْنَوْنَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ فَالْيَقُورُ أَلِيسَ لِي مُلْكُ وَضَرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَرُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا يَبْصُرُونَ ﴿٤٨﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ ﴿٤٩﴾ فَلَوْلَا أُلْقَى عَلَيْهِ أَسْوَرَةً مِنْ ذَهَبٍ أَفَ جَاءَ مَعَهُ الْمَائِكَةُ مُقْتَرِنَةً ﴿٥٠﴾ فَاسْتَخَفَ قَوْمُهُ

فَأَطْاعُوهُ إِلَهُمْ كَانُوا فَوْمَا فَسِقُيَنَ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا آتَيْنَا أَنْذَقْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَنَّاكًا لِلآخِرِينَ﴿٥٨﴾ [الزخرف: ٤٦ - ٥٦]

وكما قال تعالى في سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُ مَالَ قَرْعَوْنَ الْمُنْذُرُ ﴾ ﴿كَذَّبُوا بِيَوْمَنَا كُلُّهَا فَلَخَذَنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْنِدِرِ﴾ [القمر: ٤١ - ٤٢] إلى غير هذا من الآيات.

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الرابع والخمسون

### تابع: موسى عليه السلام

بعد أن نجحَ الله تبارك وتعالى موسى وهارون وقومهما من الكلب العظيم، وأغرق فرعون ومن معه من المكذبين، وجاؤز الله ببني إسرائيل البحر انتهت متابعة موسى من فرعون وقومه، وببدأت متابعة موسى وهارون من بني إسرائيل، إذ إنهم بعد أن رأوا آية الله الكبرى في فلق البحر لهم وإغراق فرعون وجندوه وتمت كلمة الله الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا، لكنهم ما إن رأوا بعد أن جاؤزوا البحر قوماً يعبدون أصناماً لهم قد عكفوا عليها حتى قال بعضهم لموسى عليه السلام: «أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ» [الأعراف: ١٣٨]، فأجابهم موسى عليه السلام بأن هذا الطلب جهالة منكم، كيف نسيتم نعمة الله في إنجائكم من عدوكم وإغراقه، وأنتم حديث عهد بها، إنكم لو كتمتم تعلمون لا زددتم إيماناً بالله وحده وكفرتم بجميع ما سواه من الأصنام والأوثان والأنداد «إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِرُ مَا هُمْ فِيهِ وَنَطَلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الأعراف: ١٣٩] أي هالك فاسد ومضمحل زائل لا يعود على أهله إلا بالشر ولا يجلبون منه خيراً، فكل عبادة لغير الله باطلة، ولا تصح العبادة إلا لله وحده، والله أغنى الشركاء عن الشرك، فمن أشرك معه غيره ردّه وشركه وأحبط عمله، «فَقَالَ أَغْيَرَ اللَّهُ أَغْيِيْكُمْ إِلَهًا» [الأعراف: ١٤٠]، أي أطلب لكم شيئاً تعبدونه غير الله، وهذا الاستفهام للإنكار والتعجب والتوبیخ، ثم بين لهم موسى عليه السلام أن الله فضلهم على عالمي زمانهم، إذ بعث إليهم رسوله وكلمه عليه السلام فآمنوا به، فلا يليق ببعضهم أن يطلب معبداً غير الله عليه السلام ليشابه المشركين عبادة الأصنام، ولم يكن كل بني إسرائيل قد طلب إليها آخر، وإنما هو طلب بعض جهالتهم، وفي ذلك يقول الله تعالى: «وَجَنَوْزَنَا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَنْمُوسِي أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ قَالَ إِنَّكُمْ

**فَوْمٌ بَجَهُلُونَ** ﴿٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِرُ مَا هُمْ فِيهِ وَنَطَلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيْكُمْ إِلَيْهَا وَهُوَ فَضَلَّكُمْ عَلَى الْعَلَوَيْنَ﴾ [الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠].

وقد ذكر كثير من المفسرين وعلماء السيرة النبوية خبراً من طريق معاشر عن الزهري عن سنان بن أبي سنان الديلي، عن أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين فمررنا بسدرة فقلت: يا نبي الله! اجعل لنا ذات أنواع كما للكفار ذات أنواع، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة ويعكفون عليها، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر! هذا كما قال بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، وإنكم تركبون سَنَنَ من كان قبلكم»، قال ابن كثير في تفسيره: أورده ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده مرفوعاً ١.١.٦.

قلت: قال الحافظ ابن حجر في التقريب: كثير بن عبد الله بن عمرو المزني المدني ضعيف من السابعة، منهم من نسبة إلى الكذب ١.٦. فإن صلح هذا الخبر حُمل على أنه قول واحد من حدثاء العهد بالجاهلية كما جاء مصراحاً به في راوية عن أبي واقد الليثي، قالوا: وقد كان لكافار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها: ذات أنواع يأتونها كل سنة فيعلقون عليها أسلحتهم ويدبحون عندها ويعكفون عليها يوماً.

قال أبو بكر الطرطoshi المالكي: فانظروا - رحمكم الله - أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخِرَقَ فاقطعواها.

هذا وقد كان موسى عليه السلام عندما بعثه الله إلى فرعون إنما بعثه بأصول الدين من التوحيد وإقامة الصلاة لذكر الله ووجوب الإيمان بالبعث بعد الموت، ولم يكن قد أنزل عليه التوراة، فلما انتهت مهمته موسى عليه السلام الخاصة بفرعون وملئه وأغرق الله فرعون وجنده، وخلص موسى إلى سيناء وصار مختصاً ببني إسرائيل وهم في حاجة ماسة إلى نظام يشمل حواجزهم في معاشهم ومعادهم، هيأ الله تعالى موسى عليه السلام ليُلقي عليه التوراة المشتملة على الأحكام التي تسلك بأهلها صراط الله المستقيم، وحالة موسى عليه السلام هذه تشبه حالة رسول الله ﷺ في حياته النبوية قبل

الهجرة وبعدها، فإن القرآن المكى كان ينزل لتقرير التوحيد والرسالة والإيمان بالبعث بعد الموت، أما القرآن المدنى فإنه زيادة على ذلك جاء بتقرير نظام الدولة الإسلامية والمجتمع السعيد وما يحتاجه كل فرد لصلاح معاشه ومعاده.

ولذلك ساق القرآن العظيم ما أوصى الله به موسى عليه السلام عندما بعثه بالتوحيد والصلوة والإيمان بالبعث بعد الموت، حيث يقول عليه السلام: ﴿فَلَمَّا أَنْهَا نُورِي يَمْوَسَىٰ﴾ [١١] إِنَّ رَبِّكَ فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَىٰ [١٢] وَإِنَّا أَخْرَتُكَ فَاسْمَعْ لِمَا يُوحَىٰ [١٣] إِنَّمَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي [١٤] إِنَّ السَّاعَةَ عَلَيْهِ أَكَدُّ أَخْفِيَهَا لِتُجَرَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ [١٥] فَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرَدَّىٰ﴾ [طه: ١٦ - ١١]، وقال عليه السلام: ﴿أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ [١٧] فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَّا أَنْ تَرَكَ [١٨] وَاهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَنَخْشَىٰ﴾ [التازعات: ١٧ - ١٩].

ولمَّا أغرق الله فرعون ونجى بنى إسرائيل صار لموسى عليه السلام دولة، فهو في حاجة إلى النظام الشامل والنور الذي يسلكه ليهتدى به هو والمؤمنون إلى الصراط المستقيم، وقد واعده الله تعالى أربعين ليلة يتهيا فيها لتلقي الشريعة، وقد سأله بعض قومه من المتعنتين المتنطعين أن يُريهم الله جهرةً، وأن يسأل ربه ذلك، وعندما جاء المنيقات قال موسى لأخيه هارون: أنت خليفتى على بنى إسرائيل فأصلح أمورهم، ولتكن سياستك لهم سياسةً رشيدةً واحذر دعاة الضلال المفسدين في الأرض، وما إن انطلق موسى عليه السلام لتلقي الشريعة عند الطور حتى أضل السامري بنى إسرائيل، فصنع لهم عجلًا من الذهب له حوار؛ أي صوت يُسمع ووصلصلة شبيهة بصوت الثور، وقال لهم: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨] فعبدوه جلة من بنى إسرائيل، وحاول هارون عليه السلام صرفهم عن عبادة العجل، وكان اللذين يغلب عليه عليه السلام وحشى إذا شدد عليهم أن يتفرقوا، وقد بارزه عباد العجل العداوة، وكادوا يقتلونه عندما كان يُحذرهم من عبادة العجل، ولم يكن مأذوناً له في قتالهم، فانتظر مجيء موسى عليه السلام بالشريعة من عند الله.

والي الفضل القادم أن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## الفصل الخامس والخمسون

تابع: موسى

عندما جاء موسى لميقات ربه وقد اختار من قومه سبعين رجلاً لهذا الميقات، فلما انتهوا إلى الجبل **﴿وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾** [النساء: ١٦٤] قال موسى: **﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾** [الأعراف: ١٤٣] فإن كان هذا الطور لا ينهض إذا تجلى الله له فإنك تقدر على رؤيتي، وأراد الله تعالى أن يضرب لموسى وغيره مثلاً على أن الله تعالى قد احتجب بالنور عن خلقه؛ لأنهم لم يهيئوا في هذه الحياة الدنيا لرؤية الله، وإنما يرونوه إذا ماتوا على الإيمان في الدار الآخرة، فإن المؤمنين لن يروا ربهم حتى يموتوا، وحجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

وقد زعم بعض أهل الأهواء أن قوله تعالى: **﴿قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾** دليل على استحالة الرؤية؛ بدعة أن (لن) تفيد تأييد النفي، وجهلوا أن الله تعالى قال في اليهود: **﴿فَتَمَنَّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ﴾** [البقرة: ٩٤]، ثم قال: **﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ﴾** [البقرة: ٩٥] مع أنهم يتمنون الموت وهم في جهنم، إذ ينادون مع نظرائهم من الكفار: **﴿يَمْكِلُ لِيَقْضِ عَيْنَاهُ رَبُّكُ﴾** [الزخرف: ٧٧] ولما تجلى الله تعالى للجبل **﴿جَعَلَمْ دَكَّا﴾** أي مدكوكاً مستوياً بالأرض **﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعْقَأَ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثُبَّتْ إِلَيْكَ وَإِنَّا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الأعراف: ١٤٣]، ولما رأى موسى **عليه السلام** أن السبعين الذين معه لا يزالون في صعقتهم دعا الله تعالى أن يكشف عنهم، واعتذر إلى الله تعالى بأنه أراد أن يقطع شبهة هؤلاء السفهاء الذين سألهوا أن يريهم جهراً، وقد أجاب الله تعالى دعوة موسى **عليه السلام** وأفاق السبعون من صعقتهم، وقال الحق لموسى **عليه السلام**: **﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسْلَتِكِ وَبِكَلْمِكِ﴾** [الأعراف: ١٤٤]، وأعطاه الألواح وقد كتب له فيها كل شيء **﴿مَوْعِظَةً**

وَتَفْضِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ» [الأعراف: ١٤٥] يحتاجه بنو إسرائيل في معاشهم ومعاهم، وقد كان موسى عليه السلام عندما أقبل على مكان المناجاة سارع إلى جانب الطور الأيمن، فسبق السبعين الذي كانوا معه، فقال له العليم الخير: «وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمَ يَنْهَاوْسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَئِكَ عَلَى أُثْرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى» [طه: ٨٣ - ٨٤].

ومن ثمرات هذا السؤال والجواب تقرير أن المسارعة إلى الخيرات والمسابقة إلى مرضاه الله من الأمور المحبوبة شرعاً وليس في كل عجلة ندامة، وبعد أن أعطى الله تعالى موسى التوراة أخبره أن قومه عبدوا عجلأً صنعه لهم السامری، فرجع موسى بالتوراة إلى قومه غضبان حزيناً على ما فعله قومه، وأخذ يؤنبهم ويوبخهم على عبادة العجل، وقال لهم: «إِنَّمَا خَلَقْتُنِي مِنْ بَعْدِي» [الأعراف: ١٥٠] «إِنَّمَا يَعْدِكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًا حَسَنًا» [طه: ٨٦] بإنزال التوراة نوراً لكم، أفاللت غَيْبَتِي عليكم أن أحبتكم أن يتزلبكم غضبٌ من ربكم فأخلقتكم وَعَدَكُم إِيَّاكم بالثبات على الإيمان وإخلاص العبادة لله وحده وكأنكم استعجلتم عقوبة الله؟ فحاولوا الاعتذار بأنهم ما قَدِرُوا على ردّ ضلال السامری، فإنه سُوَّل لهم ما سُوَّل وَغَلَبَ على عقولهم وزعم لهم أنه إله موسى، وأن موسى نسي أنه ربُّه فذهب يطلب ربه عند الجبل. وكان هارون عليه السلام قد حذر قومه من عبادة العجل وكان قد قال لهم: «إِنَّمَا قَنَشْتُ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَإِنْعُوفُ وَلَطِيعُ أَثْرِي ﴿٩١﴾ قَالُوا لَنْ تَرْجِعَ عَلَيْهِ عَذَافِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩٢﴾ قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنْعَكَ إِذَا لَيْسُهُمْ ضَلَّوْا ﴿٩٣﴾ أَلَا تَتَبَعَّنَ أَفْعَصِيتَ أَمْرِي» [طه: ٩٣ - ٩٠] بأن تقضي على سبيل المفسدين، وقد بلغ الغضب بموسى عليه السلام مبلغاً فأخذ الألواح وأخذ برأس أخيه هارون ولحيته يجره إليه، فقال هارون: «أَبْنَ أَمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْتِتِ بِكَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» [الأعراف: ١٥٠]، وقال هارون عليه السلام لموسى عليه السلام: «قَالَ يَسْتَنُّمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْقِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقِبْ قَوْلِي» [طه: ٩٤].

وأراد عليه السلام استعطاف موسى بقوله: يا ابن أم مع أنه أخوه لأبيه وأمه، وهذا شبيه بقول رسول الله عليه السلام لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي

بعدي»، إذ الرابطة بينهما الإسلام، وفاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ، وقد حاول بعض أهل الأهواء أن يستدلو بها بهذا الحديث على أن علياً عليه السلام هو خليفة رسول الله ﷺ، وهذا الاستدلال باطل من وجوهه: منها أن هارون مات قبل موسى، ولم يكن خليفة من بعده، بل الذي كان خليفة بعد موسى هو يوشع بن نون، ومنها أن هذا الحديث ليس نصاً في كون علي عليه السلام هو الإمام بعد رسول الله ﷺ، وسبب الحديث يوضح مراد رسول الله ﷺ، فإن رسول الله ﷺ لما خلف علياً عليه السلام في المدينة المنورة حينما أراد الذهاب إلى تبوك قال بعض المنافقين، في المدينة: إنما خلف علياً لأنه يستقله ولا يحبه، فلما علم علي عليه السلام بذلك أخذ سيفه ولحق برسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف، وأخبره بقول المنافقين فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي»، وكان النبي ﷺ يبين لعلي عليه السلام أن استخلافه على المدينة كانت استخلاف موسى لهارون حينما ذهب موسى عليه السلام لميقات ريه، ولم يكن استخلاف موسى لهارون عن البغض أو الاستقال له كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، كما أن الحنان الذي يحس به موسى لهارون فيه معنى يوجد شبيهه بين رسول الله ﷺ وبين علي عليه السلام، إذ إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت تحته، وحُنُو رسول الله ﷺ عليها وعلى زوجها وبنيها لا يحتاج إلى دليل.

وبعد أن سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها أي في نصها وجملتها وتعاليمها هدى ورحمة للذين يخالفون الله تعالى ويهددون بما أنزل من الكتاب، وفي مواعدة موسى لإعطائه التوراة و اختيار سبعين رجلاً للذهب معه، واستخلاف موسى لهارون علىبني إسرائيل مدة غيبته هذه، ووصايا موسى لهارون عليه السلام، وعبادة بعضبني إسرائيل للعجل الذي أضلهم به السامري، وسؤال موسى عليه السلام ربّه أن ينظر إليه، وجواب الله تعالى له، وصعقه موسى والسبعين الذين معه واندكاك العجل لما تجلى الله للعجل، وإخبار الله تعالى لموسى أن قومه عبدوا العجل من بعده ورجوعه عليه السلام إلى قومه غضباناً، وأخذ موسى بلحية أخيه هارون ورأسه يجره إليه، وفي اعتذار هارون واستعطافه، وما

عاقب به موسى السامری الذي صنع العجل، وما فعل موسى بعجل السامری، من تحريقه ونسفه وتذریته في البحر، في هذا كله أنزل الله على رسوله محمد ذكر ذلك في كتابه الكريم في مواضع من الذكر الحکیم.

الى الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليکم ورحمة الله وبرکاته.



## الفصل السادس والخمسون

### تابع: موسى

أشرت في ختام الفصل السابق إلى أن الله تبارك وتعالى ذكر في مواضع من كتابه الكريم قصة مواعيده لموسى ﷺ لإعطائه التوراة واختيار سبعين رجلاً من بني إسرائيل ليذهبوا مع موسى ﷺ، وما حدث لموسى وللذين معه من الصعق، وما كان من عبادة قومه للعجل من بعد ذهابه لتلقي التوراة، ورجوعه إلى قومه غضباناً، وما كان بين موسى وهارون في ذلك، وعقوبة السامري، وتحريق العجل ونسمة في اليم، ففي سورة البقرة يقول الله عزوجل:

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخْذَنَاهُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْشَأْنَا طَلَمِيْوَتَ ٥١  
عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٢  
وَإِذْ أَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ  
تَهْتَدُونَ ٥٣  
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِإِخْتَادِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا  
إِلَى بَارِيْكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ حَيْرَ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيْكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْوَابِ  
الرَّحِيمُ ٥٤  
وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوَسَى لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهَرًا فَأَخْذَنَاهُ الْصَّاعِدَةَ وَأَنْشَأْنَا  
نَظَرَوْنَ ٥٥  
ثُمَّ بَعْثَنَاهُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥١ - ٥٦].

ويقول في نفس السورة: «ولقد جاءكم موسى بالبيتات ثم أخذتم العجل من بعديه وأنتم طالمون» **٥٦** «وإذ أخذنا ميشنقكم ورفعنا فوقكم الطور حذوا ما أتيتكم بقوه وأسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكتفهم قل يشكم يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين» **٥٧** [البقرة: ٩٢ - ٩٣].

ويقول تبارك وتعالى في سورة الأعراف: «وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَنْتَمْنَاهَا يُشْرِقَ فَتَمْ مِيقَدُ رَبِّهِ أَرْبَعَتَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَجِيْهِ هَذِهِ رَبُوتَ أَخْلَقَنِي فِي قَوْمٍ وَأَصْلَحَ  
وَلَا تَنْعِي سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ١٤١  
إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْعِجْلِ فَإِنْ آسْتَرَ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا بَجَلَ رَبِّهِ

لِلْجَنَّلِ جَعَلَهُ دَكَّاً وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ شَبَحْتَنَكَ قُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ ١٤٣ قَالَ يَنْهُوْسَى إِنِّي أَصْطَفْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَيَكْلِمِي فَخُذْ مَا أَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ١٤٤ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِدَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأُمْرٍ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيْكُ دَارَ الْفَسِيقِينَ ١٤٥ سَاصِرُّ عَنْ ءَايَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيِّلَ الرُّشْدِ لَا يَتَخَذُوهُ سَيِّلًا وَإِنْ يَرَوْا سَيِّلَ الْغَيِّ يَتَخَذُوهُ سَيِّلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِعَائِتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَنِيْلِينَ ١٤٦ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَائِتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حِطَّتْ أَعْمَالَهُمْ هَلْ يُجَزَّوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٤٧ وَلَتَخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلُّهُمْ عِجَالًا جَسَدًا لَهُ حُوَارٌ أَلَّمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكُلُّهُمْ وَلَا يَهْدِهِمْ سَيِّلًا أَخْذُوهُ وَكَانُوا ظَلَمِينَ ١٤٨ وَلَا سُقْطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلَّلُوا فَالْأُولَاءِ لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنْ كُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ١٤٩ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضِبَنَ أَسْفًا قَالَ يُسَمَّا حَفَّتُوْنِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَالْقَى الْأَلْوَاحَ وَلَخَدَ بِرَأْسِ أَخِيهِ بِمُهَرَّةٍ إِلَيْهِ قَالَ أَبْنَ أَمْ إِنَّ الْقَوْمَ أَسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْتِمْ بِالْأَعْدَاءِ وَلَا تَبْغِلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّلَمِينَ ١٥٠ قَالَ رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ١٥١ إِنَّ الَّذِينَ أَخْذُوا الْعِجْلَ سَيِّنَاهُمْ عَصَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَّالِكَ بَهْرَى الْمُفْتَرِينَ ١٥٢ وَالَّذِينَ عَلَمُوا أَسْتِغْاثَتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَأَمْنَوْا إِنَّ رَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٥٣ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدَى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ١٥٤ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَعْيَنَ رَجَلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخْذَهُمْ الرَّجْفَةَ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْنَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِنِّي أَتَهْلِكُهُمَا فَعَلَ السَّفَهَاءَ مِنَّا إِنَّهُ إِلَّا فِنْنَكَ تُضْلِلُ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنَّ وَيَلَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنَّ حَيْرَ الْعَنَفِينَ ١٥٥ [الأعراف: ١٤٢ - ١٥٥].

ويقول تعالى في سورة طه: «يَبْيَنِي إِسْرَئِيلَ قَدْ أَنْجَيْتَنِي مِنْ عَدُوِّي وَأَعْذَلَنِي جَانِبَ الطُّورِ الْأَيَّمَنَ وَنَزَّلَنِي عَلَيْكُمْ أَمْنَنَ وَالسَّلَوَى ٨١ كُلُّوْنِ مِنْ طِبَّتِ مَا رَزَقْتُكُمْ وَلَا تَطْغُوْنِ فِيهِ فَيَحْلَ عَلَيْكُمْ عَصَبٌ وَمَنْ يَحْلِمْ عَلَيْهِ عَصَبٌ فَقَدْ هَوَى ٨٢ وَلَئِنْ لَفَادَ لِمَنْ تَابَ وَأَمْنَ وَعَمِلَ صَلِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى ٨٣ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمَكَ يَنْهُوْسَى قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثْرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ٨٤ قَالَ إِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضْلَلْتُمُ الْسَّامِرِيَّ ٨٥ فَرَجَعَ مُوسَى

إلى قومه، غَصِّبَنَ أَسْفًا قَالَ يَقُولُ اللَّمَ يَعْدُكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَيَّكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدِي **٨٦** قَالُوا مَا أَخْلَقْنَا مَوْعِدَكَ بِمُلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أُوزارًا مِنْ زِينَةِ الْفَوْرِ فَقَدَفْنَا فَكَذَلِكَ الَّتِي أَسَارَتِي **٨٧** فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجَالًا جَسَدًا لَهُمْ حُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنِي **٨٨** أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا **٨٩** وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَرُونُ مِنْ قَبْلِ يَقُولُ إِنَّمَا فَتَنَّنَّتِي يَهُ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَلَيَعُوْنَ وَلَطِيعُوا أَمْرِي **٩٠** قَالُوا لَنْ تَبْرُحْ عَلَيْهِ عَذَافِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى **٩١** قَالَ يَهُرُونَ مَا مَعَكَ إِذْ رَأَيْتُمْهُمْ ضَلَّوْ **٩٢** أَلَا تَشَعَّنَ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي **٩٣** قَالَ يَبْنَوْمَ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَاسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَقَتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقِبْ قَوْلِي **٩٤** قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسَّرِي **٩٥** قَالَ بَصَرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا يَهُ فَقَبَضْتُ قَبْصَةً مِنْ أَثْرِ الرَّسُولِ فَبَدَّهَا وَلَكَذَلِكَ سَوَّلتُ لِي نَفْسِي **٩٦** قَالَ فَإِذْهَبْ فَإِذْكُ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مَسَاسٌ وَلَنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تَخْلُفَهُ وَانْظُرْ إِلَيْهِكَ الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِنًا لَتُحْرِقَنَّهُ ثُمَّ لَنْتَسْفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا **٩٧** إِنَّمَا إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسَعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا **[طه: ٨٠ - ٩٨]**.

ويقول تعالى في سورة القصص: «وَلَقَدْ عَلِيَّنَا مُوسَى السَّكِينَ بِمِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكَنَا الْقُرُوبَاتِ الْأُولَى بِصَكَابِرِ النَّاسِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ **٤٣** وَمَا كُنَّ يَجَانِبُ الْغَرَبَيْنِ إِذْ قَضَيْتَكَ إِلَيْ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنَّتِ مِنَ الشَّهِيدِينَ **٤٤** وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونَنَا فَنَطَّاولَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنَّتْ ثَارِيَّا فَتَ أَهْلِ مَدِينَتِنَا تَنْلُو عَلَيْهِمْ عَائِدَتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِيْنَ **٤٥** وَمَا كُنَّتْ يَجَانِبُ الْأَطْوَرِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لَتُسْتَرَ قَوْمًا مَّا أَنَّهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ **٤٦**» [القصص: ٤٣ - ٤٦].

هذا وقد قص الله تبارك وتعالى كثيراً مما لقيه موسى عليه السلام من بنى إسرائيل من الأذى، والتنطع والتشدد، كعدم رضاهم بالمن والسلوى وطلبهم بدلها بُقولاً وثوماً وقثاءً، وعدساً وبصلاً، وكقولهم لما رأوا موسى عليه السلام حيياً ستيراً لا يرى من جلدته شيء استحياءً، فآذاه من آذاه منهم بقولهم فيه: ما يستر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أذرة وإما آفة، **(فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِهَانَا)** [الأحزاب: ٦٩].

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## الفصل السابع والخمسون

تابع: موسى عليه السلام

أشرت في ختام الفصل السابق إلى بعض ما لقيه موسى عليه السلام وأخوه هارون عليه السلام من تنطع بني إسرائيل وأذاهم حتى قال موسى عليه السلام كما حكى الله تعالى ذلك: «يَقُولُونَ لَمْ تُؤْذُنَا وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَفَرَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَانُوا أَرَأَعَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّفِيقِينَ» [الصف: ٥].

وقد روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قسم رسول الله عليه السلام قسمًا فقال رجل: إن هذه لِقْسَمَةٌ ما أريد بها وجه الله، فأتيت النبي عليه السلام فأخبرته فغضب، حتى رأيت العضب في وجهه، ثم قال: «يرحم الله موسى قد أودي بأكثر من هذا فَصَبَرَ».

كما روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام: «إن موسى كان رجلاً حَيِّاً سَيِّراً، لا يُرَى من جلدِه شيءٌ استحياء منه، فآذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التَّسْتَرُ إلا من عيب بجلده إما بزص وإما أدرة وإما آفة، وإن الله أراد أن يُبَرِّئَ مما قالوا لموسى، فخلال يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بشوبيه، فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حَجَرٌ ثوبي حَجَرٌ حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبيه فلَبِسَهُ، وطَفِقَ بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لَنَدِبَّاً من أثر ضربه ثلاثة أو أربعًا أو خمسًا، فذلك قوله: «يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فِرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِهَّاً» [الأحزاب: ٦٩].

ومن أمثلة شُحّ نفوسهم أنهم لما استسقى موسى لهم أمره الله تعالى أن

يضرب بعصاهم الحجر فانفرجت منه اثنتا عشرة عيناً بعدد أسباطهم، ولو كانوا أهل إحسان وتراحم لكتفهم عين واحدة، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْتَسَقَ مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَمَكَ الْحَجَرَ فَانْجَرَّتْ مِنْهُ اثنتا عَشَرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَّا إِنَّ مَشَرِّبَهُمْ كُلُّهُوا وَأَشَرِّبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

وكما قال تعالى: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ اثنتا عَشَرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا وَأَوْجَحْنَا إِلَيْنَا مُوسَى إِذْ أَسْسَقَنَاهُ قَوْمُهُ أَنِّي أَضْرِبْ بِعَصَمَكَ الْحَجَرَ فَانْجَسَتْ مِنْهُ اثنتا عَشَرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَّا إِنَّ مَشَرِّبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْفَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَرْبَ وَالسَّلَوَى كُلُّهُوا مِنْ طَبَبَتِي مَا رَزَقْنَاهُمْ وَمَا ظَلَّمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفَسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، ومن أمثلة تعنتهم أنهم قد امتنَ الله عليهم بالمن والسلوى طعامين، شهيين بلا كلفة ولا مشقة فما رعوا حق رعايتها، والسلوى طير شهيء الطعم سمين، والمن شبيه بعسل النحل، يجدونهما عند رؤوسهما في الصباح والمساء، ومع ذلك قالوا لموسى ﷺ: لن نصبر على طعام واحد نريد بقللاً وقطاء وثوماً وعدساً وبصللاً، فأجابهم ﷺ أستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، اهبطوا مصرأً فإن لكم ما سألتم، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَمْ يَحْمُوسَى لَنْ تَصِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَجِدَرٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا ثُبِّتَ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلَهَا وَفَتَاهَا وَفُؤَاهَا وَعَدَاهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَتَشَبَّهُلُكَ الَّذِي هُوَ أَذْنَى لِلَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرَأً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١].

وقد اغتنم موسى ﷺ فرصة حرصهم على البقول والقطاء والثوم والعدس والبصل فأمرهم أن يدخلوا بيت المقدس ليظهروه من الكافرين، فقالوا إن فيها قوماً جبارين، وإننا لن ندخلها ما داموا فيها، وقالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون، وهذا من أبرز أمثلة جبنهم وذلةهم، حتى ورث هذا الجبن من بعدهم ذرياتهم، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿لَا يُقْتَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرْبَى مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَيْعًا وَقُلُوبُهُمْ شَقَّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

ولم يزل هذا الخلق الذميم تمتلىء به جوانحهم إلى اليوم، وهم لم يتصرروا

على المسلمين ويحتلوا بيت المقدس في عصرنا بشجاعتهم، وإنما بذنبينا وتفرق كلمتنا وحبل من الناس، فإنه إذا عصى الله من يعرفه سلط عليه من لا يعرفه، وفي امتناعبني إسرائيل عن دخول الأرض المقدسة وعصيائهم لموسى عليه السلام يقول الله عز وجل: «وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرِبَةَ فَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجْدًا وَقُلُّوا حَمْلَةً تَفْرِزُ لَكُمْ خَطَبَكُمْ وَسَرَيْدُ الْمُحْسِنِينَ ٥٨ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ» [البقرة: ٥٩ - ٥٨].

وقوله تعالى: «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ» [البقرة: ٥٩] أي بدأ أن يقول حطة قالوا حبة في شرة وقالوا حنطة، ودخلوا يزحفون على أستاهم بدأ أن يدخلوا الباب ساجدين، وكما قال عز وجل: «وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ أَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرِبَةَ وَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُلُّوا حَمْلَةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجْدًا تَفْرِزُ لَكُمْ خَطَبَكُمْ سَرَيْدُ الْمُحْسِنِينَ ٥٩ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْزَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّكَّاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ» [الأعراف: ١٦٢ - ١٦١].

وكما قال عز وجل: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُوا أَذْكُرُوا نَعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيمُّ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَأَتَكُمْ مَا لَمْ يُؤْتَ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ٦٠ يَقُولُمْ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْبَدُوا عَلَى أَذْبَارِكُمْ فَنَسْقِبُوا خَسِيرَنَ ٦١ قَالُوا يَمْوَسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا إِنَّا فَيْرَجُو مِنْهَا فَإِنَّا دَخْلُونَ ٦٢ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّمَّا اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلُوكُمْ فَإِنَّكُمْ عَذَابُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٦٣ قَالُوا يَمْوَسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنَّتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَاهُ إِنَّا هُنَّا قَعْدُوكَ ٦٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَنِّي فَآفِرُ فَبَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَسِيقِينَ» [المائدة: ٢٥ - ٢٠].

وقد عاقبهم الله عز وجل على هذا العصيان بالتيه في الصحراء أربعين سنة حيث يقول عز وجل: «قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَسِيقِينَ» [المائدة: ٢٦].

ومن أمثلة تنطعهم أنهم لما قتل واحد منهم نفساً وتدافعوا وتخاصموا فيما

قتلها حيث لم يُعرَف القاتل، فأمرهم موسى عليه السلام بذبح بقرة بأمر من الله تعالى، فكان أول رَدّ منهم على موسى كليم الله أن يقولوا: أتستهزئ بنا؟ فلما عرَفُهم أن الاستهزاء بالناس جهل لا يليق بعد صالح قالوا: ما سِنْهَا؟ فأجابهم موسى عليه السلام: «لَا فَارِضٌ وَلَا يَكُرُّ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ» [البقرة: ٦٨]، وحضَّهم على المسارعة إلى الامتثال، فتنطعوا وقالوا: ما لونها، فأجابهم بأنها «صَفَرَاءَ فَاقِعَةً لَوْنُهَا شَرُّ النَّظَرِينَ» [البقرة: ٦٩]، فتنطعوا وقالوا: بَيْنَ لَنَا مَا هِيَ أَسَائِمَةٌ أَمْ عَالِمَةٌ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا، فأجابهم موسى عليه السلام بأنها «بَقَرَةٌ لَا ذُولٌ» [البقرة: ٧١] أي غير مَذَلَّةٍ بالعمل فلا تنفع لحرث الأرض ولا لسقي الزرع، خاليةٌ من العيوب واحتلاط الألوان. وهنا انقطعوا وكادوا يعجزون عن الحصول عليها، ولو أنهم عندما أمرهم أول مرة سارعوا فذبحوا أي بقرة لكتفهم.

وفي قصة بقرة بنى إسرائيل يقول الله تعالى: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبَّحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنَّحَدَنَا هُرُوزًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ» [١٧] قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّمَّا يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءَ فَاقِعَةً لَوْنُهَا شَرُّ النَّظَرِينَ» [١٩] قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَّهَ عَلَيْنَا وَإِنَّمَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْهَدِهِنَّ قَالَ إِنَّمَّا يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُولٌ شَيْءٌ أَرْضَ وَلَا سَقِيَ الْحَرَثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا أَنَّهُ جَنَّتِ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ» [٢١] «وَإِذْ قَنَّلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَعْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْنُونَ» [٢٣] فَقُلْنَا أَخْرِبُوهُ بِعِصْبَانِ كَذِلِكَ يُحِيِّ اللَّهُ الْمُوْيَ وَيُرِيكُمْ أَيْنَتُهُ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» [البقرة: ٦٧ - ٧٣].

والى الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الثامن والخمسون

### تابع موسى عليه السلام

روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من طريق سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس إن نوفاً البكري يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسىبني إسرائيل إنما هو موسى آخر، فقال: كذبَ عدو الله، حدثنا أبي بن كعب عن النبي ﷺ أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئلَ أيُ الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرَ العلم إليه، فقال له: بلِي، لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أي رب ومن لي به؟ قال: تأخذ حوتاً فتجعله في مكتل، حيثما فقدت الحوت فهو ثمّ، وأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فرقداً موسى واstrapطرب الحوت فخرج فسقط في البحر **﴿فَأَخْدَدَ سَيِّلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرِيَا﴾** [الكهف: ٦١] فأمسك الله عن الحوت جريمة الماء فصار مثل الطاق، فانطلقوا يمشيان بقية ليتلهمما ويومهما حتى إذا كان من الغد **﴿قَالَ لِفَتَنَةٍ إِلَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِيتَنَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾** [الكهف: ٦٢]

. ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله، قال له فتاه: **﴿أَرَيْتَ إِذْ أَوْيَتَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي سَيِّلَتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنَّ أَذْكُرُ وَأَخْدَدَ سَيِّلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَّبًا﴾** [الكهف: ٦٣]، فكان للحوت سرياً ولهمما عجبًا، قال له موسى: **﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرَيْنَا عَلَىٰ إِثْارِهِمَا فَصَصَّا﴾** [الكهف: ٦٤]، رجعوا يقصان آثارهما حتى انتهيوا إلى الصخرة فإذا رجل مسجّي بثوب، فسلم موسى فرد عليه فقال: وأنى بأرضك السلام، قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني **﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾** [الكهف: ٦٦]، قال: يا موسى، إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلم، وأنت على علم من علم الله علّمكَ الله لا أعلم، قال: **﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعْلَمَ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾** [الكهف: ٦٦] قال: **﴿قَالَ إِنَّكَ لَنَ**

سَتَطِعَ مَعَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصِيرُ عَلَى مَا لَوْ تُحْكُمُ بِهِ، خُبْرًا ﴿٦٨﴾ [الكهف: ٦٧ - ٦٨] إلى قوله: «أَمْرًا» فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة، كَلَّمُوهُمْ أَنْ يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول، فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوق على حرف السفينة فَنَّقَرَ في البحار نَقْرَةً أو نقرتين، قال له الخضر: يا موسى! ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر، إذ أخذ الفأس فنزع لوحًا قال: فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحًا بالقلوْم، فقال له موسى: ما صنعت؟ قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها «لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جَنَّ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ اللَّهُ أَكْلَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعَ صَبْرًا ﴿٧٠﴾ قَالَ لَا تُؤَخِّذنِي بِمَا نَسِيَتْ وَلَا تُرْهِقنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧١﴾ [الكهف: ٧٣ - ٧١] فكانت الأولى من موسى نسياناً، فلما خرجا من البحر مرروا بغلام يلعب مع الصبيان، فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا كأنه يقطف شيئاً، فقال له موسى: «أَقْلَتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جَنَّ شَيْئًا تُكَرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ اللَّهُ أَكْلَ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ صَبْرًا ﴿٧٣﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تَصْحِحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِي عُذْرًا ﴿٧٤﴾ فَانطلقا حَتَّى إِذَا آتَيَا أَهْلَ فَرِيَةً أَسْتَطَعْمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَنَّ ﴿٧٥﴾ [الكهف: ٧٤ - ٧٦] مائلاً، أو ما يبيده هكذا كأنه يمسح شيئاً إلى فوق قال: قوم أتبناهم فلم يطعمونا ولم يُضيغونا عمدت إلى حائطهم «لَوْ شِئْتَ لَنَخْذَنَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنِيبُكَ إِنَّا وَلِلَّهِ مَا لَمْ تَسْتَطِعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ [الكهف: ٧٧ - ٧٨] قال النبي ﷺ: «وَدِدْنَا أَنْ مُوسَى كَانَ صَبَرًا، فَقَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبْرِهِمَا» وفي لفظ قال النبي ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوْ كَانَ صَبَرًا يُقْصُّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا».

ثم ساق البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: إنما سُمي الخضر أنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء.

وقد ساق الله رَجَلُكَ قصة موسى مع الخضر ﷺ في محكم كتابه حيث يقول في سورة الكهف:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَنَهُ لَا أَبْرُحُ حَقَّ أَبْلَغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِي حُقْبًا ﴾  
﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَأَتَخْدَ سَيْلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرِيَا ﴿٧٨﴾ قَالَ

لِفَتْنَةٍ عَلَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصِيبًا ﴿٢﴾ قَالَ أَرَيْتَ إِذْ أُوْتَيْتَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيْتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَيْنِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَأَتَخَذَ سَيِّلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كَذَّا بَيْعَ فَأَرَدْنَا عَلَى ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَانِيْتَهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٥﴾ قَالَ لَمْ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعْلَمَنِ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا ﴿٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا ﴿٧﴾ وَكَيْفَ تَصِيرُ عَلَى مَا لَمْ تُحْكُمْ بِهِ خَبْرًا ﴿٨﴾ قَالَ سَتَحْدِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٩﴾ قَالَ فَإِنِّي أَتَبْعَتُنِي فَلَا تَسْلِمِنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُخْلِيَّتْ لَكَ مِنْهُ ذَكَرًا ﴿١٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرُقُهَا لِتُعْرَقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْنًا إِمْرًا ﴿١١﴾ قَالَ اللَّهُ أَكْلَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا ﴿١٢﴾ قَالَ لَا تُؤَخِّذْنِي بِمَا نَسِيْتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿١٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا عُلَمَاءَ فَقَتَلُوكُمْ قَالَ أَفْلَتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْنًا ذَكَرًا ﴿١٤﴾ قَالَ اللَّهُ أَكْلَ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا ﴿١٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصْبِحِّنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِي عِذْرًا ﴿١٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَيَا أَهْلَ فَرِيَّةَ أَسْتَطَعُمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَا أَنْ يُضْيِقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَكَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذَّلَتْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿١٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِ وَبَيْنِكَ سَائِنِيْكَ يُنَأِّوْلِي مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبَرًا ﴿١٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَاتَ لِمَسْكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْيَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصَبًا ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الْفَلَمُ فَكَانَ أَبُواهُ مُؤْمِنَيْنَ فَخَسِيْنَا أَنْ يُرْهِقُهُمَا طُفِينَا وَكَفَرَا ﴿٢٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُدَلِّلُهُمَا رَهْمًا خَيْرًا مِنْهُ زَكُوْنَةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٢١﴾ [الكهف: ٦٠ - ٨١].

هذا وقد فتن كثير من الصوفية فادعوا لأنفسهم علمًا إلهياً غير ما جاء به رسول الله ﷺ ويسمونه العلم اللدني، وهذا برهان قاطع على جهلهم بشريعة الله، واللغة العربية، فإن قولهم العلم اللدني لا معنى له في اللغة العربية، وهم لجهلهم بها وانحرافهم عن دين الإسلام يحسبون أن قوله تعالى: «وَعَلَمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا» يدل على علم غير شرعي، وينحتون له هذا الاسم، وهو فهم عاطل باطل فاسد كاسد، فإن قوله تعالى: «وَعَلَمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا» معناه أعطيناه علمًا من عندنا، والعلم الذي أعطاه الله تعالى للخضر هو علم شرعي آتاه الله الخضر ﷺ واحتسبه به؛ ولذلك قال الخضر لموسى عليهما السلام: «وَمَا فَعَلْنَا عَنْ أَمْرِي».

ولا تدل هذه القصة على أن الخضر أفضل من موسى، إذ لا شك عند أحد ينتهي للعلم أن موسى هو من أكابر أولي العزم من المرسلين، وإعطاء الخضر علمًا خاصاً به وهو ليس من أتباع موسى ﷺ لا يدل على أنه أفضل من موسى؛ فالمزية لا تنافي الأفضلية، كما ذكرت في فصول سابقة.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى موسى في مقامات كثيرة يُنوه فيها بفضله كقوله تعالى وهو يذكر جملة من الأنبياء والمرسلين: «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحَ وَآلَّى نَسَّئَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَذِرُونَ وَسُلَيْمَانَ وَمَاتِنَا دَاؤِدَ زَبُورًا ﴿١١٣﴾ وَرَسُولًا قَدْ فَصَّصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَرَسُولًا لَمْ نَفَصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَمَ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا» [النساء: ١٦٣ - ١٦٤].  
وك قوله تعالى: «إِنَّكَ الرَّسُولَ فَضَلَّنَا بِعَظَمَتِهِمْ عَلَى بَعْضِ مِنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ» [البقرة: ٢٥٣].

وك قوله تعالى: «قَالَ يَمْوَسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسْلَانِي وَبِكَلْمِي فَخَذْ مَا إِنَّا أَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ» [الأعراف: ١٤٤].

وك قوله تعالى: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَّيْتُ بِهِ، ثُوَّبًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، وَمَا وَصَّنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَتَيْمُوا الَّذِينَ وَلَا تَنْقِرُوهُ فِيهِ» [الشورى: ١٣].

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل التاسع والخمسون

### تابع: موسى عليه السلام

استمر موسى عليه السلام في نشر النور والهدى الذي أنزله الله تعالى عليه في التوراة، يعاونه هارون عليه السلام، إلى أن قبض الله عزوجل هارون عليه السلام في حياة أخيه موسى عليه السلام وهمَا في التي مع بنى إسرائيل.

وقد حجَّ موسى عليه الصلاة والسلام البيت العتيق في مكة المكرمة، فقد روى مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله عليه السلام مر بوادي الأزرق فقال: «أيُّ وادٍ هذا؟» قالوا: وادي الأزرق، قال: «كأنِّي أنظر إلى موسى وهو هابط من الشنية، وله جُوارٌ إلى الله عزوجل بالتلبية». حتى أتى على ثنية هرشاء فقال: «أيُّ ثنية هذه؟» قالوا: هذه ثنية هرشاء، قال: «كأنِّي أنظر إلى يونس بن متى على ناقة حمراء، عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة - يعني ليفاً - وهو يلبّي».

وقد ذكرت عند الحديث عن الخليل إبراهيم عليه السلام بعض صفات موسى عليه السلام، وأنه كان آدم أي أسمر، جعد الشعر جسيماً طوالاً كأنه من رجال أزد شنوة، فقد روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله عليه السلام قال: «رأيت ليلة أسرى بي موسى بن عمران رجلاً طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوة».

كما روى البخاري في صحيحه من طريق مجاهد أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما وذكروا له الدجال، وأنه مكتوب بين عينيه كافر أو (ك ف ر) فقال: لم أسمعه ولكنه قال عليه السلام: «أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم، وأما موسى فجعلـ آدم على جمل أحمر مخطوم بخلبة كأنِّي أنظر إليه انحدر في الوادي».

وقد حضرت الوفاة موسى عليه السلام قبل أن يدخل الأرض المقدسة، غير أنه طلب من الله عزوجل أن يدنى من الأرض المقدسة رمية بحجر، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أرسل ملَكُ الموت إلى

موسى عليه السلام، فلما جاءه صَكَه فرجع إلى ربه عَنْكَ فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال فالآن، قال: فسأل الله عَنْكَ أن يدnyه من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال أبو هريرة: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر».

ثم قال البخاري رَجُلَ اللَّهِ: قال: وأخبرنا مَعْمُرٌ عن همام حدثنا أبو هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوه.

وروى مسلم في صحيحه من طريق همام بن مُنبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أحاديث منها، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جاء مَلَك الموت إلى موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: أجب ربك، قال: فَلَطَمَ موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عين مَلَك الموت ففتقاها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى، فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقا عيني، قال: فرد الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل: الحياة تريده؟ فإن كنت تريده الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت يدك من شعره فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مَهْ؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب، رب أمنتني من الأرض المقدسة رمية بحجر»، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر».

وقد استشكل بعض من ينتهي إلى العلم هذ الحديث وكأنه استغرب كيف يضرب موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلَك الموت وكيف يفقأ عينه؟ ولا غرابة في ذلك؛ لأن موسى لم يعرف أنه مَلَك الموت كما لم يعرف خليل الرحمن أبوه إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الملائكة الذين استضافوه، وقال لهم لَمَّا لم يأكلوا طعامه: إنكم قوم منكرون، ولا سيما أن مَلَك الموت جاء موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على طريق لم يُقبض على مثلها الأنبياء، فإن الله تبارك وتعالى لا يقبض روح نبي من أنبيائه إلا بعد تخierre، كما أثر أنه ما مننبي قبض إلا خَيْر، ولذلك لما خَيَّر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختار الرفيق الأعلى، أما استغراب فقه عين الملك فهو مبني على تعريف الملائكة بأنهم لا تحكم عليهم الصورة،

أي لو تصور الملك في صورة رجل أو غيره ثم أريد قتله أو قطع عضو منه فإنه لا تتأثر صورته بذلك، ولا يمكن منه بخلاف الجنّي، فإن الصورة تحكم عليه، فلو تصور الجنّي في صورة حيوان وقتل هذا الحيوان قُتِلَ الجنّي، وبالنظر إلى أن هذا التعريف لم يثبت به خبر صحيح عن رسول الله ﷺ فإنه لا يحل لمسلم أن يردد به الخبر الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ.

وقد رأيت كثيراً من أهل الأهواء المعادين لأصحاب رسول الله ﷺ وللبخاري ومسلم وغيرهما من أئمة أهل السنة والجماعة يدندنون حول هذا الحديث الصحيح للنيل من أصحاب رسول الله ﷺ وشيخ أهل الحديث، وقد علمت أنه لا شبهة في صحة هذا الخبر عن رسول الله ﷺ الصادق الأمين.

هذا وقد حرف اليهود التوراة بعد موسى عليه السلام، ومن أبرز الأدلة على ذلك أن اليهود يدعون أن التوراة كتبها موسى عليه السلام بيده، وهي مكونة عندهم من أسفار خمسة، وهي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، أو الأحبار، وسفر العدد، وسفر التثنية، وقد جاء في الإصلاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية في الفقرة الخامسة منه: فمات هناك موسى عبد رب في أرض موآب حسب قول رب؛ وفي الفقرة السادسة ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور. ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم، فتبين بما لا مجال للشك فيه أن هذا السفر مكتوب بعد موسى عليه السلام، إذ كيف يكتب موسى بيده أنه مات ودفن في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم، ومما يؤكّد تحريفهم أنه جاء في الإصلاح الحادي والثلاثين من سفر التثنية في الفقرة ٢٤ فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها - ٢٥ - أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد رب قائلاً: ٢٦ - خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد رب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم - ٢٧ - لأنني عارف تمدكم ورقابكم الصّلبة هو ذا وأنا بعد حيٍّ معكم اليوم قد صرتم تقاصدوني الرب فكم بالحريري بعد موتي - ٢٨ - اجمعوا إليَّ كل شيخ أسياطكم وعرفائكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهدُ عليهم السماء والأرض - ٢٩ - لأنني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيفون من الطريق الذي أوصيتكم .

هذا وليست اليهودية هي دين موسى <ص> بل دينه الإسلام، واليهودية محدثة بعد موسى؛ ولذلك لم يرد في خبر صحيح أن موسى <ص> سماهم يهوداً، وقد تكون اليهودية مأخوذة من الْهَوْدِ، بمعنى التوبة على حد قوله موسى <ص> ﴿إِنَّا هُدَّنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

ويمكن أن تكون مأخوذة من التهويد وهو الترجيع بالصوت في لين والتطريب، وقد كان أighbors اليهود إذا قرؤوا على العامة أتوا بنغمات مع عنةٍ شديدة ومدّ بالخياشيم. ويمكن أن تكون نسبة إلى يهودا أحد رؤوس أسباطبني إسرائيل، ويكون إطلاقه على جميعبني إسرائيل على سبيل التغليب، وهو بالدال أو الذال كما جاء في القاموس المحيط، يقال: يهودا ويهودا، كما يقال يهودي ويهودي.

ولم يرد اسم اليهود في كتاب الله تعالى أو في سنة رسوله <ص> على سبيل المدح فقط، وكل ما ورد عنهم في عهد موسى <ص> كان باسمبني إسرائيل، كما أن ما ورد في كتاب الله عنهم كان باسم أهل الكتاب وقوم موسى وبني إسرائيل، ولم يذكر اليهودية إلا في مقام الذم، والعلم عند الله، والسلام على موسى وهارون.

والى الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل الستون

### داود وسليمان ﷺ

نتحدث عن النبيين الرسلين الملائكة الكريمين داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام، وكان أول ذكر ثابت لداود ﷺ هو ما قصه الله تبارك وتعالى عن قتل داود لجالوت في الحرب التي دارت بين طالوت وجالوت في فلسطين، والظاهر من سياق القرآن الكريم لقصة هذه الحرب يفيد أن بني إسرائيل قد حاربهم جماعة من الوثنين، وأخرجوهم من ديارهم وأبنائهم، وكان على رأس هؤلاء الوثنين جالوت لعنه الله، وقد كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما ماتنبي بعث الله عزّل لهمنبياً آخر، يشرح لهم التوراة، ويحكم بها فيهم، ويبيّن لهم ما غيره وحرفوه وبدلوه من الكلم عن مواضعه على حد قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التُّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا الْيَتُوْرَتُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ (أي انقادوا لأمر الله) ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ (أي صاروا يهودا) ﴿وَالرَّئِسُونَ وَالْأَحْجَارُ إِمَّا أَسْتَحْفِظُهُمْ مِّنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاء﴾ [المائدة: ٤٤]، وقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلكنبي خلفهنبي وإنه لانبي بعدي»، فكانأنبياءبني إسرائيل كعلماء أمّة محمد ﷺ سوى أنه كان يوحى إليهم، فلما اشتدت الحرب علىبني إسرائيل طلبوا مننبيهم أن يبعث لهم ملكاً يقاتلون تحت رايته أعداء الله من الوثنين، فأخبرهمنبيهم ﷺ أنه يخشى عليهم أن ينكحوا عن القتال إذا فرض عليهم ولا يفروا بما التزموا به، فقالوا: ﴿وَمَا لَنَا أَلَا نُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَرِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦] أيأخذتمنا البلاد وسببت الأولاد، فأخبرهمنبيهم ﷺ أن الله قد عين لهم ملكاً منهم هو طالوت، فاعتراضوا على هذا التعيين وقالوا: كيف يعين الله علينا طالوت ملكاً ولم يكن في آبائه من ملك، فنحن أحق بالملك منه مع أنه فقير

قليل المال، فأجابهم نبيهم ﷺ بأن الله عَزَّلَ قد اختاره عليكم وفضله من بينكم، وقد أعطاه الله عَزَّلَ بسطة في العلم والجسم، فهو أعلم منكم بشؤون الحروب وتدبیر الأمور، وأشد منكم قوة وصبراً وجلاً لملاقاة الأعداء، فلا تعترضوا ولا تتعنتوا، وأنتم تعلمون أن الله هو الذي اختاره وعيته ملكاً عليكم، والله يؤتني ملکه من يشاء والله واسع عليم، وقال لهم نبيهم: إن الله تبارك وتعالى جاعل لكم آية على صحة ملك طالوت عليكم وهي رجوع الصندوق الذي يشتمل على بعض آثار موسى وهارون، وقد عجزتم عن إرجاعه من يد مغتصبيه، ولن يُطلب منكم بذلك مجهد في استرجاعه، بل سيعجبكم الصندوق تحمله الملائكة فيه طمأنينة لبني إسرائيل، ودلالة ظاهرة على أن الله لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، فَصَدَّقُوا وعد الله وسارعوا إلى طاعة طالوت وأمنوا بما أخبرتكم به عن الله عَزَّلَ، ولما انقادوا لذلك وتهيئوا لقتال جالوت وجنوه تحت راية طالوت رَحْمَةَ اللهِ، وكان من بينهم داود رَحْمَةَ اللهِ أخبرهم طالوت رَحْمَةَ اللهِ أن الله عَزَّلَ سيختبرهم، حيث يمررون بنهر وهم عطاش وهو يمنعهم من الشرب منه لما يعلمه الله عَزَّلَ أن الشرب منه يضرهم، والعجيب أنه لا يزال بعض قادة الجيوش إلى اليوم يحرمون على جنودهم أن يشربوا في أثناء زحفهم على عدوهم، لما يترتب على ذلك من الضرر بصحتهم، إلا أنهم يجذون لهم أن يُثْلُوا ريقهم بـأَلْ خفيفاً، ولذلك أذن طالوت لجيشه بأنه لا مانع أن يغترف الواحد منهم غُرفةً بيد تَبْلُ ريقه، ولا تعتبر شرباً، وهذا من آثار بسطة علم طالوت رَحْمَةَ اللهِ، وقد حذرهم طالوت وعرفهم أن من شرب من هذا النهر لا يصحبه في قتال أعداء الله من الوثنين أتباع جالوت، ولا يجاوز النهر، غير أنه عندما وصل هذا الجيش إلى النهر عصوا طالوت وشربوا منه سوى عدد قليل منهم امتنع عن الشرب من النهر طاعة لطالوت رَحْمَةَ اللهِ.

وقد جاء في بعض الآثار الصحيحة أن الذين جاوزوا النهر مع طالوت كانوا ثلاثة وبضعة عشر رجلاً بعد أصحاب رسول الله عَزَّلَ يوم بدر، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثني أصحاب

محمد ﷺ من شهد بدرًا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر بضعة عشر وثلاث مئة، قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن. وفي لفظ للبخاري عن البراء قال: كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدّة أصحاب بدر على عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن: بضعة عشر وثلاث مئة. وفي لفظ للبخاري رضي الله عنه من حديث البراء رضي الله عنه قال: كنا نتحدث أن أصحاب بدر ثلث مئة وبضعة عشر بعدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر وما جاوز معه إلا مؤمن. ولما جاوز طالوت النهر هو والذين آمنوا معه وجدوا أن عدوهم جالوت قد حشد جنوداً وأعد عدّة عظيمة، فقال بعض المؤمنين من أصحاب طالوت: لا طاقة ولا قدرة لنا اليوم على قتال هذا العدو الكبير، لأنهم استقلوا أنفسهم عن لقاء عدوهم، فشجعهم علماؤهم العالمون بأن وعد الله حق وأن النصر من عند الله ليس بكثرة العدد وقوته العدد، وأنه ينبغي للمسلم أن يرحب في الاستشهاد ولقاء الله في سبيل الله قائلين لهم: «كَمْ مِنْ فَتَّاهُ قَلِيلٌ غَلَبَتْ فِتَّاهُ كَثِيرٌ إِذَا ذَهَبَ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا إِلَيْجَالُوتَ وَجَنَوْهُو» [البقرة: ٢٤٩ - ٢٥٠] سألوا الله تعالى أن ينزل عليهم الصبر، وأن يثبت أقدامهم في لقاء الأعداء، وأن ينصرهم على القوم الكافرين، فاستجاب الله دعاءهم ونصرهم على أعدائهم، وقتل داود جالوت ملكهم، وسارع طالوت بالتنازل عن الملك لداود، وبعث الله تعالى داود نبياً رسولاً، وجعله ملكاً كريماً على بني إسرائيل، وقد أثنى الله تبارك وتعالى على طالوت ووصفه بأوصاف كريمة، أما ما زعمه بعض المفسرين والإخباريين من أن طالوت حسد داود وأصيب بالجنون وهام في الصحراء فإنه زعم باطل لا دليل عليه من خبر ثابت، وقد أورد الله تبارك وتعالى قصة طالوت وحربه لجالوت وتمليك داود حيث قال:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ إِنَّمَا يُنَزَّلُ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَّا لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسِيْنَا إِنْ كُتِبَ عَلَيْنَا كُمُ الْقَاتُلُ أَلَا نُقْتَلُ أَنَا وَمَا لَنَا أَلَا نُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرَجْنَا مِنْ دِيْرَنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَاتُلُ تَوَلَّنَا إِلَّا قَلِيلًا مُنْهَمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَيْهُمْ إِنْ

الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أئذن يكُون له الملك علينا ونهن أحق بالملك منه ولم يُؤت سعنة من المال قال إن الله أصطفه عليكم وزاده بسطة في العرش والحسنة والله يُؤتي ملوكه من يشاء والله واسع عليه وقال لهم نَبِيُّهُمْ إِنَّ إِعْلَمَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْنِيَكُمُ الْمَابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبِقَيْمَةٍ مِّمَّا تَرَكَ أَهْلُ مُوسَى وَأَهْلُ هَنْدُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلِكَةِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَكِمْ إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَدِئُكُمْ بِنَهْرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيَسْ مَقِيًّا وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مَيِّنَ إِلَّا مَنْ أَغْرَفَ عُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاءُوكُمْ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكُمْ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظْهُرُونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهُ كَمْ مَنْ فَكِيرٌ قَلِيلٌ غَبَّتْ فَشَّةٌ كَثِيرَةٌ يَإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا يَنْكِسُ أَفْيُغُ عَيْنَاهُ صَبَرًا وَتَسْتَعِيْتُ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ فَهَرَّوْهُمْ يَإِذْنِ اللَّهِ وَقَاتَلَ دَاؤُدُّ جَالُوتَ وَأَتَكَهُ اللَّهُ الْمَلِكُ وَالْمُكْمَةُ وَعَلَمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعَ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِعَمَصِ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾ تَلَكَ مَا يَدَتَ اللَّهُ نَتَلُوهَا عَيْنَكَ بِالْعَيْقَ وَإِنَّكَ لِيَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥٢﴾

[البقرة: ٢٤٦ - ٢٥٢]

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل الحادي والستون

تابع: داود وسليمان عليهم السلام

بعد أن مَكَنَ الله لداود في الأرض وآتاه الملك والنبوة وأنزل عليه الزبور وعلمه ما يحتاجه هو وبني إسرائيل من المنهج القويم، وقد يَسِّرَ الله عَزَّلَهُ لداود قراءة الزبور وخففه عليه حتى إنه كان يقرأه بمقدار ما تُسرج دوابه، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى محمد ﷺ، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خُفْفَ على داود عليه السلام القرآن، فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلا من عمل يده»، والمراد بالقرآن هنا الزبور الذي أنزله الله على داود عليه السلام حيث يقول: «وَأَتَيْنَا دَاؤِدَ زُبُورًا» [النساء: ١٦٣]، كما يطلق القرآن على القراءة، يعني قراءة الزبور، وقد كان داود عليه السلام قد منحه الله عَزَّلَهُ صوتاً جميلاً يتغنى به وهو يقرأ الزبور ويترنم، ولقد وصف رسول الله ﷺ ترنمته بالزبور بصوت المزامير، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «يا أبو موسى! لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود». وروى أحمد في مسنده قال: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معاذ عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسول الله ﷺ صوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال: «لقد أوتني أبو موسى من مزامير آل داود».

وقد التزم داود عليه السلام بأنه لا يأكل إلا من عمل يده، كما اتخذ منهجاً في الصيام والصلاحة هو أحب المناهج التي كان رسول الله ﷺ يحض عليها في التطوع، فقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود؛ كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسها، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفتر إذا لاقى»، وفي لفظ للبخاري

من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أحُبُ الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه»، كما روى البخاري في صحيحه من حديث المقداد بن معدىكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده».

ولقد تفضل الله تبارك وتعالى على داود فألان له الحديد وعلمه صنعة لبوس لصيانت المقاتلين المؤمنين، فكان أول من صنع الدروع التي قد تسمى الزرد، وقد أرشده الله تعالى إلى الطريقة المثلثي في صناعتها فجعلها حلقاً بعد أن كانت صفائح ليسهل استعمالها، وأمره تعالى أن يعملها سابغاتٍ تغطي كل جسم لابسها ويجرها على الأرض، وتصلح للأجسام المختلفة طولاً وعرضًا فيعم نفعها جميع المقاتلين، وأن يقدر في السرد، أي في نسج الدرع؛ وهو إدخال الحلقات بعضها في بعض ولا يجعل المسامير غلاظاً فتكسر الحلقة، ولا دقاقاً فتقلقل فيها، ولا تزداد في مرتانها فتشغل على المقاتل، وهذه نعمة جزيلة لفت الله المؤمنين إلى وجوب شكره عليها حيث يقول: ﴿فَهَلْ أَتُمْ شَكُورُونَ﴾ [الأنياء: ٨٠].

كما سخر الله تعالى لداود الجبال والطير إذا سبح؛ سبحت معه وآتاه الحكمة وفصل الخطاب، وفي ذلك قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاؤِدَ الْجِبَالَ يُسَيِّحَنَ وَالْطَّيْرَ وَكُنَّا فَلَعِلَّنَا [٧٦] وَعَمَّنَاهُ صَنَعَةً لَبُوئِ لَكُمْ لِتُحْصِنُكُمْ مِنْ بَاسِكُمْ فَهَلْ أَتُمْ شَكُورُونَ﴾ [الأنياء: ٧٩ - ٨٠].

ويقول تعالى في سورة سباء: ﴿وَلَقَدْ أَنَّا نَدَأْدَدْ مِنَا فَضْلًا يَنْجَالُ أَوْيَ مَعْهُ وَالْطَّيْرُ وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ [١٠] أَنْ أَعْمَلَ سَبِيعَتِ وَقَدَرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [١١]﴾ [سبأ: ١٠ - ١١].

ويقول تعالى: في سورة «ص» أمراً شيخ المرسلين محمدًا ﷺ بالاقتداء في الصبر بـداود عليه السلام: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَذَكْرُ عَبْدَنَا دَاؤِدَ ذَا الْأَيْدِي إِنَّهُ أَوَّلُ [١٧] إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعْهُ يُسَيِّحَنَ بِالْعَشَّيِ وَالْإِشْرَاقِ [١٨] وَالْطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهُ أَوَّلُ [١٩] وَشَدَّدْنَا مُلْكَهُ وَأَيَّنَنَهُ الْحَكْمَهَ وَفَصَلَ الْحَطَابِ﴾ [ص: ١٧ - ٢٠].

وقد افترى اليهود على داود عليه السلام أكاذيب كثيرة، كما كذبوا على أنبياء الله من قبله ومن بعده، وقتلوا بعض الأنبياء، فقد أدعوا أن داود خرج يتمشى على سطح بيت الملك مساءً، فوجد امرأة جميلة تغتسل، فأرسل رجالاً فأخذوها وجاوزوا بها إلى داود، فدخلت عليه فاضطجع معها وحبلت منه، وأنه عمل على قتل زوجها، فقد جاء في الإصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني الذي يأيدهم في الفقرة الثانية منه: وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك؛ فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً. وفي الفقرة الثالثة فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد: أليست هذه بشیع بنت أليعام امرأة أوريا الحشی؟ وفي الفقرة الرابعة: فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها، وفق الفقرة الخامسة: «وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلى»، وبعد أن يسوق سفر صموئيل الثاني محاولة داود التخلص من أوريا زوج المرأة وإرساله إلى الحرب ليقتل، بعد ذلك يقول السفر في الفقرة ٢٦: فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلاً ندببت بعلها، وفي الفقرة ٢٧ ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته، وصارت له امرأة وولدت له ابنًا، وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب. ثم يتبع السفر المذكور سرد معاتبة الرب لداود وإمامته الله للولد الذي جاءت به بشیع، ثم توبية داود وصيامه، ثم دخوله على امرأة أوريا واضطجاعه معها فتحبل وتلد ولدًا اسمه سليمان، والعجيب الغريب أن هذه الأكذوبة انطلت على بعض من يتنمي إلى علم التفسير ففسروا بها قوله الله تعالى:

﴿وَهَلْ أَتَنَاكُمْ نَبْيَانًا مُّبِينًا إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاؤِدَ فَفَزَعُوا مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفُّ حَسَّانٍ بَعْنَ بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فَأَخْمَمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا شُطُطٌ وَاهِدِنَا إِلَى سَوَاءِ الْمُرْتَبِ ﴾٢١﴾  
 ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تَسْعُ وَسَعْوَنَ تَعْجَةٌ وَلِيَ تَعْجَةٌ وَجَهَهٌ فَقَالَ أَكْهَلْنَاهَا وَعَزَّزَ فِي الْخُطَابِ ﴾٢٢﴾  
 قَالَ لَقَدْ ظَلَمْكَ سُؤَالٌ تَعْبَنَكَ إِنَّ يَنْعَمْهُ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخَلَطَاءِ لَيَسْتِي بَعْصُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَلَّ دَاؤِدُ أَنَّمَا فَنَنَّهُ فَاسْتَغْفِرَ رَبَّهُ وَحَرَ رَأْكَعًا وَأَنَّابَ ﴿٢٣﴾  
 فَغَفَرَنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَرْفَنَ وَحُسْنَ مَعَابٍ﴾ [ص: ٢١ - ٢٥].

وتفسير هذه الآيات بأن داود عشق امرأة أوريا وقهره على التنازل له عنها، وسعى في قتلها حتى قتل، وكان لداود تسع وتسعون امرأة، ولأوريا هذه المرأة الواحدة، ومجيء ملكين في صورة متخاصمين لداود لتنبيهه على قبح ما فعل: أقول: إن تفسير هذه الآيات الكريمتات بهذا هو تفسير عاطل باطل فاسد كاسد، وإنك مفتري مبتدع يأبه لنفسه السوقه والرعام، ومكر يهودي مخترع تمجه الأسماع وتنفر منه الطياع؛ ولذلك أثر أن علياً رضي الله عنه قال: من حديث داود على ما يرويه القصاصون جلدته مئة وستين جلدة، وهي حد الفريمة على الأنبياء، كما أثر أن رجلاً صالحًا من أهل العلم كان جالساً مع عمر بن عبد العزيز بالمسجد وبالقرب منهما رجل يقص على الناس هذه القصة المختربة على داود، فقال الرجل الصالح: يا هذا! إن كان الأمر على خلاف ما تزعم فقد افترى على نبي الله داود، وإن كان على ما تزعم وستر الله على نبيه داود وكفى وقال نعجة ولم يقل امرأة فما يحل لك أن تفضح نبي الله داود، فقال عمر بن عبد العزيز: هذا الكلام أحب إلىي مما طلعت عليه الشمس.

والى الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الثاني والستون

### تابع: داود وسليمان ﷺ

ذكرت في ختام الفصل السابق أن تفسير من فسر قوله تعالى: «وَهُلْ أَتَنَاكَ نَبْرًا الْحَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ» [ص: ٢١] إلى قوله: «وَخَرَ رَأْكُمَا وَأَنَابَ» [ص: ٢٤] بأن داود عشق امرأة أوريا وقهره على التنازل له عنها، وسعى في قتلها حتى قتل، وتفسير النعجة في الآية بأنها المرأة، قلت: إن هذا تفسير عاطل باطل فاسد كاسد وإفك مبتدع يأبه لنفسه السوقه والرعاع، ومكر يهودي تمجه الأسماع، وتنفر منه الطبع، وأذكر هنا أن سياق القرآن يأبه، فإن الله تبارك وتعالى ذكر في مقدمة هذه السورة إلى قوله تعالى: «وَقَالُوا رَبِّنَا يَعْمَلُ لَنَا قَطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ» [ص: ١٦]. ما لقيه رسول الله ﷺ من أذى قومه وتمالئهم عليه واستهزائهم به، فأمره الله ﷺ بالصبر على ما يقولون، وأمره بأن يذكر قصة العبد الصالح الأول داود ﷺ، ثم قصة سليمان ثم قصة أيوب، وما أصحابهم من الضيق فصبروا، فجاءهم الفرج من عند الله، والمعروف أن القرآن العظيم كالدر النظيم، كل آية مرتبطة تمام الارتباط بما قبلها وبما بعدها، فهل يأمر الله ﷺ رسوله محمدًا ﷺ بالصبر اقتداءً بدواود العبد الصالح الأول، ثم يصف هذا الأول بأنه العاشق الطامع في زوجة رجل مؤمن ليس له غيرها، ولداود تسع وتسعون امرأة، إن ذلك لمنكر من القول وزور، وإنما يأمر الله رسوله محمدًا ﷺ في هذه الآيات بالصبر على أذى قومه له، ويذكره بما كان من أخيه العبد الصالح الأول داود عندما تسور عليه المحراب - أي القصر - متخاصمون، ففزع منهم وخاف أن يغتالوه، ولما طمأنوه بأنهم لم يجيئوا للحق أذى به وإنما جاؤوا متخاصمين. وتقدم المدعى وقال مشيراً إلى المدعى عليه: إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة أي شاة من الغنم، ولدي نعجة واحدة، أي شاة من الغنم واحدة، وأنه رحمني في أول الأمر

عندما رأى أسرح بها وحدها، فطلب مني أن يجعلها مع نعاجه لترعى معها دون مشقة عليّ. فلما مضت مدة وجيئت لأطلبها منه أنكر حقي فيها وقهريني، وجدت أن تكون لي عنده شاة وادعى أنها ملكه، فلما سمع داود عليه السلام الدعوى ولم يسمع من المدعى عليه إنكاراً لما يقول المدعي حكم داود على المدعى عليه وقال للمدعي: لقد ظلمتك بسؤال نعاجتك إلى نعاجه وإن هذا دأب الخلطاء الذين لا يخافون الله بخلاف المؤمنين الصالحين وهم قليل، فلما انصرفوا من عنده راضين بحكمه عاتب نفسه على الفزع منهم، وظن أنه فتن بسبب فزعه منهم عندما رأهم يتسرعون المحراب، فخرّ للله راكعاً وأناب فغفر الله ما وقع منه.

وكان الله تعالى يقول لشيخ المرسلين وإمام المتقيين وسيد أولي العزم محمد صلوات الله عليه: إياك أن تفزع من تهديدات قريش لك، واذكر قصة أخيك العبد الصالح الأواب داود عليه السلام عندما تسرور عليه المحراب متخاصمون فزع منهم؛ فاعتذر إلى الله من هذا الفزع وظن أنه لا يليق بالنبيين والمرسلين، فأنت أولى أن لا تفزع من قريش مهما تمالموا عليك وهددوك، فإن العاقبة الحسنة في الدنيا والأخرة لك، والله يعصمك من الناس، وليس في قصة داود في سورة ص ذكر حب وغرام واعتداء على امرأة رجل مؤمن في عصمة زوجها؛ بل لا ذكر للمرأة أبداً في هذه القصة، وإنما فيها ذكر النعجة، والعرب - كما ذكرت في مقدمة هذا الكتاب قصص الأنبياء في الفصل الثاني - لا يسمون المرأة نعجة، وإنما يطلقون النعجة على أنثى الضأن أو بقر الوحش فقط، ولا ترضى المرأة أبداً أن تُشبه بأنثى الضأن، ولكنها ترضى أن تشبه بنعاج الفَلَأَ، أي بقر الوحش، فإذا شبّهت المرأة بالنعمجة فإنما يراد بها المَهَا، وهي بقر الوحش على حد قول الشاعر في امرأتين:

لدى جؤذرين أو كبعض دُمَى هَكِير

وت المالية مكان بين بيشة والنماص كانت توجد فيه بقر الوحش بكثرة، وجؤذرين ثانية جؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية، ودُمَى هَكِير: الدُمَى جمع دُمْيَة وهي صور الرخام، وهَكِير موضع فيه هذه الصورة، ويقال هو ذِير رومي أو قصر؟

فالمرأة تفرح إذا شبهت ببقر الوحش لجمال عيونها؛ وحسن عنقها ولذلك قال الشاعر:

عيون المها بين الرُّصافة والجسر  
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى  
وقال الآخر:

إن العيون التي في طرفها حور  
يصرعنَّ ذا اللب حتى لا حراك به  
والمعروف أن بقر الوحش لا يسرح تحت كفالة راع، فإطلاق النعجة على المرأة  
ليس بالوضع العربي، وإنما يأتي على سبيل التشبيه ببقرة الوحش لا بأثرى الضأن.

قال أبو حيان في تفسيره المعروف بالبحر المحيط عند قوله تعالى: «إِنَّ هَذَا أَخْيَرَ لَهُ تَسْعُ وَسَعْوَنَ تَجْهَةً وَلَيَ تَجْهَّهْ وَنَجْدَةً» [ص: ٢٣] قال: والظاهر إيقاء لفظ النعجة على حقيقتها من كونها أنى الضأن، ولا يكفي بها عن المرأة ولا ضرورة تدعو إلى ذلك، ثم قال أبو حيان: والذي يذهب إليه ما دل عليه ظاهر الآية من أن المتسرعين المحراب كانوا من الإنس دخلوا عليه من غير المدخل، وفي غير وقت جلوسه للحكم، وأنه فزع منهم ظاناً أنهم يغتالونه إذ كان منفرداً في محاربه لعبادة ربه، فلما اتضحت له أنهم جاؤوا في حكومة وبرز منهم اثنان للتحاكم كما قص الله تعالى، وأن داود عليه السلام ظن أن دخولهم عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة إنفاذ من الله له أن يغتالوه، فلم يقع ما كان ظنه، فاستغفر من ذلك الظن، ولذلك أشار بقوله: «فَفَقَرَرْنَا لَهُ ذَلِكَ» ولم يتقدم سوى قوله: «وَرَأَنَّ دَاؤِدُ أَنَّمَا فَتَنَّنَهُ» ويعلم قطعاً أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شيء منها ضرورة أن لو جوَّزا عليهم شيئاً من ذلك بطلت الشرائع ولم نشق بشيء مما يذكرون أنه أوحى الله به إليهم. ا.هـ.

أما قول البخاري رضي الله عنه في كتاب أحاديث الأنبياء من صحيحه: يقال للمرأة نعجة، ويقال لها أيضاً شاة، فقد أشار الحافظ ابن حجر في فتح الباري إلى أنه استقى ذلك من أبي عبيدة معمراً بن المثنى حيث قال: قال أبو عبيدة في قوله: «وَلَيَ تَجْهَّهْ وَنَجْدَةً» أي امرأة، قال الأعشى:

**فرميت غفلة عينه عن شاته فأصبحت حبة قلبها وطحالها**

والمعروف عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه كان يتأنى بعض ألفاظ القرآن على أن ذلك من مجاز القرآن، وقد أنكر عليه كثير من الأئمة في هذا السبيل، وهو ليس من الثقات في نقل الأخبار، وإطلاق الأعشى لفظ الشاة على المرأة إنما أراد بالشاة البقرة الوحشية تشبيهاً لها بها، وقد قال الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ لما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى: وليس هو بصاحب حديث، بل سبق قلمي بكتابته .أ.ه.

وقد قال ابن كثير في قصة داود من البداية والنهاية: وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف هاهنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيليات ومنها ما هو مكذوب لا محالة تركنا إيرادها في كتابنا قصداً، اكتفاءً واقتصاراً على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وقال في تفسيره بعد سياق الآيات: قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذه من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنه؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة، فال الأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله تعالى.

والى الفضل القادر أن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





### الفصل الثالث والستون

## تابع: داود وسليمان ﷺ

أجزل الله تعالى لداود النعمة فاتاه الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ووهب له العبد الصالح والملك الكريم والنبي العظيم الأول سليمان بن داود، وقد نشأ سليمان ﷺ في حجر داود، وترعرع في بيت النبوة والملك، وعندما بلغ الحلم ملأه الله حلماً أي أنا وعقلًا، وكان يحرض على مجالس حكم أبيه داود ﷺ، ليشهد قضاة بين الناس، وقد كان يشير أحياناً على أبيه بأنه لو كان هو القاضي في هذه القضية لحكم بغير ما حكم أبوه، وقد ذكر القرآن العظيم صورة من صور هذه القضايا، فذكر الله تبارك وتعالي في سورة الأنبياء قضية الحrust إذ نفشت فيه غنم القوم، أي انتشرت فيه ليلاً بلا راع فأفسدت الزرع، فيذكر أن داود قضى بالقيمة لصاحب الزرع، فقال سليمان ﷺ: لو كنت أنا القاضي لقضيت بغير ذلك، فقال أبوه داود ﷺ: بم كنت تقضي يابني، قال: أدفع الغنم إلى أصحاب الزرع فينفعون بآليتها ومنافعها، ويقوم أصحاب الغنم بإصلاح الحrust حتى يعود كما كان، فيرد إلى أصحابه وترد الغنم إلى أصحابها، ففضل الله تبارك وتعالي حكم سليمان، وذكر أنه فهمه الحكم في هذه القضية، ولا يحيط بذلك من قدر داود ﷺ؛ لأن فرحة بتوفيق ابنه للحكم في القضية لا يقل عن فرحة لو كان فهمها هو كذلك، ولذلك مدح الله تعالى داود وسليمان معاً فقال: ﴿وَكُلُّا إِلَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وليس حكم داود هنا خطأ، ولكن حكم سليمان في هذه القضية أولى منه، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمُانَ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَّثْتُ فِيهِ غَنْمًا لِقَوْمٍ وَكُلُّا لِحُكْمِهِمْ شَهِيدِينَ ﴾٧٨﴿ فَفَهَمْنَاهَا سُلَيْمَانُ وَكُلُّا إِلَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: 78 - 79].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: أما الأنبياء ﷺ فكلهم معصومون

مؤيدون من الله تعالى. وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف، وأما من سواهم فقد ثبت في صحيح البخاري عن عمرو بن العاص أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر». أ. ه.

كما قص رسول الله ﷺ صورة من صور حكم داود، ثم أظهر سليمان عليه السلام أنه لو كان القاضي في هذه القضية لقضى بغير ذلك، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ قال: «كانت أمتان معهما ابنهما جاء الذئب فذهب بابن إداحهما، فقالت صاحبتهما: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى؛ فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال: ائتوني بالسكنين أشفعهُ بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها، فقضى به للصغرى».

وقد استمر داود في حكمه وملكه ما شاء الله تعالى، فلما أدركه الموت أرسل الله تعالى سليمان عليه السلام وجعله ملكاً كريماً ورسولاً عظيمًا، وعلمه منطق الطير، وجعله أحد الأئمة من الرسل الذين أمر رسوله محمد ﷺ بالاقتداء بهم.

وقد بدأ ذكر داود وسليمان بعد ذكر نوح عليه السلام في سورة الأنعام حيث يقول تعالى: «وَتِلْكَ حُجَّتَا إِاتَّيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَزَفَ دَرَجَاتٍ مَّنْ شَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلَيْهِمْ ۝ وَوَهَبَنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۝ كُلُّا هَدَيْنَا ۝ وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلِ وَمِنْ دُرِّيَّتِهِ دَاؤِدَ وَسَلَيْمَانَ وَأَيُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَذِرُونَ ۝ وَكَذَلِكَ هَبَّنِي الْمُحَسِّنِينَ ۝» [الأنعام: ٨٣ - ٨٤].

وبعد أن ذكر مجموعة من المرسلين قال لحبيبه محمد ﷺ: «أُولَئِكَ الَّذِينَ إِاتَّيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرُوا هُوَلُؤَاءٌ فَقَدْ وَكَنَّا بِهَا قَوْمًا لَّيَسُوْءُهُمَا بِكَفَرِهِمْ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمْ هُدًىٰ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَيْنَهُ أَجْرًا إِنَّ هُوَ إِلَّا ذَكْرٌ لِّلْعَلَّمِينَ ۝» [الأنعام: ٩٠ - ٩١]، ولذلك سجد رسول الله ﷺ في سورة «ص» لما قرأ سجدة داود، فقد روى البخاري في صحيحه من طريق مجاهد قال: سألت ابن عباس (يعني عن سجدة ص) من أين سجدت؟ قال: أو ما تقرأ: «وَمِنْ دُرِّيَّتِهِ دَاؤِدَ

وَسُلَيْمَانَ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِهِمْ أَفَعَلُونَ﴾ [الأنعام: ٩٠] فكان داود ممن أمر نبيكم عليه السلام أن يقتدي به، فسجدها داود عليه السلام فسجدها رسول الله عليه السلام.

وفي قيام سليمان عليه السلام بعد أبيه بالملك والنبوة يقول تعالى في سورة النمل:

﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا دَاؤُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا لَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كُلِّ بَشَرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ١٥ وَوَرَثَ سُلَيْمَانَ دَاؤُدًا وَقَالَ يَكْتَبُهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنْطَقَ الْطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٥ - ١٦]، إذ المراد بالميراث هنا هو ميراث الملك والنبوة لا ميراث المال، ففي الصحيحين أن رسول الله عليه السلام قال: «إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة».

وكما أن اليهود كذبوا على داود عليه السلام واحتلقوه عليه أشياء كثيرة، فقد أكثروا من الكذب على سليمان عليه السلام واتبعوا في ذلك الشياطين، وزعموا أن سليمان عليه السلام كان يحكم بواسطة خاتمه السحري وأنه كان ساحراً، وأنه كان إذا دخل بيت الخلاء دفع الخاتم لزوجته لما فيه من ذكر الله حتى يخرج من الخلاء، وأن الشيطان جاء إلى امرأة سليمان في صورة سليمان فدفعت إليه الخاتم، فذهب الشيطان وجلس على كرسي الملك يحكم في بني إسرائيل، وأن سليمان لما خرج من بيت الخلاء قال لأمرأته: هات الخاتم، فقالت: قد خرج سليمان قبلك وأخذه، وأنكرت سليمان، فهام سليمان على وجهه حتى عمل عند صياد، فكان الصياد يعطيه أجرته عن كل يوم سمكتين، كان يبيع سمكة يشتري بثمنها خبزاً، ويطبخ السمكة الأخرى، وأنه استمر على ذلك أربعين يوماً، ثم إن بني إسرائيل قاموا على هذا الشيطان الجالس على كرسي سليمان فهرب منهم - ولا أدرى كيف لم ينفعه الخاتم - وألقى بالخاتم في البحر فابتلاعه سمكة، ثم وقعت في شبак الصياد، فلما دفع سليمان أجرته سمكتين باع واحدة وطبخ الأخرى وهي التي كان في جوفها الخاتم، فلما فتحها وجد خاتمه، فلبسه ورجع إلى ملكه.

والعجب أن هذا الإفك تسرب إلى بعض أكابر أهل العلم فصدقوه حتى تجد أكثر كتب التفسير في قوله: «وَلَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى كُرْسِيهِ جَسَداً» [ص: ٣٤] يقولون شيئاً، وانتشر على ألسنة العامة والخاصة ذكر خاتم سليمان، وخواصه، مع

أن الله تبارك وتعالى نَبَّهَ في سورة البقرة إلى كذب اليهود على سليمان اتباعاً للشياطين في هذا الباب حيث يقول عَزَّلَهُمْ: «وَأَبْعَدُوا مَا تَنَوُّ الشَّيْطَنُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَنَ كَفَرُوا يُعَمِّلُونَ النَّاسَ السِّرَّ» [البقرة: ١٠٢]

الآية، مع أن رسول الله ﷺ فسر فتنة سليمان وإلقاء الجسد على كرسيه بأنه: حلف ليطوفن على مئة من نسائه فتحمل كل واحدة منها بفارس يحمل السلاح ويتجاهد في سبيل الله، ونسبي أن يقول: إن شاء الله، فطااف عليهن فلم تحمل إلا واحدة جاءت بشق ولد، فأخذ وألقي على كرسيه فاعتذر إلى الله عَزَّلَهُمْ فقبل الله معتذرته، وأنه ما طلب الولد تكثراً وافتخاراً وإنما ليقاتلوا في سبيل الله فقبل الله منه وأبدله **﴿أَرَيْتَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءَ حَيْثُ أَصَابَ﴾** [٢٦] **﴿وَالشَّيْطَنَ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِ﴾** [٢٧] **وَهَامِرِينَ مُقْرَّنَنِ فِي الْأَصْفَادِ﴾** [ص: ٣٨ - ٣٩].

والى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الرابع والستون

# تابع: داود وسليمان

ذكرت في ختام الفصل أن رسول الله ﷺ فسر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤] بقصة حلفه على أن يطوف على مئة من نسائه لتجبل كل واحدة منها وتأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، ونسى أن يقول: إن شاء الله، فطاف عليهن فلم تجبل إلا واحدة جاءت بشق ولد فأخذ وطرح على كرسيه، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة بمئة امرأة تلد كل امرأة منها غلاماً يقاتل في سبيل الله، ونسى أن يقول: إن شاء الله، فأطاف بهن فلم تلد منهن امرأة إلا واحدة نصف إنسان، فقال رسول الله ﷺ: «لو قال: إن شاء الله لم يحيث، وكان دركاً لحاجته». وفي لفظ للبخاري: «فلم تحمل شيئاً إلا واحداً ساقطاً أحد شقيه»، فقال النبي ﷺ: «لو قالها لجاهدوا في سبيل الله»، فاعجب كيف ترك بعض العلماء هذا التفسير الثابت عن رسول الله ﷺ لفتنة سليمان وأتوا بأكاذيب اليهود والشياطين.

قال ابن كثير في قصص الأنبياء من البداية والنهاية: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤] ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين لها آثاراً كثيرة عن جماعة من السلف، وأكثرها أو كلها متلقاة من الإسرائيليات، وفي كثير منها نكارة شديدة، وقد نبهنا على ذلك في كتابنا التفسير، واقتصرنا هنا على مجرد التلاوة. ا.ه.

وقد تفضل الله تبارك وتعالى على سليمان فمنحه الكثير من أسباب القوة، وعوّضه ما يزيد في قوته عن مئة ولد مجاهد فسخر له ﴿الرَّبُّ يَحْرِي يَأْمُرُهُ بِخَاتَمِ أَصَابَاتِهِ وَالشَّيْطَنَ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ ۚ وَآخَرِينَ مُقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۚ هَذَا عَطَّلَنَا فَأَمْنَنَّا﴾ [٢٨]

أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ص: ٣٦ - ٣٩﴾ . وكما أن الله أعز منزلة سليمان في الدنيا فإنه أعد له في الآخرة درجة عالية وحسن مات، وفي ذلك يقول الله عزّل: ﴿وَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَلَقِيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الرَّوْهَبُ ﴿٢٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حِثْ أَصَابَ ﴿٢٦﴾ وَالشَّيْطَنَ كُلَّ بَنَاءً وَعَوْاصِمَ وَآخَرِينَ مُفَرِّيْنَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٢٧﴾ هَذَا عَطَّافُنَا فَامْنُّ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٨﴾ وَلَمَّا عِنْدَنَا لِرْفَنَ وَحْسَنَ مَعَابٍ ﴿ص: ٣٤ - ٤٠﴾ .

وقد وصف الله تبارك وتعالى الريح التي سخرها لسليمان بما يفيد أنها تخضع لإرادة سليمان ﷺ، فإن أحب أن تكون لينة هادئة صارت كذلك، وإن أحب أن تكون عاصفة شديدة سريعة تقطع في الغداة أي من أول النهار إلى الزوال ما يقطع بالسير المعتاد في شهر، وتقطع في الرواح أي في الزوال إلى الغروب ما يقطع بالسير المعتاد في شهر أي ما يقارب ثمانين وأربع مئة ميل في رحلة الصباح ومثلها في رحلة المساء، وإلى ذلك كله يشير قوله تعالى في سورة (ص): ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حِثْ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦] ، وقوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَلِسَلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْنِ﴾ [الأنبياء: ٨١] ، وقوله تعالى في سورة سبا: ﴿وَلِسَلَيْمَانَ الرِّيحَ عُوْدُهَا شَهْرٌ وَرَوْحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبا: ١٢] .

وكما ألان الحديد لداود فقد أсал عين القطر لسليمان ﷺ، أي أذاب له عين النحاس والحديد، فصار النحاس والحديد يخرج من معده كالعين الجارية من الماء دون أن يُشعِّل عليه ناراً؛ تيسيراً له ومدّاً في أسباب قوته، كما سخر له الشياطين وهم مردة الجن فمن دونهم، يعملون بين يديه بأمر ربه خاضعين لا يحرّؤ واحد منهم على الهرب من خدمة سليمان، ولو أراد الهرب لعجل الله بعقوبته، يعملون لسليمان ما يشاء من محاريب - أي قصور عالية مُمَرَّدة من قوارير - فالمحراب القصر، وإطلاقه على ما يعرف باسم القبلة، وهي في العادة تجاويف في جدار المسجد من جهة قبلته للتعریف بها إطلاق المحراب على ذلك من الإطلاقات المحدثة التي لا يعرفها العرب، ومن الأخطاء الفاحشة كتابة قوله

تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَرْقَيَا الْمِعَرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧] على هذه التجاويف فإنها غير مراده من هذه الآية الكريمة، كما كانت الجن تعمل لسليمان ما يشاء من التماشيل أي زخارف الجدران من صور الأشجار والزهور ونحوها، كما كانوا يصنعون قصاعاً كباراً كأنها الحياض يقدم فيها الطعام، كما كانوا يعملون له قدوراً لطبع الطعام ثابتة لا تحرك من مكانها لضخامتها، كما كانت الجن تقوم بأعمال الغوص لاستخراج الجوافر، وفي ذلك كله يقول الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَعْوَصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكَذَا لَهُمْ حَفِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٢].

ويقول في سورة سباء: ﴿وَأَسْلَنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَنَالَ الْجِنْ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَلِدُنْ رَبِّهِ وَمَنْ يَزْغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذَقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَحِفَانٍ كَلْبَوَابٍ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا إَلَّا دَاؤُدَ شَكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الْشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٢ - ١٣].

ويقول في سورة (ص): ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِ ﴿٢٧﴾ وَآخَرِينَ مُفْرَنِينَ فِي الْأَسْقَادِ ﴿٢٨﴾ هَذَا عَطَافُنَا فَامْتُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لِرْفَقَ وَمُحْسَنَ مَعَابِ﴾ [ص: ٣٧ - ٤٠].

وكما سخر الله لداود الطير محشورة تؤوب وتبسج الله بتسييحه فكذلك سخر الطير لسليمان يجمعها متى شاء ويعلم لغاتها ولغات الحشرات، وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة النمل: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنَ دَاؤُدَ وَقَالَ يَتَأْيَاهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنْطَقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿٣١﴾ وَحُسْنَرَ لِسَلَيْمَنَ جُنُودُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ وَالْطَّيْرِ فَهُمْ يُؤْرَعُونَ﴾ [النمل: ١٦ - ١٧] (أي يجتمعون عنده ويسرون بسيره ولا يتقدم أحد على مرتبته ولا يشذون عن إرادته).

وقد قصَّ الله تبارك وتعالى قصة إحدى هذه المسيرات، فذكر أنه من بجنوده هؤلاء على وادي النمل، فسارت نملة إلى نصح جماعتها بالدخول في مساكنهم والابتعاد عن مسيرة سليمان وجنوده حتى لا يحطموهم دون علم منهم، فعرف سليمان لغتها وسمع نصحتها لقومها فضحك، وسأل الله تعالى أن يُوزِعَهُ شكر

نعمه التي أنعم بها عليه وعلى والديه، وأن يعمل صالحًا يرضاه الله، وأن يدخله برحمته في عباده الصالحين، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿حَقٌّ إِذَا أَتَوْنَا عَلَىٰ وَإِذَا أَنْتُمْ قَاتُلُتُمْ نَمَلًا يَكَائِنُوا أَنْتُمْ أَدْخُلُونَ مَسَكِنَكُمْ لَا يَمْطِئِنُونَ شَيْءٌ مِّنْ وَجْهِنَّمَ وَهُنَّ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ فَبِسْمِ صَاحِحًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أُوزِعُنِي﴾ (أي الهمني) «أَنَّ أَشْكُرُ لِعْمَتَكَ الَّتِي أَغْمَتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلِدَعَ وَأَنَّ أَعْمَلَ صَلِيلًا تَرَضَنِهِ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ» [النمل: ١٨، ١٩].

وفي قصة النملة لفت انتباه الناس إلى آيات الله في الكون، وما في العالم من أمم، وما لهذه الأمم من المعارف والسلوك، وما يكون في هذه العجماءات من التناصح وحب الخير لبعضها، فإن هذه النملة قد أمرت وحدرت، واعتذررت عن سليمان وجندوه بأنهم لا يتعمدون الإضرار بأحد، ولا شك أن الدارس لأخلاق النمل والنحل وغيرها من العوامل يجد آيات شاهداتٍ بأنه رب كل شيء وسيده ومليكه، وأنه لا ينبغي الاعتداء على شيء من خلق الله بلا حق، ولذلك روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قرصت نبياً من الأنبياء نملة، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه: أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبيح؟ فهلا نملة واحدة». .

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله ربكم.



## الفصل الخامس والستون

### تابع: داود وسليمان ﷺ

كان سليمان ﷺ شديد العناية بجنوده من الجن والإنس والطير، وكان يتفقدهم ولا يغفل التفتيش عليهم ليطمئن على انبساطهم، وفي أثناء التفتيش تفقد الطير ولم يجد الهدى فقال: ما لي لا أرى الهدى؟ شيء يسراه عنى أم هو غير حاضر؟ فلما تأكد أنه غير موجود قال: لأعذبه عذاباً شديداً دون قتله أو لاقتلنه إلا إذا جاء بعدن مقبول يدفع العقوبة عنه، ولم تُطل غيبة الهدى حتى حضر إلى سليمان ﷺ وبادره بقوله: علمت ما لم تعلم وجئت من أرض اليمن من مملكة سبا بخبر عظيم قاطع لا شك فيه ولا ريب، إنني رأيت امرأة تتولى مملكتهم، وقد أعطيت جميع أسباب ما يرغب في اقتنائه الملوك المقتدرة من الرغد والسعنة والأبهة، ولها عرش فاخر، وجدتها مع قومها سبا أبناء يشجب بن يعرب يعبدون الشمس ويسجدون لها من دون الله، وقد زخرف الشيطان لهم طريق الشرك، فصدتهم عن الحق وحال بينهم وبين إخلاص العبادة لله وحده الذي لا يجوز لأحد أن يعبد شيئاً سواه، فهم بالرغم من افتتاح الدنيا عليهم وتقلبهم في نعماء الله لا يهتدون إلى توحيد الله، يا حسرة عليهم لماذا لا يسجدون لله وحده الذي يعلم غيب السموات والأرض، ولا يخفى عليه شيء فيها، ولو كانت الخبيثة مثقال ذرة في السموات أو في الأرض يأتي بها الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم.

وفي تهجين الهدى لما تفعله مملكة سبا هي وقومها من عبادة غير الله لفت انتباه الناس إلى تقرير الحقيقة الكبرى التي من أجلها خلق الخلق وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وأن الهدى في هذا السبيل أعقل من كثير من الناس وأهدى. ولم يسارع سليمان ﷺ إلى تصديق الهدى أو تكذيبه، بل توقف في قبول خبره حتى يقف على حقيقة هذا الأمر، وكتب كتاباً فيه: «من شئمن»

﴿سِمْ لَهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿أَلَا تَقْتُلُوا عَلَى وَأَتُؤْتِي مُسْلِمِينَ﴾ وأمر الهدى أن يكون هو الحامل لهذه الرسالة إليهم، فذهب الهدى وألقى الرسالة على الملكة، ووقف يراقب: ماذا يكون من جوابهم على هذه الرسالة؟ وماذا استحدث من أثر فيهم، وكان ذلك بإرشاد سليمان ﷺ، فلما قرأت الملكة الكتاب جمعت أمراءها وزراءها وكبار مستشاريها و﴿فَلَمَّا يَأْتِهَا الْمَلُوْقُ إِلَيْهِ أَلْقَى إِلَيْهِ كِتَبَ كَرِيمٍ ﴾[٣٩] إِنَّهُ مِنْ شَيْءَنِنَّ وَإِنَّهُ سِمْ لَهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾[٣٠] أَلَا تَقْتُلُوا عَلَى وَأَتُؤْتِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٢٩ - ٣٠].

وقالت ملكة سباً أيضاً: يا أيها الملاً اشروا عليَّ بما ترون في هذا الأمر، فإني لا أقطع برأي ولا أستبد في أمر دون مشورتكم وأخذ رأيكم، فأجابوها بأنهم جميعاً يدُ واحدة أقوياء أشداء في الحروب، ورأيك مطاع وأمرك نافذ، فانظري أيَّ رأي ترغبين فيه فتحن نسارع إلى طاعتك، ولا نعصي لك أمراً، فأخبرتهم أنها تميل إلى مصانعة سليمان، والتلطف معه ومحاولة اكتساب رضاه؛ لأن الملوك الأقوياء إذا تمكنا من بلد واستولوا عليها بالحرب حصل على أهلها ذلة وصغر وتخريب ﴿وَلَئِنْ مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ [النمل: ٣٥]، وأنظرت الجواب منهم مع رسلي الذين أرسلتهم بالهدية، فلما وصل رسول ملكة سباً بالهدية وعرضها على سليمان ﷺ وكانت أموالاً جزيلة، فردها سليمان ﷺ ولم يقبلها و﴿قَالَ أَتَمُدُونَ بِمَالٍ﴾ [النمل: ٣٦] فما أنعم الله عليَّ به من النبوة والمُلْك خير من جميع ما بأيديكم من زخارف الحياة الدنيا، إنما يفرح بما يقدم إليه من مثل هديتكم من كان من أهل المفاخرة والمكاثرة بزخارف الحياة الدنيا، وقد أعطاني الله ﷺ ما لم يعطه لأحد من ملوك الدنيا المعاصرين لي وغيرهم، ثم أمر رسول ملكة سباً بالرجوع بهديتها، وأعلمه أنه سيغزو بلادهم بجند لا طاقة لأهل سباً بها، وليخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون إن لم ينقادوا لأمر الله ويأتوني مسلمين قبل توجهي بجندوي نحو بلادهم، وأراد سليمان ﷺ أن يضرب لها مثلاً محسوساً على قدرته بإذن الله عليها، فقال: ﴿قَالَ يَأْتِهَا الْمَلُوْقُ أَكُمْ يَأْتِيَنِي بِرَبِيعِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨]، فأجابه عفريت من الجن قائلاً: أنا آتيك به قبل أن ينفضَّ مجلسك هذا وإنني عليه لقادر فلا يعجزني حمله، وأمينٌ فلن أضيّع شيئاً مما فيه من الجواهر، والعفريت هو القوي النافذ في

الأمر المبالغ فيه مع دهاء . ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدُكُمْ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ جَبِيلٌ﴾؛ لأنَّه رسول الله بالكتاب إلى الأنبياء وهو يقرؤه عليهم قال : ﴿إِنَّا مَعَكُمْ بِهِ﴾ في وقت أسرع ، وهو أنَّ أحضر لك عرش الملكة قبل طرفة عين ، وفي الحال رأى سليمان عليه السلام العرش مستقراً أمامه ، فأقبل سليمان على شكر الله تعالى والثناء عليه و﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَلْوَفِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل : ٤٠] ، وأراد سليمان عليه السلام أن ينبه العباد إلى أنه يجب عليهم شكر الله عند تجدد النعم ، وأنَّه لا يجوز لأحد أمده الله بأسباب القوة أن يخطر على باله بأن يثبت لنفسه حولاً أو قوة ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله . وهو على حد قول الشاعر : إياك أعني واسمعي يا جار . ولذلك أتبعه بقوله : ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبَّهُ غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل : ٤٠] .

ولما علم سليمان أن ملكة سباء توجهت إليه أمر بإدخال بعض التعديلات الطفيفة على العرش ليختبر ذكاءها وفطنتها ، فلما جاءت ورأت العرش قيل لها : ﴿أَهَكَنَا عَرْشَكِ﴾ [النمل : ٤٢] ولم يقل : أهذا عرشك؟ لأنَّه لو قيل : أهذا عرشك فقالت : نعم؛ لم يكن نصاً في نجاحها في الاختبار ، فلما قيل لها : ﴿أَهَكَنَا عَرْشَكِ﴾ أي أهوا شبيه بهذا العرش ، فأجابت إجابة القطن الوعي ﴿قَالَتْ كَانَهُ هُوَ﴾ [النمل : ٤٢] فلم تثبت ولم تُنفي ، ولكنها أكدت شدة الشبه بعرشها .

وفرح سليمان والمؤمنون بذلك وشكروا الله على أنهم أسبق منها بالعلم والإسلام ، وكان قد صدتها عن معرفة الله تعالى ما كان عليه قومها من عبادة غير الله ، إنها كانت من قوم كافرين ، فأمرها سليمان عليه السلام بدخول الصرح ، وكان قصراً مملساً بالزجاج ، وأرضه ممَّلَسةً به حتى يحسبه من لا يعرفه ماءً كثيراً يحتاج إلى رفع الثياب عن الساق حتى لا تبتل الثياب ، ولذلك رفعت الملكة ثيابها وكشفت عن ساقيها ، فأخبرها أنه ليس ماء وأنه ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرٍ﴾ ، فرأيقت أن ملكها الذي أوتيت فيه من كل شيء ضئيل بالنسبة إلى ما أعطاها الله لسليمان ، وأعلنت إسلامها وانقيادها إلى أمر الله وطاعة سليمان عليه السلام ، وأقررت بأنها ظلمت نفسها عندما سجدت للشمس وعبدت غير الله ﴿قَالَتْ رَبِّي إِلَيْيَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل : ٤٤] .

والى الفصل القادم أن شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## الفصل السادس والستون

### تابع: داود وسليمان

ساق الله تبارك وتعالى قصة تفقد سليمان الطير وما كان من الهدد، وقصة ملكة سبا، ورسالة سليمان ﷺ إليها بواسطة الهدد، وما كان بينها وبين قومها من حوار في الجواب، وما كان في شأن عرشها، ومجئها إلى سليمان، وقصة الصرح الممرد بالقوارير، ودخولها في الإسلام حيث يقول عزّك في سورة النمل:

﴿وَنَقْدَدَ الْطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِمَا رَأَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاسِدِينَ ٢٠﴾  
 عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا يَجْعَلَهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ٢١﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَاطْتُ بِمَا لَمْ تُخْطِبْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَيِّئَاتِ بَنِي يَقِينٍ ٢٢﴾  
 إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأَوْتَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ٢٣﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّتَّى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ٢٤﴾  
 لَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّةَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلَمُونَ ٢٥﴿الَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ٢٦﴾  
 قَالَ سَنَظُرُ أَصَدَقُ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَذَّابِينَ ٢٧﴿أَذْهَبْتِكَ إِلَيْهَا هَذِهِ هَذِهِ  
 فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ٢٨﴾  
 قَالَتْ يَأْتِيَنَا الْمَلَوْعُ إِلَيْنِي أَلْقِي إِلَيْكَ كُنْتِي كَيْمٌ  
 إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ يَسِّرُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ٢٩﴿أَلَا تَعْلَمُ عَلَىٰ وَأَنْتُوْ مُسْلِمٌ ٣٠﴾  
 قَالَتْ يَأْتِيَنَا الْمَلَوْعُ أَفْتُنِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرَلَ حَتَّىٰ تَشَهَّدُونَ ٣١﴾  
 قَالُوا نَحْنُ أُولَوْ فُؤُودٍ  
 وَأُولَوْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأُخْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَأْمِرُنَ ٣٢﴾  
 قَالَتْ إِنَّ الْمَلَوْعَ إِذَا دَخَلُوا فَرِيزِيَّةَ  
 أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَةَ أَهْلَهَا أَدَلَّةً وَكَذَّالِكَ يَفْعَلُونَ ٣٣﴾  
 وَلِقَ مُرِسَّلَةً إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظَرُهُمْ  
 بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ٣٤﴾  
 فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتَمُدُونِي بِمَا أَتَيْنِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا  
 بَلَّ أَسْتُرْ بِهَدِيَّكَ لَنَرْجُونَ ٣٥﴾  
 أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِنَهُمْ بِخُسُودٍ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنَخْرُجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَدَلَّةً  
 وَهُمْ صَغِيرُونَ ٣٦﴾  
 قَالَ يَأْتِيَنَا الْمَلَوْعُ أَيْتُكُمْ يَأْتِيَنِي بِعِرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونَ مُسْلِمِينَ ٣٧﴾  
 قَالَ عَفَرِيتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا عَائِلُكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَلِيَ عَلَيَّ لَقْوَىٰ أَمِينٌ ٣٨﴾  
 قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عَلِمٌ

مِنَ الْكُتُبِ أَنَا إِلَيْكَ يَهُوَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقْرًا عِنْدُهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِسْلُوْنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِّيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤١﴾ قَالَ نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَظَرٌ أَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْدَوْنَ ﴿٤٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهْنَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَانَهُ هُوَ وَأَوْتَنَا الْعِلْمَ مِنْ قِبَلِهَا وَكَمَا مُسْلِمِينَ ﴿٤٣﴾ وَصَدَهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَيْهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَفِيرِينَ ﴿٤٤﴾ قِيلَ لَهَا أَدْخُلِي الْصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَبَّتْهُ لِجَهَةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيَهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعْ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ [النمل: ٢٠ - ٤٤].

كما ذكر الله تبارك وتعالى صورة أخرى من صورة اهتمام سليمان بالات الحرب، فذكر حرصه على تفقد الخيل لما لها من أثر كبير في قتال أعداء الله، فأشار تبارك وتعالى إلى أنه قد عرض على سليمان في وقت العاشي وهو ما بعد الزوال إلى الغروب **الخيل الصافنات**، وهي التي إذا كانت واقفة قامت على ثلاثة قوائم منها، ثم جعلت الرابعة من قوائمها - أي يديها ورجليها - على طرف الحافر استعداداً للجري، وكانت هذه الخيل كلها مختارة من الجياد السريع السابق، فأخذ ساستها في عرضها على سليمان، وبدأت مسيرة أولها من أمامه حتى غاب آخرها عنه إما بسبب انتهاء البصر أو بسبب حاجز آخر من جبل أو غيره، فقال لساستها والمسؤولين عن رعايتها وملحوظتها: ردوها عليّ، فردوها عليه، وكانت قد أصابها الغبار وظهر في سوقها وأعناقها؛ لأنها يكثر فيها العرق فيلتصق به الغبار، فأخذ سليمان **الخيل** من شدة عنایته بها وحرصه عليها ولتنبيه الناس إلى فضلها؛ «لأنها معقود في نواصيها الخير»، أخذ يمسح بيديه سوقها وأعناقها ليبعد الغبار عنها، وكان قد قال لمن حوله عند عرض الخيل عليه: إن الله أحببت الخير حباً شديداً عن ذكر ربِّي، أي أحببت الخيل حباً عظيماً بسبب أن الله تعالى أثني لي عليها ومدحها لي ونبهني إلى فضلها، والخيل يطلق عليها اسم **الخير**، لكثرة خيرها، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيمة» كما رواه البخاري من حديث ابن عمر **رضي الله عنهما**، ولا ينبغي أن يخطر على بال مسلم أن قوله: «أَحَبَّتُ حَبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي» [ص: ٣٢] أنه

أحب الخيل، على صلاة العصر وكان قد ضيّع صلاة العصر بسبب عرضه للخييل، فهذا كذب مفترى على سليمان عليه السلام، وأنت قد تقول: أنا أحببت أبا بكر عن محمد رسول الله عليه السلام وتعني أنك أحببت أبا بكر عليهما سبب حب رسول الله عليهما له، وعن طريق ذكره وثنائه عليه عليهما فلاب يخطر ببال مسلم أنك تريد أنك تحب أبا بكر أكثر من رسول الله عليهما إذ هذا المعنى لا يخطر ببال مسلم.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى قصة عرض الخيل على سليمان في سورة (ص) حيث يقول: ﴿إِذْ عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشَّيِ الصَّفَنَتُ لِلْحَيَادِ﴾ [١] فَقَالَ إِنِّي أَحَبِّتُ حُبَّ الْحَيَّرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتِ بِالْحِجَابِ [٢] رُدُوْهَا عَلَى فَطْفَقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣١ - ٣٣] أما إرجاع الضمير في قوله تعالى: «رُدُوْهَا عَلَى» إلى الشمس أو أنه طلب من الملائكة إرجاع الشمس حتى يصلى العصر مع أنه لا ذكر للشمس أبلة في هذا السياق الكريم، فهو من دسائس اليهود، وقوله على الله بلا علم.

هذا وقد أشار رسول الله عليهما إلى أن التسلط على الجن قد اختص الله تعالى به نبيه سليمان عليهما إجابة لدعوته حيث قال تعالى عن سليمان عليهما: ﴿قَالَ رَبِّي أَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ﴾ [٣] فَسَخَّرَنَا لَهُ الْرِّيحُ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُغْنَاهُ حَيْثُ أَصَابَ [٤] وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِ﴾ [ص: ٣٥ - ٣٧] فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عن النبي عليهما السلام قال: «إن عفريتاً من الجن تقلّت على البارحة ليقطع عليَّ صلاتي فأمكنتني الله منه فأخذته، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان ﴿رَبِّي أَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ فرددته خاسئاً».

وقد استمر سليمان بن داود عليهما في تسخير الجن يعملون بين يديه بإذن ربِّه، وأراد الله تعالى أن يبطل دعوى بعض الناس أن الجن يعلمون الغيب، وأنهم قادرون على التسلط على الناس، حتى كان بعض أهل الجاهلية إذا نزلوا وادياً استعادوا بشيخ الجن من سفهائهم، يقولون نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، كما قال الله تعالى في ذلك: ﴿وَأَنْتَمْ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُودُونَ يَرْجِعُونَ مِنَ الْجِنِّ فَرَادُوهُمْ رَهْفَاتٍ﴾ [الجن: ٦] أراد الله تعالى أن يضرب مثلاً على أن الجن لا يعلمون

الغيب، فقبض سليمان بن داود عليه السلام وهو قائم يراقب أعمال الجن بين يديه، وقد اتكاً على منساته أي عصاه، وقد مات وهو قائم ممسك بعصاه، والجن في أشغاله الشاقة بين يديه لا يعلمون أنه مات، حتى أراد الله إظهار موته فسلط دابة الأرض وهي الأرض فأكلت العصا من أسفلها، فلما سقط على الأرض أيقن الإنس والجن أنه مات، وعلمت الجن أنهم لا يعلمون الغيب، إذ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في هذا العمل الشاق، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا  
قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّمُ عَلَى مَوْبِدٍ إِلَّا دَابَّةٌ أَرَضٌ تَأْكُلُ مِنْ سَائِنَهُ فَلَمَّا خَرَّتِ  
الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَيَشُوْ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤] سلام على سليمان في المرسلين. والحمد لله رب العالمين.

رَبِّ الْفَضْلِ الْقَادِمِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.





## الفصل السابع والستون

### زكريا ويحيى

نتحدث إليكم عن رسولين كريمين من رسل الله المسارعين في الخيرات الداعين إلى الله رغباً ورهاً، الخاشعين لله وهم زكريا ويحيى عليهما السلام، وقد أورد الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم ذكر زكريا ويحيى بعد سنتين قليلة منبعثة رسول الله عليه السلام، حيث صدر بهما سورة مريم، وقد نزلت قبل هجرة جعفر بن أبي طالب ومن معه إلى الحبشة، كما أورد الله تبارك وتعالى ذكر زكريا ويحيى في سورة الأنبياء. وهي مكية أيضاً، كما ذكرهما في سورة الأنعام في جملة المرسلين، وسورة الأنعام من السور المكية كذلك، كما ذكرهما الله تعالى في سورة آل عمران وهي مدنية، وقد دار ذكرهما في سورة مريم والأنبياء وآل عمران لإظهار قدرة الله تعالى على كل شيء، وأنه لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، وأن نواميس الكون تجري بإرادته لا بطبعاتها، إذ هو رب كل شيء وسيده ومليكه والمهيمن على شؤون عباده، يؤيد أولياءه، ويستجيب دعاءهم، وينصرهم على أعدائهم ويجعل العاقبة الحسنة لهم؛ ليثبت بذلك فؤاد رسول الله ومن معه من المؤمنين، إذ إنه خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من غير أم، وخلق عيسى من غير أب، وأعطى إبراهيم ولدأً وهوشيخ كبير من زوجته العجوز التي تجاوزت سن اليأس ولا تحمل امرأة مثلها في العادة، كما أنه منح عبد الصالح زكريا ولده يحيى وكان زكريا قد بلغ من الكبر عتيقاً، أي قطع في الشيخوخة شوطاً كبيراً، وقد وهن العظم منه واحتقن رأسه شيئاً، وهو مظهر من مظاهر تحول الإنسان من القوة إلى الضعف على حد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤] وعلى حد قول ابن دريد في مقصورته:

أما ترى رأسي حاكى لونه طرفة صبح تحت أذبال الذجا

## واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جمر الغضا

ومع أن زكريا قد صار إلى هذا الحال من الكبر فإن زوجته كانت عاقراً في شبابها، فلم تحمل أيام شبابها وقد صارت عجوزاً تجمع بين السببين المنافيين للحمل عادة، والظاهر من سياق القرآن العظيم يشعر أن زكريا عليه السلام كان مشتغل القلب بذكر صلاحبني إسرائيل، وأنه كان يرى تعنتهم كشأنهم مع الأنبياء والمرسلين، وأنه كان يخشى أن يستند انحرافهم عن الصراط المستقيم بعد وفاته، وقد وهن عظمه، وبلغ من الكبر عتيّاً، ولم ير في قومه من هو أهل لحمل الرسالة بعده، ونظرأً إلى أن زوجته كانت عاقراً فمن غير المعتاد أن تلد مثلها، فاهتم بذلك اهتماماً شديداً، وقد كانت زوجته أخت مريم ابنة عمران والدة عيسى ابن مريم أو كانت خالتها، وقد مات والد مريم، وتخاصل بنو إسرائيل فيما يكفلها بعد أبيها، واقترعوا على ذلك فوقعت لزكريا عليه السلام. فكفلها زكريا، ووضعها في قصره، وقد لاحظ عليه السلام أنه كلما دخل على مريم في مكانها من قصره **﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمْ أَنَّ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [آل عمران: ٣٧]، وسرعان ما تداعت معاني هذه الحقيقة في نفسه مع ما يتمناه من أن يُمْنَنَ الله عليه بولد صالح يسوسبني إسرائيل، وإن كانت أسباب ولادة ولد له من زوجته الصالحة هذه مفقودة، فهوشيخ كبير وامرأته عاقر، غير أن الرزق الذي منحه الله لمريم حراك في نفسه الأمل أن يرزقه الله ولداً مع انقطاع الأسباب، فدعا ربها بصوت خافت، وقام يصلّي في قصره وقال في دعائه: رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء، وقال: رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيئاً، وقد عودتني أن تجيب دعائي ولم أكن بدعائك رب شقياً. وإنني خفت وأشفقت علىبني إسرائيل أن يفسد لهم من يتولى أمرهم من بعدي، وكانت امرأتي في شبابها عاقراً وأنت على كل شيء قادر، فهبه لي من عندك وأمنحي ولداً يرث النبوة والحكم من بعدي، كما يرث ذلك من آل يعقوب، واجعله رب رضيأً، فنادته الملائكة وهو قائماً يصلّي في المحراب أن الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم يجعل الله له من قبل سميأً، يكون مصدقاً بكلمة من الله

وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين، قال: كيف يجيئني الولد وأنا وزجتي بهذا الحال، قال كذلك الله يخلق ما يشاء، وقد خلقك الله من قبل ولم تك شيئاً، قد جئت إلى بطن أمك نطفة لا أثر فيها لصورة الإنسان.

فسأل الله عَزَّوجَلَّ آيةً يعرف بها أن الولد قريب الحصول، قال: آيتها أن تعجز عن النطق لمدة ثلاثة أيام وأنت صحيح سويٌّ، فخرج على قومه من المحراب؛ فأشار إليهم أن سبحوا الله بكرة وعشياً، ومنحه الله يحيى، وسرعان ما شب يحيى عَلِيلًا وأعطاه الله الحكم صبياً، وتفضل الله عليه بمنح كثيرة، ومنحه السلام عند ولادته وعند موته وعند بعثه، وفي ذلك يقول الله عَزَّوجَلَّ في سورة مريم:

﴿كَهِيمَعَصٌ ﴿١﴾ ذَكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُمُ زَكَرِيَاً ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً  
خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي إِنِّي وَهَنَ الْعَظَمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَكِيًّا وَلَمْ أَكُنْ  
شَقِيقًا ﴿٤﴾ وَإِنِّي حِفْتُ الْمَوْلَى مِنْ وَرَاءِي وَكَانَتْ أَمْرَاقِي عَاقِرًا فَهَبْتُ لِي مِنْ لَدُنِكَ  
وَلِيَّاً ﴿٥﴾ يَرِئُنِي وَيَرِئُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَنْزَكَرِيًّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ  
بِعُلُمٍ أَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلِ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّي أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَمٌ  
وَكَانَتْ أَمْرَاقِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبِّكَ هُوَ  
عَلَيَّ هُنَّ وَقَدْ خَلَقْتَكَ مِنْ قَبْلِ وَلَرْ تَأْتُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّي أَجْعَلْ لِي ءَايَةً قَالَ  
ءَايَتُكَ أَلَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لِيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمُخَرَابِ فَأَوْحَى  
إِلَيْهِمْ أَنْ سَيِّحُوا بَكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَبِيَحِيَ خُذِ الْكِتَابَ يُقْوَى وَإِذَا نَهَيْتُهُ  
وَحَنَّا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَوْهُ وَكَاتَ قَيْيَا ﴿١٢﴾ وَبَرَأَ بِوَلَدِيهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَارًا عَصِيًّا ﴿١٣﴾ وَسَلَمَ  
عَلَيْهِ يَوْمَ وُلَدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبَعْثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١ - ١٥].

وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَرَزَكَرِيًّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَدَرِّنِ فَكَرِدًا  
وَأَنَّتَ خَيْرُ الْوَرَثَيْنِ ﴿١٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ  
كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَّاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَائِفِينَ﴾

[الأنبياء: ٩٠ - ٨٩].

وقال في سورة الأنعام: ﴿وَرَزَكَرِيًّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَالْيَاسُ كُلُّ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾

[الأنعام: ٨٥].

وقال في سورة آل عمران: «فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا يَقْبُولُ حَسِنَ وَأَنْتَهَا بَنَاتَ حَسَنًا وَفَلَّهَا زَكَرِيَاً كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَكْرِمُمْ أَنَّ لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ يُغْيِرُ حَسَابٍ ﴿٣٧﴾ هَذَا لَكَ دَعَا زَكَرِيَا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِيَّةً طَيْبَةً إِنَّكَ سَيِّعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَاهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَعْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَتِهِ مِنَ اللَّهِ وَسَكِينًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّي أَنَّ يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمْرَأِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَعْمَلُ مَا يَشَاءُ» [آل عمران: ٣٧ - ٤٠].

وقد ذكر رسول الله ﷺ أن زكريا كان يحترف النجارة، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: كان زكريا نجاراً.

وقد وصف رسول الله ﷺ يحيى وعيسي بأنهما ابنا خالة، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن النبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أُسرى به قال: ثم صَعَدَ حتَّى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل، من هذا؟ قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليك؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به ولنعم المجيء جاء، قال: ففتح لنا، فلما خلصت فإذا يحيى وعيسي وهما ابنا الخالة، قال: هذان يحيى وعيسي فسلم عليهما، فسلمت، فرداً السلام، ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

هذا، وما ذكر عن يحيى ﷺ بأنه كان لا قدرة له على المباشرة أخذها من قوله تعالى: «وَحَصُورًا» [آل عمران: ٣٩] فهو قول لا دليل عليه، ولم يثبت عن رسول الله ﷺ من طريق صحيح، وهو نقص في الرجولة ينزعه الله أنبياءه عنه، مع أن الحصور يطلق على معانٍ كثيرة، إذ يستعمل في الذي لا يقوى على قربان النساء وعلى الضيق الصدر، وعلى الذي يصون نفسه من الخطايا والدنس، وهذا الأخير هو اللائق بـ يحيى ﷺ.

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الثامن والستون

# المسيح ابن مريم ﷺ

نتحدث إليكم عن عبد الله ونبيه ورسوله، وأحد أولي العزم من المرسلين، المسيح عيسى ابن مريم كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه، العبد المنعم عليه، المجنول مثلاً لبني إسرائيل، المخلوق من غير أب، الآية ابن الآية عليه الصلاة والسلام، ولما كانت اليهود والنصارى قد ضلوا في المسيح ضلالاً كبيراً، فادعى اليهود أنه ولد زنا وأن أمه زانية، وقالوا على مريم بهتاناً عظيماً، كما أن النصارى أفرطوا فيه فجعلوه ابنَ الله، واتخذوه وأمه إلهين من دون الله، وجاؤوا بقول تكاد السموات يتقطعن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، أن دعوا للرحمٍ ولداً، وما ينبغي للرحمٍ أن يتخذ ولداً، إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً؛ لذلك بسط الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم قصة ولادة أمِّه مريم العذراء البتول، الطيبة الطاهرة، سيدة نساء العالمين، فذكر ما كان من أمِّها عندما حملت بها، وأنها نذرت الله ما في بطنه محرراً، أي خالصاً مفرغاً للعبادة وخدمة بيت المقدس، وقالت: «رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحرَّراً فَقَبِّلْ مِيقَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْمَبِيعُ الْعَلِيُّ» [آل عمران: ٣٥]، فلما ولدت، ورأت أن مولودها أنتى توجعت لفوات مقصودها، حيث إن الأنثى لم تجر العادة عندهم أن تتفرغ لخدمة بيت المقدس، فأظهرت ضراعتها الله، وقالت: رب إني وضعتها أنتى والأنتى ليست كالذكر في خدمة بيت المقدس مع يقينها أن الله تعالى لا تخفي عليه خافية، وأنه يعلم ما وضعت، وقد سمتها مريم، وطلبت من الله أن يعصمها ويحرسها ويحفظها ويصونها هي وذريتها من الشيطان الرجيم، وقد قبل الله تبارك وتعالى من أمِّ مريم بقبول حسن كريم وأنبت مريم نباتاً حسناً كريماً.

وقد كان عمران والد مريم الذي سميت سورة من القرآن العظيم باسم الله،

وهي سورة آل عمران، وليس له من آل سوى مريم وابنها المسيح ﷺ قد كان عمران هذا موصوفاً بالتقوى فيبني إسرائيل، ومحبوباً لدى كبارائهم، كما كانت زوجته أم مريم كذلك، وقد أشاد الله تعالى بذكراهم في الصالحين حيث قال: «إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنَا مَادَمَ وَتُوْحَا وَمَاءَلَ إِبْرَاهِيمَ وَمَاءَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۚ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ شَيْعُهُ عَلَيْهِمْ» [آل عمران: ٣٣ - ٣٤] ونظراً لموت عمران هذا وخاصة مريم إلى من يقوم بكفالتها بعد أبيها، وقد ألقى الله محبتها في قلب كل من رآها، فرغب كل واحد من كبراء بنى إسرائيل في القيام بكفالتها، وتنازعوا في ذلك حتى اقترواوا أيهم يكفل مريم، وكفلاها الله تبارك وتعالى نبي بنى إسرائيل وقتله وهو زكريا عليه السلام، وكان زوجاً لأختها أو خالتها؛ فخرج السهم في الاقتراع له، فأمسكها في قصره. وجعلها تحت عنایته ورعايته، وقد لاحظ زكريا عليه السلام أنه كلما دخل عليها القصر وجد عندها ألواناً من الرزق، لم يجعلها له، ولا علم له بمصدرها، فاستغرب ذلك وخطبها قائلاً: يا مريم أنتي لك هذه؟ أي من أين جاءتك هذا الرزق؟ قالت: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، ولما اكتملت أنوثة مريم في طهارة وعفاف، وعبادة واستقامة، خطبتها الملائكة لتثبيتها على أعلى درجات السلوك، وقالت لها: «يَمْرِيمُ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنَا وَطَهَرَنَا وَأَصْطَفَنَا عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۖ يَمْرِيمُ أَفْنَتِي لِيَكِ» [آل عمران: ٤٢ - ٤٣] أي أديمي الخشوع له، وابتني على طاعته، واسجدي وارکعي له ليتدرج في سلك عباده الصالحين القانتين الراکعين الساجدين، وقد ذكرت في الفصل الرابع والأربعين من هذا الكتاب أنه لا يلزم من مجيء الملك لعبد من عباد الله الصالحين أن يكوننبياً أو رسولاً، عند الكلام على معنى الوحي في قوله تعالى: «وَأَنْجَيْنَا إِنَّ أَمِّ مُوسَى أَنَّ أَرْضَيْهِ فَإِذَا حَفَّتِ عَلَيْهِ فَكَأْفِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِقَ وَلَا تَخْرُقَ إِنَّا رَادُونَا إِلَيْكَ وَجَاعَلُوْهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» [القصص: ٧]. وضربت لذلك مثلاً بما ورد في الحديث المتفق عليه عند الشعدين البخاري ومسلم في قصة الأعمى والأقرع والأبرص ومجيء الملك إلى كل واحد منهم، كما سُقط الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة الرجل الذي زار أخاً له في الله فأرصد الله تعالى على مدرجه ملكاً... إن الحديث.

وبيّنت أن من هذا النوع مخاطبة الملائكة لمريم أم المسيح ﷺ، وفي قصة ميلاد مريم ونشأتها يقول الله تبارك وتعالى:

﴿إِذْ قَالَتْ أُمَّرَأٌ عَمْرَأَ رَبِّي إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُهَرَّجًا فَتَبَقَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ الْعَلِيُّ﴾ ٣٥ فَلَمَّا وَصَعَّتْهَا قَالَتْ رَبِّي إِنِّي وَصَعَّتْهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الْدَّرْدَرُ كَالْأُنْثَى وَلَيْسَ سَمِّيَّهَا مَرِيمٌ وَلَيْسَ أُعِيدُهَا بِلِكَ وَدُرِّيَّتْهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ٣٦ فَنَقَبَّلَهَا رَبُّهَا يُقْبِلُهُ حَسَنٌ وَأَبْتَهَا بَنَاتٍ حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكِيرٌ كُلُّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكِيرٌ الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِمُ أَذْنَى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[آل عمران: ٣٥ - ٣٧].

وقال تعالى: «وَإِذْ قَالَتِ الْمَلِئَكَةُ يَمْرِمُ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنِكَ وَطَهَرَكَ وَأَصْطَفَنِكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ٤٢ يَمْرِمُ أَقْتُنِي لَرِيكَ وَاسْجُودِي وَأَرْكُحِي مَعَ الْأَرْكَعِينَ ٤٣ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ تُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُقْرُونَ أَفَلَمْهُمْ أَيْهُمْ يَكْفُلُ مَرِيمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْصُمُونَ» [آل عمران: ٤٢ - ٤٤].

وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مولود يولد إلا مسَّه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها». ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: «وَلَيْسَ أُعِيدُهَا بِلِكَ وَدُرِّيَّتْهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» [آل عمران: ٣٦] وفي لفظ لمسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مولود يولد إلا نحسه الشيطان فيستهل صارخاً من نحسه الشيطان إلا ابن مريم وأمه» ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: «وَلَيْسَ أُعِيدُهَا بِلِكَ وَدُرِّيَّتْهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». وفي لفظ لمسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها».

وقد وصف الله تبارك وتعالى مريم بنت عمران بأنها صديقة حيث يقول عز وجل:

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرِيمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّؤْسُلُ وَأُمُّهُ صِدِيقَةٌ كَانَتْ يَأْكُلُانِ الْطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]، وفي قوله تعالى: «كَانَتْ يَأْكُلُانِ الْطَّعَامَ» إشارة إلى بشريتها وأنهما ليسا إلهين؛ فالذي يأكل الطعام من شأنه أن يبول

ويغوط ، ومن كانت هذه حاله لا يليق بعاقل أن يجعله إلهاً ، وقد جمع الله تبارك وتعالى في هذه الجملة الكريمة أشرف ما لعيسى وأمه من نعوت الكمال البشري . إذ أثبت لعيسى الرسالة ولأمها الصديقية ، ثم ذكر الوصف المشترك بينهما وبين جميع أفراد البشر من أنهما يأكلان الطعام .

والي الفصل القادم انت شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



## الفصل التاسع والستون

### تابع: المسيح ابن مريم

أكذ الله تبارك وتعالى اصطفاء مريم حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلِكَةُ يَمْرَسِيمُ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنِي وَأَطْهَرَنِي وَأَصْطَفَنِكَ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] ومعنى قوله: ﴿أَصْطَفَنِكَ﴾ أي اختارك واجتباك وفضلك. وهذا يحتمل أن تكون أفضل نساء زمانها، كقوله تعالى فيبني إسرائيل: ﴿يَبْقَى إِسْرَائِيلُ أَذْكُرُوا يَعْنَى أَتَيْتُ عَيْنَكُمْ وَأَتَيْتُ فَضْلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، وكما قال عيسى فيبني إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ أَخْتَرْتُهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢]، ويحتمل أن تكون أفضل نساء العالمين قاطبة، وقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد»، كما روى البخاري ومسلم في صحيحهما واللفظ للبخاري من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وأسيمة امرأة فرعون».

كما روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «نساء قريش خير نساء ركب الإبل، أحناه على طفل، وأرعاه على زوج في ذات يده»، يقول أبو هريرة على إثر ذلك: ولم تركب مريم بنت عمران بغيراً قط. وهذا يشعر أنه لا معارضه بين هذه الأحاديث الصحيحة الثابتة وبين ما يقتضي تفضيل مريم على عموم نساء العالمين، فحديث أبي هريرة يفيد تفضيل نساء قريش على من ركب الإبل من النساء، ومريم لم تركب الإبل قط، فلا تكون نساء قريش أفضل منها، وحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه يشعر بتفضيل مريم على خديجة رضي الله عنهما بقرينة تقديم مريم عليها في

الذكر، وإن كانت الواو العاطفة لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً كما هو مقرر في أصول الفقه، وحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه يحصر كاملات النساء في مريم بنت عمران وأسية امرأة فرعون، ويشعر بتقديم مريم على آسية رضي الله عنهما، والعلم عند الله عَزَّ ذِكْرُه.

وكما بسط الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم قصة ولادة مريم وتنشتها كما ذكرت في الفصل السابق فقد بسط الله تبارك وتعالى قصة حمل مريم بال المسيح عليه السلام في غير موضع من كتابه الكريم، فذكر بشارة الملائكة لمريم باليسوع بال المسيح عليه السلام، وأنه كلمة من الله، أي تحبل به من غير أب، بل بكلمة من الله، أي يقول له: كن فيكون؛ ليكون آية على أن الله لا يعجزه شيء، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، وقد يقترن أمر الله الكوني بسبب من الأسباب كحمل جميع النساء المعتاد. وقد لا يقترن بالسبب كخلق آدم من تراب بلا أب ولا أم، وكخلق حواء من ضلع آدم بلا أم؛ ولذلك قال في عيسى عليه السلام: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلَ إَدَمَ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» [آل عمران: ٥٩].

وذكرت الملائكة لمريم في بشارتها بالولد أن اسمه المسيح عيسى ابن مريم، فينسب إلى أمه؛ لأنها لا أب لها، وأنه روح من الله، أي من الأرواح التي ابتدأ الله تعالى خلقها كما يشاء، وأنه يكون وجيهًا في الدنيا والآخرة ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين، أي يكون المسيح عليه السلام له مكانة ووجاهة عند الله، وعند الناس في الدنيا والآخرة، ويكون من الذين أخلصهم الله تعالى لعبادته وحده لا شريك له، وقربه وأعلى منزلته، ويتكلم وهو في المهد، أي في فراش ولادته، فيقر بطهارة أمه وعفافها وأنه عبد الله، وأن الله قادر بإيتائه الإنجيل، وقدر نبوته وجعله مباركاً أينما كان، وأوصاه بالصلاحة والزكاة ما دام في دار التكليف، وأنه يكون باراً بوالدته ولن يكون جباراً شقياً، وأن السلام عليه يوم ولادته ويوم موته ويوم يبعث حياً، كما أنه يدعوبني إسرائيل إلى وجوب إخلاص العبادة لله وحده في وقت كهولته، وريعان شبابه، واكتمال قوته.

وكما وصف الله تبارك وتعالى مجيء جبريل إلى مريم بالبشاره بهذا الولد

وأنها كانت وقتها قد انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، أي انفردت وحدها شرقى المسجد الأقصى أو شرقى منزل أهلها لقضاء حاجة من حوايجها الخاصة بها التي لا تحب أن يراها عليها أحد من خلق الله، فجاءها الروح الأمين جبريل ﷺ في صورة رجل صبيح جميل مكتمل، فلما رأته مقبلاً عليها وهي على هذه الحالة قالت له: إني أعوذ بالله وأستجير به وألتتجىء إليه من أن ينالني منك أذى، إذا كان عندك خوف من الله فاطر السموات والأرض المنعم المتفضل على عباده فلا تقترب مني، ولا يحفظني ويعصمني منك إلا أرحم الراحمين، فأخبرها جبريل أنه رسول ربك وسيدك ومالك مصلح ما في السموات وما في الأرض فلا تخافي مني، ولست بشرأً، وإنما أنا ملك بعثني الله إليك لأنفخ فيك لتلدي غلاماً زكيأً، قالت: كيف يكون لي غلام أو يوجد لي ولد وأننا لست متزوجة ولا منحرفة، فأجابها جبريل ﷺ عن تعجبها من وجود ولد منها وهي على هذه الحالة فقال لها: كذلك قال ربك. أي قدر أنه سيكون منك غلام ولست بذات بعل ولا منحرفة، وأن هذا هين على الله وسهل عليه ويسير لديه، فهو على كل شيء قادر، ولن يكون ولدك آية للناس ودليلًا جليًّا وبرهاناً قاطعاً على كمال قدرة الله على كل شيء، وأنه آية من آيات الله على إقامة الخائق وبعثهم يوم القيمة، وهو علم للساعة، كما أنه رحمة من الله يرحم بها العباد بأن يدعوهم إلى الله في صغره وكبره وطفوليته وكهوليته، ويدلهم على مراسيم سعادتهم في الدنيا والآخرة والعاجلة والأجلة، حتى ينزعوه عن اتخاذ الصاحبة والولد والشريك والنذر والضد والنظير. وكان أمر الله مقضياً، وحتماً كائناً لا محالة.

ففُنِخَ جَبْرِيلُ نَفْخَةً دَخَلَتْ فِي فَرْجِهَا، فَحَمِلَتْ بِالْمَسِيحِ ﷺ، غَيْرُ أَنَّهَا لَمْ حَمِلْتْ بِدَأْتْ تَضِيقَ ذَرْعَهَا لَعِلْمِهَا أَنَّ النَّاسَ سَيَتَهْمُونَهَا بِالْانْحِرَافِ، وَيَقْعُونَ فِي عَرْضِهَا، وَلَا يَصْدِقُونَهَا فِيمَا تَخْبِرُهُمْ بِهِ مِنْ وَاقِعِ الْحَالِ، وَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ وَلَادَتْهَا أَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَذْعِ النَّخْلَةِ، أَيِّ الْجَاهَا وَاضْطَرَرَهَا الْطَّلاقُ وَوَجْعُ الْوَلَادَةِ إِلَى أَنْ تَجْيءَ إِلَى جَذْعِ النَّخْلَةِ؛ لِتَسْتَرَ بِهِ وَلِتَحْتَضِنَهُ لِتَقْوِيَ عَلَى الْوَضْعِ، وَقَالَتْ وَهِيَ فِي كَرْبِهَا: يَا لَيْتَنِي مَتَّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا، وَلَيْسَ هَذَا جَزْعًا مِنْ

قضاء الله، ولكنها كربة النفاس مع كربة ما تعرفه من سفاهة المكذبين بآيات الله، وماذا سيقولون عنها، والوقوع في الأعراض الكريمة أشد عليها من الموت، وقد قرئ: نَسِيًّاً نَسِيًّاً، وقرئ نَسِيًّاً منسيًّاً، وهما بمعنى واحد كالوتر والوتر، والنسي المنسي هو ما يُرمى به من خرق الحيض وقطع الحبل ونحوهما مما يُترك ولا يلتفت إليه لحقارته، وعندما وضع مريم المسيح ﷺ ناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً.

والى الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل السبعون

# تابع: المسيح ابن مريم ﷺ

ذكرت في ختام الفصل السابق أن مريم عندما وضعت المسيح ﷺ ناداها من تحتها ألا تحزنني قد جعل ربك تحتك سرياً، وقد قرئ في السيدة بفتح الميم من (من) وكسرها أي قرئ فناداها من ﴿تَحْنَهَا أَلَا تَحْزِنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْنَكَ سَرِيًّا﴾ وقرئ: فناداها من ﴿تَحْنَهَا أَلَا تَحْزِنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْنَكَ سَرِيًّا﴾ وَهُزِيَ إِلَيْكَ بِجَنْعِ النَّخْلَةِ شَقَقْتُ عَلَيْكَ طَبَّا جَنِيًّا ﴿فَكُلُّ وَأَشَرِيفٍ وَقَرِيٍ عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَ مِنَ الْبَشَرِ أَهَدًا فَقُولُوا إِنِّي نَذَرْتُ لِرَبِّنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكُلَّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٤ - ٢٦]، والذي نادى مريم هو جبريل ﷺ وكان في مكان أسفل منها، وقيل هو عيسى ﷺ والأول أظهر، والسرّي هو النهر، قال في المصباح: السري: الجدول وهو النهر الصغير، وقال في الصحاح في السري: نهر صغير كالجدول، وقال في القاموس المحيط: وكعنيّي، نهر صغير يجري إلى النخل، قيل: وسمى النهر سرياً لأن الماء يسري فيه. وقيل: المراد بالسري هنا هو السيد الشريف، والمراد به عيسى ﷺ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وال الصحيح الأول لقوله: وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنِيًّا . فذكر الطعام والشراب؛ ولهذا قال: ﴿فَكُلُّ وَأَشَرِيفٍ وَقَرِيٍ عَيْنًا﴾ . هـ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُزِيَ إِلَيْكَ بِجَنْعِ النَّخْلَةِ شَقَقْتُ عَلَيْكَ طَبَّا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥] دليل على أنه ينبغي للإنسان الصالح أن يأخذ بالأسباب مع توكله على الله ولا يتواكل، وقد أمرت مريم بهز جذع النخلة مع ما هي فيه من حالة النفاس والولادة؛ لما يجلبه لها ذلك من نسيان أحزانها وألامها التي تتوقعها من ملاقاة قومها؛ علمًا بأن الله كان يسوق لها الرزق في أول حياتها من غير سبب، كما أن قدرتها على هز الجذع محدودة، فعليها أن تهز الجذع وعلى الله إسقاط الرطب.

ومعنى قوله: ﴿وَقَرِي عَيْنَا﴾ [مريم: ٢٦] أي طيبني نفساً، فلا تجعلني للحزن إلى نفسك سبيلاً، وأمرها كذلك أنها إذا رأت بشرًا تمنع عن الكلام وفهمه بالإشارة أو نحوها أنها نذرت للرحمـن صوماً أي إمساكاً عن الكلام فلن تكلـم اليـوم إنسـياً، فاطـمأن خـاطرها، وأكلـت من الرطب الجنـي، وشربت من السـري، وقرـت عينـها بمـولودـها، فجـاءـت به إـلـى قـومـها وـهـي تحـملـهـ، فـلـما رأـواـها تحـملـهـ وـعـلـيـها آـثـارـ وضعـهـ قالـواـ: يا مـرـيمـ لـقـد اـرـتـكـبـتـ أـمـراـ منـكـراـ فـظـيـعاـ، وـفـعـلتـ فـاحـشـةـ بـشـعـةـ، كـيـفـ تـرـتـكـبـينـ جـرـيـمـةـ الزـنـاـ يـاـ أـخـتـ هـارـونـ وـأـنـتـ اـبـنـةـ عـمـرـانـ الصـالـحـ وأـمـكـ كـانـتـ مـنـ الصـالـحـاتـ؟ـ وـقـولـهـمـ لـهـاـ: يـاـ أـخـتـ هـارـونـ: يـحـتـمـلـ أـنـهـ كـانـ رـجـلـاـ صـالـحاـ فـي زـمـانـهـ مـنـ أـهـلـهـاـ، وـكـانـتـ تـشـبـهـ بـهـ فـي الصـالـحـ وـالـعـبـادـةـ قـبـلـ مـجـيـئـهـ عـيـسـيـ، أـوـ أـنـهـ كـانـ رـجـلـاـ فـاسـداـ مـعـرـوـفـاـ لـدـيـهـمـ بـالـانـحرـافـ فـشـبـهـوـهـاـ بـهـ، وـالـظـاهـرـ الـأـوـلـ؛ـ لـمـ رـوـاهـ مـسـلـمـ فـي صـحـيـحـهـ مـنـ حـدـيـثـ المـغـيـرـةـ بـنـ شـعـبـةـ قـالـ:ـ بـعـشـيـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ إـلـىـ نـجـرـانـ فـقـالـواـ:ـ أـرـأـيـتـ مـاـ تـقـرـؤـونـ؟ـ يـاـ أـخـتـ هـارـونـ.ـ وـمـوـسـىـ قـبـلـ عـيـسـيـ بـكـذـاـ وـكـذـاـ؟ـ قـالـ:ـ فـرـحـتـ فـذـكـرـتـ ذـلـكـ لـرـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـقـالـ:ـ «أـلـاـ أـخـبـرـتـهـمـ أـنـهـ كـانـواـ يـسـمـونـ بـالـأـنـبـيـاءـ وـالـصـالـحـينـ قـبـلـهـمـ؟ـ»ـ وـهـذـهـ الشـبـهـةـ الدـاخـضـةـ التـيـ أـثـارـهـاـ بـعـضـ نـصـارـىـ نـجـرـانـ وـنـسـبـ إـلـىـ مـحـمـدـ بـنـ كـعبـ الـقـرـظـيـ الإـسـرـائـيـلـيـ أـنـهـ زـعـمـ أـنـ مـرـيمـ أـمـ المـسـيـحـ هـيـ أـخـتـ مـوـسـىـ وـهـارـونـ،ـ وـهـذـاـ مـنـ أـفـحـشـ الـخـطـأـ الـذـيـ نـسـبـ إـلـىـ مـحـمـدـ بـنـ كـعبـ الـقـرـظـيـ،ـ وـلـاـ يـزـالـ يـشـبـهـ بـهـ بـعـضـ أـعـدـاءـ الـإـسـلـامـ عـلـىـ بـعـضـ الـأـغـرـارـ فـيـ بـعـضـ الـبـلـدـاـنـ الـمـحـارـبـةـ لـلـإـسـلـامـ إـلـىـ الـيـوـمـ،ـ وـلـمـ أـشـارـتـ مـرـيمـ إـلـىـ طـفـلـهـاـ الـمـسـيـحـ عـلـيـهـ السـلـامـ اـزـدـادـواـ اـسـتـغـرـابـاـ وـاسـتـكـارـاـ وـقـالـواـ لـمـرـيمـ:ـ «كـيـفـ نـكـلـمـ مـنـ كـانـ فـيـ الـمـهـدـ صـبـياـ،ـ فـنـطـقـ عـيـسـيـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـتـكـلـمـ بـمـاـ يـقـطـعـ أـلـسـنـةـ أـعـدـاءـ اللـهـ وـأـعـدـاءـ الـمـرـسـلـيـنـ،ـ وـقـالـ:ـ «إـلـيـ عـبـدـ اللـهـ عـاتـبـنـيـ الـكـتـبـ»ـ [مـرـيمـ:ـ ٣٠ـ]ـ أـيـ قـضـىـ وـحـكـمـ بـأـنـ يـنـزـلـ عـلـيـ الـإـنـجـيلـ «وـجـعـلـنـيـ بـيـتـاـ (٣١ـ)ـ وـجـعـلـنـيـ مـبـارـكـاـ أـيـنـ مـاـ كـنـتـ وـأـوـصـنـيـ بـالـصـلـوةـ وـالـرـكـوـةـ مـاـ دـمـتـ حـيـاـ (٣٢ـ)ـ وـبـرـأـ بـوـلـدـقـ وـلـمـ يـجـعـلـنـيـ جـارـاـ شـقـيـاـ (٣٣ـ)ـ وـالـسـلـمـ عـلـىـ يـوـمـ وـلـدـتـ وـيـوـمـ أـمـوـثـ وـيـوـمـ أـبـعـثـ حـيـاـ»ـ [مـرـيمـ:ـ ٣٠ـ -ـ ٣٣ـ].ـ

فأقر بالعبودية لله وحده وزَّه جناب الله عن قول الظالمين في زعمهم أنه ابن الله. بل هو عبده ورسوله وابن أمته البطل الطيبة الطاهرة، وبِرًا أمه مما نسبها إليه الحاقدون والجاهلون وقدفواها به، إذ كان نُطْقُه وجوابه تبرئة لها من كل بهتان.

وفي قصة حمل مريم بالمسيح ﷺ ولادته يقول الله تعالى في سورة آل عمران: «إذ قالت الملائكة يَعْرِيْم إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكُم بِكَلْمَةٍ مِنْهُ أَسْمَهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِئْهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّي أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسِسْنِي شَرٌّ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيَعْلَمُهُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَالْتَّوْرِثَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَرَسُولًا إِلَى بَنَى إِسْرَائِيلَ ﴿٤٨﴾ [آل عمران: ٤٥ - ٤٩].

وقال تعالى في سورة مريم: «وَذَكْرُ فِي الْكِتَابِ مَرِيمَ إِذْ أَنْتَبَدَتِ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيقًا ﴿١﴾ فَأَنْتَبَدَتِ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلَنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿٢﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقْبِيَنِي ﴿٣﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ لِأَهَبَ لَكَ عِلْمًا رَّكِيًّا ﴿٤﴾ قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَلَمْ يَمْسِسْنِي شَرٌّ وَلَمْ أَكُ بِغَيْرِهِ ﴿٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبِّيْكَ هُوَ عَلَى هَيْنَ وَلَنْجَعَلَهُ عَلَيَّ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنِّي وَكَانَ أَمْرًا مَفْضِليًا ﴿٦﴾ فَحَمَلَتِهِ فَأَنْتَبَدَتِ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٧﴾ فَاجْأَاهَا الْمَحَاصُ إِلَى جَنْحِنَ الْخَلَقِ ﴿٨﴾ قَالَتْ يَلِيَّتِنِي مِتْ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٩﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْنَاهَا أَلَا تَخْرُنِي قَدْ جَعَلَ رَبِّيْكَ تَحْنَاهِكَ سَرِيًّا ﴿١٠﴾ وَهُزِيَّ إِلَيْكَ بِجَنْحِنِ الْخَلَقِ تُسْقَطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿١١﴾ فَكُلِّي وَأَشْرِفَ وَفَرَّى عَيْنَاهُ فَإِمَّا تَرَنَّ مِنَ الْبَشَرَ أَهْدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْنًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿١٢﴾ فَأَتَتْ بِهِ فَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرِيمُ لَقَدْ حِتَ شَيْئًا فِيَّ ﴿١٣﴾ يَتَأْخَذُ هَزْرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءً وَمَا كَانَ أَمْكَ بِغَيْرِهِ ﴿١٤﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَفَ ثُكِلْمُ مَنْ كَاتَ فِي الْمَهْدِ صَيْبِيًّا ﴿١٥﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ أَتَيْتِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي بَنِيَّا ﴿١٦﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارِكًا أَيْنَ مَا كَثُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكُوْةِ مَا دَمْتُ حَيًّا ﴿١٧﴾ وَبَرَّا بِولَدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَارًا شَيْئًا ﴿١٨﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلْدَتْ وَيَوْمَ أَمْوَاتُ وَيَوْمَ أَبْعَثُ حَيًّا ﴿١٩﴾ [مريم: ١٦ - ٣٣].

ويقول تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فِرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آءَيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

ويقول تعالى في سورة التحرير: ﴿وَتَرَى ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فِرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْفَطَّنِينَ﴾ [التحرير: ١٢].

والى الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الحادى والسبعون

# تابع: المسيح ابن مريم ﷺ

أشار الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم إلى أن الملائكة عندما بشرت مريم بولد ذكرت لها أن اسمه المسيح عيسى ابن مريم، وبهذا الاسم يتميز المسيح الهدى عن مسيح الضلاله الدجال، ولفظ المسيح قيل هو عبراني ومعناه المبارك، وقيل: إنما سُمي مسيحاً لأنه يمسح ذا العاهة فيبراً بإذن الله، وقيل: لأنه كان مسيح القدمين أي لا أخْمَص لهما، وقيل: لأن الله مسحه أي خلقه خلقاً مباركاً حسناً، وقيل: هو مأخوذ من السياحة وهي الذهاب في الأرض والتنقل فيها للدعوة، قال في القاموس المحيط في مادة ساح: والسياحة بالكسر والسيّوح والسيّحان والسيّح الذهاب في الأرض للعبادة، ومنه المسيح ابن مريم، وقد ذكرت في اشتقاقه خمسين قولًا في شرحه لـ صحيح البخاري وغيره. ا.ه.

وقال في مادة مَسَح: والمسيح عيسى ﷺ لبركته، وذكرت في اشتقاقه خمسين قولًا في شرحه لـ مشارق الأنوار وغيره. ا.ه. وقال ابن منظور في لسان العرب: قال ابن سيده: والمسيح عيسى ابن مريم صلى الله على نبينا وعليهما، قيل: سُمي بذلك لصدقه وقيل: سُمي به؛ لأنه كان سائحاً في الأرض لا يستقر. ا.ه. وقيل: سمي المسيح مسيحاً؛ لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، كما سمي الدجال مسيحاً؛ لأنه كان ممسوح العين.

وسيقتل مسيح الهدى عيسى ابن مريم مسيح الضلاله الدجال كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ عندما ينزل في آخر الزمان، أما عيسى ﷺ فقيل: هو اسم غير مشتق، وهو اسم عبراني أو سرياني، وقد حرّفه المحرفون وقلبوه وقالوا: يسوع، وقيل: هو مشتق من العيس وهو بياض تعلوه حمرة، وتسمى الإبل البيض التي يخالط بياضها شفرة عيساً.

وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى أنه هيأ عيسى عليه السلام وأمه ربوة ذات قرار ومعين فنزلها وسكنها فيها، والربوة المكان المرتفع، ومعنى كونها ذات قرار أي مستوىً يستقر عليها ساكنوها، والمعين الماء الجاري الظاهر الذي تراه العيون، ولم يرد في خبر صحيح تحديد مكان هذه الربوة، وبعض الناس يقول: إنها بيت المقدس، وبعضهم يقول: إنها غوطة دمشق وما حولها، وبعضهم يقول: إنها فلسطين، وبعضهم يقول: إنها أرض الفيوم في مصر، والعلم في ذلك عند الله تعالى، والمقصود أن الله تبارك وتعالى يسر لهم الإقامة الآمنة والمنزل الصالح، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: «وَجَعَلْنَا أَبْنَى مُرْسِمًا وَمَهْدًا إِيَّاهُ وَأَوْتَنَاهُمَا إِلَى رَبَوَةِ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ» [المؤمنون: ٥٠].

وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى أن عيسى عليه السلام تعلم الكتابة ومنحه الله تعالى الحكمة والفقه في التوراة، وعندما بلغ أشده بعثه الله تعالى إلىبني إسرائيل وأنزل عليه الإنجيل، فيه هدى ونور وموعدة للمتقين، وبشارة بسيد المرسلين، وقد أمره الله تعالى أن يطلب من بنى إسرائيل أن يحكموا بالإنجيل، وقد أيد الله تبارك وتعالى عيسى بالمعجزات الحسية الباهرة، والآيات الظاهرة القاهرة، الشاهدة بأنه رسول من رب العالمين، فجاء عيسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل وأخبرهم أنه رسول الله وأنه عبده، وقد آتاه الإنجيل، وأنه لا إله إلا الله، ولا معبد بحق سواه، وأعلمهم أنه قد جاءهم بأيات من ربهم تمثل في خمس آيات حسية وهي:

أنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، أي يصور من الطين شكل طير، ثم ينفخ فيه فيطير بإذن الله وهم ينظرون إليه ويشاهدونه بأعينهم، وقد أذن تعالى لعيسى عليه السلام في تصوير صورة الطير من الطين والنفخ فيه ليطير بإذن الله لتكون هذه المعجزة آية ظاهرة على أنه رسول من رب العالمين.

أما الآية الثانية: فهي أنه يُبرئ الأكمه بإذن الله؛ والأكمه هو من ولد ممسوح العينين لا حدقه لعينيه، وإبراؤه ليبصر لا طاقة لأحد من الأطباء قديماً وحديثاً عليه، فهي من أظهر المعجزات الحسية التي لا قدرة للبشر عليها.

**والآية الثالثة:** هي إبراء وشفاء الأبرص بإذن الله، والبرص داء معروف، وهو بياض يعتري جلد الإنسان يعجز نُطُسُ الأطباء عن علاجه قديماً وحديثاً.

**والآية الرابعة:** هي إحياء الموتى بإذن الله، وهذه الآيات الأربع لا قدرة لأحد من البشر عليها في قديم الزمان وحديثه، وقد أشرت في الفصل الواحد والخمسين من هذا الكتاب عند الحديث عن معجزات موسى عليه السلام بأنه قد جرت السُّلْطَةُ الْإِلَهِيَّةُ فِي أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ كُلَّ نَبِيٍّ بِمَعْجِزَةٍ تَفُوقُ أَعْلَى درجات العلم الذي برع فيه قومه؛ ليكون أظهر للحق، وليرعروا أنه من عند الله، وأنه لا يقدر على مثله البشر، ولذلك أرسل محمداً عليه السلام بالقرآن وجعله معجزته الكبرى؛ لأن قوم محمد عليه السلام قد برعوا في الفصاحة والبيان والبلاغة حتى أقاموا للخطباء والشعراء منابر في أسواق عكاظ ومجنة وذي المجاز.

وكما أرسل عيسى عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله لأن قومه قد بلغوا في الطلب شأواً لم يسبقوا إليه. وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: «وَيَعْلَمُهُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَالْتَّوْرِيدَ وَالْإِنْجِيلُ ٤٨ وَرَسُولًا إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ حِشْتَكُمْ بِيَقِيْنٍ مِّنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقَ لَكُمْ مِّنَ الظَّيْنِ كَهْيَةَ الظَّيْرِ فَانْفَخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا يَأْدِينَ اللَّهَ وَأَبْرِئُهُ الْأَكْمَهُ وَالْأَبْرَصُ وَأَتْحِي الْمَوْقَى يَأْدِينَ اللَّهَ وَأَنْتِشُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَنَذَّرُونَ فِي بَيْوَتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَكَيْهَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ٤٩ وَمُصَدِّقًا لِمَا يَبْيَكُ يَدَى مِنَ التَّوْرِيدَ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَحِشْتَكُمْ بِيَقِيْنٍ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَتَقَوْا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ ٥٠ إِنَّ اللَّهَ رَبُّ وَرَبِّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا حِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ» [آل عمران: ٤٨ - ٥١]، قال رحمه الله: قال كثير من العلماء: بعث الله كلنبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحر، فبعثه الله بمعجزات بهرت الأ بصار وحيّرت كل سحار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار.

وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجمام أو على مداواة الأكمه والأبرص وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم النتاد... الخ.

أما الآية الخامسة من الآيات الحسية التي أيدَ الله تعالى بها عبده ورسوله عيسى عليهما السلام فهي أنه يخبرهم بما يأكلون وبما يدخلون في بيوتهم، أي يقول لأحدهم: أنت أكلت اليوم كذا، وتذخر في بيتك لغدك كذا، مما يقطعون بأنه لا علم لغيرهم به، وقد أخبرهم عيسى عليهما السلام بأن هذه آية من الله ينفع بها من يشرح الله صدره للإيمان، وأن عيسى عليهما السلام يؤمن بما سبقه من الكتب السماوية، ويصدق ما في التوراة، وأن شرعيه يحل لبني إسرائيل بعض ما حرم عليهم في شريعة موسى عليهما السلام، وأنه يشرح لهم الوجه الصحيح فيما يختلفون فيه من المسائل ويبين لهم الحق، والصواب فيما اختلفوا فيه، وأنه مؤيد من الله، ثم جرَّ لهم ما يدعوهם إليه وهو إخلاص العبادة لله وحده وامتثال ما يشرعه الله لهم على لسانه عليهما السلام، وطالبهم بتقوى الله فقال لهم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: ٥٠] .

والي الفصل القارئ إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الثاني والسبعون

# تابع: المسيح ابن مريم ﷺ

أشرتُ في الفصل السابق إلى أن الله تبارك وتعالى بعث عيسى ﷺ إلىبني إسرائيل وآتاه الإنجيل وأيده بخمس معجزات حسية ظاهرة قاهرة، وأن عيسى ﷺ طلب منبني إسرائيل أن يعبدوا الله وحده لا شريك له ويتقوه ويطيعوا عيسى ﷺ، وأخبرهم أنه مصدق بما بين يديه من التوراة، وأنه يحل لبني إسرائيل بعض ما حرم عليهم، وأنه يبين وجه الصواب فيما يختلفون فيه، وقد أرشدهم إلى أن هذا هو الصراط المستقيم، فمن سلكه فاز في الدنيا والآخرة، ومن كذب به خسر الدنيا والآخرة، وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة آل عمران عن عيسى ﷺ، بعدما ذكر أنه يعلم الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل قال:

﴿وَرُسُولاً إِلَيْكُمْ إِنَّمَا قَدْ جِئْتُكُمْ بِإِيمَانِكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنْ أَطْيَنِ كَهْيَةَ الظَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا يَأْذِنُ اللَّهُ وَأَبْرُزُهُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأَنْهِيَ الْمَوْقَعَ يَأْذِنُ اللَّهُ وَأَنْتُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُلُونَ فِي يَوْمَيْكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيِّكَ مِنَ الْتَّوْرِةِ وَلَأُجْلِيَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِإِيمَانِكُمْ فَأَنْتُمُ الَّذِينَ وَأَطْبَعْتُمْ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبُّ وَرَبِّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٤٩ - ٥١].

ويقول تعالى في سورة المائدة: «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّ مَرَّمَ أَذْكُرْ نَعْمَقِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَلِدَتِكَ إِذْ أَيْدَتِكَ بِرُوحِ الْقُدُّسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلَأً وَإِذْ عَلَمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْمُكَمَّةَ وَالْتَّوْرِةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الْطَّيْرِ يَأْذِنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يَأْذِنِي وَتُبَرِّئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ يَأْذِنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْقَعَ يَأْذِنِي» [المائدة: ١١٠].

وفي قوله تعالى: «وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الْطَّيْرِ كَهْيَةَ الظَّيْرِ يَأْذِنِي» صريح في أن الله

تعالى أذن لعيسى عليه السلام في تصوير صورة الطيور من الطين، كما أن نفعه فيها لتحلها الحياة وتطير إنما كان بإذن الله كذلك، تأيداً لعيسى وتصديقاً له عليه السلام، والله يفعل ما يشاء، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، وفي ذلك كله إشارة إلى أن عيسى عبد من عبيد الله، يأتمن بأمر الله ويتنهى بنهيه، وأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله عزوجل، وقد أندر عيسى عليه السلام قومه من الشرك بالله وخوفهم من عقوبته، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: «وَقَالَ الْمَسِيحُ يَسُوعٌ إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّكُمْ إِنَّمَا مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ» [المائدة: ٧٢].

ويقول تعالى في سورة الزخرف: «وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبُيُونَ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَا يُؤْمِنُ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْلِفُونَ فَإِنَّمَا تَفْعَلُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» [الزخرف: ٦٤ - ٦٣].

كما أشار الله تبارك وتعالى إلى أن عيسى عليه السلام هو خاتم الأنبياء بني إسرائيل في غير موضع من كتابه الكريم، حيث ذكر أنه قدّى عيسى عليه السلام على آثار الأنبياء أي أتبعهم عيسى عليه السلام، وجعله تابعاً لهم أي متأخراً عنهم في الزمان، حيث يقول عزوجل في سورة الحديد: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْكُمْ مَّا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولُوا إِنَّمَا نَنْهَا عَنِ الْحَدِيدِ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِعِلَامِ اللَّهِ مَنْ يَصْرُفُ وَرَسُلَّهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ فَوْيٌ عَزِيزٌ ۚ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي دُرِّيَّهُمَا الْتَّبُوَةَ وَالْكِتَابَ فِيهِمْ مُهَتَّدٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ۚ ۚ فَقَيْنَا عَلَىٰ إِثْرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَفَقَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ أَبْغَوْهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً أَبْدَعُوهَا مَا كَبَتْهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَبْتَغَاهُمْ رِضْوَانُ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَعَيْنَاهُ الَّذِينَ أَمَنُوا مِنْهُمْ أَجَرُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ» [الحديد: ٢٥ - ٢٧].

وقال تعالى في سورة المائدة: «وَقَيْنَا عَلَىٰ إِثْرِهِمْ بِعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْتَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدَىٰ وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْتَّوْرَةِ وَهُدَىٰ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ۚ ۚ وَلَيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَهُ حَكْمٌ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيْفُوكَ» [المائدة: ٤٦ - ٤٧].

وقد ذكر رسول الله ﷺ أنه أولى الناس بيعيسى ابن مريم؛ لأنه ليس بينه وبين محمد رسول الله ﷺ نبي، فقد روى البخاري ومسلم من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبو هريرة رضي الله عنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد عَلَّات ليس بيني وبينهنبي»، كما روى البخاري في صحيحه من طريق عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بيعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعَلَّات، وأمهاتهم شتى ودينه واحد»، كما روى مسلم في صحيحه من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أولى الناس بيعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة» قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «الأنبياء إخوة من عَلَّات وأمهاتهم شتى ودينه واحد فليس بيننانبي». وفي لفظ لمسلم من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بيعيسى، الأنبياء أبناء عَلَّات، وليس بيني وبين عيسىنبي»، ومعنى قوله في الحديث: «أولاد عَلَّات» أو «إخوة من عَلَّات»، هم الإخوة لأب من أمهات شتى، أما الإخوة الأشقاء أي من الأبوين، فيقال لهم أولاد الأعيان أو الإخوة الأعيان، ومعنى أن الأنبياء أولاد عَلَّات أو إخوة من عَلَّات وأمهاتهم شتى أن دين جميع الأنبياء أصوله واحدة في التوحيد والرسالة والبعث بعد الموت وسائر الوصايا العشر الواردة في قوله تعالى:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتَلُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوْهُ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًَا وَلَا تَقْتُلُوْا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُنُ رَزْفَكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرِبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوْا النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ بِهِ لَعْلَكُمْ تَعْقُلُونَ ﴾١٥٢﴾  
وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتَمِ إِلَّا بِالْقِسْطِ لَا يَأْتِيَهُ أَحَسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشْدَهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُنْكِثُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُتِلَمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا فِرْqَةً وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ بِهِ لَعْلَكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾١٥٣﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتِّسِعُوهُ وَلَا تَنْتَعِيُوا السُّبُلَ فَنَفَرَّ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ بِهِ لَعْلَكُمْ تَفَقُّونَ ﴾[الأنعم: ١٥١ - ١٥٣].

وقد أشار رسول الله ﷺ بقوله في الحديث: «وأمهاتهم شتى» إلى أن الله تبارك وتعالى شرع لكل أمة من أمم الأنبياء منهاجاً في الفروع يلائم زمانها

ومكانها على حد قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا لِكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ﴾ [المائدة: ٤٨].

ولذلك كان النبي يُبعث إلى قومه خاصة إلا سيد المرسلين وإمام المتدين محمدًا ﷺ فقد بعثه الله إلى الناس كافة، بل عم برسالته الإنس والجن، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى في سورة الأعراف: ﴿فَلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَيِّعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال في سورة سباء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال في أول سورة الفرقان: ﴿بَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْqَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

كما روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلني، وذكر فيهم: وكان النبي يُبعث إلى قومه وبُعثت إلى الناس عامة».

والى الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الثالث والسبعون

### تابع: المسيح ابن مریم ﷺ

بعث الله عَنْكِ عبده ونبيه رسوله ﷺ بالإنجيل، وقد وصف الله تبارك وتعالى الإنجيل بأنه فيه هدى ونور، وأنه مصدق لما بين يديه من التوراة، وأنه هدى وموعظة للمتقين، والإنجيل كلمة يونانية معناها البشرة، وقد أطلقه الله تبارك وتعالى على كتابه المنزل على عيسى ﷺ، بَيْدَ أَنَّ هَذَا الإنجيل المنزل على عيسى ﷺ لَا وَجُودَ لَهُ عِنْدَ النَّصَارَىِ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ مِّنْ عُلَمَاءِ النَّصَارَىِ أَوْ غَيْرِهِمْ أَنَّهُ رَأَى نَسْخَةً كَامِلَةً مِّنْهُ، وَبِيدِهِ أَنَّ عِيسَى ﷺ لَمْ يَكْتُبْ إِنَّمَا كَانَ يَبْشِرُ بِهِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي الْكِتَابِ الَّتِي أُلْفَتَ بَعْدَ رَفْعِ الْمَسِيحِ ﷺ وَالَّتِي سَمَّاَهَا أَصْحَابُهَا الْأَنْجِيلَ، فَقَدْ ذِكْرُهُ مَتَّى فِي إِنْجِيلِهِ فِي الإِصْحَاحِ الرَّابِعِ مِنْهُ، إِذْ يَقُولُ: «وَكَانَ يَسْعَى يَطْوِفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعْلَمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبَشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيُشْفِي كُلَّ مَرْضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ»، فَكَلِمَةُ بَشَارَةِ الْمَلَكُوتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ هِيَ الإِنْجِيلُ، إِذْ إِنَّ مَعْنَى الإِنْجِيلِ هُوَ الْبَشَارَةُ، كَمَا ذِكْرُهُ مَرْقُصُ فِي إِنْجِيلِهِ فِي الإِصْحَاحِ الرَّابِعِ مِنْهُ إِذْ يَقُولُ: وَبَعْدَمَا أَسْلَمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسْعَى إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبَشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ وَيَقُولُ: قَدْ كَمِلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتَوبُوا وَآمِنُوا بِالْإِنْجِيلِ.

وقد زعم بعض الناس أن الإنجيل كان مقتصرًا على البشرة خالياً من الأحكام؛ مدعياً أن عيسى ﷺ كان يقتصر على ما في التوراة من الأحكام، وهذا قول فاسد كاسد عاطل باطل، فقد نص الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم بما يقضي أن الإنجيل كتاب أحكام، وإن كان يشتمل على البشرة، حيث يقول عَنْكِ: «وَلَيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيْحُوْكَ» [المائدة: ٤٧]، بيد أنه لقريره من زمان رسول الله محمد ﷺ تجلت

البشرة فيه برسول الله ﷺ وإن كان كل نبي من أنبياء الله تعالى بشر أمه بمحمد صلوات الله وسلامه عليه للميثاق الذي أخذه الله تعالى على الأنبياء بتأييد محمد ﷺ حيث يقول الله تعالى: «وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْأَئِمَّةِ لِمَا ءَاهَى إِنَّكُمْ مِنْ كَثِيرٍ وَحِكْمَةٌ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتَقُولُنَّ يَهُوَ وَلَنَصْرُونَهُ قَالَ أَفَرَرْتُمُ وَآخَذْتُمُ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِيٍّ قَالُوا أَقْرَنَا قَالَ فَأَشَهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» [آل عمران: ٨١].

وقد وصف الله تبارك وتعالى مقاماً من مقامات عيسى عليهما السلام بما يُفيد أنه قام خطيباً فيبني إسرائيل يخبرهم أنه رسول من الله يبشرهم بمحمد رسول الله ﷺ الذي يأتي بعده، حيث يقول الله تعالى: «وَلَذَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَبَّعِي إِسْرَائِيلَ إِلَيَّ رَسُولٌ اللَّهُ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الْوَزْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرُسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَمْمَهُ أَهْدِي فَمَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّنِينٌ» [الصف: ٦].

ورسول الله ﷺ له أسماء، منها: محمد وأحمد، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما واللفظ لمسلم من حديث محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحasher الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد، وقد سمَّاه الله رؤوفاً رحيمًا». وفي لفظ لمسلم من طريق محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحي بي الكفر، وأنا الحasher الذي يحشر الناس على عقبى، وأنا العاقب؛ والعاقب الذي ليس بعدهنبي...». ولفظ محمد أو أحمد هو معنى المنحمنا أو الفارقليط الوارد في الكتب التي بيد النصارى في بشارة عيسى عليهما السلام التي يُخبر فيها بأنه سيقيم حتى يأتي المنحمنا وفي بعض التراجم: حتى يأتي الفارقليط، والمنحمنا أو الفارقليط هو المحمود الحمد الكثير، وهو معنى أحمد أو محمد وهو إشارة إلى أن شريعة عيسى عليهما السلام تستمر حتى تنسخها شريعة محمد ﷺ.

ولا شك أن علماء أهل الكتاب عموماً كانوا يعرفون صفات النبي محمد ﷺ كما يعرفون أبناءهم بسبب بشارات الأنبياء بمحمد ﷺ، ووصفهم له لأمهاتهم حتى يؤمنوا به إذا جاء، ومن صفاته عندهم أنه يبعث بالحنفية دين إبراهيم عليهما السلام، وأنه

يخرج بأرض العرب، وأنه يهاجر إلى أرض سبخة ذات نخيل بين لابتين، وأنه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وأن في كتفه خاتم النبوة كثر الحجلة.

وفي التوراة: سأقيم لبني إسرائيل من إخوتهن مثلك يا موسى أنزل عليه توراة وأجعل كلامي على فيه.

ولم يأت أحد من الرسل يذكر أن معجزته كلام الله غير محمد ﷺ الذي جعل الله معجزته الكبرى وأبيته العظمى القرآن العظيم والذكر الحكيم، الباقي محفوظاً بحفظ الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها، والتوراة معناها الشريعة كما جاء أيضاً في وصف رسول الله ﷺ في التوراة: تجلى الله أو جاء الله من طور سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلى أو استعلن من جبال فاران. وهو إشارة إلى دين موسى الذي أوحى الله إليه به في طور سيناء وبشارة بيعيسى ﷺ الذي أنزل الله عليه الوحي في جبال ساعير من أرض الجليل بقرية تدعى الناصرة، ويقال لها أيضاً: نصرانة التي سُمي من ينتهي إلى المسيح ﷺ بها، فيقال لهم: النصارى. قوله: واستعلى أو استعلن من جبال فاران أو من بربة فاران بشارة واضحة جلية بمحمد ﷺ الذي أنزل تعالى عليه الوحي ببربة أو جبال فاران وهي أرض مكة بلا خلاف بين المسلمين وأهل الكتاب.

وهذه البشارة الواردة في التوراة تطابق ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ وَهُدُوا إِلَيْنَا وَطُورَ سِينَاء﴾ [وَهَذَا الْبَلْدَ الْأَمِينُ] [التين: ١ - ٣] فالتيين والزيتون جبلان بالأرض المقدسة من الشام، بعث الله تعالى عندهما عيسى ﷺ، وطور سينين هو مكة المكرمة قدسها الله. وقد روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: وجدت في التوراة في صفة النبي محمد ﷺ يقول الله سبحانه: «يا أيها النبي إنما أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمينين، أنت عبدي ورسولي، سميك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، ويفتح عيوناً عميأً وأذاناً صماءً وقلوباً عَلْفَانَةً لأن يقولوا: لا إله إلا الله».

والمراد بالتوراة في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في هذا المقام هو بعض كتب العهد القديم، إذ يطلق بعض المسلمين اسم التوراة على مجموع كتب العهد القديم التي تشمل التوراة وأسفارها الخمسة، وتشمل كذلك نبوات بعض الأنبياء، كما أن النصارى يطلقون اسم التوراة على مجموع كتب العهد القديم وعلى الأنجليل أيضاً، وإن كان الأصل في كلمة التوراة أنها خاصة بكتاب الله تعالى المتزل على موسى عليه السلام الذي ألقاه الله إليه مكتوباً في الألواح.

وفي تواتر صفات محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه عند علماء أهل الكتاب يقول الله تبارك وتعالى: «أَلَّا يَعْلَمُ الْجِنُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [البقرة: ١٤٦].

ويقول تعالى: «أَلَّا يَعْلَمُ الرَّسُولُ الَّذِي أَنْزَلَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي الْكِتَابِ وَإِلَيْهِمْ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايْهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الظَّبَابَ وَيُحِرِّمُ عَنْهُمُ الْحَبَّى وَيَضْعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَأَلَّا يَعْلَمُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أَفَلَيْكُمْ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [الأعراف: ١٥٧].

والي الفصل القادم انت شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الرابع والسبعون

# تابع: المسيح ابن مريم ﷺ

عَرَضَ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دُعُوتَهُ الْمُشْرِفَةُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَظْهَرَ لَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالْمَعْجَزَاتِ مَا مُثِلَّهُ أَمْنًا عَلَيْهِ الْبَشَرُ، كَمَا رَوَى الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ أَنْبِيَاءَ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مُثِلَّهُ أَمْنًا عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتَ وَحْيًا أُوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ؛ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَقَدْ لَقِيَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْتَأً وَأَذِي بِالرَّغْمِ مِنْ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ فِي وَصَايَا أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ السَّابِقِينَ أَنْ سَيِّجَيَ لَبَنِي إِسْرَائِيلَ مَسِيحًا، غَيْرَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِهِذَا الْمَسِيحَ الْحَقِّ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مَسِيحَهُمُ الْمَتَنَظَّرُ، فَكَفَرُوا بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا شُكَّ أَنَّ الْمَسِيحَ الَّذِي سَيَسْرَعُ الْيَهُودُ إِلَى اتِّبَاعِهِ هُوَ مَسِيحُ الضَّلَالَةِ الدِّجَالِ، وَلَذِلِكَ قَضَى اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مَسِيحَ الْهَدِيَّ عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ يَنْزَلُ أَخْرَى الزَّمَانِ عِنْدَ ظَهُورِ مَسِيحِ الضَّلَالَةِ الدِّجَالِ؛ فَيُقْتَلُهُ وَيُقْتَلُ أَتَابَعُوهُ مِنَ الْيَهُودِ عَلَيْهِمْ لِعَائِنَ اللَّهِ.

وَقَدْ أَمْنَى بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ طَائِفَةً مِنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَصَارَ مِنْهُمْ حَوَارِيُّونَ لِلْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَإِنَّ حَوَارِيَ الزَّبِيرِ بْنِ العَوَامِ»، وَالْحَوَارِيُّ فِي الْأَصْلِ هُوَ الْوَزِيرُ أَوْ مَنْ يَصْلَحُ لِلخِلَافَةِ أَوِ النَّاصِرِ أَوِ الْخَالِصِ أَوْ هُوَ نَاصِرُ الْأَنْبِيَاءِ أَوِ الْقَصَّارِ؛ لَأَنَّهُ يَحُوّرُ الثَّيَابَ أَيِّ بَيْضَهَا.

وَذَكَرَ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: وَسَمِيَ الْحَوَارِيُّونَ لِبَيْاضِ ثَيَابِهِمْ؛ وَقِيلَ حَوَارِيُّ الرَّجُلِ خَاصَّتَهُ، وَالْمُتَبَادِرُ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ يَشْعُرُ أَنَّ الْحَوَارِيِّينَ هُمُ الْسَّابِقُونَ الْأُولَوْنَ مِنْ أَمَّةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكُبَارُ أَصْحَابِهِ وَخَوَاصِّهِمْ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْحَوَارِيِّينَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ فِي

مواضع، فذكر ما ألقى الله عَبْدَهُ في نفوسهم من المسارعة إلى الإيمان بعيسى عليه السلام ونصرته وتصديقه فيما جاء به عن ربه عَبْدَهُ حيث يقول: ﴿وَإِذْ أُوحِيَ إِلَى الْحَوَارِيْكَنَ أَنَّ مَأْمُنُوا بِرَبِّكُوكَ قَالُوا مَأْمَنًا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١]، ومعنى ﴿أُوحِيَ إِلَى الْحَوَارِيْكَنَ﴾ [المائدة: ١١١] في هذه الآية المباركة هو ما ألههم به وقدف في قلوبهم من تصديق عيسى عليه السلام ونصرته، ولا شك أنَّ الحواريين ليسوا بأنبياء، وليسوا بمعصومين من الخطأ، ولذلك ذكر الله عَبْدَهُ عنهم أنَّهم قالوا لعيسى عليه السلام: ﴿فَهَلْ يَسْتَطِعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٢]، فخوَّفهم عيسى عليه السلام من مغبة هذا السؤال، وأمرهم بتقوى الله، وأنَّه لا ينبغي لمسلم أن يقترح على الله الإتيان بالآيات؛ لأنَّ سنته جرت أن من اقترح على الله آية ولم يؤمن بها إذا جاءت أخذَهُ الله أخذَ عزيز مقتدر، ونبه عيسى عليه السلام الحواريين إلى أن مقتضى إيمانهم ألا يتقدموا على الله باقتراح مثل هذه الآية، وأنَّ يعلموا أنَّ الله لا يُعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، غير أنَّ الحواريين ذكروا لعيسى عليه السلام أنَّهم إنما طلبوا إِنْزال مائدة من السماء لأنَّهم يريدون أن يأكلوا منها وأنْ تطمئن قلوبهم بزيادة الإيمان واليقين إذا رأوا هذه الآية الحسية، ويزدادوا علماً بأنَّ عيسى عليه السلام قد صدقهم، ويكونوا عليها من الشاهدين، ولا شك أنَّ سؤال الحواريين هذا أخفُّ من سؤال أصحاب موسى عليه السلام إذ قال بعضهم لموسى عندما رأوا قوماً يعكفون على أصنام لهم ﴿قَالُوا يَسْمُوْسَيْ أَجْعَلْنَا إِلَّا هُنَّ كَمَا كُمْءَ إِلَّاهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وأخفُّ من قول أصحاب موسى لموسى: ﴿أَرَنَا اللَّهَ جَهَرًا فَأَخَذَنَهُمُ الصَّرْعَةُ يُظْلِمُهُمْ﴾ [النساء: ١٥٣].

وقد رأى عيسى عليه السلام أنَّ المصلحة تقتضي بأن يتضرع إلى الله أن ينزل عليهم مائدة من السماء تكون عيداً وفرحاً ومسرةً للمؤمنين في عاجلتهم، ويكتفِّ بالإيمان بها مَنْ بعدهم من المؤمنين، وتكون آية من الآيات الشاهدات على أنَّ الله رب كل شيء وسيده ومليكه، وأنَّ أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. فأخبر الله عيسى عليه السلام بأنه متزل عليهم هذه المائدة المطلوبة، وأنَّه من يكفر بالله بعد رؤيته لهذه الآية الباهرة والمعجزة القاهرة فإنَّ الله سيعذبه عذاباً لم يعذب مثله في شدته

أحداً من العالمين، والمائدة هي الخوان عليه طعام، فإذا لم يكن على الخوان طعام فإنه لا يسمى مائدة، والأصل في الخوان أن يتخد من الخشب وينصب على قوائم. فإذا كان الطعام على جلد أو فراش أو شيء بلا قوائم فإنه يقال له سفرة، وقد أثر أن رسول الله ﷺ لم يأكل على خوان قط. وهي الشيء المرتفع عن الأرض بقوائمه، وإنما كان يأكل على السفرة ﷺ؛ لأنها عادة العرب، كما أن الخوان من عادة العجم، وقد تسمى السفرة مائدة.

وفي قصة المائدة يقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَنَّفَوْا اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾١١٢﴾ ﴿قَالَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبِّنَا أَنْزَلْتَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لَأَوْلَى نَاهِيَنَا وَأَخِرَنَا وَأَرْزَقَنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾١١٤﴾ ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزَلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرُ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنَّمَا أُعْذِيُّهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٢ - ١١٥]، وقد سميت السورة كلها باسم المائدة، وقد زعم بعض الناس أن المائدة لم تنزل؛ لأن الحواريين لما سمعوا الوعيد الشديد على من كفر بها بعد نزولها خافوا وأبوا أن تنزل عليهم، وصريح القرآن شاهد على نزولها لقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُنْزَلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ وهذا إخبار بنزولها، وتأكد بأنه برهان قاطع على نزولها. والعديد يوم السرور الذي يتكرر وكل يوم فيه جمع، قال ابن منظور في لسان العرب: قال ابن الأعرابي سمي العيد عيداً لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد. ا.هـ.

هذا وما نقل عن كثير من المفسرين في صفة المائدة المنزلة على عيسى ﷺ وال الحواريين وفيما احتوته هذه المائدة من ألوان الطعام وأسمائه لم يثبت شيء منه بخبر صحيح عن رسول الله ﷺ.

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الخامس والسبعون

### تابع: المسيح ابن مريم ﷺ

ذكرت في الفصل السابق أن طائفة منبني إسرائيل آمنت بيعيسى ﷺ، وعلى رأس هؤلاء الحواريون ﷺ كما تقدم، وقد كفرت طائفة منبني إسرائيل بيعيسى ﷺ ووصفوه بأنه ساحر وتعاونوا مع الرومان الوثنيين الذين كانوا يحكمون فلسطين وقتئذ ضد عيسى ﷺ. فلقي من عتهم وأذاهم ومكرهم هو والذين آمنوا معه ما لا يعلمه إلا الله، مثل ما لقي إخوانه من أولي العزم من المسلمين، وقد عدَ الله تبارك وتعالى في شيوخ المسلمين الخمسة الكبار، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حيث يقول ﷺ في كتابه الكريم: «شَرَعْ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَّنَ بِهِ، تُوْحَّاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّنَنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْبُلُوا الَّذِينَ وَلَا نَنْفَرُّو فِيهِ كَبُرٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ» [الشورى: ١٣].

وكما قال ﷺ: «وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِثْقَلَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ فُوجِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَبْنَ مَرْيَمَ وَأَخْذَنَا مِنْهُمْ مِثْقَلًا غَلِيلًا» [الأحزاب: ٧]، وقد اندهش بعض الناس من الآيات التي جاء بها عيسى ﷺ، من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وجعل الطين كهيئة الطير، ثم ينفح فيه فيطير، فحسبوا أن ذلك يُشعر أن عيسى فوق البشر وليس منهم، مع أنه كان يتبه عند هذه الآيات أنها بإذن الله، وأنها معجزات من الله تعالى لتأييده، وقد أشار إلى ذلك برنابا في إنجيله الذي ألفه للرد على من حرف دين المسيح ﷺ بعد رفع المسيح ابن مريم، إذ يقول برنابا في الإصلاح الثالث والتسعين من إنجيله: أجاب الكاهن: إن اليهودية قد اضطررت لآياتك وتعليمك، حتى إنهم يجاهرون بأنك أنت الله، فاضطررت بسبب الشعب إلى أن آتي إلى هنا مع الوالي الروماني والملك هيرودس فترجوك من كل

قلبنا أن ترضى يازالة الفتنة التي ثارت بسببك؛ لأن فريقاً يقول: إنك الله، وآخر يقول: إنك ابن الله، ويقول فريق: إنكنبي. أجاب يسوع: وأنت يا رئيس الكهنة لماذا لم تُخْمِد الفتنة وهل جُنْحَنْتَ أنت أيضاً؟ وهل أمست النبوات وشريعة الله نسيّاً منسياً، أيتها اليهودية الشقيقة التي ضللها الشيطان. ولما قال يسوع هذا عاد فقال: إنيأشهد أمام السماء وأُشَهِّدُ كل ساكن على الأرض أني بريء من كل ما قال الناس عنني من أني أعظم من بشر؛ لأنني بشر مولود من امرأة، وعُرْضَة لحكم الله أعيش كسائر البشر. وبرنابا مؤلف هذا الإنجيل وصف في الإصلاح الرابع عشر منه بأنه أحد الحواريين الثاني عشر، كما وصف في رسالة منسوبة إلى لوقا أحد مؤلفي الأناجيل المسماة بأعمال الرسل بأنه من الرسل، أي من المبعوثين الذين كان يبعثهم عيسى ﷺ للدعوة في نواحي الجليل وغيرها، فلوقا يقول في هذه الرسالة: ويُوسف الذي دُعي من الرسل برنابا الذي يترجم باسم الوعظ، وهو لا وي قبرصي الجنس، إذ كان له حقل باعه وأتى بالدرارِم ووضعها عند أرجل الرسل.

وقد كان عيسى ﷺ صبوراً على الأذى، حريصاً على هداية قومه، بشوشًا، شديد التعظيم لأمر الله عَزَّلَهُ، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق فقال له: أسرقت؟ قال: كلا، والذي لا إله إلا هو. فقال عيسى: آمنت بالله وكذبت عيني»، وقد ضاق به اليهود والرومان الوثنيون ذرعاً، وتمالؤوا عليه، فلما أحس عيسى منهم الكفر واستشعر منهم التصميم على العناد والاستمرار على الضلال **قالَ مَنْ أَنْصَارَنِي إِلَى اللَّهِ فَإِنَّ الْحَوَارِيُّوْنَ هُنُّ أَنْصَارُ اللَّهِ إِمَّا بِاللَّهِ وَأَشَهَدُ إِنَّا مُسْلِمُوْنَ** [٥٢] **إِمَّا أَنَّزَلْنَا وَاتَّبَعْنَا الرَّسُوْلَ فَأَكْتَبْنَا مَعَ التَّهَدِيِّيْنَ**» [آل عمران: ٥٢ - ٥٣]، وكما قال عَيْنُكَ: «**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا أَنْصَارُ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّيْنَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ فَإِنَّ الْحَوَارِيُّوْنَ هُنُّ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَنَّا لَذِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصَبَّجُوْنَا ظَاهِرِيْنَ**» [الصف: ١٤].

وقد همَ اليهود والرومان بالفتاك بال المسيح ابن مريم ﷺ وعزموا على قتلها،

فلما أحاطوا بمنزله وظنوا أنهم قد ظفروا به نجاه الله تبارك وتعالى من شرهم وكيدهم، فألقى شَبَهَهُ على شخص من مبغضيه فحسبوه عيسى عليه السلام فأخذوه وقتلوه وصلبوه، أما عيسى عليه السلام فقد رفعه الله إليه وخَبَّ مكر الماكرين، ورَدَ كيد الكافرين وفي ذلك يقول الله تعالى:

﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَتَكِّبِينَ ﴿٦٤﴾ إِذَا قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى إِنِّي مُتَوَقِّيْكَ وَرَأَيْتُكَ إِنَّكَ وَمُظَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعَلَ الَّذِينَ أَتَبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيْ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكَمْ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّمَا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْذَبْهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٦٦﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ أَمْسَكُوا وَعَمِلُوا الصَّلَاحَاتِ فَيُوَفَّيْهُمْ أُجُورُهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٦٧﴾ [آل عمران: ٥٤ - ٥٧].

وهكذا قضى الله تعالى أن ينصر رسله والمؤمنين، وأن يُخزي أعداء الكافرين، وقد نصَّ الله تعالى على أن عيسى عليه السلام لم يُقتل ولم يُصلب، وإنما شبه لليهود، وفي ذلك يقول: «وَيَكْفُرُهُمْ وَقُولُومَ عَلَى مَرِيمَ بَهْتَنَا عَطِيمًا ﴿٦٨﴾ وَقُولُومَ إِنَّا قَنَلْنَا مُسِيَّحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَنَلُوا وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شَيْءٌ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ لَفِي شَيْءٍ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عَلِيٍّ إِلَّا أَتَبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَنَلُوا يَقِينًا ﴿٦٩﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء: ١٥٦ - ١٥٨].

وإن تعجب فعجب أن يصدق النصارى اليهود في أنهم قتلوا المسيح وصلبوه، وبخاصة من انحرف عن الحق وزعم أن عيسى إله أو ابن إله، كيف يخطر على بال من به أدنى مسكة من عقل أن يعتقد أن الإله يُصلبُ أو يُقتلُ. وقد جاء في إنجيل متى وإنجيل مرقص النص على أن الذين أرادوا قتل المسيح وصلبه لم يكونوا يعرفونه، ففي الإصلاح السادس والعشرين من سفر متى في الفقرة السابعة والأربعين من هذا الإصلاح: وفيما هو يتكلم إذا يهودا واحداً من الأثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب. وفي الفقرة الثامنة والأربعين: والذي أسلمه أعطاهم علامه قائلًا الذي أقبله هو هو. وفي إنجيل مرقص في الإصلاح الرابع عشر في الفقرة الثالثة والأربعين منه: وللوقت فيما يتكلم أقبل يهودا واحداً من الأثنى عشر ومعه جمع

كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ . وفي الفقرة الرابعة والأربعين : وكان مُسَلِّمٌ قد أعطاهم علامه قائلاً الذي أقبله هو هو أمسكه وامضوا به بحرص .

والى الفصل القادم انت شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .





## الفصل السادس والسبعون

### تابع: المسيح ابن مریم ﷺ

ذكرت في ختام الفصل السابق أن الذين أرادوا قتل المسيح وصلبه ما كانوا يعرفونه، وسقطت من إنجيل متى وإنجيل مرقص النص على ذلك. وقد جاء كذلك في الأناجيل المعتمدة عند النصارى أن الله أوقع الشك حتى في قلوب أصحاب عيسى ﷺ في ذات المسيح، فصاروا يتربدون هل هذا هو يسوع الذي أخذ ليقتل ويصلب أو غيره، وقد كان بين المسيح ﷺ وبين يهودا الإسخريوطى الذي دخل على المسيح ليسلمه لليهود والرومان شبهه كبير؛ فصاروا لا يدركون عن الذي أخذ فهو المسيح أم يهودا الإسخريوطى، وقد نقلت الأناجيل الأربع قول المسيح ﷺ لأصحابه ليلة عزم أعدائه على تبيته «كلكم تشكرون في في هذه الليلة» كما جاء في الإصلاح السادس والعشرين من إنجيل متى في الفقرة الواحدة والثلاثين، وكما جاء في الإصلاح الرابع عشر من إنجيل مرقص في الفقرة السابعة والعشرين، وقد جاء في إنجيل برنابا التصرير بأن الجنود أخذوا يهودا الإسخريوطى نفسه ظنًا أنه المسيح؛ لأنه ألقى عليه شبهه، وقد ذكر (جورج سايل) الإنجليزي في ترجمته للقرآن في سورة آل عمران في الصفحة الثامنة والثلاثين أن يهودا الإسخريوطى كان يشبه المسيح في خلقه، وذكر عن فرقه من أقدم فرق النصارى وهم (السيرنثيون والكوبوكراتيون) أنهم أنكروا صلب المسيح، وصرحوا بأن الذي صلب هو يهودا الإسخريوطى الذي كان يشبهه شبهًا تماماً. هـ.

والنصارى مطبقون على أن يهودا الإسخريوطى فُقدَّ بعد حادثة الصليب ولم يظهر في الوجود، وإن كان النصارى اختلفوا في قصة نهايته؛ ففي إنجيل متى في الإصلاح السابع والعشرين في الفقرة الرابعة منه عن يهودا الإسخريوطى أنه مضى وخنق نفسه، وقد تناقضت رسالة أعمال الرسل مع إنجيل متى في نهاية يهودا

الإسخريوطى، فقد جاء في الإصلاح الأول في الفقرة الثامنة عشرة من رسالة أعمال الرسل التي ألفها لوقا صاحب الإنجيل عن يهوذا: فإن هذا اقتني حقلاً من أجراه الظلم، وإذا سقط على وجهه انشق من الوسط انسبركت أحشاؤه كلها.

وهذا التناقض بين إنجيل متى ورسالة أعمال الرسل (والنصارى يقدسون هذين الكتيبين) أقول: هذا التناقض دليل عدم معرفة مآل يهوذا الإسخريوطى، وهو برهان ساطع على أن المصلوب بيد اليهود والرومان لم تكن شخصيته معلومة علم اليقين عند هؤلاء، وقد أكد الله تبارك وتعالى هذا المعنى بقوله عزوجل: **﴿وَمَا قَنَطُواْ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شَيْءٌ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُواْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهُ مَا لَهُمْ يَدْرِي مِنْ عَلِيٍّ إِلَّا آنَاءَ الظَّلَّمِ وَمَا قَنَطُواْ يَقِينًا﴾** [١٥٧] **﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾** [النساء: ١٥٨ - ١٥٧].

وقد التبس الأمر على اليهود والنصارى والرومان، ووقعوا في الشك والحيرة والتردد: أكان المصلوب عيسى أم غيره، فبعضهم كان يقول: هو هو يسوع، وبعضهم يقول: إنه غيره؛ وذلك بسبب شبه يهوذا الإسخريوطى بعيسى عليه السلام، أضف إلى ذلك أنه كان معه شخص آخر هو باراباس، وقد جاء في إنجيل متى في الفقرة السابعة عشرة من الإصلاح السابع والعشرين: فيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس: من تريدون أن أطلق لكم باراباس أم يسوع الذي يدعى المسيح. أ.هـ.

وقد رفع الله تبارك وتعالى المسيح ابن مریم إليه وخلصه من بنى إسرائيل الكافرين الحاذدين الحاسدين، وفي ذلك يقول عزوجل في سورة آل عمران: **﴿يَعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾** [آل عمران: ٥٥] ويقول في سورة النساء: **﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾** [النساء: ١٥٨].

وجمهور أهل السنة والجماعة على أن الله تعالى رفع المسيح إليه بجسده وروحه، ويفسرون التَّوْفِيَّ في قوله تعالى: **﴿يَعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾** بأنه إلقاء النوم عليه إلى أن رفعه الله إلى السماء على حد قوله تعالى: **﴿اللَّهُ يَتَوَفَّ الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَلَا يَمْتَنَعُ لَمْ تَمْتَ فِي مَنَامِهَا﴾** [الزمر: ٤٢]، وكقوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمْ بِالنَّهَارِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾** [الأنعام: ٦٠] أي ينكم بالليل ويعلم ما اكتسبتم من أعمال بالنهار.

وخصص النوم بالليل والاكتساب بالنهار؛ لأن ذلك هو الأصل الملائم لطبيعة الإنسان، وقد لا ينام الإنسان بالليل ولا يكتسب بالنهار، إلا أن ذلك مضر بفطرته وقوام نفسه، وقد ذهب عامة أهل السنة والجماعة إلى أن عيسى عليه السلام حي في السماء، وأنه ينزل في آخر الزمان عند ظهور المسيح الدجال فيقتله باللُّدُن من أرض فلسطين، ويقتل من معه من اليهود، ويريق الخمر ويكسر الصليب، ويوضع الجزية، ويقتل الخنزير، ولا يقبل إلا الإسلام، وفي زمن نزوله يخرج يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسرون، وأن عيسى عليه السلام يضرع إلى الله ويدعوه أن يهلك يأجوج ومأجوج فيستجيب الله له، وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى أن نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان من أمارات الساعة حيث يقول: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّسَاعَةٍ فَلَا تَمْرُكْ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١] على قول لأهل العلم من أهل التفسير والتأويل. أي إن نزول المسيح عليه السلام علامة من علامات قرب الساعة، أو إن إيجاد عيسى عليه السلام من غير أب دليل على أن الله قادر على كل شيء، وأنه برهان على قدرة الله على إحياء الموتى وبعث الناس يوم القيمة، كما ذهب بعض أهل العلم إلى أن معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَنْ أَهْلِ الْكِتَبِ إِلَّا لَيَوْمَنَّ يُهْهَبَ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] يعني أن جميع الكفار من اليهود والنصارى عندما يأتيهم الموت وينقطعون عن الدنيا يعلمون أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمه ألقاها إلى مريم وروح منه، وأنه لم يقتل ولم يصلب، ويصدقون أن الله رفعه إليه وصانه من مكر اليهود وكيدهم، وأنه ليس إلهًا ولا ابن إله كما يزعم النصارى عليهم وعلى اليهود لعائن الله والملائكة والناس أجمعين.

وهذا الإيمان عند معاينة الموت لا ينفعهم، وأكثر المفسرين أرجع الضمير في «موته» إلى عيسى عليه السلام، وأنه عند نزوله يؤمن به البر والفاجر ويسارعون إلى تصديقه، وهذا هو الظاهر؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَنْ أَهْلِ الْكِتَبِ إِلَّا لَيَوْمَنَّ يُهْهَبَ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] قد سبق في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسلیم من سلم لهم من النصارى الجاهلين أن عيسى قُتل وصلب. فأخبر الله تعالى أن الأمر ليس كذلك وإنما شُبِّه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبنون ذلك بل رفعه الله إليه وهو حي وأنه سينزل قبل القيمة.

ونزول المسيح ﷺ آخر الزمان من عقائد أهل السنة والجماعة التي لا يزيغ عنها إلا ضال هالك، فقد روى البخاري ومسلم من عدة طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوش肯 أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون السجدة خيراً له من الدنيا وما فيها» ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: «وَلِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» [النساء: ١٥٩]، كما روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفتح الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ليثنينهما»، أي أو ليقرنَّ بينهما، كما روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كيف بكم إذا نزل فيكم المسيح ابن مريم وإمامكم منكم» كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدايق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نُخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يُقتلون أبداً، فيفتحنون قسطنطينية، فيما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهلكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يُعدُّون للقتال يُسَوِّون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فاماهم، فإذا رأه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربه».

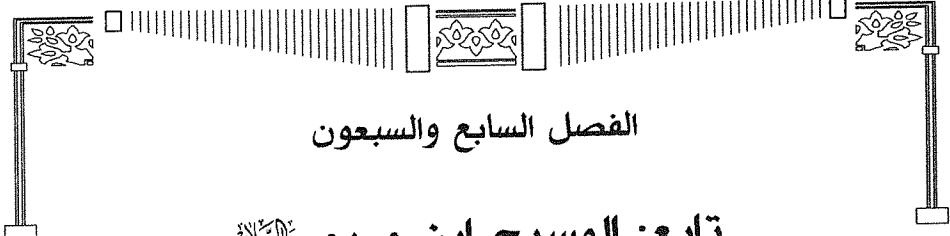
وقوله: «إن المسيح قد خلفكم» يعني به الدجال، قوله: «فاماهم» يعني قصد المسلمين للاقتداء بما لهم في الصلاة، أو قصد الدجال وعصابته لقتلهم وإهلاكهم، والأول أظهر لقوله في رواية البخاري ومسلم المتقدمة: «وإمامكم منكم»، كما روى مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال

طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيمة»، قال: «فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم تعال صل بنا، فيقول: لا. إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة». ا. هـ.

وهذا دليل على أن الله يحفظ لهذه الأمة دينها من التبدل والتغيير إلى آخر الزمان، حتى ينزل المسيح ابن مريم فيحكم بشريعة محمد ﷺ.

والي الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل السابع والسبعون

### تابع: المسيح ابن مريم

إليكم جملة أخرى من الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ في نزول المسيح ابن مريم عند ظهور المسيح الدجال، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث التواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غدأة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا قَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قَلَّنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذَكَرَ الدَّجَالَ غَدَأَةً فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَتْ حَتَّى ظَنَنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، قَالَ: «غَيْرُ الدَّجَالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجٌ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجٌ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفِتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌ قَطْطُ، عَيْنُهُ طَافِيَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بَعْدَ العَزِيزِ بْنِ قَطْنَ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَيُقْرَأُ عَلَيْهِ فَوَاتِحُ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعَرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شَمَالًا، يَا عَبَادَ اللَّهِ! فَاثْبِتُوا»، قَلَّنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا لَبْثَتُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَاعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسْنَةٌ، وَيَوْمٌ كَشْهُرٌ، وَيَوْمٌ كَجَمِيعِهِ، وَسَائِرُ أَيَامِكُمْ»، قَلَّنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسْنَةُ أَتَكْفِنَا فِيهِ صَلَاةً يَوْمًا؟ قَالَ: «لَا. أَقْدُرُوا لَهُ قَدْرًا»، قَلَّنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتِهِ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيُدْعُوْهُمْ فِيؤْمِنُونَ بِهِ وَيُسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتَمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتَنْبَتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتِهِمْ أَطْوَلُ مَا كَانَ ذَرَأً وَأَسْبَغَهُ ضَرْوِعًاً، وَأَمْدَهُ خَوَاصِرًا، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمُ فَيُدْعُوْهُمْ فَيُرِدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيُنَصِّرُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحَلِينَ، لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمْرُّ بِالْخَرْبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرَجِي كَنُوزَكِ، فَتَبْعَثُهُ كَنُوزُهَا كَيْعَاسِيبُ النَّحلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مَمْلِئًا شَبَابًا فَيُضْرِبُهُ بِالسِّيفِ فَيُقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغَرْضِ، ثُمَّ يَدْعُو فِيُقْبَلَ وَيَتَهَلَّ وَجْهُهُ بَضْحَكٍ، فَبِينَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرِيمَ، فَيَنْزَلُ عَنْدَ الْمَنَارَةِ

البيضاء شرقي دمشق بين مهرودين، واضعاً كفيه على أجنحة ملائكة، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدى منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه حيث ينتهي طرفه، فيطلبها حتى يدركه بباب لدّ فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، وبينما هو كذلك إذ أوحي الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج وأmajوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمروا أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمرون آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرأة ماء، ثم يسiron حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيردد الله عليهم نشابهم مخصوصة دمأ، ويحصرنبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدthem خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب النبي الله عيسى وأصحابه إلى الله. فيرسل الله عليهم النَّفَقَ في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط النبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاهَ زَهْمُهُم ونَتْنُهُم، فيرغب النبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلفة، ثم يقال للأرض: آنِي ثَمَرَتِكِ، ورُدِي بَرَكَتِكِ، فيومئذٍ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل، حتى أن اللّقحة من الإبل لتكتفي الفئام من الناس، واللّقحة من البقر لتكتفي القبيلة من الناس، واللّقحة من الغنم لتكتفي الفخذ من الناس، وبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آبائهم فتقيض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهاجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة».

وقوله في الحديث: «فخَفَضَ فِيهِ ورَفَعَ» أي حَقَرَ فيه وفخر، أو خَفَضَ من صوته بعد طول الكلام ليستريح، ثم عاد فرفع صوته ليبلغ كل المستمعين له. وقوله: «حتى ظنناه في طائفة النخل» أي في غاية القرب منا، وأنه قريب الظهور.

وقوله: فلما رُحْنَا إِلَيْهِ، أَيْ رجعنا إلى مجلس رسول الله ﷺ في العشّيِّ إذ كان حديثه ﷺ عن الدِّيجال في الصِّباح، وقوله: «إِنَّه شَابَ قَطَطٌ» أَيْ شَدِيدَ جُعُودَة الشِّعر، وقوله: «إِنَّه خارجَ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعَرَاقِ» أَيْ فِي طَرِيقِ بَيْنِهِمَا، وقوله: «فَتَرُوْخُ عَلَيْهِمْ سَارَحْتُهُمْ» أَيْ فَتَرَجَعَ عَلَيْهِمْ مَا شَيْتُهُمْ التِّي تَسْرُخُ أَيْ تَذَهَبُ أَوْلَ النَّهَارِ إِلَى الْمَرْعَى، وقوله: «أَطْوَلُ مَا كَانَتْ ذَرَّاً»، الذَّرَّى جَمْعُ ذَرَّة، وَهِيَ الْأَعْلَى وَالْأَسْنَمَةُ، وَالْمَرَادُ أَنَّه يَزِيدَ ارْتِفَاعَهَا بِسَبَبِ سَرْعَةِ نَمْوِهَا، وقوله: «وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا» أَيْ أَطْوَلَهُ ضَرُوعًا لِكَثْرَةِ الْلَّبَنِ، وقوله: «وَأَمْدَهُ خَوَاصِرًا» يَعْنِي لِكَثْرَةِ امْتَلَائِهَا مِنِ الشَّبَعِ، وقوله: «كِيعَاسِيبُ النَّحْلِ» الْيَعَاسِيبُ جَمْعُ يَعَسُوبٍ وَهُوَ ذَكْرُ النَّحْلِ وَأَمِيرِهَا، وَأَرَادَ بِالْيَعَاسِيبِ هُنَا جَمَاعَةُ النَّحْلِ فِي اتِّبَاعِهَا لِيَعَسُوبِهَا؛ لِأَنَّه مَتَى طَارَ تَبَعَّتُهُ، وَمَرَادُهُ أَنَّ الدِّجَالَ تَتَبَعَّهُ كُنُوزُ الْأَرْضِ كَمَا تَتَبَعُ جَمَاعَةُ النَّحْلِ يَعَسُوبِهَا لَا تَتَخَلُّفُ عَنْهُ بِحَالٍ، وقوله: «فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتِينِ رَمِيَّةُ الْغَرْضِ» أَيْ فَيَقْطَعُهُ قَطْعَتِيْنِ وَيَجْعَلُ بَيْنَ الْقَطْعَتِيْنِ مَقْدَارَ رَمِيَّةِ السَّهْمِ نَحْوَ الْهَدْفِ. وقوله: «بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ» أَيْ حُلَّتِينِ مَصْبُوْغَتِيْنِ بِالْهُرْدِ، وَهُوَ عُرُوقٌ يُصْبِغُ بِهَا، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الثَّوْبَ الْمَهْرُودَ هُوَ الْمَصْبُوْغُ بِالْوَرْسِ ثُمَّ بِالْزَّعْفَرَانِ. وقوله: «لَا يَدْانُ لِأَحَدٍ بِقَاتَالِهِمْ» يَعْنِي لَا قَدْرَةَ لِأَحَدٍ عَلَى حَرْبِهِمْ. وقوله: «فَيَرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمِ النَّفَّقَ فِي رَقَابِهِمْ» أَيْ فَيُسَلِّطُ اللَّهُ عَلَيْهِمِ النَّفَّقَ، وَهُوَ دُودٌ يَصِيبُ أَنْوَافَ الإِبْلِ وَالْغَنَمِ وَقَوْلُهُ: «فَيَصِبُّهُنَّ فَرْسَيِّ» أَيْ هَلْكَى. وقوله: «حَتَّى يَتَرَكْهَا كَالْزَلَفَةِ» أَيْ كَالْمَرَأَةِ وَالْأَرْضِ الْمَكْنُوْسَةِ. وقوله: «وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفَهَا». أَيْ بِقَسْرِهَا، وَالْفَئَامُ: الْجَمَاعَةُ: وَقَوْلُهُ: «يَتَهَاجِجُونَ فِيهَا تَهَاجِجُ الْحَمْرِ» أَيْ يَذَهَبُ الْحَيَاءُ مِنَ النَّاسِ، وَيَقَارِفُ الرِّجَالُ النَّسَاءُ، وَيَسَافِدُونَ فِي الْطَّرِقَاتِ بِلَا خَجْلٍ وَلَا اكْتِرَاثٍ.

هذا وقد وصفت أحاديث نزول عيسى ﷺ عند ظهور المسيح الدجال بأنها متواترة، فقد قال ابن كثير في نفسه قول تعالى: «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا يَعْمَلُنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» [النساء: ١٥٩]: «ذَكْرُ الْأَحَادِيثِ الْوَارَدَةِ فِي نَزْوَلِ عِيسَى ابْنِ مُرْرِيمٍ إِلَى الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاوَاتِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَبْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّه يَدْعُوا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ».

وبعد أن ساق عدداً كثيراً من هذه الأحاديث الواردة في البخاري ومسلم

ومسند الإمام أحمد وسنن الترمذى وأبي داود وسائر أهل السنن، ثم قال: فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبي هريرة وابن مسعود وعثمان بن أبي العاص وأبي أمامة والنواس بن سمعان وعبد الله بن عمرو بن العاص ومجمع بن جارية وأبي سريحة حذيفة بن أسد رض، وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه من أنه بالشام بل بدمشق عند المنارة الشرقية، وأن ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح .ا.ه.

هذا وقد وصف رسول الله ﷺ عيسى ابن مريم بأنه ربعة أحمر من يراه يحسبه خرج من ديماس أي حمام بعد أن اغتسل، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رض أن رسول الله ﷺ نعمت عيسى عليه السلام بعد أن رأه ليلة الإسراء والمعراج فقال: «ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس» يعني الحمام. وفي رواية للبخاري من حديث ابن عمر رض في وصف عيسى عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: «فاما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر»، وفي رواية لمسلم من حديث ابن عمر رض عن رسول الله ﷺ قال: «وأراني الله عند الكعبة في المنام وإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من آدم الرجال تضرب لمنته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعاً يديه على منكبيه رجلين وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا قالوا: هو المسيح ابن مريم» وفي لفظ للبخاري من حديث ابن عمر رض عن رسول الله ﷺ قال: « بينما أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر يتهادى بين رجلين، ينطف رأسه ماء - أو يهراق رأسه ماء - فقلت: من هذا؟ فقالوا: ابن مريم» ومعنى قوله: «ربعة» أي مربع بين الطول والقصر، ومعنى قوله: «جعد» أي ليس شعره سبطاً أي ناعماً، ويقال: رجل جعد أي كريم. ومعنى قوله: «آدم» أسمر، وقد يوصف الأحمر به أيضاً إذا لم يكن أمهق شديد البياض. وقوله: «تضرب لمنته بين منكبيه» اللمة هي الشعر المجاور شحمة الأذن. ومعنى قوله: «رجل الشعر» يقال: رجل الشعر ورجل الشعر إذا كان شعره بين السبوطة والجعودة، وهذا يقيد ما ورد في وصف شعر عيسى عليه السلام من مطلق قوله: سبط الشعر أو جعد، ومعنى قوله: «ينطف رأسه ماء» أي يقطر ويسيل.

## الفصل الثامن والسبعون

### تابع: المسيح ابن مريم

ذكر الله تبارك وتعالى في تعداد جرائم اليهود أنهم قالوا لموسى: أرنا الله جهراً، وأنهم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم evidences، وأنهم عدوا في السبت. وأنهم نقضوا الميثاق، وأنهم كفروا بآيات الله، وأنهم قتلوا الأنبياء بغير حق، وأنهم قالوا: قلوبنا غلف، ثم قال تعالى: ﴿وَيُكْفِرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَىٰ مَرِيمَ بُهْتَنَا عَظِيمًا﴾ وقولهم إنا فتننا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله [النساء: ١٥٦ - ١٥٧] وقوله تعالى هنا: ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ بنصب رسول يحتمل أن يكون من تمام مقالة اليهود وقالوا ذلك تهكمًا على حد قول مشركي مكة في حق محمد ﷺ فيما حكى الله ذلك عنهم: ﴿وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الْذِكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] وقول فرعون في موسى ﷺ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُنْشَأَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]، ويجوز أن يكون قوله: ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ ليس من مقالة اليهود، وإنما ذكره ﷺ ونصبه على الاختصاص والمدح؛ للإشارة إلى فطاعة عملهم، ودرجة جهلهم وشناعة زعمهم وسوء حقدتهم وبغضهم للأنبياء والمرسلين. ولا شك أن الحواريين قاموا بعد رفع المسيح ﷺ بنشر دعوة توحيد الله ﷺ، وأنه لا إله إلا الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته، ألقاها إلى مريم وروح منه، وقد تعرضوا لصنوف من التعذيب على أيدي اليهود والرومان، ولم يدع واحد منهم أن عيسى إله أو ابن إله، أو أن الله ثالث ثلاثة، وقد استمرت دعوة التوحيد التي جاء بها عيسى ﷺ صافية وقتاً من الزمان ليس بتطويل، فقد وقع على أتباعه اضطهاد عظيم، فُشِّرُدوا وُعذِّبُوا وقتُلُوا وصُلِّبُوا حتى كادت تختفي معالم المسيحية من الأرض بسبب تلك الاضطهادات التي كان يتولاها أباطرة الرومان وعمالهم وكذلك اليهود.

وأشد ما نزل بهم من الأذى كان في عهد الإمبراطور نيرون (٦٤م)، ثم في

عهد الإمبراطور تراجان (١٠٦م)، ثم الإمبراطور ديسيوس (٢٥١م)، ثم في عهد الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤م)؛ فأما نيرون فقد اتهمهم بأنهم هم الذين أحرقوا مدينة روما، وتفنن في تعذيبهم، إذ كان يأمر أتباعه بوضع أتباع عيسى في جلود الحيوانات ثم يطرحوthem للكلاب فتنهشهم، كما كانوا يلبسون بعض هؤلاء المسيحيين ثياباً مطلية بالقار. ثم يجعلونهم مشاعل يستضيئون بنارها. كما كتب بطريرك الإسكندرية يصف بعض ما عاين من ديسيوس إذ يقول: عم الخوف الجميع، وفر بعضهم بدمائهم، وقد أبعد كل مسيحي من خدمة الدولة مهما يكن ذكاًؤه، وكل مسيحي يُرْشَد عنه يؤتى به على عجل ويقدم إلى هيكل الأوثان، ويطلب منه تقديم ذبيحة للصنم، وعقاب من يرفض تقديم الذبيحة أن يكون هو الذبيحة، بعد أن يجتهدوا في حمله بالترهيب، ثم يقول البطريرك: ومن ضعاف الإيمان من أنكر مسيحيته واقتدى به البعض، ومنهم من تمسك بأذیال الفرار أو من زُجَّ به في غياب السجون. . . . .

أما دقلديانوس فقد جاء إلى مصر وأنزل بها البلاء، وأمر بهدم الكنائس وإحراق الكتب، وأصدر أمراً بالقبض على الأساقفة وزجهم في غياب السجون، وقهَّرَ المسيحيين على إنكار دينهم، وقتل منهم حوالي ثلاثة مئة ألف.

وقد أُطلقَ على أتباع المسيح عليه السلام اسم النصارى، نسبة إلى نصرانة قرية المسيح عليه السلام من أرض الجليل بفلسطين، وهذه القرية تسمى أيضاً الناصرة والنصرورية، ولا أعرف على التحديد متى صارت النصرانية علمًا على دين أهل الإنجيل، وقد وجدت هذه اللفظة بهذا المعنى في أوائل القرن الثاني الميلادي، إذ كتب (بلين) وكان والياً في آسيا إلى الإمبراطور تراجان الموجود عام (١٠٦م) كتاباً يشرح فيه طريقة تعذيبه للمسيحيين، فقال: «جريت مع من اتهموا بأنهم نصارى على الطريقة الآتية: وهي أنني أسألهُم إذا كانوا مسيحيين، فإذا أقرُوا أعيد عليهم السؤال ثانية وثالثة، مهدداً بالقتل، فإذا أصرُوا أنفذاً عقوبة الإعدام فيهم، ثم يقول (بلين): وقد وجهت التهمة إلى كثيرين بكتب لم تُذيل بأسماء أصحابها فأنكروا أنهم نصارى». . . . .

وقد يفهم من القرآن الكريم أنهم أحدثوا هذا الاسم، إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ قَاتَلُوا إِنَّا نَصْرَنَاهُ﴾ [المائدة: ٨٢]، ولا يقتضي لفظ النصرانية في الأصل مدحًا ولا ذمًا؛ لأنها نسبة إلى وطن، والنسبة إلى الأوطان لا تقتضي مدحًا ولا ذمًا، فإن الوطن الواحد يشتمل على صالحين وطالحين، أما المسيحية فإنها إنما يصح إطلاقها على المتبوعين بحق دين المسيح ﷺ، وبعد بعثة رسول الله ﷺ، وقد نسخ الله بشرعيته كل شريعة سوى شريعته، فإنه لا ينبغي إطلاق المسيحية على النصارى؛ لأن هؤلاء في الواقع لا يتبعون المسيح ﷺ، إذ لو اتبعوا لسارعوا إلى الإيمان بمحمد ﷺ، ولذلك لا نجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ تسميتهم مسيحيين، وقد أطلق عليهم القرآن والسنة أنهم نصارى وأهل الكتاب، كما سماهم القرآن أهل الإنجيل، هذا وقد كان اليهود أشد الناس عداوة لدين المسيح عيسى ابن مريم ﷺ، وبذلوا كل سبيل للقضاء عليه وعلى أتباعه، وقد رأوا بتفكيرهم الشيطاني أن يتظاهر بعضهم بالدخول في هذا الدين ليحرقه ويبعد الناس عن دين المسيح ﷺ، وقد قام بهذه الحيلة شاؤول اليهودي، وقد كان من المغرمين المولعين بتعذيب النصارى وفتنهם عن دينهم، ويجمع علماء النصرانية على أنه كان راضياً بقتل المسيحيين، وكان يستطيع على الكنيسة ويدخل البيوت ويحرر الرجال والنساء ويسلمهم إلى السجن، وقد وصف في رسالة (أعمال الرسل) بأنه الممتلىء كل غش وكل خبث، وأنه ابن إبليس، وأنه عدو كل بريء، وأنه يفسد سبل الله المستقيمة كما جاء في الإصلاح الثالث عشر من هذه الرسالة في الفقرة العاشرة من هذا الإصلاح.

وقد زعم شاؤول أنه تقدم إلى رئيس الكهنة اليهودي وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات، حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً أو نساءً يسوقهم موثقين إلى أورشليم، وقد كان ذلك في السنة الثامنة والثلاثين من الميلاد، أي بعد وقت قصير من رفع المسيح ﷺ، ويقول شاؤول عن نفسه: سمعتم بسيرتي قبلًا في الديانة اليهودية أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي؛ إذ كنت أوفر غيره في

تقليدات آبائي . . ثم يزعم شاؤول أنه وهو في طريقه إلى دمشق رأى يسوع ، وأنه آمن به ، وأنه تسمى بولس ، ويدرك لوقا صاحب الإنجيل المسمى باسمه في رسالته التي سماها أعمال الرسل قصة شاؤول هذه على ما زعمه شاؤول ، فيقول في الإصلاح التاسع من هذه الرسالة عن شاؤول : فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات ، حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً أو نساءً يسوقهم موثقين إلى أورشليم . وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغية أبرق حوله نور من السماء ، فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له : شاؤول شاؤول لماذا تضطهدني ؟ فقال : من أنت يا سيد ؟ فقال رب : أنا يسوع الذي أنت تضطهد ، ثم يقول : فقال وهو مرتعد ومحير : يا رب ماذا تريد أن أفعل ؟ ثم يقول : وللوقت جعل يرکز في المجامع بال المسيح أن هذا هو ابن الله . ولم تكن فكرة الوهية عيسى أو بنوته الله معروفة من قبل للمسيحيين فهم لا يعلمون إلا أنه عبد الله ورسوله وكلماته ألقاها إلى مريم وروح منه ، ولما جاء شاؤول الذي تسمى بولس بهذه الدعوى أنكرها الحواريون وتشككوا في هذه القصة التي اخترعوا شاؤول ، ولم ينسوا أنه أكبر أعدائهم في اليهود غير أن برنابا نصر الحواريين أن لا يعجلوا على شاؤول وأحسن تقديميه إلى هؤلاء ، بيد أن برنابا كذلك لم يستقم على موالة شاؤول فلم يمض قليل وقت حتى انفصلت عرى المودة بينهما ، بل نفر من شاؤول عامدة التلاميذ ولم يبق على صحبته له سوى لوقا الذي اعتبر نفسه أخص تلاميذ بولس ، وكان طيباً ولم يكن من الحواريين ، وكان شاؤول (بولس) يلقبه بعد ذلك بالطبيب الحبيب .

وصار بولس يبشر بمسيحية لم يعرفها الحواريون ، إذ لم يتلق أي نوع من التعليم من عيسى عليه السلام أو من الحواريين ، ثم صار يزعم أن يسوع يعلمه من السماء مباشرة وبلا واسطة ، ويقول : لا يجوز لأحد أن يقبل تعليماً آخر من غيري ، وحرّم على تلاميذه أن يستمعوا أو يأخذوا شيئاً عن الحواريين .

والي الفصل القادم إن شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## الفصل التاسع والسبعون

# تابع: المسيح

ذكرت في ختام الفصل السابق أن شاؤول الذي سمي نفسه بولس أراد القضاء على جميع التعاليم التي تلقاها الحواريون عن المسيح ﷺ، وكان يقول: لا يجوز لأحد أن يقبل تعليماً آخر من غيري، وحرّم على تلاميذه أن يستمعوا أو يأخذوا شيئاً عن الحواريين، وفي ذلك يقول في كتاب بعث به إلى تلاميذه تيموثاوس: طلبت إليك أن تمكث في إفسس إذ كنت أنا ذاهباً إلى مقدونية لكي توصي قوماً ألا يعلموا تعليماً آخر، ولا يصغوا إلى خرافات وأنساب لا حدّ لها تُسبّبُ مباحثات دون بنيان الله الذي في الإيمان، وأما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا راء، الأمور التي إذا زاغ قوم عنها انحرفوا إلى كلام باطل يريدون أن يكونوا معلمي الناموس وهم لا يفهمون ما يقولون ولا ما يقررون، ويقول: إن كان أحد يُعلّم تعليماً آخر فقد تصلف وهو لا يفهم شيئاً.

وهكذا بدأ شاؤول اليهودي هذا الذي زعم أنه تنصر وتسمى بولس، بدأ يُجَهّل كل الحواريين ويصفهم بعدم الفهم، وراح يدعي أنه معلم المسيحية الوحيد، وصار ينشر تعاليم يستمدّها من مذاهب الهندوس والبوذيين وفلاسفة الإغريق وبعض تعاليم اليهود، فقد جاء لأول مرة بفكرة التثليث، وبفكرة أن المسيح ابن الله، وأنه نزل ليضحي بنفسه تكفيراً عن خطيئة البشر، وأنه صعد ليجلس عن يمين أبيه ليحكم ويدين البشر، تعالى الله عما يقول علوًّا كبيراً.

ولا شك أن اليهود من آباءه قالوا: العزيز ابن الله، فهو لم يبعد في دعوته أن عيسى ابن الله عن دعوى آباءه الضالين المنحرفين، وقد ضم إلى ذلك ما أخذه عما دُوّن عند الهندوس عن كرشنة، وما دُوّن عند بعض البوذيين عن بوذا،

فكريشنا يلقب عند معتقديه من الهندوس بالملخص والفادي والمعزي والراعي الصالح وال وسيط وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس؛ وهو الأب والابن والروح القدس، كما لقب بودا عند بعض أتباعه بنفس هذه الألقاب وهي بعينها التي أطلقها بولس على المسيح ﷺ، كما قال أصحاب كريشنا: إنه ولد من العذراء (ديفاكي) التي اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها، وقال بعض أصحاب بودا عن بودا إنه ولد من العذراء (مايا) التي اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها. وهذه العبارة بعينها أطلقها شاؤول (بولس) على والدة المسيح ولدتها ﷺ، ويقول أصحاب كريشنا عن كريشنا، إن الناس عرفوا ولادته من نجمه الذي ظهر في السماء، وكذلك قال بعض أصحاب بودا عن بودا، وكذلك قالت تعاليم شاؤول (بولس): لما ولد المسيح ظهر نجمه في المشرق، وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس محل ولادته، كما زعم أصحاب كريشنا أن أمه (ديفاكي) كانت مخطوبة لناندا، وأنها لما ولدت كريشنا سمع ناندا نداء من السماء يقول له: قم خذ الصبي وأمه وفر بهما إلى كاكول واقطع نهر جمنة؛ لأن الملك طالب إهلاكه، وفي تعاليم شاؤول التي نشرها: أنه لما ولد يسوع كان يوسف النجار خطيب أمه غائباً، وأنذر يوسف النجار خطيب مريم والدة يسوع بحلم كي يأخذ الصبي وأمه ويفرّ بهما إلى مصر؛ لأن الملك طلب إهلاكه، كما أن اسم المدينة التي ولد فيها كريشنا وعمل فيها الآيات العجيبة هي مصر، وكذلك نشر شاؤول أن اسم المدينة التي هاجر إليها يسوع المسيح وأمه وخطيبها يوسف النجار هي المطيرية من أرض مصر، وقد عمل فيها الآيات العجيبة لما ترك أرض اليهودية.

علمًاً بأن كريشنا كان موجوداً حوالي سنة ٩٥٠ ق.م، وبودا كان موجوداً حوالي منتصف القرن السادس قبل الميلاد. وقد انتشرت تعاليم وأفكار بولس في الغرب بين الوثنيين واليونان في الوقت الذي حوربت فيه بالشرق، وفي ذلك يقول بولس في رسالة إلى تلميذه تيموثاوس: أنت تعلم أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عنى. ومع ذلك فقد أخذ بولس في التطواف في الأقاليم ينشئ الكنائس

ويلقي الخطب ويبعث بالرسائل التي صارت عمامات المسيحية المحرفة، حتى قتل في اضطهادات نيرون سنة ٦٦ أو ٦٧ م، غير أن بعض الحواريين ومنهم برنابا الذي كان يحسن الظن في (بولس) قاوموا هذه التعاليم التي جاء بها بولس، وألف برنابا إنجيلاً أشار في مقدمته إلى السبب الذي دعاه إلى تأليفه. وأنه إنما أله ليرد على أولئك الذين يدعون لوهية المسيح؛ أو أنه ابن الله، وفي ذلك يقول برنابا في مطلع إنجيله: أيها الأعزاء، إن الله العجيب العظيم قد افتقدنا في هذه الأيام بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم، والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر الله به دائماً، مجوزين كل لحم نجس الذي ضل في عدادهم أيضاً بولس (شاؤول اليهودي) الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر هذا الحق الذي رأيت. ١. هـ.

وقد أجمع مؤرخو النصرانية على أنه كانت في العصور الغابرة أناجيل شتى قد أخذت بها فرق مسيحية قديمة، وأن كل فرقة من هذه الفرق لم تكن تتمسك إلا بإنجيلها، وأن الكنيسة قامت في أوائل القرن الثالث الميلادي بالإبقاء على أربعة أناجيل فقط؛ وهي إنجيل متى وإنجيل مرقص وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا، وحرّمت الكنيسة ما عدّها من الأنجليل، على أنه قد ذكر بعض المؤرخين أن هذه الأنجليل الأربع لا ذكر لها قبل آخر القرن الثاني الميلادي، وأول من ذكر هذه الأنجليل الأربع هو أريينيوس سنة ٢٠٩ م، ثم جاء من بعده كليمينس اسكندريانوس في سنة ٢١٦ م، وأظهر أن هذه الأنجليل الأربع واجبة التسليم، علمًا بأن جميع هذه الأنجليل أشبه بكتب السيرة النبوية التي تسوق عن رسول الله ﷺ سيرته، وتشتمل على الصحيح والحسن والضعف والموضوع من الأخبار. ولم يدع أحد من النصارى أنها تشتمل على الإنجيل المنزّل على عيسى عليه السلام، وإن كانت تسوق أحياناً بعض فقرات لا شك أنها توافق ما عُرف عن المسيح ﷺ من توحيد الله تعالى، وأن عيسى رسول الله ونبي من الأنبياء؛ ففي إنجيل متى في الإصلاح العاشر في الفقرة الأربعين في خطاب عيسى مع الحواريين يقول: من يقبلكم،

يقبلني، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني. وفي الإصلاح التاسع عشر من متى في الفقرة الثامنة عشرة: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك. وفي الفقرة الواحدة والثلاثين والثانية والثلاثين من الإصلاح الثاني والعشرين من متى: فأما قرأتم ما قيل لكم من قبْل الله القائل: أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب. وفي الفقرة السابعة والثلاثين والثانية والثلاثين والتاسعة والثلاثين من الإصلاح الثالث والعشرين من متى يقول: يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين، إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هو ذا بيتكم يُترك لكم خراباً. لأنني أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا: مبارك الآتي باسم رب. وفي إنجيل مرقص في الإصلاح العاشر في الفقرة التاسعة عشرة: أنت تعرف الوصايا. لا تزن. لا تقتل. لا تسرق. لا تشهد بالزور. لا تسلب. أكرم أباك وأمك. وفي الإصلاح الثاني عشر منه في الفقرة السادسة والعشرين: فأما قرأتم في كتاب موسى في أمر العلية كيف كان الله قائلاً: أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب. وفي الفقرة الثامنة والعشرين إلى الثانية والثلاثين منه: فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون، فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله: أيّة وصيّة هي أول الكل؟ فأجابه يسوع: أن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل: الرَّبُّ إلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٌ، وَتَحْبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ فَكْرِكَ وَمِنْ كُلِّ قَدْرَتِكَ، هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى، وَثَانِيَّةٌ مُثْلِهَا هِيَ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنْفُسَكَ، لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمُ مِنْ هَاتِينِ، فَقَالَ لِهِ الْكَاتِبُ: جِيداً يَا مُعْلِمُ، بِالْحَقِّ قَلْتَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخْرُ سُواهُ، وَفِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا التَّقْرِيرُ بِأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ، وَأَنَّ عِيسَى رَسُولَ اللَّهِ حِيثُ جَاءَ فِي الْفَقْرَةِ الثَّانِيَّةِ مِنِ الْإِصْحَاحِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْهُ: وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبْدِيَّةُ أَنْ يَعْرُفُوكُمْ إِلَهٌ حَقِيقِيٌّ وَحْدَكُمْ وَيُسْعِيَ الْمَسِيحُ الَّذِي أَرْسَلْتُهُ.

ولا شك أن هذه هي وصايا الأنبياء لم يتمكن شاؤول ولا المحرفون من اليهود والنصارى من طمسها، وهي المطابقة لما جاء به محمد ﷺ وعليها وعلى

نحوها يحمل قوله تعالى: «وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْهُمُ الْتَّوْرِثَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ» [المائدة: ٤٣]، وقوله تعالى: «وَلَيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ» [المائدة: ٤٧].

وفي نحوها يقول الله عَزَّوجلَّ في الوصايا العشر: «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَإِلَوَالَّدِينَ إِحْسَنًا وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ مِنْ إِمَانِقُّ تَحْنُنْ نَرْفَقُكُمْ وَإِبَاهُمْ وَلَا تَقْرِبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفَسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِيقَةِ ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾ وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتَمِّ إِلَّا بِالْيَتَمِّ هِيَ أَحْسَنُ حَقَّ يَلْبَغُ أَشَدُهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا فِرْئِينَ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْبِغِي أَشْبَلَ فَنَفَقَ يُكْمَ عن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَنَقُونَ» [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].

وقد أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من أراد أن ينظر إلى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات: «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ» إلى قوله: «لَعَلَّكُمْ تَنَقُونَ».

والى الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل الثمانون

### تابع: المسيح ﷺ

ذكرت في الفصل السابق أنه كانت هناك أناجيل كثيرة، وكان لكل فرقة من فرق النصارى إنجيلها الخاص بها، حتى قامت الكنيسة في أوائل القرن الثالث الميلادي بالإبقاء على أربعة أناجيل فقط، وهي متى ومرقس ولوقا ويوحنا؛ وإليكم نبذة تبين أن هذه الأنجليل مختلف في تاريخ تدوينها وفي اللغة التي كتبت بها، وفي البلد الذي ألفت فيه وفي الذي قام بترجمتها، كما اشتملت على جملة من التناقضات فيما بينها؛ فإنجيل متى الحواري أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر، ويعرف بمتى العشار، إذ كان قبل اتصاله باليسوع ﷺ من جبة الضرائب للرومان، وكان جبة الضرائب يعرفون آنذاك بالعشارين، وقد كان عمله في كفرناحوم من أرض الجليل بفلسطين، وقد ذكر متى في إنجيله كيفية دخوله في دين المسيح إذ يقول في الإصلاح التاسع من إنجيله: وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجبائية اسمه متى، فقال له: اتبعني فقام وتبعد، وبينما هو متكم في البيت إذا عشّارون وخطاة كثيرون قد جاؤوا واتكؤوا مع يسوع وتلاميذه، فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه: لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة؟ فلما سمع يسوع قال لهم: لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى، اذهبوا وتعلموا ما هو؟ إنني أريد رحمة لا ذبيحة، لأنني لم آت لأدعو أبراً بل خطاة إلى التوبة.

وقد اختلف النصارى في تاريخ تدوين هذا الإنجيل، وبعضهم يدعى أنه ألف عام ٣٩ م، وبعضهم يدعى أنه ألف عام ٤١ م، وبعضهم يقول: إنه ألف في عهد الإمبراطور قلوديوس ولم يحدد السنة التي ألف فيها، علمًا بأن قلوديوس حكم أربع عشرة سنة، ويقول هورن: إنه ألف عام ٣٧ و ٣٨ أو ٤١ أو ٤٣ أو ٤٨ أو ٦١ أو ٦٢ أو ٦٣ أو ٦٤ م.

وقد تنازع النصارى كذلك في اللغة التي كتب بها هذا الإنجيل وفي البلد الذي ألف فيه، فمنهم من يقول: إنه كتب بالعبرية، ومنهم من يقول: إنه كتب بالسريانية، ومنهم من يقول: إنه كتب في أورشليم، ومنهم من يقول: إنه كتب باليونانية، وأجمعوا على أنه لم يعرف إلا باليونانية، واختلفوا في مترجمه إلى اليونانية، والمعروف أن متى لم يبق طويلاً في فلسطين بعد رفع المسيح عليه السلام، بل جال في بلاد كثيرة يبشر بالمسيحية، واستقر بأرض الجبعة حتى مات عام ٧٠ م ببلاد الجبعة، على أثر ضرب مبرح أزله به أحد أعونان ملك الجبعة، وبعضهم يقول: إنه طعن برمح بأرض الجبعة بعد أن قضى بها نحو ثلاثة وعشرين سنة.

أما إنجيل مرقص فمؤلفه أصله من اليهود أيضاً وكانت أسرته تقيم بأورشليم في وقت ظهور المسيح عليه السلام، لكنه ليس من الحواريين، بل هو تلميذ لطرس كبير الحواريين، كما أنه تلمند على خاله برنابا أحد الحواريين كذلك، وقد كتب هذا الإنجيل باللغة اليونانية بطلب من أهالي رومية، في عهد الإمبراطور نيرون، وقد ذكر سعيد بن البطريق النصراوي في تاريخه أن هذا الإنجيل كتبه بطرس رئيس الحواريين عن مرقص في مدينة رومية ونسبة إلى مرقص. وهذا أمر عجيب غريب، إذ كيف يروي رئيس الحواريين عن تلميذه هذا الإنجيل، ثم ينسبه إلى التلميذ، على أن بعض الرواة يقررون أن مرقص ما كتب إنجيله إلا بعد وفاة بطرس، وقد ذكر كتاب مروج الأخبار في تراجم الأبرار: أن مرقص كان ينكر ألوهية المسيح، هو وأستاذه بطرس الحواري، وقد جاء في هذا الكتاب عن مرقص أنه صنف إنجيله بطلب من أهالي رومية وكان ينكر ألوهية المسيح. وقد انتقل مرقص من بلد إلى بلد يبشر بالمسيحية حتى دخل مصر في منتصف القرن الأول من الميلاد، فأقام بها، وأخذ يدعو إلى المسيحية، فدخل فيها عدد كبير من المصريين، وقد كان يسافر من مصر أحياناً إلى رومية، وأحياناً إلى شمال إفريقيا، غير أنه آثر الاستقرار في مصر إلى أن ائتمر به الوثنيون فسجنوه وعذبوه ثم قتلواه في عام ٦٢ م.

أما إنجيل لوقا فمؤلفه ليس الحواريين كذلك ولا من تلاميذ الحواريين،

وإنما تلمند لبولس (شاؤول اليهودي) وأخلص له، وصار أخص أصدقائه، وقد

اختلف فيه فقيل: إنه أنطاكى ولد بأنطاكية، وقيل: بل روماني نشأ في إيطاليا، وبعضهم يقول: إنه كان طيباً، وبعضهم يقول: إنه كان مصوراً. وقد أشار لوقا إلى سبب تأليفه إنجيله، فبدأ هذا الإنجيل بقوله: إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة رأيت أنا أيضاً إذ قد تبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علّمت به. وقد تنازع مؤرخو النصرانية في تاريخ تدوين هذا الإنجيل فقيل: إنه ألف عام ٥٣ أو ٦٣ أو ٨٤ وقيل غير ذلك.

أما إنجيل يوحنا فمؤلفه محل نزاع شديد عميق بين علماء النصارى؛ فالكثير منهم يدعى أنه أحد الحواريين وهو يوحنا بن زيدي الصياد، وبعضهم يدعى أنه يوحنا آخر لا يمت إلى الأول بصلة، وقد أنكر بعض علماء النصارى آخر القرن الثاني الميلادي نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري في الوقت الذي كان يعيش فيه أرينيوس تلميذ بوليكارب تلميذ يوحنا الحواري، ولم ينقل أحد أن أرينيوس سمع من أستاذه صحة تلك النسبة. وقد قال علماء النصارى: إن كافة إنجيل يوحنا من تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية، كما جاء في دائرة المعارف البريطانية التي اشتراك في تأليفها خمس مئة من علماء النصارى النص التالي: أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما البعض وهما القديسان يوحنا ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علالتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، وإنما لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليل، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى، لخطفهم على غير هدى. ا.ه.

## الفصل الحادي والثمانون

# تابع: المسيح ابن مريم

ذكرت في الفصل السابق إنكار دائرة المعارف البريطانية أن يكون إنجيل يوحنا من تأليف يوحنا الحواري، وتقريرها أنه من تأليف كاتب مزور من الجيل الثاني. وقد اختلف في تاريخ كتابة هذا الإنجيل؛ فبعضهم يرى أنه كتب سنة ٩٥ م أو ٩٦ م أو ٩٨ م وقيل غير ذلك.

وعلماً مؤرخي النصرانية يقررون أن إنجيل يوحنا هو وحده الذي نص على الألوهية المسيح. مما يدل على أنه ألف لتقرير هذه الألوهية، وهذا يؤكّد مذهب من يقول: إن مؤلفه أحد طلبة مدرسة الإسكندرية التي كانت تترّمع القول بألوهية المسيح، مقررة لما آثرته عن بولس «شأول اليهودي».

وهذه الأنجل الأربعة متى ومرقص ولوقا ويوحنا متناقضة في شكلها وموضوعها، فمن صور اختلافها في مظاهرها العام أن إصلاحات (فصوص) إنجيل متى ٢٨ إصلاحاً، ومرقص ١٦ إصلاحاً، ولوقا ٢٤ إصلاحاً، ويوحنا ٢١ إصلاحاً.

أما تناقض هذه الأنجل في حقيقة المسألة الواحدة فيظهر فيما يأتي: إنجيل متى يقرر أن عيسى من أولاد سليمان بن داود، وإنجيل لوقا يقرر أن عيسى من أولاد ناثان بن داود، وإنجيل متى يقرر أن سلتائيل بن يكنيا، وإنجيل لوقا يقرر أن سلتائيل بن نيري، وإنجيل متى يقرر أن من داود إلى يسوع ستة وعشرين جيلاً، وإنجيل لوقا يقرر أن من داود إلى يسوع واحداً وأربعين جيلاً، كما أن إنجيل متى يقرر أن المرأة التي لحقت يسوع عند انصرافه إلى نواحي صور وصيدا كانت كنعانية كما جاء في الإصلاح الخامس عشر منه، وإنجيل مرقص يقرر أن هذه المرأة كانت أممية، وفي جنسها فينيقية سورية، كما جاء في الإصلاح

السابع منه، والعجيب أن يد التلموديين اليهود ظاهرة في صياغة هذه الأنجليل ، إذ إن التلمود اليهودي يقرر أن الناس قسمان يهود وأمميون، وأن اليهود يفضلون الأمميين، كما يفضل الإنسان البهيمة، وأن الأمميين جمِيعاً كلاب وخنازير، وهذه التعاليم الخبيثة التي يأبها من له أدنى مسكة من عقل تنسُب الأنجليل التي بيد النصارى إلى عيسى عليه السلام أنه كان يعتقدها - برأ الله مما قالوا -، ففي قصة المرأة التي لحقت عيسى عليه السلام عند انصرافه إلى صور وصيدا تفوح هذه الرائحة الخبيثة التلمودية منه، ففي الإصلاح الخامس عشر من إنجيل متى في الفقرة الحادية والعشرين إلى ٢٨ : ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: ارحمني يا سيد يا ابن داود، ابنتي مجنونة جداً فلم يجدها بكلمة، فتقدَّم تلاميذه وطلبوه إليه قائلين: اصرفها لأنها تصيح وراءنا، فأجاب وقال: لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، فأتت وسجدت له قائلة: يا سيد أعني، فأجاب وقال: ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب؛ فقالت: نعم يا سيد والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها، حينئذٍ أجاب يسوع وقال لها: يا امرأة عظيم إيمانك ليكن لك كما تريدين، فشفت ابنته من تلك الساعة، ثم انتقل يسوع من هناك وجاء إلى جانب بحر الجليل، وصعد إلى الجبل وجلس هناك، فجاء إليه جموع كثيرة معهم عرج وعمي وخرس وشل وآخرون كثيرون. وطرحوهم عند قدمي يسوع فشفاهم، حتى تعجب الجموع إذا رأوا الخرس يتكلمون والشل يصيحون والعرج يمشون والعمي يُبصرُون، ومجدوا إله إسرائيل.

ففي هذا النص يزعمون أن عيسى وصف غيربني إسرائيل بأنهم كلاب، ونفس هذا الوصف موجود في الإصلاح السابع من إنجيل مرقص، وإن تعجب فعجب أن يصدق عاقل يؤمن بالأنبياء والمرسلين يصدق أن عيسى يصف من سوى الإسرائيليين بأنهم كلاب، نزهه الله وبرأه مما قالوا. وبالرغم من أنه بعد أن قامت الكنيسة في أوائل القرن الثالث الميلادي بالإبقاء على هذه الأنجليل الأربع فقط فإن النزاع لم ينقطع بين أصحاب هذه الأنجليل الأربع وبين أصحاب

الأنجيل الأخرى حتى دخل الإمبراطور قسطنطين في النصرانية، وقد رأى النصارى في غاية التنازع؛ فمنهم من يعتقد أن المسيح عبد الله ورسوله، ومنهم من يدعى أنه ابن الله له صفة الأزلية. ومنهم من يدعى أن الله ثالث ثلاثة، فقرر عقد مؤتمر في نيقية، وقد كان في مصر رجل ليبي الأصل يقال له آريوس، وكان داعية قوياً يدعو إلى توحيد الله بشك، ويقرر أن عيسى عبد الله ورسوله، وقد أخذ يقاوم كنيسة الإسكندرية التي كانت تنشر بين الناس القول بألوهية المسيح فأخذ آريوس يحارب هذه الكنيسة.

قالت الكاتبة الإنجليزية ١ - ل - بتشير في كتابها تاريخ الأمة القبطية الذي ترجمه إلى العربية رجل من الأقباط اسمه إسكندر تادرس وتولى طبعه وأشرف عليه تادرس شنودة المتقنباudi صاحب جريدة مصر، وطبع في مطبعة مصر بالفجالة سنة ١٩٠١م؛ تقول هذه الكاتبة الإنجليزية في ص ١٩١ - ١٩٢ ج ١: وقد ظهر في الإسكندرية بعد ذلك صديق وظهير لميليتوس هو آريوس الهرطوقى المشهور وأصله من ليبيا، وقد سامه بطرس شمامساً في الكنيسة. وتقول في ص ٢٠١: أما الحوادث التي أوجبت انعقاد مجمع نيقية وما تم في هذا المجمع فمعروفة عند الكثرين، إذ أتى على ذكرها جماعة من علماء اللاهوت وشرحوها بالإسهاب فلا حاجة لسردها الآن، ولم تأت سنة ٣١٩م حتى زاد تذمر الإسكندرانيين وكثروا لغتهم ضد البدعة التي كان آريوس يسعى في نشرها وتعليمها للآخرين، مما دعا البطريرك إسكندر أن يهتم لأنأخذ الاحتياط اللازم لتصديها، ثم تقول في ص ٢٠٢: وأخيراً كتب البطريرك رسالة رعوية إلى آريوس وأتباعه ينذرهم بترك طريق الضلالة التي ساروا فيها والرجوع إلى الطريق السوي، ولكن عبشاً حاول إقناعهم. ولا بد أن بعض الباحثين يعرفون أن نقطة الخلاف هذه كانت فيما يختص بألوهية المسيح، ثم تقول: إذن فالذنب ليس على آريوس بل على فئات أخرى سبقته في إيجاد هذه البدع، فأخذ هو عنها، ولكن تأثير تلك الفئات لم يكن شديداً، كما كان تأثير آريوس الذي جعل الكثرين ينكرون سر الألوهية حتى انتشر هذا التعليم وعم. ثم تقول في ص ٢٠٣: وكانت نتيجة هذا كله أن البطريرك إسكندر شكل

مجمعاً في سنة ٣٢٠ حكم فيه على آريوس بالحرمان من عضوية الكنيسة، وهو ثالث حكم صدر ضده في حياته، أما آريوس فلم يخضع لهذا الحكم ولم يعبأ، به بل غادر الإسكندرية قاصداً فلسطين حيثما جمع إليه أصدقاء أثر فيهم تأثيراً شديداً، إذ استمالهم إليه بكليتهم حتى إن يوسباب أسقف نيكوميديا الذي كان رفيقاً لآريوس في المدرسة اعتنق مذهب زميله كما هو، ومن ثم سعى بعد ذلك في استمالة الإمبراطور قسطنطين إلى هذا المذهب، وقد كان الإمبراطور المذكور صديقاً ليوسباب يميل إليه كثيراً.

والى الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الفصل الثاني والثمانون

# تابع: المسيح ابن مريم

أشرطت في ختام الفصل السابق إلى ما ذكرته المؤلفة الإنجليزية ببشر في كتابها تاريخ الأمة القبطية من أن آريوس كان داعية قوياً إلى أن عيسى عبد الله ورسوله ليس إلهًا ولا ابن إله، وتستمر قائلة في بيان أسباب انعقاد مؤتمر نيقية: ولما غرس آريوس غرسه هذا في يواساب أسقف نيكوميديا آب إلى فلسطين؛ حيث سمح له يوسبيوس أسقف قيصرية وأساقفة آخرون بأن يعقد جمعيات دينية في أبروشيات مختلفة ليعظ فيها، ثم تشير المؤلفة في ص ٢٠٤ و٢٠٥ إلى انتشار دعوة آريوس، وأن الإمبراطور أرسل مكتوبًا إلى البطريرك اسكندر وآريوس معاً لمحاولة إيقاف النزاع، وأنه لم يفلح في إيقاف هذا الشقاق عند حده، فأصدر قسطنطين أوامره باجتماع جميع الأساقفة في نيقية ليفحصوا هذا المُشكّل ويبيتوا فيه حكمًا قاطعاً بكل صراحة وإمعان، وبناءً على ذلك التأم هذا المجمع الشهير سنة ٣٢٥م، وفيه كُتب أول نسخة من قانون النيقاوي.

ثم تقول في ص ٢٠٧: وقد يظن البعض أن شقاق آريوس قد انتهى عند هذا الحد، والحقيقة أنه بدأ يستفحّل، ثم تقول في ص ٢١٥: أما ميليتبيوس وآريوس فلم يكونا يرضخان لحكم المجمع النيقاوي؛ ولذلك بدأت اضطرابات جديدة تقع في الكنيسة المصرية ١.١.هـ. ويقول المعلق على هذا الكتاب وهو تادرس شنودة في هامش قرارات مؤتمر نيقية: جاء في القانون الذي وضعه المجمع النيقاوي أنه قرر أن يصلّي النصارى قائمين بدل ما كانوا يصلّون راكعين ١.١.هـ.

هذا وقد كانت كنيسة الإسكندرية قائمة على قدم وساق للقضاء على آريوس ومذهبّه، وزعم البطريرك بطرس أن المسيح لعن آريوس، وأنه يحذرهم منه، وقال

بطرس: إني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب، فقلت له: يا سيدى! من شق ثوبك؟ فقال لي: آريوس، فاحذروا أن تدخلوه معكم.

هذا وقد ساق سعيد بن البطريق الطيب النصراني المؤرخ الشهير وكان من أهل فسطاط مصر ومولده في يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٦٣ هـ، وُعِيَّن بطريق الإسكندرية في ٨ من صفر سنة ٣٢١ هـ، وتوفي في رجب سنة ٣٢٨ هـ، ساق ابن البطريق هذا في تاريخه في وصف المجتمعين في مؤتمر نيقية وعدهم ومذاهبهم، يقول ابن البطريق: بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان، فجمع البطاركة والأساقفة فاجتمع في مدينة نيقية ثمانية وأربعون ألفاً من الأساقفة، وكانوا مختلفين في الآراء والأديان، فمنهم من كان يقول: إن المسيح وأمه إلهان من دون الله، ومنهم من كان يقول إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية عنها، ومنهم من كان يقول: لم تحبل به مريم تسعة أشهر وإنما مرّ في بطنها كما يمر الماء في الميزاب؛ لأن الكلمة دخلت في أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها، ومنهم من كان يقول: إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد من في جوهره، وأن ابتداء ابن من مريم، وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجواهر الإنساني، صحبته النعمة الإلهية، وحلّت فيه بالمحبة والمشيئة، ولذلك سمي ابن الله. ويقولون: إن الله جوهر قديم واحد وأقوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس، ومنهم من كان يقول إنهم ثلاثة آلهة لم تنزل: صالح وطالح وعدل بينهما، ومنهم من كان يقول بألوهية المسيح، وهي مقالة بولس الرسول، «يعني شاؤول اليهودي». وهكذا أورد ابن البطريق صورة واضحة لعدد ومذاهب المجتمعين في مؤتمر نيقية عام ٣٢٥ م لتقرير الديانة النصرانية. وقد نصر المذهب الأخير وهو القول بألوهية المسيح الذي كان ابتدعه شاؤول (بولس) ثمانية عشر وثلاث مئة أسقف، وخالفهم ثلاثون وسبعين مئة وألف أسقف، والعجيب الغريب أن الإمبراطور قسطنطين لم يلتفت إلا لقول القائلين بألوهية المسيح، وعقد مجلساً لأصحاب هذا الرأي يصفه ابن البطريق إذ

يقول: وضع الملك للثلاث مئة والثمانية عشر أسقفاً مجلساً خاصاً عظيماً، وجلس في وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيه فدفعه إليهم، وقال لهم: قد سلطكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين، فباركوا الملك، وقلدوه سيفه وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذب عنه، ووضعوا له أربعين كتاباً فيها السنن والشائع منها ما يصلح للملك أن يعلمه ويعمل به، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا به. هـ.

ومن هذا التاريخ حُرمت مخالفه هذا المذهب وحرب مخالفوه وحُرم العمل بأي إنجيل عدا الأناجيل الأربع: متى ومرقس ولوقا ويوحنا.

وقد أشار الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم إلى هذه المذاهب النصرانية المنحرفة عن دين المسيح ﷺ حيث يقول عَلَيْكَ فِي سُورَةِ مَرِيمٍ: ﴿إِذْلَكَ عِيسَى اُنْ مَرِيمَ قَوْلَكَ الْحَقَّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾٢٤﴾ مَا كَانَ اللَّهُ أَنْ يَنْخَدِّدَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٢٥﴾ فَإِنَّ اللَّهَ رَبِّ الْأَجْنَافِ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢٦﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْرَابُ مِنْ بَنِيهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهِدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢٧﴾ أَسْعِمْ بِهِمْ وَبَصِّرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لِكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [مريم: ٣٤ - ٣٨].

ويقول عَلَيْكَ في سورة الزخرف: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبُيُّنَاتِ قَالَ قَدْ جَئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَا يُؤْمِنُنَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَأَنَّهُمْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّ وَرَبِّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْرَابُ مِنْ بَنِيهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ طَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: ٦٣ - ٦٥].

على أن اليهود والنصارى مع إقرارهم في كتبهم بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب الإله الواحد الحق فإن اليهود عبدوا العزير واتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله، وعبد النصارى المسيح واعتقدوا إليها وابن إله كما اتخذوا رهبانهم أرباباً من دون الله.

وفي ذلك يقول تبارك وتعالى في سورة التوبه: ﴿قَاتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحِرِّمُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِرْحِيَّةَ عَنْ يَدِهِ وَهُمْ صَغِيرُونَ﴾ وَقَاتَلَتِ الْيَهُودُ

عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ يَا فُلَّهُمْ يُضَاهُوْنَ  
 قَوْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلٍ فَنَلَّهُمُ اللَّهُ أَفَ يُوقَّعُونَ ﴿٢٠﴾ أَخْذَذُوا أَخْبَارَهُمْ  
 وَرَهِنُتْهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرِيَمَ وَمَا أُمْرَوْا إِلَّا يَعْمَلُوْنَ  
 إِنَّهَا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانُهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴿٢١﴾ يُرِيدُوْنَ أَنْ يُطْفَئُوْنَ نُورَ  
 اللَّهِ يَا فُلَّهُمْ وَبِأَيْمَانِ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُتَمَّمَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهُ الْكُفَّارُونَ ﴿٢٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ  
 رَسُولَهُ يَا هُدَى وَدِينَ الْحَقِّ يُظْهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كُفِّرُوا وَلَوْ كَرِهُ الْمُسْرِكُونَ ﴿٢٣﴾  
 [التوبه: ٢٩ - ٣٣].

والى الفصل القادم ان شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



## الفصل الثالث والثمانون

### تابع: المسيح ابن مريم ﷺ

ذكرت في ختام الفصل السابق ما ذكره الله عز وجل في كتابه الكريم عن اتخاذ اليهود والنصارى أحبارهم ورہبانهم أرباباً من دون الله، وأنهم ما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون.

وقد أخبر رسول الله ﷺ أن اليهود والنصارى كانوا إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه صوراً، مشيراً إلى أن ذلك أوصلهم إلى عبادة غير الله، ولذلك حذر المسلمين من مثل عمل هؤلاء اليهود والنصارى، وحرّم اتخاذ المساجد على القبور، ولم تشغله سكرات الموت ﷺ عن التحذير من هذا العمل غير الصالح؛ فقد روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي ﷺ فقال: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيمة». وفي رواية للبخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طرق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا. وفي رواية للبخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية، فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله: «أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله»، كما روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم

مساجد»، كما روى البخاري ومسلم واللّفظ للبخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قالت: ولو لا ذلك لأبرزوا قبره، غير أنني أخشى أن يتخذ مسجداً. وفي لفظ مسلم: فلو لا ذاك أبرز قبره، غير أنه خُشِيَ أن يتخذ مسجداً. كما روى مسلم في صحيحه من حديث جنْدِب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إنِي أَبْرأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كَانَتْ مَتَّخِذًا مِنْ أَمْتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذَتْ أَبَا بَكْرَ خَلِيلًا». أَلَا وَإِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قبورَ أنبيائهم وصالحيهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنِ ذَلِكَ».

وقد شنع الله تبارك وتعالى على من اعتقاد أن الله ولداً وبشع مقالتهم وسفه عقيدتهم، وأقام الأدلة القاطعة على بطلان مذهبهم وفساد مقولتهم في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، وأنه تعالى: «لَمْ يَكُلْدُ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُورًا أَحَدٌ» [الإخلاص: ٤ - ٣]، وأن جميع من زعم أنه ابن الله هو عبيد من عبيده، والعبد لا يكون ولداً لسيده وحالقه ورازقه وإلهه، وأن ادعاء أن الله ولداً قول فظيع ومنكر شنيع تکاد السموات يتقطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً.

وأشار تبارك وتعالى إلى سخافة عقول بعض مشركي العرب إذ كانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله، ولما سئلوا: من أمهات الملائكة؟ فقالوا: سروات الجن، أي شريفات الجن، مع أن الواحد من هؤلاء كان إذا أنجب بنتاً أسود وجهه وصار كظيماً يتوارى من القوم من سوء ما يُبَشِّرُ به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب، فكيف ينسبون البنت إلى الله وهم لا يفرحون بها إذا ولدوها، وهذا من أقبح أخلاقهم وأسوأ معتقداتهم، وقد جعلوا بهذا المعتقد الفاسد بين الجنة وبين الله نسباً، ولقد علمت الجنّة إنهم لمحضرون، أي لو كانوا أنسباء الله ما عذبهم، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وفي ذلك كله يقول الله عزّ وجلّ في سورة البقرة: «وَقَالُوا أَنْهَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَنِّي بَلْ لَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمْ فَلَيْثُونَ» [البقرة: ١١٦].

ويقول في سورة يومنس: ﴿قَالُوا أَتَخْدَ اللَّهَ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَفِيْرُ لَمَّا مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنٍ هَنَدًا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾٦٨﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذَبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يومنس: ٦٨ - ٦٩].

ويقول عبيده في ختام سورة الإسراء: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَنْجِدْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الَّذِي وَكِرَهَ تَكْيِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

ويقول في مطلع سورة الكهف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَبَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوْجًا ﴾١﴿ قَيْمًا لِيُنْذَرَ بِأَسَا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُشَرِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾٢﴿ مَكْثِيْنَ فِيهِ أَبَدًا ﴾٣﴿ وَيُنْذَرُ الَّذِينَ قَاتَلُوا أَنَّهَ دَلَّهُمْ بِهِ مَا لَهُمْ بِهِ وَلَا لِأَبَاهِمَ كَبُرُّ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذَبًا﴾ [الكهف: ١ - ٥].

ويقول تعالى في سورة مريم: ﴿وَقَاتُلُوا أَنَّهَ دَلَّهُمْ بِهِ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ «يعني منكراً فظيعاً» ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرُنَّ مِنْهُ وَتَنْشَقُ الْأَرْضُ وَتَخْرُرُ الْجِبَالُ هَذَا ﴾٤﴿ أَنْ دَعَوْا لِرَحْمَنَ وَلَدًا ﴾٥﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِرَحْمَنِ أَنْ يَنْجِدَ وَلَدًا ﴾٦﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا عَاقِ الرَّحْمَنَ عَبْدًا ﴾٧﴿ لَقَدْ أَحَصَنَهُمْ وَعَدَهُمْ عَدَّا ﴾٨﴿ وَكُلُّهُمْ عَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرَدًا﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٥].

ويقول في سورة الأنبياء: ﴿وَقَاتُلُوا أَنَّهَ دَلَّهُمْ بِهِ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادُ مُكْرِمُونَ ﴾٩﴿ لَا يَسْتَقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾١٠﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ وَلَا يَشْعُوْنَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّهِ مُشْفِقُونَ ﴾١١﴿ وَمَنْ يَقُلُّ مِنْهُمْ إِنْتَ إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ تَجْزِيَهُ جَهَنَّمُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩].

ويقول في مطلع سورة الفرقان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلنَّعْلَمِينَ لَذِيرًا ﴾١﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَنْجِدْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَهَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ فَقَدَرُهُ فَقَدِيرًا ﴾٢﴿ وَأَنْهَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنَّهُمْ ضَرًا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا شُورًا﴾ [الفرقان: ١ - ٣].

ويقول تعالى في سورة الزمر: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَطَنِي مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَحْدَهُ الْفَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

ويقول تعالى في سورة الجن: ﴿وَلَنَمْ تَعْلَمَ جُدُّ رِبِّنَا مَا أَخْذَ صَحِّهَ وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

ويقول في سورة الإخلاص: ﴿فَلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤ - ٥].

ويقول في سورة الصافات: ﴿فَأَسْفَقْنَاهُمْ أَرْبَكَ الْبَنَاثُ وَلَهُمُ الْبَنُوتُ﴾ [١٤٩] آمَّا خَلَقَنَا الْمَلِئَكَةَ إِنَّا وَهُمْ شَهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِنْكَارِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَلَيَهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَطُوا الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُرْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا نَذَرْكُرُونَ ﴿١٥٥﴾ وَلَمَّا كَوْنُ سُلْطَنٌ مُّبِيتٌ ﴿١٥٦﴾ قَاتُلُوا بِكَتَكُرْ إِنْ كُنُّ صَدِيقُونَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةَ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحَضَّرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات: ١٤٩ - ١٥٩].

والى الفصل القادم انت شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الرابع والثمانون

### تابع: المسيح ابن مريم ﷺ

قد أشرت في الفصل السابق إلى ما قص الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم مما يثبت سخافة عقول من يتخذ الله ولداً، وقد سقت جملة كبيرة من هذه الآيات المنددة بفساد تصور هؤلاء، وأنهم قد انحدروا إلى الدرك الأسفل في التصور، وقد أشار الله تبارك وتعالى كذلك إلى أن من زعم أن الله ولداً فقد اتخذ الله شريكاً، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً، وتنزه عن الشريك والنذر والنظير والولد والصاحبة.

وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة الأنعام: «وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْعِنَّ وَخَلَقُوهُمْ لَهُ بَيْنَ أَيْمَانِهِ وَبَيْنَ أَيْمَانِهِ يَغْيِرُ عَلَيْهِ» (أي اختلقوا له أولاداً وبنات بغیر بینة ولا برهان) «سُبْحَانَهُمْ وَتَعَلَّمَ عَمَّا يَصِفُونَ» [١٦] بديع السموات والأرض أَنْ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَمَمْ تَكُونُ لَهُ صِنْجَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيهِ» [١٧] ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَيْلٌ» [١٨] لَا تُدِرِّكُهُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ يَدِرُكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ الْأَطْيِفُ الْجَيْرُ» [الأنعام: ١٠٣ - ١٠٥].

ويقول تعالى في سورة النحل: «وَقَالَ اللَّهُ لَا تَنْجِدُوا إِلَهَيْنِ آتَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَحْدَهُ فَإِنَّ فَارِهِبِوْنَ [٥٩] وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَكُنْ أَذْيَانُ وَاصِبَّاءُ أَفَيْنَ اللَّهُ لَنَقُولَنَّ [٥٩] وَمَا يُكْمِمُ مِنْ نَعْمَاءٍ فَمَنْ أَنْهَ اللَّهُ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الصُّرُّ فَإِلَيْهِ يَتَبَشَّرُونَ [٥٣] ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الْأَصْرَ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ يَرْجُهُمْ يُشْرِكُونَ [٥٤] لِيَكْفُرُوا بِمَا يَأْتِيَنَّهُمْ فَمُتَمَّلِّعُوْ فَسُوقَ تَعْلَمُونَ [٥٥] وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ تَصْبِيَا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَالَّهُ لِتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُتِّبَتْ تَقْرَئُونَ [٥٦] وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَتَ سِبِّحَتَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهِرُونَ [٥٧] وَإِذَا بُشِّرَ أَهْدُهُمْ بِالْأُنْشَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوِدًا وَهُوَ كَظِيمٌ [٥٨] يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءَ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسِكُمْ عَلَى هُونِ» (أي على ذلة ومهانة) «أَمْ يَدْسُمُ فِي الْأَرْضِ أَلَا سَاءَ مَا يَنْكِمُونَ [٥٩] لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثُلُ الْسَّوْءِ وَلَلَّهِ الْمُتَّلِّ

الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَتَوَيَّبَ اللَّهُ النَّاسَ بِطُولِهِرِ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَائِثٍ وَلِكُنْ يُؤْخِرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَعْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَيَصِفُّ أَسْتِهِمُ الْكَذَبَ أَنَّ لَهُمُ الْمُسْئَىٰ لَا جُرْمَ أَنَّ لَهُمُ الْأَنَارَ وَأَهْمَمُ مُفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ [النحل: ٥١ - ٦٢].

ويقول تعالى في سورة الزخرف: «وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ أَنْخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنُكُمْ بِالْبَيْنِ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَهْدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُمْ مُسُودًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَنْ يُشَوِّهُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْحُصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشَهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتَّكَبْ شَهَدَهُمْ وَيُسْعَلُونَ ﴿١٩﴾ [الزخرف: ١٥ - ١٩].

ويقول تعالى في سورة الطور: «أَمْ لَهُ الْبَنْثُ وَلَكُمُ الْبَنْوَنَ ﴿٣٩﴾ [الطور: ٣٩].

وقد أخبر رسول الله ﷺ عن ربه في الحديث القدسي أن من ادعى أن الله ولداً فقد سبَّ الله وشتمه، ويا ويل من سبَّ الله وشتمه، وأنه لو لا حلم الله لعاجلهم بالعقوبة، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه النبي ﷺ: «يقول الله: شتمني ابن آدم وما ينفي له أن يشتمني، وكذبني وما ينفي له، أما شتمه فقوله: إن لي ولداً، وأما تكذيبه فقوله: ليس يعيديني كما بدأني»، كما روى البخاري في صحيحه من حديث حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياتي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياتي فقوله لي ولد، فسبحانني أن أتخذ صاحبة أو ولداً». كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله تعالى ، إنه يشرك به ويجعل له الولد ثم هو يعافيهم ويرزقهم». وفي لفظ لمسلم من حديث أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله تعالى ، إنهم يجعلون له نِيَّدًا ويجعلون له ولداً، وهو مع ذلك يرزقهم ويعافيهم ويعطيهم».

ومع هذه الأدلة الكثيرة الصريحة المحكمة في كتاب الله تعالى مكية ومدنية، وفي أخبار رسول الله ﷺ الصحيحة الشابة بأن الله تعالى منزه عن الولد والصاحبة، فإن نصارى نجران عندما وفدوا على رسول الله ﷺ في السنة التاسعة من هجرة رسول الله ﷺ حاولوا الاستدلال على أن عيسى ابن الله بعض الفاظ في كتاب الله، حاملين لها على غير ما أريد بها، بسبب زيف في قلوبهم ابتغاء الفتنة والصدّ عن سبيل الله، فزعموا أن في القرآن دليلاً على أن عيسى ابن الله في قوله تعالى: «وَرُوحٌ مِّنْهُ» [النساء: ١٧١]. إذ حملوا لفظ (من) في هذه الآية على التبعيض، فيكون عيسى بعضاً من الله وجزءاً منه، وتجاهلوا أن «من» في هذا المقام لا يُراد بها التبعيض. وإنما يُراد بها ابتداء الغاية، أي أن عيسى روح من الأرواح التي ابتدأ الله خلقها، وتعاملاً عن الآيات الكثيرة الصريحة في أن عيسى عبد الله وخلق من خلقه، والعبد لا يكون ولداً، وأن الله ﷺ لَمْ يَكُلْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَّمْ كُفُواْ أَحَدٌ» [الإخلاص: ٣ - ٤].

ولا شك أن العرب يستعملون كلمة «من» في معانٍ كثيرة: منها ابتداء الغاية كهذه، ومنها بيان الجنس كقوله تعالى: «فَاجْتَبَيْنَا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ» [الحج: ٣٠]، أي اجتبوا الرجس الذي هو الأوثان، ومن معانيها التبعيض كقولك: أكلت من هذا الرغيف، أي أكلت بعضه، إلى معانٍ كثيرة، فنصارى نجران تركوا المعنى الظاهر المتبارد المحكم ولجوؤا إلى المعنى غير المراد، مستغلين تشابه اللفظ، وقد أنزل الله تبارك وتعالى في شأنهم من أول سورة آل عمران إلى الآية الرابعة والثمانين منها ردّ فيها باطلهم وأدحض شبهتهم، وبين أنهم بسبب زيف قلوبهم يتبعون ما تشابه من القرآن ويتعاملون عن المحكم الصريح الجلي المثبت أن الله لم يتخد ولداً، إذ إن الله تبارك وتعالى جعل من القرآن محكماً وجعل منه متشابهاً، والمحكم الواضح الجلي الذي لا يخفى علم المراد منه على العامة والخاصة، وأما المتشابه فهو اللفظ الذي يحتمل أكثر من معنى كلفظ (من) في قوله تعالى: «وَرُوحٌ مِّنْهُ»، فأما أهل الإيمان فيردون متشابهه إلى مُحَكَّمه، ويحملون معنى (من) هنا على ما أريد منها، وهو ابتداء الغاية، وأما الذين في قلوبهم زيف

فيحملونه على المعنى غير المراد، ﴿وَالرَّسُولُ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَهْدِي كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، فكلامه لا يتناقض ولا يتضارب، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وقد ذكر الله تبارك في هذا المقام من سورة آل عمران أدلة جلية بأنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُومُ﴾ [آل عمران: ٢]، وأنه أنزل على محمد ﷺ القرآن بالحق، كما أنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى هدىً للناس، ﴿مِنْ قَبْلِ هُدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنَزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو أَنْتَقامَةٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفِي عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ الَّذِي يُصُورُ كُلُّمَا فِي كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٤ - ٦].

والى الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الخامس والثمانون

### تابع: المسيح ابن مريم ﷺ

بعد أن قرر الله تبارك وتعالى في صدر سورة آل عمران أنه رب كل شيء وأنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقرر رسالة موسى وعيسيٍّ ومحمد ﷺ وهو يقتضي أن عيسى عبد من عبيد الله ورسول من رسله ليس إلهًا ولا ابن إله حيث يقول عليه السلام:

﴿الَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُومُ ﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرِيدَ وَالْإِنْجِيلَ ۚ مِنْ قَبْلِ هُدَىِ النَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ۖ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِيَقِنَتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ سَيِّدِدُهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو اَنْتِقَارٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ ۚ هُوَ الَّذِي يَصُورُكُمْ فِي الْأَرْضِ كَيْفَ يَسْأَلُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

[آل عمران: ١ - ٦].

شرع في إبطال شبهة نصارى نجران ومن على شاكلتهم من الذين يتركون المحكم الجلي الواضح القطعي الدلاله الذي لا يتحمل إلا معنى واحداً، ويستدلون بالألفاظ المتشابهة المحتملة لمعنىٍ كثيرة، ويتعلّقون ببعض المعاني غير المراد منها، مع أن هذه المعاني المتشابهة لا يمتاز بعضها عن بعض في الأصل لو كانت هذه الألفاظ مفردة غير واردة في سياق الكلام؛ لأنها إذا كانت واردة في سياق كلام فإن هذا السياق يحدد المراد منها، وهذا أمر معروف في معاني الحروف، لكن الذي في قلبه زيفٌ وميل عن الحق إلى الباطل يتبع المتشابهات ويترك الواضحات الجليات، وفي ذلك يقول الله عليه السلام: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ مَا يَأْتِي مُحْكَمٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ» (أي هن الأصول والقواعد التي يُرجَعُ إليها عند الاختلاف والاشتباه لقطعية دلالتها، وعدم احتمالها إلا لمعنى واحد)، «وَآخِرُ مُشَكِّهِتٍ» (آل عمران: ٧) (أي تحتمل أكثر من معنى ابتلاءً واختباراً، وإن كان

سياق الكلام يحدد المراد منها) ﴿فَامَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَبَغٌ فَنَيَّعُونَ مَا تَشَبَّهَ بِهِ ابْتِغَاهُ  
الْفَتْنَةَ وَابْتِغَاهُ تَأْوِيلَهُ﴾ [آل عمران: ٧] (أي فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق  
والاستقامة إلى الأهواء الباطلة، المنحرفون عن سنن الرشاد، المصررون على الشر  
والفساد والعناد، فإنهم لا يتعلّقون بالمحكمات الجليلات وإنما يعتمدون الألفاظ  
المتشبهات لا تحرّياً للحق بل لطلب فتنة الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبّيس  
والتأويل الباطل حسبما يشتّهون من التأويلات الفاسدة، والأراء الزائفة، وهم  
ليسوا أهلاً لتأويل كتاب الله، فتأوّيله يعلمه الله تعالى ومن وفقه من عباده الراسخين  
في العلم الذين ثبّتوا على الحق وتمكنوا فيه ولم يتزلّلوا عن الهدى، ولذلك  
يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَخَّنُوا فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ امْنًا يَهُدُّ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رِبِّنَا وَمَا يَدْكُرُ إِلَّا آتَى  
آتَيْنِ﴾ [آل عمران: ٧]، أي والثابتون على الحق المستقرون على العلم والهوى،  
يسارعون إلى الإيمان بمحكم الكتاب ومتشابهه، ويردون متتشابهه إلى محكمه  
ويقولون: المحكم والمتشابه من القرآن كله من عند الله منزل بالحق لا يتناقض  
ولا يتعارض ولا يتضاد ولا يختلف)، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ عَنِّ اللَّهِ  
لَوْجَدُوا فِيهِ أُخْرَى لِفَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وعندما لم يسارع نصارى نجران إلى الإيمان بالحق والتصديق بأن عيسى  
عبد الله ورسوله ليس إلهاً ولا ابن إله طلب الله تعالى من رسوله محمد ﷺ أن  
يباھلهم، بعد أن بين لهم أن ﴿مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ إَدَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩]،  
فكما أن الله خلق آدم من غير أب ولا أم بل من تراب فقد خلق عيسى من غير  
أب للدلالة على أن الله على كل شيء قادر، لا يعجزه شيء في السموات ولا في  
الأرض، فقال تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ إَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٥٩  
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَنَينَ ٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ  
تَعَالَوْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكَ وَنِسَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهُلُ ٦١﴾ (أي نتضاع  
في الدعاء) ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَذَّابِينَ ٦٢﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصْصُ الْحَقُّ وَمَا يَنْ  
إِلَّا اللَّهُ ٦٣ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٦٤﴾ فَإِنْ تَوَلُّوْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ بِالْمُفْسِدِينَ ٦٥ قُلْ

يَكَاهُلُ الْكِتَبِ تَعَالَوْا إِنَّ كَلِمَتَهُ سَوَاءٌ بَيْتَنَا وَبَيْتَكُوْ أَلَا تَفْجِدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا شَرِكَ لَهُ  
شَكِيْعًا وَلَا يَسْتَخِدُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْ فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا  
مُسْلِمُونَ» [آل عمران: ٥٩ - ٦٤].

وعندما طلب الله تعالى من رسوله محمد ﷺ أن يباهلهم بادر رسول الله ﷺ إليهم، وقرأ عليهم آية المباهلة، فخافوا أن يباهلوه رسول الله ﷺ، وأيقنوا أن ما جاء به هو الحق، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: جاء العاقد والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريдан أن يلاعناء، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلا عنتنا لا نفلح نحن ولا عقينا من بعدهنا، قال: إنما نعطيك ما سألتتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً، فقال: «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين»، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: «قم يا أبو عبيدة بن الجراح»، فلما قام قال رسول الله ﷺ: «هذا أمين هذه الأمة». وفي لفظ للبخاري من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: جاء أهل نجران إلى النبي ﷺ فقالوا: ابعث لنا رجلاً أميناً، فقال: «لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين» فاستشرف له الناس، فبعث أبو عبيدة بن الجراح. وقد روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله؛ ابعث إلينا رجلاً أميناً فقال: «لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين». قال: فاستشرف لها الناس، قال: فبعث أبو عبيدة بن الجراح. وفي رواية لمسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن أهل اليمن قدموه على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام، قال: فأخذ بيدي أبي عبيدة فقال: «هذا أمين هذه الأمة».

هذا قوله تعالى ليعيسى عليه السلام: «وَجَاءُكُمْ أَنَّبُوْكُمْ فَوْقَ الْأَذْيَرِ كَفَرُوا إِنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ» [آل عمران: ٥٥] يفيد أن الله تبارك وتعالى قضى أن من آمن بيعيسى عليه السلام وصدقه وأقر أنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه يعزه الله تعالى ويرفع منزلته فوق كل كافر في الحياة الدنيا، فما بالك بما أعد الله للمؤمنين في الآخرة، وهذا كقوله تعالى: «وَلَئِنْ يَعْمَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَيِّلًا» [ النساء: ١٤١]، وكقوله

تعالى : «وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ» [الروم : ٤٧] ، وقوله تعالى : «إِنَّا لَنَصْرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُولُونَ الْأَشْهَدُ» [غافر : ٥١] ، وقوله تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيْنَ مَنْ أَنصَارَ إِلَيْهِ اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيْنَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَقَامَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنَتِ إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَإِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِيْنَ» [الصف : ١٤] .

ولا شك أنه بعد إرسال محمد ﷺ فقد نسخ الله بشريعته الشرائع السابقة، ولا يقبل من أحد إلا أن يتبع محمداً ﷺ، كما أثر في الحديث القديسي : «وعزتي وجلالي لو جاؤوا من كل طريق واستفتحوا من كل باب ما فتحت لهم إلا أن يجيئوا من طريقك» كما ذكره ابن القيم.

ولا شك أن الإيمان بمحمد ﷺ يقتضي الإيمان بعيسى وجميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، على حد قوله تعالى : «فَلَوْلَا مَاءْمَنَكَا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزَلَ إِلَيْكَ إِنَّ رَبَّهُمْ لَا يُتَعْجِلُ وَلَا يَسْعَقُ وَلَا يَعْقُوبُ وَلَا يَسْبِطُ وَمَا أُوْفِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوْفِيَ الَّذِيْنُ مِنْ رَبِّيْمَ لَا تَفَرَّقُ بَيْنَ أَهْلِ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لِهِ مُسْلِمُونَ» [البقرة : ١٣٦] .

وقوله تعالى : «قُلْ مَاءْمَنَكَا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزَلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزَلَ عَلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوْفِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالَّذِيْنُ مِنْ رَبِّيْمَ لَا تَفَرَّقُ بَيْنَ أَهْلِ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لِهِ مُسْلِمُونَ» [آل عمران : ٨٤ - ٨٥] .

والى الفصل القادم انت شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل السادس والثمانون

# تابع: المسيح ابن مریم ﷺ

أشرت في ختام الفصل السابق إلى قوله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿وَجَاءُكُمْ أَذْيَنَ أَبْعَوْكُمْ فَوْقَ أَذْيَنَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وسقط نظائرها من كتاب الله تعالى، ولا يتنافي ذلك مع ما قد يحدث للمؤمنين من أن يهزموا في حرب، أو أن يمسهم قرح، فإن الله تبارك وتعالى قد يبتلي عباده المؤمنين ليُمْحَصَ ﴿أَللّٰهُ أَذْيَنَ أَمَّا مَنْ آمَنَ وَيَسْعَى لِكُفَّارِكُنَّ﴾ [آل عمران: ١٤١]، فإن المؤمن عزيز بالله في حالة النصر وفي حالة الهزيمة؛ ولذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يفرحون إذا نالوا من عدوهم. ولا يجزعون إن نال منهم عدوهم، وفي ذلك يقول كعب بن زهير في قصيدته بانت سعاد وهو يصف أصحاب رسول الله ﷺ:

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم فوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا

وكقول حسان رضي الله عنه :

|                              |                                |
|------------------------------|--------------------------------|
| إذا الزعناف من أظفارها خشعوا | نسموا إذا الحرب نالتنا مخلافها |
| إن أصيبوا فلا خور ولا هُلُع  | لا يفخرون إذا نالوا عدوهم      |
| أَسْدُ بحلية في أرساغها فدع  | كأنهم في الوغى والموت مكتنع    |

وقوله: والموت مكتنع أي قريب مشاهد، فإنهم لا يهابون أسباب المنيا، ولم يعرف أن واحداً من أصحاب رسول الله ﷺ قتل وهو مدبر؛ ولذلك يقول كعب بن زهير:

لا يقع الطعن إلا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل

وقوله: وما لهم عن حياض الموت تهليل أي لا يفرون من موارد الهاك وساحات القتال ولا يتآخرون عنها، ونصر الله لعباده المؤمنين وإعزازه لهم حاصل على كل حال.

ولنضرب لذلك مثلاً من قصة أصحاب الرجيع رضي الله عنه، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي صلوات الله عليه وسلام سريّة عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت، فانطلقوه حتى إذا كانوا بين عُسْفَان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم: بنو لحيان؛ فتبعوهم بقريب من مئة رامٍ فاقتضوا آثارهم حتى أتوا متزلاً نزلوه، فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدف «أي رابية مشرفة»، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنك، فرموا عاصماً في سبعة نفر بالنبل، وبقي خبيب وزيد ورجل آخر، فأعطوه العهد والميثاق، فلما أعطوه العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوه بها، فقال الرجل الثالث الذي معهما: هذا أول الغدر فأبى أن يصبحهم فجرروه وعالجوه على أن يصبحهم فلم يفعل، فقتلوه، وانطلقوه بخبيب وزيد حتى باعواهما بمكة، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر؛ فمكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها «أي ليستطيب بها ويزييل شعر عانته» فأغارته، قالت: فغفلت عن صبي لي، فدرج إليه حتى أتاه، فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعـت فزعـةً عرف ذلك مني، وفي يده الموسى، فقال: أتخشين أن أقتله، ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله، وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنـب، وما بمكة يومئـ ثمـرة، وإنـهـ لـمـوـقـ فيـ الـحـدـيدـ، وماـ كانـ إـلاـ رـزـقـ رـزـقـهـ اللهـ، فـخـرـجـواـ بهـ منـ الـحرـمـ ليـقـتـلـوهـ، فـقـالـ: دـعـونـيـ أـصـلـ رـكـعـتـينـ، ثـمـ اـنـصـرـفـ إـلـيـهـمـ، فـقـالـ: لـوـلـاـ أـنـ تـرـوـاـ أـنـ مـاـ بـيـ جـزـعـ مـنـ الـمـوـتـ لـزـدـتـ، فـكـانـ أـوـلـ مـنـ سـرـرـ الرـكـعـتـينـ عـنـ الـقـتـلـ، ثـمـ قـالـ: اللـهـ أـخـصـهـ عـدـداـ، ثـمـ قـالـ:

ولست أبالي حين أُقتل مسلماً      على أي شِقٍّ كان الله مصرعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشاً      يبارك على أوصال شِلْوٍ ممزع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله، وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيماً من عظامهم يوم بدر، بعث الله عليه مثل الظللة من الدبر «أي مثل السحابة من الزنابير أو ذكور النحل لحمايته من أن يمثلوا بشيء من جسده» فحملته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء.

وقد زعم بعض الناس أن المراد من قوله تعالى: ﴿وَجَاءُلُّ الَّذِينَ أَبْتَغُوكَ فَوْقَ الْأَذْرَكَ كُفَّرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥] أن المراد من الذين اتبعوا هم النصارى والذين كفروا هم اليهود، وهذا قول غير سديد، فإن من زعم أن عيسى إله أو ابن إله أو أن الله ثالث ثلاثة لا يكون من أتباع عيسى ﷺ، بل يكون من أعدائه، فمن أفرط في عيسى من النصارى كمن فرط فيه من اليهود، فكلهم أعداء الله، وأعداء المرسلين، ولذلك حذر رسول الله ﷺ المسلمين أن يغلوا في رسول الله ﷺ كما غلت النصارى في المسيح ابن مريم. فقد روى البخاري في صحيحه من طريق ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تُطْرُونِي كما أطْرَتِ النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله».

وبين رسول الله ﷺ أن الجنة لا يدخلها أحد ممن جاء بعد عيسى ﷺ إلا إذا أقر بأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».

وقد حكم الله تعالى وقضى أن من أدعى أن عيسى إله أو ابن إله أو أن الله ثالث ثلاثة فهو كافر مشرك يحرّم الله عليه الجنة، حيث يقول عجل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأَمْكَنْهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَنْهَا مَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا وَأْتَهُ اللَّذَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (٧٣) ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَحْدَهُ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمْسَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٣].

والى الفصل القادم انت شاء الله، والسلام عليكم درحمة الله وبركاته.



## الفصل السابع والثمانون

### تابع: المسيح ابن مريم ﷺ

ذكرت في ختام الفصل السابق أن الله تعالى حكم بکفر من ادعى أن المسيح ابن الله، أو أنه الله، أو أن الله ثالث ثلاثة، وسقط صريح القرآن الكريم في ذلك، وقد يَبَيِّنُ الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم مشهداً من مشاهد الحق يسأل فيه عيسى ابن مريم للتنديد بمن عبده وأمه مع الله ﷺ، حيث يقول: «يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجْبَحْتُمْ قَالُوا لَا عَلِمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ أَنَّكَ أَنْتَ عَلَمُ الْعَيُوبِ» [المائدة: ١٠٩].

ثم يقول تعالى: «وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَنَّهُنْ دُنُونِي وَأَنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُنُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَفُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلُمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَمُ الْغُيُوبِ ﴿١١١﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمْرَنِي بِهِ إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دَمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعْذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [المائدة: ١١٦ - ١١٨].

وليس في قوله تعالى هنا: «إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [المائدة: ١١٨] ما يفهم أنه من مات على الشرك قد يغفر له؛ لأن الكلام منصب على جملة من جاءهم عيسى ﷺ، وفيهم من آمن به على أنه عبد الله ورسوله، ومنهم من كفر به في حياته بينهم، ومنهم من كفر به بعد رفعه، إذ زعم أنه إله أو ابن إله، والمقصود من السياق يفيد أن عيسى ﷺ ما قال لهم إلا ما أمره الله ﷺ به أن اعتبدوا الله وحده لا شريك له، وأنه يشهد لمن أجابه مدة حياته بينهم، ويشهد على من عصاه مدة حياته كذلك، فلما رفعه الله إليه ارتفع علمه عن أحوالهم. وكان الله وحده هو الرقيب عليهم، لا يعلم عيسى من أمرهم شيئاً سواء في ذلك من اتبعه على الهدى أو ضل عن سواء السبيل، فَمَرَدُ الْجَمِيعِ إِلَى اللَّهِ

يعدب من يشاء من العصاة عدلاً، ويثيب ويغفر لمن يشاء فضلاً؛ لأن الجميع عباده وهو العزيز الحكيم، وقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُ أَضَلَّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَنَّ تَعَيَّنَ فَإِنَّهُ مُنِّيَّ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ عَبَادُكَ وَإِنَّكَ تَغْفِرُ لَهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْمَغْفِرُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] فرفع يديه وقال: «اللهم أنتي أنتي وبكى» فقال الله عز وجل: «يا جبريل! اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله: ما يبكيك؟» فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله عز وجل بما قال، وهو أعلم، فقال الله: «يا جبريل! اذهب إلى محمد فقل: إنا سترضيك في أمتك ولا نسوك». [١]

ولا شك أنه بقي إلى زمان رسول الله عز وجل من كان يعرف من النصارى أن عيسى عبد الله ورسوله بسبب امتداد دعوة آريوس ومن تبعه، ولذلك لما قرأ جعفر بن أبي طالب على النجاشي ملك الحبشة بعض سورة مريم مما اشتمل على قصة ولادة المسيح وكلامه في المهد بأنه عبد الله آتاه الكتاب وجعلهنبياً بكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وصرّح بأن ما جاء به محمد عز وجل في توحيد الله يخرج هو والذي جاء به عيسى من مشكاة واحدة.

فقد قال ابن إسحاق في السيرة النبوية: حدثني محمد بن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله عز وجل قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جارٍ النجاشي، أمناً على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فيينا رجلين منهم جلدین، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يُستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له أدمًا كثيراً، ولم يتركوا من بطريقه بطريقاً إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربعة وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه ثم سلاه أن يسلّمهم إليكما قبل أن

يكلمهم، قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليروهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلّمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم، ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقال له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت. وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه، قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي، قالت: فقالت بطارقته حوله: صدقأ أيها الملك قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليرداهم إلا بلادهم وقومهم. قالت: فغضب النجاشي ثم قال: لاها الله إذن لا أسلمهم إليهما، ولا يقاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلّم لهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعهم منها وأحسنت جوارهم ما جاوروني، قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن. فلما جاؤوا وقد دعا النجاشي أساقته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل، قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء

الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف تسلبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لتوحده ونبعده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم. وقدف المحسنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً. وأمرنا بالصلوة، والزكاة والصيام، قالت: فعدد عليه أمور الإسلام فصدقناه وأمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرام علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعدنّونا وفتوننا عن ديننا ليروننا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبتنا في جوارك ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي فاقرأه عليَّ فقرأ عليه صدراً من سورة مريم.

قالت: فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أسفافته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا الذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يقادون... إلخ الحديث.

والي الفصل القادم ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الفصل الثامن والثمانون

### تابع: المسيح ابن مريم

ذكرت في الفصل السابق أنه قد بقي إلى زمان رسول الله ﷺ من كان من النصارى يعرف الدين الحق، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وذكرت قصة النجاشي ملك الحبشة مع المهاجرين إلى الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ، وأن النجاشي عندما سمع صدر سورة مريم من جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بكى حتى اخضلت لحيته، وبكى من معه من القسيسين والرهبان حتى أخذلوا مصاحفهم، وقد أشار الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم إلى بكاء بعض القسيسين والرهبان عندما سمعوا القرآن، وذكر أن هؤلاء الذين عرفوا الحق هم أقرب الناس مودة للذين آمنوا وفي ذلك يقول الله عز وجل في سورة المائدة: ﴿لَتَعْدِنَ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْهِمْ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَعْدِنَ أَقْبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْهِمْ قَالُوا إِنَّا نَصْرَكُ إِذْلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَكَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾٨٢﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيَ الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفَضُّلَ الْدَّمْعُ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّهِيدِينَ ﴾٨٣﴿ وَمَا لَنَا لَا تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَظِمَّ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبِّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّلِحِينَ ﴾٨٤﴿ فَأَثَبْهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ تَهَرِّي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٨٢ - ٨٥].

ويقول في سورة الإسراء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتَلَقَّى عَلَيْهِمْ فَالْأُولَئِكَ هُمُ الْمُبْرُونَ ﴾٥٢﴿ وَإِذَا يُتَلَقَّى عَلَيْهِمْ فَالْأُولَئِكَ إِنَّهُمْ الْمُغْرُرُونَ إِنَّهُمْ مُنْذَنُونَ ﴾٥٣﴿ وَإِذَا يُتَلَقَّى عَلَيْهِمْ فَالْأُولَئِكَ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾٥٤﴿ أُولَئِكَ مُؤْمِنُونَ أَجْرُهُمْ مَرْتَبَتِنَ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُفْقَدُونَ ﴾٥٥﴿ وَإِذَا سَمِعُوا الْغَرَّ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَاكُمْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ لَا بَنْسَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٥ - ٥٢].

ويقول في سورة القصص: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمُ الْيَوْمَ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾٥٢﴿ وَإِذَا يُتَلَقَّى عَلَيْهِمْ فَالْأُولَئِكَ إِنَّهُمْ الْمُغْرُرُونَ إِنَّهُمْ مُنْذَنُونَ ﴾٥٣﴿ أُولَئِكَ مُؤْمِنُونَ أَجْرُهُمْ مَرْتَبَتِنَ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُفْقَدُونَ ﴾٥٤﴿ وَإِذَا سَمِعُوا الْغَرَّ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَاكُمْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ لَا بَنْسَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٥ - ٥٢].

وقد أخبر رسول الله ﷺ أن من آمن من أهل الكتاب بنبيه ثم آمن بمحمد ﷺ يؤتى الله أجره، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة لهم أجران: رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيه وأمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجلٌ كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلّمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران».

وقوله تعالى: «ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكِبُرُونَ» [المائدة: ٨٢] ليس ثناء على كل قسيس أو راهب وليس مدحًا لهذين الوصفين، إنما الثناء على من كان قسيساً أو راهباً، ثم عرف أن دين محمد ﷺ هو الدين الحق، وأنه دين الإسلام، وأن من «يَبْغُ عَيْرَ إِلَسْلَمَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» [آل عمران: ٨٥] فسارع إلى الدخول في الإسلام واستمسك بشرائعه؛ ولذلك لا يوصف أحد من هؤلاء بعد الدخول في الإسلام بأنه قسيس أو راهب، كما لا يوصف اليهودي أو النصراني إذا دخل في الإسلام بأنه يهودي أو نصراني.

والقسيس والقس والقس هو رئيس النصارى في العلم والدين، وأصله في اللغة تتبع الشيء وطلبه، قال رؤبة بن العجاج يصف نساء عفيفات لا يتبعن النمائم:

### يُضِّحُّن عن قَسِّ الأذى غوافلاً

ويقال تَقَسَّسْتُ أصواتهم بالليل أي سمعتها. والرهبان جمع راهب وهو من كان من النصارى يتبعون في الصوماع ولا يخالط الناس من الرهبانية والترهيب، وهو التعبد في الصوماع مع اعتزال النساء، وقد ابتدع النصارى الترهيب وشددوا على أنفسهم فيه على حد قوله تعالى: «وَرَهْبَانِيَةً أَبْتَدَعُوهَا مَا كَبِبَهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَبْتَقَاءِ رِضْوَانَ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا» [الحديد: ٢٧] وقوله تعالى: «إِلَّا أَبْتَقَاءِ رِضْوَانَ اللَّهِ» استثناء منقطع، أي لم تفرضها عليهم لكنهم ابتدعوها من قبل أنفسهم اجتهاداً منهم في طلب مرضاعة الله، فصاروا كمن أجهد نفسه في السير وابتَّ فلا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، ولذلك كان رسول الله ﷺ ينهى عن التشدد والتنطع في الدين، ويأمر بالرفق وبالتسهيل؛ ولذلك لما بلغه أن بعض أصحابه تأثروا من

خطبة لرسول الله ﷺ فاجتمعوا في بيت بعض الصحابة وعزموا أن لا يأكلوا اللحم ولا يقربوا النساء ولا يمسوا الطيب فنهاهم عن ذلك أشد النهي.

وكذلك قصة ثلاثة الرهط الذين أتوا ببيوت رسول الله ﷺ يسألون عن عبادة رسول الله ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا أين نحن من رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أنزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم الله وأتقاكم له، لكنني أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأنزوج النساء، فمن رغب عن ستي فليس مني».

هذا وقد أكثر الله تبارك وتعالى من ذم اليهود والنصارى وبين أن قلوبهم مليئة بحدق بعضهم على بعض، وأن كل طائفة منهم ترمي الأخرى بأنها ليست على شيء، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيْهُمْ قُلْ هَاكُوا بُرْهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، أي قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرياً وليس معهم برهان سوى الأمنيات الكاذبة.

ويقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّلُوُنَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].

ويقول تعالى: ﴿وَنَرَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَنْتَعَ مِلَّهُمْ قُلْ إِنَّ هَذِي اللَّهُ هُوَ الْهَدِيٌّ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُوَّنُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةٌ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشَرِّكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

ويقول تعالى: ﴿أَمْ نَقُولُنَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ

كأنوا هوداً أو نصراً قلْ أَتَمْ أَعْلَمُ أَرْ أَنَّهُ وَمَنْ أَفْلَمُ مِنْ كَتَمْ شَهَدَةً عِنْدَمْ مِنْ  
اللهِ وَمَا أَنَّهُ يَغْفِلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ [البقرة: ١٤٠].

ويقول تعالى: ﴿يَأَهْلَ الْكِتَبِ لَمْ تُحَاجُونَ فِي إِيمَانِهِمْ وَمَا أَنْزَلَتِ الْوَرَةُ  
وَإِلَنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾٥٩﴾ هَذَا أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَمْ  
تُحَاجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾٦٠﴾ مَا كَانَ إِيمَانُهُمْ يَهُودِيًّا وَلَا  
نَصَارَائِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَيْثِمَا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾٦١﴾ إِنَّكُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِإِيمَانِهِمْ لِلَّذِينَ  
أَتَبْعَثُهُمْ وَهُنَّا أَلَّا يُّرَدُّنَّ وَالَّذِينَ أَمَّنُوا وَاللهُ وَكُلُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾٦٢﴾ [آل عمران: ٦٥ - ٦٨].

هذا ولما نزل قوله تعالى في مشركي مكة ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ  
حَصْبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴾٦٣﴾ لَوْ كَانَ هُؤُلَاءِ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلُّ فِيهَا  
خَلِيلُونَ ﴾٦٤﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾٦٥﴾ [الأنبياء: ٩٨ - ١٠٠]. قالوا: إذاً  
نرضى أن تكون الهتنا مع عيسى ابن مريم في النار؛ لأن عيسى عبد من دون الله،  
وهم يجهلون أن من عبد من غير الله وهو لم يدع الناس إلى عبادته ولا هو راض أن  
يعبد من دون الله فإنه لا يضره ذلك، فأنزل الله قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقْتُمْ لَهُمْ مِنْ  
الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبَعْدُونَ ﴾٦٦﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا صُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا  
إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾٦٧﴾ وَقَالُوا إِنَّهُمْ سَيِّدُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا صَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُوَ  
فَوْمٌ خَصْمُونَ ﴾٦٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾٦٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ  
جَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَكِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴾٦١﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْرُنْ بِهَا وَأَتَيْعُونَ هَذَا  
صَرْطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾٦٢﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّمَا لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾٦٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبُيُّنَاتِ  
قَالَ قَدْ حِشْتُمُ بِالْحِكْمَةِ وَلَأَيْدِيَنَّ لَكُمْ بَعْضَ الْذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَلَقَوْا اللَّهَ وَأَطْبَعُونَ ﴾٦٤﴾ إِنَّ  
اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ فَأَعْبُدُهُ هَذَا صَرْطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾٦٥﴾ فَأَخْلَفَ الْأَخْرَابُ مِنْ بَنِيِّنَمْ فَوَيْلٌ  
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴾٦٦﴾ [الزخرف: ٦٥ - ٥٧]، سلام على عيسى في  
المرسلين ﴿وَلَحْمَدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾٦٧﴾ [الصفات: ١٨٢].

وبهذا ينتهي كتاب قصص الأنبياء، وقد تم الفراغ منه في ضحي الخاميس الموافق

للرابع من ربيع الأول لعام ١٤٠٧ من هجرة سيد المرسلين ﷺ

بمنزلنا بمدينة الرياض، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

## فهرس الموضوعات

| الصفحة | الموضوع  |
|--------|--|
| ٥      | * مقدمة الكتاب                                 |
| ٧      | الفصل الأول                                    |
| ١٣     | الفصل الثاني                                   |
| ١٩     | الفصل الثالث                                   |
| ٢٤     | الفصل الرابع: حاجة الناس إلى النبيين والمرسلين |
| ٢٨     | ○ آدم ﷺ  |
| ٤٧     | ○ نوح ﷺ  |
| ٧٤     | ○ قصة هود ﷺ                                    |
| ٨٢     | ○ قصة صالح ﷺ                                   |
| ٨٩     | ○ إبراهيم ﷺ                                    |
| ١١١    | ○ لوط ﷺ  |
| ١١٩    | ○ إسماعيل ﷺ                                    |
| ١٢٣    | ○ إسحاق بن إبراهيم ﷺ                           |
| ١٢٧    | ○ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ                  |
| ١٣١    | ○ يوسف الصديق ﷺ                                |
| ١٦٠    | ○ شعيب ﷺ                                       |
| ١٦٨    | ○ أياوب ﷺ                                      |
| ١٧٢    | ○ إدريس وإلياس ﷺ                               |
| ١٧٦    | ○ يونس بن متى ﷺ                                |
| ١٨٧    | ○ اليسع ذو الكفل ﷺ                             |
| ١٩١    | ○ موسى ﷺ                                       |
| ٢٥٢    | ○ داود وسليمان ﷺ                               |
| ٢٧٩    | ○ زكريا ويحيى ﷺ                                |
| ٢٨٣    | ○ المسيح ابن مریم ﷺ                            |

هذا الكتاب منشور في



[www.alukah.net](http://www.alukah.net)